مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق مع محيطه الاقليمي والدولي وسبل تطويرها

وقائع وبحوث
المؤتمر العلمي الدولي العاشر
لمركز دراسات البصرة والخليج العربي بجامعة البصرة
بالتعاون مع الشركة العامة لموانئ العراق

للمـــدة مـــن 2 - 3 شباط / فبراير 2021م

اللجنة المشرفة

الاستاذ الدكتور
زكـــي عبـــدالله احمـــد

المهندس الدكتور
نرحان محيسن النرطوسي

الاستاذ المساعد الدكتورة
صفيـــة شاكـــر محمـــود

(المجلد الخامس)

المحور الثقافي و الاعلامي

1442هـ - 2021م

ISBN: 978-9922-21-008-7

مجالات التنمية و التعاون المشترك للعراق مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها

وقائع وبحوث

المؤتمر العلمي الدولي العاشر

لمركز دراسات البصرة والخليج العربي بجامعة البصرة

وبالتعاون مع الشركة العامة لموانئ العراق

للمدة من 3-2شباط/فبراير2021

المجلد الخامس

المحور الثقافي والاعلامي

1442هـ-2021م

ISBN:978-9922-21-008-7

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

دأب مركز دراسات البصرة والخليج العربي على إقامة المؤتمرات العلمية، التي يشارك فيها باحثون من دول العالم المختلفة، اذ أن إقامة المؤتمرات العلمية السنوية أو الدورية يعد ظاهرة حضارية متقدمة، ونشاطاً علمياً لبحث كل التطورات والمستجدات على الساحة الدولية. وقد وجدت ادارة المركز ان بحث العلاقات الخارجية للعراق مع محيطه الاقليمي والدولي، سيكون هو موضوع المؤتمر. لذا عقد المركز وبالتعاون مع الشركة العامة لموانئ العراق في ٢ – ٣ شباط ٢٠٢١، مؤتمره الدولي العاشر تحت عنوان: "**مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها**". والذي تضمن محاور عدة أتاحت للباحثين مناقشة قضايا مختلفة، حاولوا من خلالها التوصل الى توصيات ونتائج، هدفت ايجاد حلول جذرية لموضوعات بحوثهم.

وبالرغم مما شهده العالم من ازمة صحية اثر جائحة فيروس كورونا، التي القت بظلالها على مختلف جوانب الحياة، الا ان ذلك لم يحول دون اشتراك عدد كبير من الباحثين في المؤتمر، ومن مختلف الجامعات والمعاهد العراقية ومراكز البحوث، فضلا عن باحثين من دول عربية هي دولة الجزائر ومصر والمغرب واليمن.

عقدت جلسات عدة على مدار يومين كان بعضها حضورياً، والاخر الكترونياً وعلى برنامج الزوم. وقد أثرت المناقشات التي القيت في كل جلسة موضوعات المؤتمر، خاصة مع وجود باحثين مميزين كانت إسهاماتهم مثمرة وبناءة، مع وجود مسؤولين من الحكومة المركزية والمحلية لمساندة المؤتمر.

تناول المحور السياسي موضوعات متنوعة حول علاقات العراق الخارجية، وسبل تطويرها بما ينسجم مع متغيرات المرحلة. اذ طرحت رؤى وأفكار تعزز وتدعم وتوطد العلاقات السياسية بين العراق والشعوب والحكومات المختلفة، وصولا الى الاستقرار والتنمية المستدامة.

كذلك كان للمحور القانوني بصمة واضحة في ثنايا المؤتمر، اذ جسد المختصون فيه رؤيتهم لضرورة ان تكون علاقات العراق الخارجية مبنية على اساس القوانين والمواثيق الدولية، الامر الذي يسهم دون شك في تعزيز التعاون والتعاضد الدولي في مجالات شتى، ولاسيما فيما يخص مجال مكافحة الارهاب الدولي. فضلاً عن ذلك، جرى بحث موضوعات قانونية عدة، ركز عدد منها على مشكلات وحلول قانونية تخص المجتمع والدولة العراقية، واجريت مقارنات مع قوانين دول اخرى من اجل التوصل الى حلول ناجعة في معالجتها.

اثرى المحور الاقتصادي جلسات المؤتمر، اذ تناول موضوعات اقتصادية هامة، بحث فيها سبل تطوير العلاقات الاقتصادية للعراق مع الدول كافة، وبخاصة دول الجوار، اذ ركز الباحثون على اهمية معالجة الاوضاع الاقتصادية التي تأثرت كثيراً بسبب ظروف العراق، ووجدوا ان حل جزء كبير منها يكمن في الاستثمارات الخارجية، وتفعيل دور القطاع الخاص في اعادة اعمار العراق.

كرست مشاركات المحور الثقافي والاعلامي لبحث الظواهر الثقافية والتنوع الثقافي لدى شعوب المنطقة، وخاصة في مجال الادب والرواية والشعر والنقد. كما بحثت العلاقات الثقافية بين العراق ودول العالم المختلفة، وكيف اثرت وتأثرت ببعضها البعض. وضمن هذا الاطار جاء المحور التربوي والنفسي، والذي لم تكن مخرجاته بعيدة كثيراً عن العادات والتقاليد والثقافة العربية.

حمل المحور الجغرافي بحوثاً مزجت بين موقع العراق وموارده الطبيعية والبشرية وبين الواقع الجغرافي لدول المنطقة، لاسيما دول الخليج العربي. اذ اثرت الاختلافات التضاريسية والمناخية وتعدد المواقع الاثرية والسياحية والدينية في العراق على روابطه الخارجية، واسهمت في اثرائها وتطورها في اوقات مختلفة.

خطت البحوث التاريخية حلقات الوصل بين العراق ومحيطه الاقليمي والدولي، اذ كانت المساهمات البحثية في هذا المجال ذات معانٍ عدة، بدأت منذ اقدم العصور وصولاً الى وقتنا الحالي، وبينت مدى وثوق الروابط الخارجية للعراق مع دول العالم، والتي تراوحت بين مدٍ وجزر وبحسب فترات التاريخ المختلفة، الا ان الشيء الاهم، هو ان العراق كان وما يزال قبلة لمشارق الارض ومغاربها، الامر الذي انعكس بابها صوره على علاقاته الخارجية.

واخيراً، خلص المؤتمر الى استنتاجات وتوصيات علمية دفعت باتجاه تحقيق التقارب بين العراق ودول العالم شعوباً وحكومات. وجاء عقد هذا المؤتمر تأكيداً لرسالة مركز دراسات البصرة والخليج العربي في تشخيص المشكلات التي يعاني منها العراق، وايجاد الحلول الواقعية والعلمية لها، لتكون مرتكزاً ودليلاً لصناع القرار العراقي في تكوين رؤاهم في مختلف الميادين.

أ.م.د. علاء رزاك فاضل النجار

عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر

جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي

كلمة السيد رئيس الجامعة الاستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الاول بلا اول كان قبله، والاخر بلا اخر يكون بعده، وصلِ اللهم على خير البرية نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

السيد مدير عام الشركة العامة لموانئ العراق المهندس الدكتور فرحان محيسن الفرطوسي المحترم

السادة العمداء المحترمون

الاساتذة والحضور جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... واسعد الله صباحكم.

تتشرف جامعة البصرة اليوم بافتتاح المؤتمر الدولي العاشر الموسوم: "**مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها**"، والذي عقده مركز دراسات البصرة والخليج العربي بالتعاون مع الشركة العامة لموانئ العراق. ليكون انجازاً اكاديمياً وعلمياً يضاف الى الجهود البصرية للنهوض بواقع العراق ورسم مستقبل زاهر واكثر اشراقاً.

تكمن اهمية عقد المؤتمر في هذا الوقت بذات مع ما يشهده العالم من ظروف صحية خطيرة، افرزتها جائحة كورونا، والقت بظلالها على مجمل الحياة العامة، مما تسبب في ارباك واضح في مجالات التنمية والتعاون، ليس على الصعيد الاقليمي للعراق فحسب، وانما على الصعيد الدولي ايضاً. وهنا جاءت الدراسات والبحوث التي شاركت في المؤتمر لتبين وتوضح سبل تفعيل التنمية والتعاون الخارجي للعراق مع محيطه الاقليمي والدولي، وما هي الخطوات الاساس التي يجب اتباعها من قبل صناع القرار لإعادة العراق الى سابق عهده والارتقاء به الى مصاف الدول المتقدمة في المجالات كافة، لاسيما السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

من جانب اخر، كان من مخرجات هذا المؤتمر، انه جاء ليجسد تطبيق فعلي وواقعي لتوجهات جامعة البصرة، والتي دفعت باتجاه عقد شراكة حقيقية، وتعاون بناء، بين الكليات والمراكز البحثية التابعة للجامعة مع مؤسسات الدولة الاخرى. ولعل ما نشهده اليوم في هذا الحفل الكريم، من تعاون بين مركز دراسات البصرة والخليج العربي، والشركة العامة لموانئ العراق ، يعد اصدق المعايير على ذلك.

وفي الختام اوجه كل الشكر والتقدير الى باحثينا الاعزاء، واخص بالذكر منهم المشاركين من خارج البلد، وكذلك من محافظات العراق الحبيبة، ولكل القائمين والمنظمين للمؤتمر، وادعوا من الله لهم دوام التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة السيد مدير عام الشركة العامة لموانئ العراق المهندس الدكتور فرحان محيسن الفرطوسي المحترم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد.. والشكر لله من قبل ومن بعد، وصل اللهم على خير الورى ما لاح برقٌ في السماء وما خفى، اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

السيد رئيس جامعة البصرة الاستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم

السيدات والسادة الحضور مع حفظ الالقاب والمناصب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدنا ان نكون من بين المشاركين في هذا الجمع المبارك، ويعترينا الامل في ان تكون مخرجات وتوصيات المؤتمر ذات فوائد قيمية تعود بالنفع والرقي على عراقنا الحبيب.

كنا دائماً ولا زلنا سباقين في التعاون مع مؤسسات الدولة المختلفة، ايماناً منا بأهمية تظافر الجهود وتوحيد المناهج والخطوات حتى يكون العمل اكثر تنظيماً وتنسيقاً. فعلى مدار اكثر من شهر كان هناك تواصل مستمر وجهود استثنائية ومتابعة حثيثة من قبل اللجان التحضيرية للشركة العامة لموانئ العراق ومركز دراسات البصرة والخليج العربي، وهو ما تمخض عنه عقد هذا المؤتمر الهام ليس للعراق فحسب، بل لمحيطه الاقليمي والدولي.

وهنا نحن اليوم نؤكد من جديد على اهمية المؤسسات التعليمية والتربوية في رفد مسيرة البناء والاعمار وحركة التطور، لا سيما وان العراق وقع منذ مدة قصيرة، واحداً من اهم المشاريع مع شركة دايو الكورية لتنفيذ مشروع ميناء الفاو الكبير، وقد جاءت بعض الدراسات والبحوث المشاركة في المؤتمر لتسلط الضوء على اهمية هذا المشروع، بخاصة وانها ركزت على فوائده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفي الختام... اوجه شكري وعظيم امتناني لكل من ساهم وشارك في نجاح هذا المؤتمر، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية الاستاذ الدكتور زكي عبدالله احمد المحترم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى أبا القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

السيد رئيس جامعة البصرة الاستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم

السيد مدير عام الشركة العامة لموانئ العراق المهندس الدكتور فرحان محيسن الفرطوسي المحترم

السادة العمداء المحترمون

الحضور الكريم مع حفظ الالقاب والمناصب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني بداية أن أرحب بكم جميعاً، شاكراً ومقدراً لكم هذا الحضور لافتتاح فعاليات المؤتمر الدولي العاشر الموسوم: "مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها"، والذي يعد واحداً من اهم انجازات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي عموماً وجامعة البصرة خصوصاً، لما احتوى عليه من دراسات بحثية، ورؤى اكاديمية، ربطت بين ماضي العراق وحاضره، واستشرفت بشكل موضوعي وواقعي مستقبل العراق وعلاقاته الخارجية، وسبل تطوير قدراته المادية والبشرية.

هذا الجهد العلمي والتنظيمي ليس بجديد على جامعة البصرة وكوادرها، اذ اعتادت هذه المؤسسة بتاريخها الحفل بالإنجازات، على اخذ دورها الريادي في المجتمع، وكرست توجهاتها ومشاريعها لتكون معبرة اصدق واحق تعبير عن ما تتحمله من مسؤوليات وواجبات مزجت بين الفكر والتطبيق، ولعل هذا هو السبب الرئيس في بقاء اسمها منيراً في فلك العلم والمعرفة.

نقف هنا اليوم، لنشهد افتتاح مؤتمر استثنائي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ليس بسبب كثرة عدد المشاركين فيه – لاسيما من خارج العراق– وانما للموضوعات الهامة التي تضمنتها الدراسات والبحوث المشاركة في المؤتمر. والتي تميزت بأساليب بحثية فريدة من نوعها، واستنتاجات وتوصيات غاية في الدقة والاهمية، فضلاً عن ذلك، فانها عبرت عن ما يمثله العراق لمحيطه الاقليمي والدولي، وعلى جميع الاصعدة.

لا يفوتني ان اتوجه بالشكر والتقدير الى الشركة العامة لموانئ العراق، ولمركز دراسات البصرة والخليج العربي، على جهودهم في الاعداد والتنظيم والمتابعة لعقد هذا المؤتمر. كما اقدم كل الشكر والامتنان الى جميع

باحثينا الاعزاز المشاركون في المؤتمر، وبخاصة الذين تجشموا عناء السفر ، ليكونوا معنا اليوم جزءاً من هذا الحفل الكريم.

وفي الختام.. نسأل الله تعالى أن يلهمنا واياكم التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة مدير مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الاستاذ المساعد الدكتور صفية شاكر معتوق المحترمة

بسم الله الذي تعددت اسمائه، وبلغت فضائله غايات الوجود، والحمد لله اولاً واخراً، ظاهراً وباطناً، وصلِ اللهم على حبيبنا ونبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

السيد رئيس جامعة البصرة الاستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم

السيد مدير عام الشركة العامة لموانئ العراق المهندس الدكتور فرحان محيسن الفرطوسي المحترم

السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية الاستاذ الدكتور زكي عبدالله احمد المحترم

السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الادارية الاستاذ الدكتور علي حمظي المحترم

السادة العمداء المحترمون...

السيدات والسادة الحضور مع حفظ الالقاب والمناصب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما اعظم الايام حين تصنع بأيدينا، وما اجمل ان يخلد التاريخ، ساعات المجد والنجاح فبكم ومعكم نفتتح فعاليات مؤتمرنا العاشر الموسوم "مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق، مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها". والذي صاغ عنوانه الامل، وخطت جداريته بالتفائل، والهم باحثيه تاريخ العراق وحضارته.

المجد والعظمة والزهو، الماضي والحاضر والمستقبل، لبلدنا الحبيب.

حضورنا الكريم، انطلقت فكرة عقد هذا المؤتمر ايماناً منا بعلو شأن العراق، واهميته على مختلف الاصعدة. ففضلاً عن موارده الطبيعية الهائلة، يحظى العراق بطاقات بشرية كفوءة، مقتدرة على تحويل المستحيل الى ممكن، والممكن الى يسير.

لذا كلنا امل ان نكون معكم جزءاً من تاريخ العراق ومستقبله، وان يقدم هذا المؤتمر ما يستحقه اسم العراق ارضاً وشعباً، اذ اصبح العالم نتيجة التطور والتكنلوجيا عبارة عن منظومة سياسية واقتصادية واجتماعية مترابطة الاطراف، لا تنفك على التأثير والتأثر. لذلك لا بد من تفعيل مجالات التعاون المشترك للعراق مع العالم بشكل عام ودول المنطقة بشكل خاص، والسعي والحث على تبادل الخبرات والافكار والمصلحة المشتركة، والتي تعود

بالمنفعة على الجميع. وهناك مثل انكليزي يقول " إذا كنت تريد رفع نفسك، ارفع شخصاً آخر" والاخر هو الدولة والحضارة كما يعبر عنه ابن خلدون.

اجد لا بد من تقديم شكري وخالص امتناني الى كوادر الشركة العامة لموانئ العراق، بدءاً من مديرها المهندس الدكتور فرحان الفرطوسي، وانتهاءاً باللجان التحضيرية والاعلامية، والتي ساهمت بالكثير من الدعم والجهود من اجل انجاح هذا المؤتمر. ومن حيث لا نشعر تجسد عمل مركز دراسات البصرة والخليج العربي مع الشركة العامة لموانئ العراق، بتطبيق فعلي وواقعي لعنوان المؤتمر، والذي اساسه التعاون، فبه نجح العمل وتذللت الصعوبات والمعوقات.

كما اوجه شكري الى رئاسة جامعة البصرة، على دعمها لنا، وحثها على ان يكون للمؤسسة التعليمية جذور ممتدة الى داخل المجتمع، وان لا تتوانى عن تقديم الحلول والمعالجات الجذرية والواقعية لكل المشكلات، التي من الممكن ان تكون عقبة كداء امام النهوض بالواقع مهما اختلفت مسمياته.

والى باحثينا الاعزاز من داخل العراق وخارجه، تحياتي لكم، واعتزازي بكم، وبجهودكم العلمية، وحضوركم الفاعل، متمنية لكم كل التوفيق.

اختم القول بما بدأت به، ان الحمد لله والثناء عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البيان الختامي للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف خلقه ابو القاسم محمد، وعلى اله وصحبه اجمعين.

شهدت جامعة البصرة افتتاح المؤتمر الدولي العاشر الموسوم: "**مجالات التنمية والتعاون المشترك للعراق مع محيطه الإقليمي والدولي وسبل تطويرها**"، والذي عقده مركز دراسات البصرة والخليج العربي بالتعاون مع الشركة العامة لموانئ العراق، في المدة ٢-٣ شباط ٢٠٢١. وقد جاءت الاطر العامة للمؤتمر وتصوراته على وفق توجهات جامعة البصرة، وحثها المستمر على ان تكون المؤسسات التعليمية سباقة في ايجاد الحلول الناجعة والفعالة لجميع المشكلات التي تواجه المجتمع والدولة، واظهار الرؤى الاكاديمية في المجالات كافة. وقد تضمنت موضوعات المؤتمر سبعة محاور هي:

١. المحور السياسي
٢. المحور القانوني
٣. المحور الاقتصادي
٤. المحور التاريخي
٥. المحور الجغرافي
٦. المحور الثقافي والاعلامي
٧. المحور التربوي والنفسي

وعلى مدى يومين متتاليين جرى عقد جلسات صباحية حضورياً، واخرى مسائية على برنامج الزوم. وتكمن اهمية المؤتمر في كونه احتوى على كم هائل من البحوث والدراسات العلمية، التي تجاوز عددها ١٥٠ بحثاً ودراسة، واشترك فيه باحثين من مختلف دول العالم. فضلاً عن ذلك، فقد امتازت الدراسات المقدمة للمؤتمر بمعالجات حقيقية وواقعية لمجالات التنمية في العراق، وسبل تطويرها، ورصدت افاق التعاون المشترك للعراق مع محيطه الاقليمي والدولي.

ونسأل الله ان تكون مخرجات المؤتمر وتوصياته ذات اهمية حقيقية للعراق بشكل خاص، وللمنطقة بشكل عام. والله ولي التوفيق.

أ.م.د. علاء رزاك فاضل النجار
عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر
جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

توصيات المؤتمر

وفي نهاية جولات المؤتمر ومناقشاته فقد خلص المؤتمرون الى مجموعة نتائج نجملها بما يأتي :-

أولاً : تنمية وتعزيز علاقات العراق بمحيطه الاقليمي والدولي بما يحقق له الاستقرار الأمني والسياسي والتنمية الشاملة.

ثانياً : خلق جسور متينة بين العراق ودول الجوار من خلال تحفيز التاريخ المشترك بينهما اذ ان للبعد التاريخي حضوراً بارزاً في تنمية تلك العلاقات.

ثالثاً : ان لموقع العراق بعداً جغرافياً مهماً ولا سيما في ظل الظروف الاقتصادية القاهرة، اذ ان موقعه أكسبه بعداً استراتيجياً، لذلك يجب استثمار هذا الموقع على مختلف الأصعدة في التعاون مع محيطه الإقليمي والدولي.

رابعاً : تفعيل عمل السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية والتجارية بما يحقق الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية ويضمن معالجة الاختلالات الهيكلية وتقليل العجز في الموازنة العامة للدولة.

خامساً : تحفيز وتنمية القطاعات الإنتاجية وفي مقدمتها القطاعان الصناعي والزراعي ودعمهما بالتسهيلات الائتمانية والمستلزمات الرأسمالية وبما يحقق تنوع الإنتاج المحلي والإجمالي.

سادساً : تطوير المنافذ الحدودية التي تعاني من قلة الكفاءة البشرية المؤهلة، ولاسيما في مجال استخدام الحواسيب الآلية والتقنيات الفنية الحديثة بالإفادة من التجارب الإقليمية والدولية.

سابعاً : تبني التقنيات الحديثة لإدارة قطاع موانئ البصرة بما يعزز من سهولة الإجراءات وزيادة حركة التجارة البحرية.

ثامناً : إطلاق حملات اعلامية تروج لموانئ البصرة داخل العراق وخارجه، لتعريف المستثمرين بالمقومات الحديثة التي تتميز بها، واستقطاب الخطوط الملاحية ورؤوس الأموال.

تاسعاً : إعداد نماذج تطويرية للموانئ مستوحاة من الخبرات المحلية والدولية بما يتلائم مع أهداف العراق للنهوض بالتجارة البحرية والإسراع في إجراءات المساهمة في مبادرة (الحزام والطريق الصينية) واقتناص الفرص الاستراتيجية المنبثقة عن التعاون العراقي – الصيني.

عاشراً : الاهتمام بمؤهلات السياحة الطبيعية في العراق بما يجعلها مناطق صالحة للسياحة، ليقصدها السكان من داخل العراق وخارجه، وتكون مراكز ترفيهية ذات جدوى اقتصادية واجتماعية وثقافية تعود بالنفع على البلد وسكانه.

حادي عشر : فسح المجال لتبادل الخبرات في مجال اللغة والأدب والثقافة عبر إقامة ندوات ومؤتمرات ثقافية بين العراق ومحيطه الإقليمي، ولا سيما دول الجوار ودول الخليج العربي بصفة خاصةً.

ثاني عشر : توظيف دور المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني بما يحقق الامان، والتعايش السلمي في العراق.

ثالث عشر : الاستفادة من الطاقات الأكاديمية العراقية المتخصصة في المراكز البحثية والكليات في عملية رسم السياسات العامة لمستقبل العراق وعلاقته بمحيطه الإقليمي والدولي بالاستشارات والدراسات والبحوث.

رابع عشر : دعوة وسائل الاعلام الى المهنية والموضوعية، والقيام بدورها ومسؤوليتها الدينية والوطنية في غرس قيم المواطنة والوحدة والانتماء، ونبذ التفرقة والطائفية والارهاب.

خامس عشر : رفد السلك الدبلوماسي بالكوادر المهنية المتخصصة والفاعلة في توطيد وتعزيز علاقة العراق بمحيطه الإقليمي والدولي.

سادس عشر: التأكيد على بناء مؤسسة عسكرية فاعلة قادرة على حفظ الامن والاستقرار بما يعزز الجبهة الداخلية للعراق.

مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق

اللجنة العلمية للمؤتمر

جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ب
كلمة السيد رئيس جامعة البصرة الاستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم	ت
كلمة السيد مدير عام الشركة العامة لموانئ العراق المهندس الدكتور فرحان محيسن الفرطوسي المحترم	ث
كلمة السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية الاستاذ الدكتور زكي عبدالله احمد المحترم	ج – ح
كلمة مدير مركز دراسات البصرة والخليج العربي الاستاذ المساعد الدكتور صفية شاكر معتوق المحترمة	خ – د
البيان الختامي للمؤتمر – أ.م.د. علاء رزاك فاضل النجار	ذ
توصيات المؤتمر – اللجنة العلمية للمؤتمر	ر – ز
البحوث	
المحور السياسي	
التعاون العراقي الدولي في المجالات الأمنية والعسكرية وافاقها المستقبلية (الولايات المتحدة الامريكية انموذجاً) أ.د. شيماء عادل فاضل، م. د. علي طارق الزبيدي – الجامعة العراقية/ كلية الإدارة والاقتصاد	١ – ١٥
العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية العراقية بعد ٢٠٠٣: دراسة في المؤثرات الإقليمية استاذ محاضر صليحة محمدي، استاذ محاضر سامي بخوش – جامعة باتنة ١	١٦ – ٣٤
دور المنظمات الدولية غير الحكومية في حماية حقوق الإنسان في العراق استاذ محاضر فتيسي فوزية، استاذ محاضر سميرة شرايطية – جامعة ٨ ماي١٩٤٥ قالمة	٣٥ – ٦٣
استراتيجية التحدي والتصدي بوجه الارهاب في محافظة الانبار (الخالدية) نموذجا أ.م.د. يونس هندي عليوي، أ.د ضياء خميس علي – جامعة الانبار/ مركز الدراسات الاستراتيجية	٦٤ – ٩٠
انعكاس انتهاء الحرب الباردة على العراق " دراسة تاريخية " أ.م.د. عهود عباس احمد – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٩١– ١٣٨
التقييم الاستراتيجي لأداء السياسة الخارجية العراقية– الإقليمية بعد ٢٠٠٣ أ.م.د. حازم حمد موسى – جامعة الموصل/ كلية العلوم السياسية	١٣٩ – ١٤٩
سياسة العراق الخارجية تجاه محيطه الإقليمي بعد عام ٢٠٠٣ الكويت انموذجا" دراسة في الافاق المستقبلية وتطويرها أ.م.د صباح كريم رياح – جامعة الكوفة/ كلية العلوم السياسية	١٥٠ – ١٨٣

الموقف السياسي الاوربي من الحرب على تنظيم داعش الارهابي في العراق ٢٠١٤ أ.م.د. جواد كاظم حطاب – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٨٤ – ٢٠١
تلوث مياه البصرة بوصفه موضوعاً لحقوق الانسان أ.م.د. قيس ناصر راهي – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٠٢-٢٢١
هجرة العراقيين الى الدول الاوربية في ٢٠١٥م أ.م. عبدالحليم عبدالحافظ خالد – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٢٢ – ٢٤٠
الدبلوماسية العراقية ودورها في صنع التوازن الإقليمي أ.م. امجد زين العابدين طعمة– الجامعة المستنصرية/ مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية	٢٤١– ٢٥٩
الدبلوماسية الأوربية تجاه العراق ما قبل وبعد الحرب على الإرهاب عام ٢٠١٤م م.د. حازم حميد جبر – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٦٠ – ٢٧٦
اثر الدعم العسكري الاوربي للمؤسسة العسكرية العراقية بعد عام ٢٠١٤ م.د. محمد نجاح محمد – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٧٧ – ٣٣٤
العلاقات العراقية – الروسية بعد عام ٢٠٠٣ م. د. حسين علي مكطوف الاسدي– جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية	٣٣٥ – ٣٧٣
المكانة الاستراتيجية للعراق واثره في توازنات الامن الاقليمي للشرق الاوسط م.د. ربا صاحب عبد مرزوك – جامعة بغداد/ كلية الاعلام	٣٧٤ – ٤٠٣
الاعلام الجديد ودوره في ترسيخ ثقافة السلم الداخلي (الفيسبوك أنموذجاً) م.م. مشتاق طلب فاضل – المديرية العامة لتربية صلاح الدين	٤٠٤ – ٤٤٤
العوامل المؤثرة في سياسة العراق الخارجية بعد عام ٢٠٠٣ الباحثة مروة عبد الظاهر السيد محمد – التربية والتعليم	٤٤٥ – ٤٦١
المحور الاقتصادي	
الصناديق السيادية مفهومها وأهميتها وأنواعها وتأثيراتها التنموية أ.د. بشير هادي عودة– جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٤٦٢ – ٤٩٥
تداعيات صراع القوى الكبرى على الموارد في العراق واثرها في استدامة التنمية الوطنية أ.د.جمال منصر ، د.آسية بلخير – جامعة ٨ماي٤٥–قالمة–/الجزائر	٤٩٦-٥١٩
الغاز الطبيعي العراقي والجدوى الاقتصادية لتقنية تحويله إلى سوائل أ.د.عبد الجبار عبود الحلفي– مركز دراسات الخليج العربي/ جامعة البصرة	٥٢٠-٥٣٩

المدرس حسين علي احمد– كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة البصرة	
الابعاد السياسية والاقتصادية لتطوير ميناء الفاو الكبير.. دراسة استراتيجية أ. د. فضيلة سلمان داود– جامعة بغداد / كلية الادارة والاقتصاد م.د. فارس ابراهيم الكاتب – مركز ابابيل للدراسات الاستراتيجية	٥٤٠–٥٦٨
التجارة الدولية في خدمات النقل وأساليب توريدها في إطار (WTO) مع إشارة خاصة للعراق (دراسة استشرافية) أ.م. د إيهاب عباس الفيصل – جامعة ميسان/ كلية الادارة والاقتصاد	٥٦٩–٦٠٣
تأثير اعتماد سلسلة المواصفات الدولية الآيزو (٩٠٠٠) في تحقيق التوجه الريادي للمؤسسات السياحية "دراسة استطلاعية لعينة من أساتذة كلية العلوم السياحية جامعة كربلاء" ا.م.د.علاءعبد الحسين راضي، ا.م.د. راضي حمود جاسم، الباحث أيمن قاسم حمزه جامعة كربلاء/كلية العلوم السياحية	٦٠٤–٦٢٧
مشروع سد اليسو التركي والأمن المائي العراقي "بين التحدي الخارجي والاستجابة الداخلية" أ.م.د فهد عباس سليمان – جامعة كركوك/ كلية التربية م.ر. مهندسين/ مهند عباس سليمان – مديرية الموارد المائية	٦٢٨–٦٦٥
دور الشراكات والتحالفات الاستراتيجية في تحقيق الميزة التنافسية للشركات الصناعية م. تمام سلمان خضر، ا.م. وداد موسى محمد – جامعة بغداد/ كلية الادارة والاقتصاد	٦٦٦–٦٨٨
الآليات القانونية لتحسين مناخ الاستثمار في العراق الاستاذ فارح وليد – جامعة سعيدة –د.مولاي الطاهر	٦٨٩–٧٠٨
جدوى مكافحة الفساد المالي في العراق م.د حاتم فهد محمود – وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة مركز صلاح الدين	٧٠٩–٧٣٣
دور القطاع المصرفي في تعبئة الموارد المالية نحو القطاعات الإنتاجية في العراق للمدة (٢٠١١-٢٠١٨) م. الهام خزعل ناشور– جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٧٣٤–٧٥٦
ضرورات الموائمة بين الاصلاح الهيكلي والاصلاح المصرفي في الاقتصاد العراقي م. وسن هادي فيحان– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٧٥٧–٧٨٣
تحليل العلاقات التجارية النفطية العراقية الاردنية قبل وبعد العام (٢٠٠٣) م. محمد حسن عودة، م. علي طالب شهاب، م.م . عدنان حبيب عروج	٧٨٤–٨٠٩

جامعة البصرة / كلية الادارة والاقتصاد	
ميناء الفاو الكبير وطريق حرير ... الأهمية والتحديات ربان أعالي بحار أقدم ضجر مرزوك عودة – الشركة العامة لموانئ العراق/ معهد الموانئ	٨١٠-٨٣١
الاهوار في جنوب العراق وإمكانيات تطوير السياحة البيئية م.م. تغريد قاسم محمد– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٨٣٢-٨٧٩
دور الاستثمار الأجنبي المباشر في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (٢٠٠٣– ٢٠١٧) م.م. هيام خزعل ناشور– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٨٨٠-٩٠٩
قياس اثر تطبيق اليات حوكمة الشركات في تحقيق التنمية المستدامة دراسة ميدانية في دائرة الثروة الحيوانية / قسم السيطرة النوعية على الاعلاف م.م. زينب كامل كاظم – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	٩١٠-٩٣٨
الفرص الاستثمارية ودورها في تطوير الخدمات السياحية الأثرية البارزة في العراق(محافظة كربلاء إنموذجاً) م.م. حيدر ضياء سلمان– العتبة الحسينية المقدسة م.م. حوراء نبيل شكر– الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياحية	٩٣٩-٩٦٣
المحور التاريخي	
أثر حلف بغداد في العلاقات العراقية المصرية ١٩٥٥ – ١٩٥٨ أ. د. حسن علي عبدالله – جامعة القادسية/ كلية التربية	٩٦٤-٩٩٠
التجارة البحرية لموانئ العراق في العصور القديمة أ.م.د. محسن مشكل فهد – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٩٩١-١٠١٩
الغرف التجارية العراقية انجازات الماضي وطموحات المستقبل أ.م.د.صلاح عريبي عباس – جامعة كركوك / كلية الاداب	١٠٢٠-١٠٥١
دور الآثاريين العراقيين في الحفاظ على الموروث الحضاري (١٩٤١–١٩٥٨) أ.م.د. فراقد داود سلمان، م.م. سارة احمد مونس– جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٠٥٢-١٠٧٥
الموقف التركي من احتلال داعش للموصل ٢٠١٤ – ٢٠١٧ أ. م.د. علاء رزاك فاضل– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٠٧٦-١٠٩٩
المساعي الاردنية لاحتواء الازمة العراقية – الكويتية اب ١٩٩٠ أ.م. د أديب صالح عبد منصور – جامعة كركوك/كلية الآداب	١١٠٠-١١٣٥

رؤية الاحزاب السياسية بقضية مطالبة العراق بالكويت (١٩٦١-١٩٩١) أ.م.د.عماد عبدالعزيز يوسف، م.م. أمين غانم محمد – جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية	١١٣٦-١١٦٨
الأثر السياسي للزعامات القبلية العراقية في أحداث الدولة الفاطمية ناصر الدولة الحمداني أُنموذجا ٤٥٦-٤٦٥هـ/ ١٠٦٤-١٠٧٢ م أ.د.عباس خميس عبود – جامعة القادسية/ كليةالتربية م.م. ابتهال محمد عبد الكريم – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١١٦٩-١١٩٣
الحركات الكردية المسلحة في كردستان العراق (١٩١٤-١٩٤٥) م.د. سعد عزيز داخل – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١١٩٤-١٢١٣
جرير بن عبد الله البجلي ودوره في جمع قبائل بجيلة وتحرير العراق م.د. نهلة عبار لازم – جامعة البصرة/ كلية الاداب	١٢١٤-١٢٣٣
الحرف والمهن البصرية الشعبية القديمة م.د. رشا عبد الكريم فالح– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٢٣٤-١٢٦٩
ملامح التجارة في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هجرية) م.م سندس بندر خزعل – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٢٧٠-١٢٩١
إضاءات حول قضايا مشتركة بين العراق وإيران حتى عام ١٩٥٠ م. د. حيدر علي خلف – وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار	١٢٩٢-١٣٢٦
عيلام وعلاقتها ببلاد الرافدين من الناحية السياسية والدور الذي لعبته م.م. شعيب فراس ابراهيم – الهيئة العامة للاثار والتراث مفتشية اثار وتراث نينوى	١٣٢٧-١٣٤٧
تاريخ الاقليات في العراق (نشأتها وأصل وجودها) م.د إكرام نايف محمد العكيدي – جامعة ديالى / كلية العلوم الاسلامية م.م عثمان شهاب أحمد حسين – جامعة ديالى/ كلية التربية المقداد	١٣٤٨-١٣٧٠
المحور الجغرافي	
الابعاد الإستراتيجية للازمة القطرية–الخليجية وتداعياتها على مستقبل العراق ودول مجلس التعاون الخليجي أ.د. فهد مزبان خزار– جامعة البصرة/ كلية التربية للبنات	١٣٧١-١٤٠٣
تقويم الكفاية الإروائية للأراضي الزراعية التي تروى من نهر الفرات في محافظة ذي قار وإمكانيات تحقيق الاستغلال الأمثل للمياه وفق تجارب دول الجوار أ.د.علياء حسين سلمان، الباحث/ محمد بدر جاسم – جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات	١٤٠٤-١٤٣٠

البُنية الساحلية العراقية : ايجابيات الموقع وتحديات المنافسة في مشروع طريق الحرير الجديد أ.د. حسن خليل حسن – جامعة البصرة/ مركز علوم البحار	١٤٣١-١٤٦٠
التلوث السمعي في مدينة بغداد للعام ٢٠١٨ (جانب الرصافة انموذجا) أ.د.علي عبدالزهرة كاظم– جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ا.م.د يونس كامل علي– جامعة ذي قار /كلية التربية للعلوم الانسانية	١٤٦١-١٥٠٦
أثر الموقع الجغرافي لمحافظة ميسان في وضعها الهيدرولوجي والترفيهي أ.د.كاظم شنته سعد، م.د.ايات جاسم محمد، م.م. هبه عبدالحكيم حميد– جامعة ميسان/ كلية التربية	١٥٠٧-١٥٣٢
التوزيع المكاني لكفاءة طرق النقل البرية في العراق أ.د.حسين عليوي ناصر– جامعة ذي قار / كلية التربية الاساسية	١٥٣٣-١٥٥١
تفعيل الاهمية الجيوسياسية لموقع العراق الجغرافي في مبادرة الحزام والطريق الصينية أ.د. عدنان كاظم جبار، أ.م.د.حميدة عبد الحسين محمد – جامعة المثنى /كلية التربية للعلوم الانسانية م.م .رشا جبار معارج– المديرية العامة للتربية في ميسان	١٥٥٢-١٥٩٦
الاحتياجات الفعلية في الأراضي الصالحة للزراعة للآلات والمكائن وفق إنتاجية الآلة ونوع المحصول المزروع في محافظة البصرة أ.د.إبراهيم علي ديوان– جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	١٥٩٧-١٦٢٣
دور جغرافية الابتكارات العربية والمنظمات غير الحكومية في تعزيز العلاقات الدولية " اليمن والعراق أنموذجا" أ. محمد على احمد حمران ، ا. د. عبد السادة عبدالعباس راهي – اتحاد الاكاديميين العرب المهندسة الاستشارية تريزا جاسم رضا – رئيسة جمعية المخترعين والمبتكرين العراقية	١٦٢٤-١٦٤٩
الملامح الجغرافية لظاهرة الفقر في مدينة الشطرة باعتماد تقنية GIS المعالجات والحلول بالاستفادة من تجربة دولية أ.م.د. سميع جلاب منسي – جامعة ذي قار / كلية الآداب أ.م.د. مريم خيرالله خلف– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة الخليج العربي	١٦٥٠-١٦٨٢
إعادةافتتاح المنافذ البرية بين العراق والسعوديةودورها في تطوير العلاقات السياسية والاقتصاديةبين البلدين أ.م.د. ضحى لعيبي كاظم– جامعة ميسان / كلية التربية	١٦٨٣-١٧٠٧
توجهات السياسة السكانية في العراق وجوارها الإقليمي بعد عام ٢٠١١ أ.م.د . حسين قاسم محمد– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة الخليج العربي	١٧٠٨-١٧٣٦

الإمكانات الجغرافية لاستثمار الطاقة الشمسية في محافظة البصرة بين الواقع والتحديات مع الإشارة لبعض دول الجوار أ.م.د راشد عبد راشد – جامعة البصرة/ كلية الآداب م.م هدي أحبيني عاشور– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة الخليج العربي	١٧٣٧-١٧٨٢
تغير الغطاء الارضي لناحية الهلال في محافظة المثنى باستخدام التقنيات الجغرافية والاستشعار عن بعد أ.م.د سفير جاسم حسين، م. م. كفاء عبد الله لفلوف – جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	١٧٨٣-١٨٠٢
السكان وقياس مستويات التنمية البشرية في المراكز الحضرية لمحافظة كركوك ا.م.د. محمد شلاش خلف الجميلي – جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية م.د. رائد احمد يوسف الجبوري، م.د. حمد علي احمد الجبوري – المديرية العامة لتربية كركوك	١٨٠٣-١٨٢٦
تقييم المياه السطحية للري والشرب في مُحافظة الأنبار أ. م. د. نجلة عجيل محمد– الجامعة المستنصرية / كلية التربية	١٨٢٧-١٨٥٥
موقع العراق الجغرافي في ضوء أهميته وابعاده الإستراتيجية أ.م.د. مازن عبد الرحمن جمعه – جامعة الانبار/ مركز الدراسات الاستراتيجية	١٨٥٦-١٨٧١
امكانات التنمية السياحية في قضاء القرنة أ.م. د عادل عبد الأمير عبود، الباحث. عدنان عبد الأمير مكي – جامعة البصرة/ كلية الآداب	١٨٧٢-١٩٠١
اصناف شبكة الطرق البرية ومشكلاتها المكانية في محافظة البصرة أ. م.د.اماني حسين عبد الرزاق – جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	١٩٠٢-١٩١٦
التغير في تكرار العواصف الغبارية المؤثرة على محافظة المثنى للمدة (١٩٧٤–٢٠١٧) وامكانية السيطرة عليها من تجارب دولية أ.م.د سفير جاسم حسين، الباحثة عُلا لطفي مهدي – جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	١٩١٧-١٩٣٤
تقييم كفاءة الخدمات التعليمية في مدينة شط العرب لعام ٢٠٢٠ أ.م.د. مرتضى مظفر سهر الكعبي – جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	١٩٣٥-١٩٦٢
عمليات التجوية الكيميائية في قضاء العلم والمظاهر الارضية الناتجة عنها أ.م.د. صفية شاكر معتوق – جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٩٦٣-١٩٨٥
التوزيع الجغرافي للمنافذ الحدودية البرية للعراق مع إيران واهميتها اللوجستية والاقتصادية م.د. محمد عباس مجيد – جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الانسانية	١٩٨٦-١٩٩٩

الاثار الاقتصادية والاجتماعية لخصائص فيضان نهر ديالى في العراق م. د. حسين عبدالواحد اكطامي – مديرية تربية محافظة البصرة	٢٠٢٤-٢٠٠٠
تحليل جغرافي للهيكل المكاني للمراكز الحضرية في محافظة ميسان باستخدام الاساليب التخطيطية م.د. ماجدة عبدالله طاهر – جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	٢٠٥٢-٢٠٢٥
جائحة فايروس كورونا وتداعياتها على قطاع النقل الجوي في العراق لعام ٢٠٢٠ م.د. مها شاكر جبر – جامعة البصرة/ كلية التربية للبنات	٢٠٨٣-٢٠٥٣
الموازنة المائية المناخية بين قضاء القرنة وقضاء الفاو في محافظة البصرة دراسة مقارنة م.د. محمد هاشم حسين– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة الخليج العربي	٢١٠٠-٢٠٨٤
السياحة الأثرية والبيئة لأهوار جنوب العراق و تعزيز التعاون العراقي الدولي في مجال لائحة التراث العالمي م.د الاء شاكر عمران – جامعة البصرة/ كلية التربية للعموم الانسانية	٢١١٩-٢١٠١
تطبيق نموذج جافريلوفيك في تقدير حجم التعرية المائية في حوض وادي سرخر م.د. محمد أطخيخ ماهود – جامعة البصرة / كلية التربية للبنات	٢١٥٥-٢٠٩٧
الجغرافية مالها وما عليها في التنمية المستدامة ((دراسة العنف ضد المرأة في العراق (أنموذجا)) م.د. سعد عكموش نجم – مديرية تربية محافظة البصرة	٢١٨٠-٢١٥٦
دور منظمة اليونسكو في تنمية المؤسسات التعليمية والثقافية في العراق و بعض الدول العربية د. علي مصطفى مهوس الصبيح – مديرية تربية محافظة البصرة د. محمد خضير سلمان العلي – جامعة البصرة /الاداب	٢٢٠٤-٢١٨١
السياسة المائية (العراقية – التركية) بعد ٢٠٠٣/ دراسة في جغرافية السياسة م.م. .جعفر صادق هادي– مديرية تربية محافظة واسط	٢٢٢٥-٢٢٠٥
التخطيط لإدارة الموارد المائية في العراق وإمكانية تنميتها م.م. حيدر خيري غضيه – مديرية تربية محافظة القادسية م.م. أركان ناهي موسى – مديرية تربية محافظة المثنى	٢٢٥٠-٢٢٢٦
المحور الثقافي والاعلامي	
بنية التوازي في شعر محمود البريكان قصيدة حارس الفنار إنموذجاً أ.د. صباح عبدالرضا إسيود– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٢٦٧-٢٢٥١
التثنية ودلالتها في سورة الـرحمن	٢٢٩٤-٢٢٦٨

أ.د.جاسم غالي رومي – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	
القصدية في آيات من سورة الإسراء أ.د. خليل خلف بشير – جامعة البصرة / كلية الآداب م.م محمد قاسم محمد – تدريسي في معهد الموانئ	٢٢٩٥-٢٣٠٥
الجمعيات العلمية العراقية ودورها الريادي في مجالات التعاون الثقافي والعلمي الإقليمي المشترك ، دراسة مسحية مختارة أ.م.د. عبدالرزاق رحيم صلال – جامعة البصرة / كلية الاداب م.د. ايات عبد جوني – الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب	٢٣٠٦-٢٣٢١
المنظور الايدلوجي في الحلم البوليفاري لباسم فرات أ.م.د. اشراق سامي عبدالنبي – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٣٢٢-٢٣٣٠
الهُوية في الشعر العراقي المعاصر (ديوان أسير أسيراً بدهشتي) لعدنان الصائغ أُنموذجاً أ.م.د.مريم عبدالنبي عبدالمجيد – جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٣٣١-٢٣٥٥
دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا أ.م.د. محمد جارالله توفيق– الجامعة التقنية الوسطى	٢٣٥٦-٢٣٧٧
صراع الهوية الأدبية في الاندلس، الموشحات إنموذجا أ.م.د.عارف عبد الكريم مطرود– جامعة البصرة / كلية الآداب	٢٣٧٨-٢٣٩٦
وجه التوافق والاختلاف بين النص والخطاب في تحقيق الدراسات النصية أ.م.د. خليل عبدالمعطي عثمان – جامعة البصرة / كلية الآداب	٢٣٩٧-٢٤٢٠
الاعلام العربي المعاصر ودوره في محاربة التطرف (العراق انموذجاً) أ.م. باسمة كزار حسن – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٤٢١-٢٤٨٣
ألفاظ الطبيعة في كتاب الحماسة البصريّة باب المديح والتقريظ أنموذجاً أ.م. نضال حسن جاتول – جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٤٨٤-٢٥١٥
التأصيل اللغوي لبنية (مفعال) في القرآن الكريم مقاربة صوتية – صرفية دلالية م.د. زينب هاشم حسين– جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية	٢٥١٦-٢٥٤٥
تقييم فاعلية دورات سلامة اللغة العربية الافتراضية في ضوء اللسانيات الحاسوبية (جامعة البصرة/ مركز التطوير والتعليم المستمر انموذجاً) م. د. عباس عبدالعزيز صيهود– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٥٤٦-٢٥٥٥

م.د. علي عواد ميزر– جامعة المثنى/ كلية التربية الاساسية	
دور اللغة في التنمية والتطوير (اللغة العربية أنموذجاً) م.د. هند علي حنون– كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية الجامعة /أقسام واسط	٢٥٥٦-٢٥٧٥
الية التدافع والاسترجاع في شعر محمود البريكان م.د وجدان صادق صدام– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٥٧٦-٢٥٨٧
بين النص الحاضر والنص الغائب قراءة في قصة المملكة السوداء لمحمد خضير م.د. هالة فتحي كاظم السعد– جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٥٨٨-٢٦٠٤
اللغة العربية تحديات الواقع وأسرار البقاء م.د. خالد حوير الشمس– جامعة ذي قار/ كلية الآداب	٢٦٠٥-٢٦١٤
النقد العربي القديم في ضوء المناهج النقدية المعاصرة م.د خالد صكبان حسن – جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٦١٥-٢٦٤٠
نحو مقاربة لسانية لظاهرة التضاد في اللسان العربي د. الهام بغداد– جامعة محمد الخامس بالرباط	٢٦٤١-٢٦٦٢
الاتجاهات الحديثة في اللسانيات: المقاربة التوليدية لهندسة لأبنية الكلمة العربية نموذجا د. المودن محمد – جامعة محمد الخامس بالرباط	٢٦٦٣-٢٦٧٩
مشروعية حضانة الأم ، دراسة فقهية في ضوء الفقه الإمامي م. عباس جاسم ناصر– جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٧٠٢-٢٧٨٠
جمالية النص الغائب في شعر أحمد مطر م. معتز قصي ياسين– جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٧٠٣-٢٧١٩
التشابه والاختلاف بين اللغتين الفارسية والعربية والصعوبات التي تواجه المترجمين في تحويل المفردات العربية في اللغة الفارسية م.م. عبد الهادي معتوق سلطان – جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٢٧٢٠-٢٧٤٠
تأثر الشعر العربي الحديث بالحداثة الغربية (السياب انموذجا) م.م. عبد الحميد هايس مطر– جامعة الانبار/ كلية الزراعة	٢٧٤١-٢٧٧٣
A Contrastive Analysis of the Expletive It in English and Dhameerlsh?an huwa in Arabic Dr. Abdulameer Hussein Ali, Dr. Dhahir Jafar Khazal – Basra University	٢٧٩٥-٢٨٢٤

Future Development with English as a foreign language: Iraqis and EFL learning Dr. Fatimah Mohammed Ali Al-Asadi- Ministry of Higher Education and Scientific Research	٢٧٧٤-٢٧٩٤
المحور القانوني	
وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحول الديمقراطي أ.د. تيسير أحميد عبل – جامعة البصرة / كلية القانون م. سجى فالح حسين – جامعة ميسان / كلية القانون	٢٨٢٥-٢٨٤٥
دور منظمة الصحة العالمية لحماية الهواء من التلوث في العراق م.د. مروة ابراهيم محمد – جامعة أوروك الأهلية/ كلية القانون	٢٨٤٦-٢٨٦٥
مبدأ الوقاية لمنع وقوع الأضرار البيئية في القانون الدولي م.د. كرار صالح حمودي – جامعة واسط / كلية القانون	٢٨٦٦-٢٨٩٧
المواجهة الجنائية للحد من الجرائم الارهابية في العراق (دراسة وفق قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥) م.د ايمان عبدالله أحمد، م.م اسراء سعيد عاصي – جامعة أوروك الأهلية/ كلية القانون	٢٨٩٨-٢٩٢٢
الرقابة البرلمانية على تأخر الحكومة بإعداد الموازنة العامة للدولة (العراق انموذجا) م.د. محمد جبار كريدي– كلية القانون / جامعة البصرة	٢٩٢٣-٢٩٤٠
التنمية المستدامة في القانون الدولي ودورها في تعزيز علاقات التعاون المشترك بين الدول م.د. أحمد حميد عجم البدري– كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام واسط	٢٩٤١-٢٩٧٣
أثر جائحة كورونا على الالتزامات التجارية والمدنية (دراسة في ظل التشريع العراقي) أ.م. اعتدال عبدالباقي يوسف – جامعة البصرة / كلية القانون	٢٩٧٤-٣٠٢٢
مبدأ المساواة وأثره في انشاء النص الضريبي "دراسة تحليلية مقارنة" م. زيد عجمي بشيت – جامعة سومر/ كلية القانون	٣٠٢٣-٣٠٤١
تسوية منازعات عقود التجارة الدولية بالوساطة (دراسة مقارنة)	٣٠٤٢-٣٠٧٠

م. محمد مجيد كريم – جامعة سومر – كلية القانون	
والمحور التربوي والنفسي	
خصائص ومقومات وأبعاد التفكير الإبداعي وأساليب وطرق تنميته ومعوقاته ومشكلاته وكيفية التغلب عليها " تصور مقترح " د. طارق عبد الرؤف محمد عامر – مدير إدارة الجودة بمنطقة المنوفية الأزهرية	٣٠٧١-٣١٠٢
تأثير جائحة كورونا (Covid-19) على التعليم والمؤسسات التعليمية م.د. خلود عبدالخالق السالم– كلية الباني الجامعة	٣١٠٣-٣١٣٤
اليقظة الذهنية وعلاقتها بقوة الأنا لدى طلبة المرحلة الاعدادية م. م نداء كاظم هادي– اعدادية المعقل للبنات	٣١٣٥-٣١٦٠



بنية التوازي في شعر محمود البريكان

- قصيدة حارس الفنار أنموذجا -

أ . د . صباح عبدالرضا إسيود البشير

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

يتوجه كثير من الدراسات النقدية الحديثة إلى دراسة بنية الخطاب الأدبي الداخلية، في محاولة لكشف مكامن الإبداع في ذلك الخطاب، وقد كان توجه هذه الدراسة إلى دراسة بنية التوازي في قصيدة حارس الفنار للشاعر محمود البريكان، لما يمثله هذا الشاعر وهذه القصيدة من مكانة متميزة في الشعر العربي الحديث. فقد حوت هذه القصيدة مختلف تقنيات التوازي ودارت دورات عدة حول التماثل والتخالف الصوتي وهو ما يسمى بالتوازي الفونيمي الصوتي ومرت بالتوازي النحوي وانتهت بالتوازي التركيبي الصرفي.

ولذلك يمكن القول إن قصيدة حارس الفنار قد كشفت عن بؤرة إبداعية في عموم تجربة الشاعر البريكان وفي حركة الشعر العربي الحديث، كما أنها مثلت حلقة وصل بين حياة الشاعر ويومياته وبين فنه وأدبه على طريقة الشعراء العظام، بعد أن كشفت عن توجس الشاعر لما آلت إليه حياته.

مقدمة :

لا يختلف اثنان على أن الشعر صناعة لغوية قبل كل شيء، وهذه الصناعة تتطلب وسائل خاصة بها مثلما تتطلب أدوات تسهم في تكوينها وبنائها، ولا بدَّ من حصول الانسجام والتوافق بين مكوناتها وصولاً إلى ما يعرف بالتشاكل والتخالف بين وحدات الشعر، بحيث تتشاكل الوحدات الصوتية والدلالية والمعجمية والتركيبية بطريقة خاصة، تتقابل فيها كل وحدة لغوية قائمة في النص مع وحدة أخرى سلباً أو إيجاباً ، وهو ما ينتج عنه نوع من التفاعل المستمر بين وحدات النص الشعري([١])، أو ما يسمى بالتوازي Parellelism .

وهذا ما يفضي إلى القول إن هناك بنية متحققة دوماً في القصيدة، هي بنية التوازي، وبالتحديد في النص الشعري عموماً ؛ بوصفه يقوم أصلاً على التوازي؛ الذي هو ضرورة من ضرورات بناء لغته الشعرية، ولولاه لما كان هناك شعر بالمعنى الحقيقي للشعر، على الرغم من وجود التوازي بالنثر أيضا وبدرجات متفاوتة. ومن هنا فقد وجد جاكوبسن أن الشعر ينتج من إسقاط مبدأ التشابه في محور الاختيار على مبدأ التأليف، وبه تتاح أمام المبدع إمكانات أوسع لخلق المتشابهات والمتوازيات المستمرة في الشعر، فضلاً عن أنه نظر إلى الوزن الشعري بكونه الباعث الأول لبنية التوازي؛ وأسماها البنية التطريزية للبيت في عمومه، بوصفها هي التي تفرض نظاماً معيناً يتجسد أولاً بالوحدة النغمية التي تتكرر وهي تقتضي من عناصر الدلالة النحوية والمعجمية توزيعاً متوازياً ([٢]). وهذا ما يعني أن التوازي يقتضي وجود شيئين أو أكثر لتقوم بينهما علاقة تناسب (تقابل أو تشابه). وعلى العموم فإن دراسة من هذا النمط تفضي بالنتيجة إلى دراسة قد لا تختلف كثيراً عما كان يرد في النقد العربي القديم عندما أشار إلى مسميات مشابهة لدراسة بنية التوازي في الشعر، من قبيل المساواة والطباق والموازنة والتكرار والتناسب والمقابلة والمشاكلة ناهيك عن ثنائية اللفظ والمضمون ورد العجز على الصدر وغيرها([٣]).

إلا أن النقد الغربي الحديث قد وضع الأصبع على الجرح عندما أكد إمكانية اندراج بنية القصيدة في انتظام مركب بحسب التناظر أو التدرج أو التناقض أو التوازي، ليشكل بالمحصلة بنية فضائية، هي بنية القصيدة الحديثة ([٤]). وهذه البنية هي حتماً على اختلاف مع بنية القصيدة القديمة، لأن التدوير – على سبيل التمثيل – يكون أقل وضوحا في القصيدة الكلاسيكية (العمودية) باعتبار أن أبياتها – في معظم نماذجها – أكثر استقلالا عن بعضها البعض وإذا ما اتصل بيت بآخر فيطلق

على هذه الحالة التضمين، وهو ما يصطلح عليه حالياً التدوير. وإذا ما استقلت الأبيات أو السطور عن بعضها صار من السهل ملاحظة ما بينها من صلات أو علاقات وروابط، لأن القصيدة في أرقى حالاتها لا تتعدى أن تكون مجرد انسياب تلقائي للمشاعر القوية وحسب (٥)، أو هي بتعبير الجاحظ عندما أراد أن يعرف الشعر فقال : " الشعر شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا "(٦). ولهذا فأن دراسة القصيدة ينبغي أن تتوجه إلى ما يكتنف بنياتها أو حلقاتها الداخلية. ولاسيما أن الشاعر الحديث على علم بما يدور حوله في عالم النقد أكثر من غيره في كل العصور، بل أنه قد ولج في كثير من الأحيان متاهة النقد ، وصار يوجه النصوص الأدبية مثله مثل غيره من النقاد المعاصرين إذا لم يكن يضاهيهم علما وثقافة. إذ إننا لو نظرنا إلى تجربة شاعرنا محمود البريكان خارجياً ، ومن خلال إشارته إلى كلمة التوازي فسنجد أنه يشير إليها صراحة في قصيدتين من قصائده هما قصيدة (قصيدتان متوازيتان) وقصيدة (خطان متوازيان) علاوة على ورودها في طيات قصائده وثناياها، مما ينم عن علم ودراية من الشاعر بمفردة التوازي على الأقل، ناهيك عن بناء كثير من قصائده بموجب هذه البنية. وهو ما سنتوقف عنده في الصفحات اللاحقة من هذه الدراسة.

تحقق التوازي في نصوص محمود البريكان السردية :

إذا اتفقنا على أن الشعر " لغة فنية مركزة وكثافة دلالية مرتفعة وتناغم إيقاعي بين وحداته المكونة له، وانتقاء متميز لمفرداته وتراكيبه وصوره " (٧)، فأننا سنكون إزاء شعر البريكان كله، لأن الشاعر بكلمة سريعة ومختصرة قد أوقف جل تجربته على هذه الأسس، ولا يمكن لأي دارس أو متذوق للشعر إلا أن تستوقفه لغة رصينة وعبارات جلية حاول الشاعر أن يظهرها بثوبها الشعري، وذلك أقل ما يمكن أن يوصف به شعر البريكان، وهذا ينسحب حتى على شعره الذي ينحو فيه نحو البناء الدرامي. وكما نلمس ذلك في قصائده : قصيدة (رقم ٩٦) وقصيدة (هواجس عيسى بن أزرق في الطريق إلى الأشغال الشاقة) وقصيدة (أسطورة السائر في نومه) وغيرها من القصائد التي يستغل فيها الشاعر السرد القصصي نهجاً فنياً لبناء قصيدته. وهو ما يمكن أن نتبينه في قوله – على سبيل التمثيل – بقصيدة " هواجس عيسى بن أزرق في الطريق إلى الأشغال الشاقة " :

يصطخب القطار في طريقه الطويل

في نفق الظلمة نحو مطلع النهار

وددت لو يموت عنا ذلك النهار

وددت لو ينحرف القطار

عن دربه المشؤوم ([٨]) .

يستوقفنا السرد في اللحظة الأولى التي نبدأ فيها القراءة، فالقصيدة تبوح بمشاعر من حكم عليه بالأشغال الشاقة، وهو يمضي إلى تنفيذ العقوبة، وهو ما يستوجب لغة سردية تعج بالفعل على حساب الاسم، وهو ما حصل في الأفعال: يصطخب، وددت، يموت، وددت، ينحرف. وهذه الأفعال تولد المشهد الشعري المعروض أمامنا، مثلما تولد التأزم بحيث تجعل المتلقي يراعي الحالة المعروضة أمامه ويتعاطف معها. وهي في الوقت نفسه تجلب التوازي والتناظر بين سطور النص، والشاعر ينقل عبر ضمير المتكلم حالة المحكوم عليه، فبقدر ما أحس دستوفسكي بالبعد المكاني وربطه بالبعد النفسي والزمني في روايته الشهيرة (الجريمة والعقاب) عندما سيق بطله إلى المقصلة ملاحظاً أن قياس الزمن المتبقي لعمر البطل يقاس بالمكان أو الأمكنة التي تقطعها العربة التي تسير لمكان تنفيذ العقوبة؛ بمعنى أن الزمن لا يغدو زمناً حقيقياً ، ما دام قد بقي للمحكوم عليه ثمة شارع أو شارعان أو منطقة تقطعها العربة لتصل لمكان التنفيذ.

كذلك نجد أن البريكان لا يختلف عن هذا النهج ولكنه يستغل الفعل للتعبير عن المحتوى ذاته ولإحداث التناظر بين حالتين. ولعل ذلك كله يؤول إلى غايات فنية حرص الشاعر أشد الحرص على أن يبرزها في قصيدته، فإذا ما أنعمنا النظر في المقطع السابق فأننا سنرى مفردة مولدة تتمثل في (يصطخب) ومنها تولدت بقية المفردات. وهذه المفردة كما يظهر مليئة بالأصوات الانفجارية التي حلقت حولها بقية الأصوات واستمدت طاقتها منها، لأن الشاعر أراد أن ينقل مشاعر الراوي الحزينة، أو مشاعر بطله؛ فكانت يصطخب أكثر تعبيراً من غيرها في التعبير عن حالة بطله، وهي بذاتها قد ولدت ألفاظاً على سبيل التداعي، فعندما اصطخب القطار بالهرج والمرج في طريقه الليلي الطويل، ولّد ذلك ألفاظاً تتوازى مع اللفظ السابق وتتواءم مع سياقه، لأن القطار بحركته الدؤوبة يسير نحو النهار وحين يصل ستنتهي الرحلة والبطل / الراوي لا يريد لتلك الرحلة أن تنتهي لأنه سيكون عندئذ أمام مصيره المحتوم؛ وهو ما يحاول أن يجد فراقا بينه وبين ذلك المصير. لذلك لجأ إلى الفعل وددتُ وكرره لمرتين في سطرين متتاليين، فأما أن يموت ذلك النهار بحيث تظل الرحلة مستمرة وذلك ما لا

يمكن حدوثه أو ينحرف القطار عن طريقه، وكل تلك الأمور من الأماني التي لا تتحقق ولذلك لجأ إلى الفعل الماضي وددت وأردفه بالأداة لو، وهي أداة شرط غير جازمة، وقد توازت مرتين مع ذاته من خلال التكرار، يقول :

وددت لو يموت عنا ذلك النهار

وددت لو ينحرف القطار

فهناك الفعل الماضي (ودّ) المتصل بالفاعل وهو (ضمير الرفع المتصل)، متبوعاً بـ (لو) أداة الشرط، ثم فعل مضارع (يموت ، ينحرف)، ثم توازي القافية في لفظتي النهار والقطار. ويبدو جلياً أن القافية قد أدت دوراً مهماً في الموازاة بين الحالتين وحتى في السطر الشعري السابق لهما (في نفق الظلمة نحو مطلع النهار) فقد انتهت الأسطر الثلاثة بـ : النهار، النهار، القطار. لتؤكد دلالة واحدة تكررت في ثنايا النص وبواطنه.

ولو نظرنا إلى التكرار الفونيمي للأصوات فسوف نجد تأكيداً من الشاعر على أصوات بعينها، مثل صوت الطاء الذي تكرر ست مرات في الأسطر الخمسة المعروضة أمامنا، وهو صوت شديد ويوصف بالانفجاري مما ولّد شدّاً وتوتراً في النص، إذ يثير صوت الطاء المتابع ويوقظ ارتيابه، وقد توافق ذلك مع تكرار فونيم آخر هو صوت القاف الذي تكرر لأربع مرات، وهو صوت انفجاري شديد أيضاً " لا يخرج في النطق إلا بعد انحباس الهواء في الحلق والفم"([٩])، ويتواءم مع الصوت الأول إلى حدٍّ كبير. وهما يتفقان تماماً مع لفظة (يصطخب) التي بدأت بها القصيدة. ناهيك عن تكرار الأصوات الراء لست مرات ، والياء لخمس مرات والفاء لمرتين، والدال لثلاث مرات واللام لعشر مرات، باعتبار أن اللام من أكثر الحروف العربية دوراناً في اللغة العربية، كما وجد ذلك الدكتور إبراهيم أنيس عندما بحث عن الحروف والأصوات في اللغة العربية، وقد كان صوت اللام يرد بـ (١٢٧) مرة في كل ألف صوت من الأصوات الساكنة ([١٠]) .

وإذا ما اكتظ النص السابق وهو نص سردي بالدرجة الأولى بتقنيات التوازي فأن بعض النصوص تحتوي على نمط واحد من الموازاة أو أكثر من نمط واحد بحسب حاجة النص إليه. ولذلك فلا مناص من تتبع أنواع التوازي في شعر محمود البريكان لنقف على تجربة الشاعر في هذا الصدد. مع مراعاة أن هناك تفاوتاً بين الباحثين في تقسيمهم للتوازي في الشعر الحديث، فبعضهم يراه بأنواع

هي : الترادفي والطباقي والتأليفي أو التركيبي والمتصاعد نحو الذروة (الأوجي) ([١١])، وبعضهم يضيف إليه التراكمي والتلاشي والتناوبي([١٢])، في حين يراه البعض الآخر في التوازي الفونيمي والنحوي والصرفي ([١٣]). وسنعتمد في قراءتنا لقصيدة حارس الفنار على الأنواع الأخيرة لما فيها من تلاقٍ مع شعر البريكان مع أننا لا نعدم الأنواع الأخرى فيها؛ وسنشير إلى بعضها في ضمن دراستنا لأنواع التوازي المشار إليها.

التوازي الفونيمي (الصوتي) :

لا يمكن لأي نص أدبي أن يخلو من التوازي الفونيمي الصوتي، لا سيما إذا ما نظرنا إلى الشعر عموماً على أساس أنه " خطاب يكرر كلاً أو جزءاً نفس الصورة الصوتية " ([١٤]) . كما يقول جان كوهن وهو بصدد تحديد ماهية الشعر، إلا أنه يكون أكثر وضوحاً في النصوص التي يعتمد فيها الشاعر هذا النوع من التوازي المستند إلى تكرار الحروف في النص الشعري كله بطريقة لا تتناسب مع الإيقاع الداخلي المعتمد على ظهور واختفاء الفونيمات في السطر الشعري([١٥]). إذ إن الشاعر يعمد في الغالب إلى تغليب صوت بعينه ليكون أكثر حضوراً وترددا من غيره في إيقاع القصيدة، وهو ما قد يكشف عن دقيقة من دقائق دلالية مغيبة عن القصيدة. وهذا النمط من التوازي كثير جداً في شعر البريكان ولا تكاد قصيدة تخلو منه إلا إننا سنتابعه في قصيدة (حارس الفنار) بصفتها عينة الدراسة، فهو يقول فيها :

أبصرتُ آدم في تعاسته ، ورافقتُ الجيوش

في أضخم الغزوات . نؤتُ بحمل آلاف النعوش

غنيتُ آلاف المواسم . همتُ في أرض الجمال

ووصلتُ أطراف المحال

ورأيتُ كيف تدمرُ المدن المهيبة في الخفاء ([١٦]) .

إن شبه الجملة (في أضخم الغزوات) ولدت خمسة جمل متواصلة ومتلاحقة على نسق واحد، مبنية من أفعال ماضية تتصل بضمير رفع متحرك في محل فاعل، فكأنها جملة مركزية – مركز الدائرة – وقد انبثقت منها بنى تدور على السياق ذاته وكلها تتوازى نحوياً ، وهناك تقاطع بين هذه

الجمل، إذ إن الجملة الأولى تتقاطع مع الثالثة والثانية مع الرابعة، من حيث اتصال الأولى بجار ومجرور والمضاف والموصوف وفي الثانية اتصال الجملة الفعلية بالمفعول به المضاف في كلتا الجملتين .

بيد أن الظاهرة البارزة في هذا النص تكمن في أنه يعتمد على تكرار حرفين بعينهما، وقد استغل الشاعر ذلك التردد الصوتي الماثل فيهما إلى أقصى غاية، إذ إن الشعر كثيراً ما يوصف بأنه " ذلك التردد الصوتي الممتد بين الوزن والدلالة "([١٧]) . وقد اعتمد الشاعر في كشف دلالته على مراكز قوة ومراكز ضعف من خلال ما تتمتع به الأصوات، بحيث تقوم الأصوات القوية بإضعاف الأصوات الأخرى. وهذه المراكز القوية والضعيفة في القصيدة تمنحها إيقاعاً ينسجم مع حالة التوتر والاسترخاء التي يعرضها الشاعر أمامنا، وذلك لا يعني أن الشاعر يتعمد أن يورد أصواتاً بعينها على حساب بعضها، لأن الشاعر – أي شاعر – حريص على أن يكشف عن تجربته من خلال اللغة وما يكمن فيها من إمكانات وحسب، من غير أن يعني ذلك أنه يعمد إلى ترتيب حروف قصيدته بحسب سياق معين .

إن تركيز الشاعر على حرف أو حرفين بعينهما يمنح القصيدة بعداً إنشادياً واضحا في القصيدة، ويجعل إيقاعها يستند إلى تكرار حرف ما؛ وهذا التكرار يخلق لذة موسيقية تجعل المتلقي يود سماعها أو يتوقع حدوثها. فالنص الذي أمامنا يركز على حرفين بذاتهما هما الهمزة والتاء، مما جعل أحدهما – التاء – وكأنه بمثابة الروي المتكرر بالقصيدة، أو كأنه إيقاع داخلي. فالنص يزخر بتردد واضح لحرفي الهمزة والتاء وقد وردا لاثنتي عشرة مرة. وقد أشار بعض الدارسين إلى أن تكرار الهمزة يدل على التألم والرثاء ([١٨])، وهو ما يتفق والحالة المعروضة أمامنا؛ إذ يبدأ النص بتعاسة آدم وبالغزوات الضخمة ومرافقة الجيوش وينتهي بتدمير المدن المهيبة، وهو أمر جلل وما بين الغزوات والتدمير يكمن الفعل الذي يقوم به البطل علّه يتمكن من عبور الألم والفعل السلبي. وفي ضوء ذلك يمكن القول إن النص يعرض من الناحية الدلالية حالتين ويوازن بينهما موازاة داخلية، مستغلاً التكنيك الفونيمي الصوتي أقصى استغلال بحيث يكون هو الأصل في معادلة الصوت/ الدلالة.

وإذا مثل صوت الألف دلالة سلبية ملؤها الفاجعة والرثاء لما يكمن فيه من الترهل والامتداد الصوتي غير المنضبط، فأن صوت التاء قد وقف على النقيض منه، إذ مثل محاولة الشاعر في الانفلات من براثن الماضي ومحاولة الانطلاق نحو تحرر نفسه وشعبه، كما يمثلها، أبصرتُ،

ورافقتُ ، ونؤتُ ، وغنيتُ ، وهمتُ ، ووصلت، ورأيت. وكلها جمل فعلية مكونة من فعل وفاعل ضمير متصل متبوعاً بمفعول به.

يبدو أن محاولة الشاعر في التحرر من السلبيات قد أوصلته إلى ما شاهده بأم عينيه فقد رأى في نهاية المطاف كيف تدمر المدن المهيبة والكبيرة في الخفاء. أي أنه اختتم نصه بالهمزة ذات الدلالة السلبية.

التوازي النحوي (الترادف) :

إذا ما كان النمط السابق يعنى بالصوت أو الفونيم بشكل رئيس، فإن هذا النمط يعتمد على البنى المتكئة على التركيب النحوي (١٩) ، بحيث تتناظر الجمل تناظراً يشمل " تناظر البنية النحوية وترتيب الكلمات، وقد يكون معززاً بتناظر البنية الصرفية للكلمات وبتكرار المفردات كلها أو معظمها أو تكرار واحدة منها "(٢٠)، من غير أن يعني لفظ العلاقات الصوتية والإيقاعية من الجمل والتراكيب النحوية، بل يكون اعتماده على العلاقات النحوية التي تستند إلى مكونات اللغة وأنظمتها (٢١) بشكل رئيس يفوق ما يحصل في بعض النصوص التي يكون التوجه فيها إلى الصوت والفونيم بطريقة معاكسة لما يتوجه إليه في هذا النوع من النصوص.

يقوم السطر الثاني في هذا النمط من التوازي بتقوية الفكرة المبثوثة في السطر الأول عن طريق التكرار أو المغايرة من أجل خلق تأثير مباشر على الأذن وتحقيق الإقناع، كما أن دائرة هذا النمط من التوازي يمكن أن تتسع لتشمل السطر الثالث الذي لا يتماثل مع السطر الأول بل يتوازى معه (٢٢) ، ولذلك يطلق على هذا النوع من التوازي توازي الترادف في بعض الأحيان. ويمكننا أن نمثل لهذا النوع من التوازي بالنص السابق؛ الوارد في حقل التوازي الفونيمي أو الصوتي، كما يمكننا أن نمثل له بقول الشاعر أيضاً في مستهل قصيدة (حارس الفنار) لما يوجد من التداخل بين أنواع التوازي في القصائد عامة وليس في هذه القصيدة أو تلك، وتلك سمة عامة يمكن متابعتها في القصائد التي تميل لمثل هذه الأنواع من التوازيات في الشعر عموماً، يقول:

أعددتُ مائدتي .. وهيأتُ الكؤوس .. متى يجيء

الزائر المجهول ؟

أوقدتُ القناديل الصغار

ببقية الزيت المضيء .

فهل يطول الانتظار ؟ ([٢٣]) .

يبدو أن جملة (أعددتُ مائدتي) جملة مركزية انطلقت منها القصيدة ودارت حولها الجمل اللاحقة تراكمياً دورات عدة، ولكنها تصب في الدورق نفسه سواء على المستوى النحوي أم على المستوى الدلالي. إذ إن الجمل المترادفة متماثلة في التركيب النحوي وفي الدلالة. فهي عبارة عن فعل ماضٍ وقد تبعه فاعل ضمير متصل ومفعول به، ولا سيما في الجملتين الأوليين: أعددتُ مائدتي، وهيأتُ الكؤوس وحتى في الجملة الثالثة أوقدت القناديل الصغار التي تتفق تمام الاتفاق مع الجملتين الأوليين لولا أنها متبوعة بالصفة (الصغار)، التي يمهد فيها للتقابل مع كلمة الانتظار التي ختم بها هذا المقطع، وهذا التقابل يحصل أيضاً في يجيء ويضيء، من ناحية القافية دون التركيب النحوي، فضلا عن تعالق كلمة الصغار مع الانتظار تقفوياً ، وهذا ما شدّ عرى النص بعضها إلى بعض، بحيث لم يبق إلا سطر واحد نطلق عليه تسمية السطر المحور، إذ لا نجد له مثيلاً لا على مستوى المقطع ولا حتى على مستوى القصيدة ككل. لكن القصيدة تتوقف عليه برمتها، لأن الشاعر والمتلقي جميعاً بانتظار ذلك الزائر المجهول، الذي ينتظره الجميع.

وفي ضوء ذلك نقول: إن هذا التناظر في الجمل هيأ المتابع لحدث جسيم من الممكن وقوعه أو ترقب وقوعه، إذ إن التوازي في الجمل الفعلية لم يكن ليحقق الإيقاع فحسب ولكنه مهد للدلالة أيضاً ، وحقق تواصلا بين القافية والدلالة المتمثلة بانتظار البطل لما أطلق عليه الشاعر سفينة الأشباح، وموجة الرعب الكبير، وبحر من الظلمات، والزائر الآتي، والغامض الموعود ...إلخ . لأن البريكان لا يشغله إلا موضوع " الإنسان المحاصر الذي فقد حريته في عصر يرعى الحرية والحضارة، الإنسان المثقف خاصة، الذي يجد نفسه مسيراً بقوانين جبرية إلى حتفه، الإنسان الذي يعيش غربة الروح والجسد عن عصر يتجه بسرعة جنونية نحو الهاوية "([٢٤])، كما يؤكد ذلك الدكتور حسين عبود الهلالي في تقديمه لكتاب البذرة والفأس. ولعله الموت المنتظر أو القادم الذي أُخْبِرَ به سابقا وظل يؤرقه (*) .

وإذا توازت الجمل السابقة نحوياً فإن ذلك التوازي قد ترافق مع التوازي الدلالي، إذ إن الشاعر كثيراً ما يوصف بأنه شاعر وجودي([٢٥]). وقد جاء الفعل الماضي هنا ليكشف عن ما يعانيه الشاعر من ألم جسيم إزاء ما أعد نفسه له، أي أن المعاناة هنا نفسية أكثر منها جسدية، ولا سيما أن الفعل المستخدم هو فعل ماض فهو قد أعد وهيأ وأوقد ... في سبيل إبراز القادم من الأحداث، وقد وصف الدكتور محمد صابر عبيد هذا النوع من التوازي (بالتوازي الاستهلالي) وهو ما يكون بـ " الضغط على مفردة معينة وتكرارها عدة مرات بصيغ متساوية أو مختلفة في بداية النص من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسين: إيقاعي ودلالي "([٢٦]). وهو ما تحقق في هذه القصيدة، بحيث ظلت الفكرة ذاتها تساور الشاعر على مستوى القصيدة ككل؛ بدليل قوله في السطور اللاحقة :

أنا في انتظار سفينة الأشباح تحدوها الرياح

في آخر الساعات . قبل توقف الزمن الأخير .

في أعمق الساعات صمتاً . حين ينكسر الصباح

كالنصل فوق الماء حين يخاف طير أن يطير

في ظلمة الرؤيا ([٢٧]) .

تكاد الفكرة التي رصدنا جانباً منها في النص السابق تتردد هنا أيضاً ؛ بحيث لا نقف إلا على الفكرة السوداوية التي وضعها الشاعر أمامنا منذ الوهلة الأولى ومنذ السطر الأول حين أعرب عن إعداده لمائدته وهيأ نفسه لذلك الحدث الكبير، بحيث يجعل النفوس تتأهب لما سيحصل لاحقاً ، وظل يردد الفكرة ذاتها في سطوره الشعرية اللاحقة بالموازاة مع السطر الشعري الأول، بحيث يمكننا القول إن القصيدة تعج بالفعل على حساب الاسم لما يحمله الفعل من حركة وتتبع لمثل ما يعرضه الشاعر أمامنا في هذه القصيدة، وهذا ما أخبرنا عنه جاكوبسن حين قال : " إن أنساق التوازيات في الفن اللفظي تخبرنا بشكل مباشر عن الفكرة التي تتكون لدى المتكلم في التماثلات النحوية " ([٢٨]) .

وهكذا ظل الشاعر يردد الصيغ المعتادة وهي : أعددتُ، و هيأتُ ، وأوقدتُ ، ويجيء، ويطول، وتحدوها، وينكسر، ويخاف، ...إلخ . ومن ثم مالَّ إلى الموازاة بين هذه الصيغ الفعلية وبين الأفعال نفسها. بحيث أننا لو حذفنا الجملة الأولى وهي أعددت مائدتي وعوضناها بالجملة الثانية وهي هيأت

الكؤوس لما تغير حال القصيدة ولا فكرتها، لسبب بسيط وهو أن الفكرة التي تعرضها القصيدة فكرة واحدة والتوازي الحاصل بين سطورها يُمَكِّنُنَا من أن نحل الواحدة مكان الأخرى. فضلا عما يوفره توازي الصيغ والجمل الفعلية من تناغم صوتي وإيقاعي مهم جعل القصيدة تقوم على مستويات صوتية ونحوية ودلالية عدة .

يبدو أن التوازيات النحوية مستمرة على مستوى القصيدة ككل ولا تقتصر على مقطع منها فحسب، إذ يمكننا الإشارة إلى قوله :

الوقت أدرك . رعشة في الريح تعكسها الصخور

الوقت أدرك . موجة تنداح من أقصى الدهور

الوقت أدرك . لست وحدي ([٢٩]) .

فقد تكررت الجملة الاسمية في السطور الثلاثة (الوقت أدرك) مما ولّد توازياً نحويا يتمثل في جمل اسمية مكررة على نحو متواتر، إذ إنه على المستوى النحوي جاء السطر الأول مكوناً من مبتدأ وخبر ومكمل لهما، وهذه البنية تتوازى مع السطرين اللاحقين الثاني والثالث، ولا سيما في السطرين الأولين اللذين يصل التوازي فيهما إلى مستويات بالغة الدقة، بحيث تتوارد الأسماء والأفعال وعلى النحو الآتي :

الانسجام في الصيغة الاسمية : الوقت أدرك = الوقت أدرك .

الانسجام في صيغة التشبيه : رعشة = موجة .

الانسجام في الصيغة الفعلية : تعكس = تنداح

الانسجام في القافية : الصخور = الدهور

ولعل هذه الموازاة المستمرة بين الصيغ الاسمية والفعلية قد ولدت موازاة صوتية أيضا، يمكن لأي متذوق للشعر أن يرصدها وهي تتوالى بين ثنايا السطور السابقة، وفي القصيدة على وجه العموم، وهي تتضافر مع قوله أيضا في القصيدة ذاتها :

سأركب موجة الرعب الكبير

وأغيبُ في بحر من الظلمات ليس له حدود .

أنا في انتظار الزائر الآتي ، يجيء بلا خطى

ويدق دقته على بابي . ويدخل في برود .

أنا في انتظار الغامض الموعود ، تحمله الرعود

والريح ([٣٠]) .

تتوازى صيغتا سأركب مع أغيب، ويجيء مع يدق، ويدخل مع تحمل. هذه الموازاة في الصيغ الفعلية ولدت توتراً شد عرى النص بعضها ببعض وكشف عما يجوس في داخل الشاعر. إذ تتناظر هذه الصيغ الفعلية مع الصيغ الاسمية تناظراً يكشف عن تجسيد القضية الأساس في القصيدة التي ما انفك الشاعر يلاحقها، وهي تتمثل في قوله :

أنا في انتظار الزائر الآتي

أنا في انتظار الغامض الموعود ،

كذلك فإن هناك توازياً دلالياً يكمن في مجيء هذا الزائر، إذ إنه يجيء بلا خطى ويدق الباب ويدخل في برود، وهذه الصفات للزائر الغريب تتماثل دلاليا مع الغامض الموعود الذي تحمله الرعود والريح. فكلا الزائرين هما بالحقيقة زائر واحد، ذكر الشاعر صفاته للدلالة على كنهه ، وهي في حقيقتها صفات غير واقعية لحدث يبدو واقعياً ولكنه يحمل الكثير من الغموض والتجلي غير الملموس.

وبإنعام النظر في تجربة الشاعر يظهر لنا أنها تزخر بموازاة نحوية مستمرة، إذ يمكننا الإشارة إلى كثير من القصائد والمقاطع الشعرية وهي تعج بهذه الموازاة، ومنها قوله في قصيدة بلورات، التي نقرأ فيها قوله :

تصادف الأحلام

تفسيرها في لحظة اليقظة

تصادف اليقظة تفسيرها

في حلم تدفنه الذاكرة ([٣١]) .

فهناك ثمة موازاة بين موقفين أو جملتين شعريتين تتمثل الأولى بقوله (تصادف الأحلام) التي تناظر (تصادف اليقظة)، وقد أتبع هذا التكرار في الصيغة الفعلية بفعل مضارع في الجملتين متبوعا بالجار والمجرور. وكما يبدو فأن هذه الموازاة النحوية قد شدت عرى النص وخلقت التوتر فيه في الآن نفسه. مما يدل على تجذر هذه الظاهرة في شعر محمود البريكان وعدم اقتصارها على قصيدة بعينها فحسب في تجربته.

التوازي الصرفي :

يعتمد هذا النوع من التوازي على انتظام الترادفات المعجمية في النص الشعري([٣٢]). وقد يعتمد على اشتقاق الصيغ المعجمية من تكراره لمفردة ما أو صيغة ما. ويبدو أن صيغة الزائر المجهول في قصيدة (حارس الفنار) من الصيغ المكررة على مستوى القصيدة، وقد شكل تكرارها توازياً معجمياً ظاهراً في القصيدة، على الرغم من أن تكرار الصيغة لا يتخذ بالضرورة إعادة لها بلفظها نفسه أو اشتقاقاً ظاهراً منها، لأننا نجده يكررها بصيغ متعددة ولكنها جميعاً تدل على المغزى ذاته، فهو مرة الزائر المجهول ومرة الزائر الآتي وثالثة الغامض الموعود ورابعة اللحظة العظمى، وكلها ذات دلالة واحدة، لأنها بكلمة واحدة مشتقة من هذا الزائر الغريب في أطواره، الذي يسلم الشاعر قياد نفسه إليه، ويعلن استسلامه له منذ البداية، وهو ما ينسجم وموقف الشاعر من الحياة، تلك التي يتبناها المذهب الوجودي، الذي ألمعنا منذ البداية إلى أن الشاعر يتبناه نهجاً حياتياً وفنياً ؛ على الرغم من تعدد الآراء التي أطلقها الباحثون في محاولتهم تقصي حياة الشاعر وتعليل عزوفه عن نشر نتاجه بما لا يمكن تقصيه في هذا الحيز من البحث([٣٣]) . كما أن بإمكان الباحث أن يقف على اشتقاقات الشاعر الصرفية بالنص الأخير، الذي وجدنا أن كلمة الآتي قد اشتق منها لفظة يجيء، وكذلك لفظة يدق قد ولدت بالاشتقاق دقته، وهذه الاشتقاقات لا تدل إلا على مراعاة التوازي الصرفي في القصيدة، ومنه قوله أيضا :

وسمعتُ أبواق الغزاة تضجّ في الليل الطويل

ورأيتُ كيف تشوّه الأرواح جيلاً بعد جيل

وفزعتُ من لمعان مرآتي : لعلي كالمسوخ

مسخ تقنعه الظلال .

وعجبتُ منها دمعة في القلب تأبى أن تسيل

والدمع مهما رقّ هل يكفي لمرثية الجمال ؟ ([٣٤]) .

هناك ثمة توليدات لألفاظ أو صيغ اشتقت أو تولدت من ألفاظ أخرى، مثل لفظة المسوخ التي تولد منها عبارة مسخ تقنعه الظلال، ولفظة الدمعة التي ولدت الدمع، وحتى الجيل الذي ولد الجيل في قوله (جيلا بعد جيل). وهذا لا يقتصر على هذه القصيدة فحسب وإنما ينسحب إلى كثير من القصائد، ومنها قوله في قصيدة (قبر في المرج) التي يقول فيها:

إلى عالم الأحلام تهفو سرائري ويسري على صوت الصبابة خاطري

فمن الواضح أن هناك اشتقاقا من سرائري وهو قوله يسري ولكن هذا الاشتقاق يتوافق نحويا ويختلف دلاليا، إذ لا علاقة دلالية بين يسري والسرائر، وقد حصل هذا التوازي الصرفي لغاية صوتية وحسب. وسوف نعف عن كثير من القصائد لما تمثله من تكرار للصيغ التي تحدثنا عنها في قصيدة حارس الفنار.

وعلى العموم تشكل قصيدة حارس الفنار مركزاً مهماً وقطباً ذا دلالة في تجربة الشاعر محمود البريكان كشاعر وإنسان، فطالما أرقته أحداث جسيمة وحاول أن يعبر عنها من خلال فنه، ولكن هذه القصيدة تبقى ذات وهج خاص في إبداعه لما تكشف عنه من تجسيد حقيقي لما واجهه الشاعر فعلياً في حياته، وبرهنت على نبوءة حقيقية منه في الكشف عما كان يدور في خلده وما يكمن في داخله، أو ما نستطيع أن نطلق عليه بالقصيدة الكاشفة، تلك التي كشفت عن تجربته في الحياة وأوضحت ما آلت إليه حياته، ولذلك يمكن للمتتبع أن يربط هذه القصيدة بما يسمى بالشعر الخالد الذي يشكل علامة دالة على الشاعر ويبقى خالداً ومعبراً عن مرحلة معينة يمر بها الشاعر نفسه، ويمكن لهذه المرحلة أو الرحلة أن تنطبق على حياته هو أو حياة غيره من الناس. وذلك ما ينقل القصيدة أو

التجربة الشعرية لأي شاعر إلى ما أطلقنا عليه بالشعر الخالد الذي يعبر عن الذات والجماعة في أوقات مختلفة.

الهوامش

[١] – ينظر دراسات في النص الأدبي الحديث – د . محمد صلاح زكي أبو حميدة : ٥٠ .

[٢] – ينظر قضايا الشعرية : ١٠٨ .

[٣] – ينظر مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر : ٢٣٠ .

[٤] – ينظر قضايا الشعرية : ١٠٨ . + الشعرية : ٦٤ .

[٥] – ينظر الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د . عز الدين إسماعيل : ٢٩٤ .

[٦] – البيان والتبيين : ٢٢٢ .

[٧] – دراسات في النص الأدبي الحديث : ٥٠ .

[٨] – متاهة الفراشة ، محمود البريكان قصائد مختارة ١٩٤٧ – ١٩٩٨ ، منشورات الجمل ، اختيار وتقديم باسم المرعبي ، كولونيا ، ألمانيا ، ٢٠٠٣ : ٤٥ .

[٩] – الأصوات اللغوية – د . إبراهيم أنيس : ٢٤–٢٥ .

[١٠] – الأصوات اللغوية : ١٦٣ .

[١١] – مدارات نقدية : ٢٣١– ٢٣٢ .

[١٢] –التوازي في قصيدة محمود درويش (عاشق من فلسطين) ، د غانم صالح سلطان ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، المجلد ١١ ، ع (٢) لسنة ٢٠١٢ .

[١٣] – طائر الوجد دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث سعدي يوسف انموذجا ، د . عبدالقادر جبار : ١٤٤ – ١٦٧ .

[١٤] – بنية اللغة الشعرية : ٥٣ .

[١٥] – ينظر التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة – سامح الرواشدة ، مجلة أبحاث اليرموك ع ٢ ، عمان ١٩٩٨ ، وينظر طائر الوجد : ١٤٥ .

[١٦] – متاهة الفراشة : ٧٧ – ٧٨ .

[١٧] – بنية اللغة الشعرية – جان كوهن : ٥٢ .

[١٨] – تحليل النص االشعري ، استراتيجية التناص – محمد مفتاح : ١٧٥ .

[١٩] – التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة : ١٩ .

[٢٠] – شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية – د . امتنان عثمان الصمادي : ٢٩٩ .

[٢١] – ينظر طائر الوجد : ١٥٥ .

[٢٢] – مدارات نقدية : ٢٣١ .

[٢٣] – متاهة الفراشة : ٧٥ .

[٢٤] – البذرة والفأس قراءات حرة في شعر محمود البريكان ، قصائد عوالم متداخلة إنموذجاً – رياض عبدالواحد : ٨ .

[٢٥] – في الطريق إلى الحداثة ، دراسات في الشعر العراقي المعاصر – سامي مهدي : ٢٦٥ ، ٢٦٨ .

[٢٦] – القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية : ١٨٦ .

[٢٧] – متاهة الفراشة : ٧٥ .

* – يمكننا الإشارة هنا إلى الخبر الذي نقله القاص الكبير محمود عبدالوهاب عندما كان هو والبريكان والسياب وسعدي يوسف في نزهة بصرية وقد قادتهم أقدامهم إلى إحدى العرافات التي أخبرتهم بما ستؤول إليه مصائرهم ، وقد تحققت نبؤتها في أرض الواقع ، ويبدو لنا أن البريكان كان يضمر شيئا من هذه النبوءة في دخيلة نفسه ، وقد انعكست في شعره وفي علاقاته مع الآخرين نفسيا واجتماعيا . ينظر بحثنا التعالق النصي بين شعري السياب والبريكان بين الحقيقة والأوهام .

[٢٨] – قضايا الشعرية : ٧٣ .

[٢٩] – متاهة الفراشة : ٧٩ .

[٣٠] – متاهة الفراشة : ٧٥ .

[٣١] – متاهة الفراشة : ١٠٢ .

[٣٢] – قضايا الشعرية : ١٠٦ .

[٣٣] – ينظر في الطريق إلى الحداثة ، دراسات في الشعر العراقي المعاصر – سامي مهدي : ٢٥٩ وما بعدها .

[٣٤] – متاهة الفراشة : ٧٨ .

مصادر البحث ومراجعه :

١– الأصوات اللغوية – د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت .

٢– البذرة والفأس قراءات حرة في شعر محمود البريكان ، قصائد عوالم متداخلة إنموذجاً – رياض عبدالواحد ، مكتب العلياء للطباعة ، البصرة ، ٢٠٠١ .

٣– بنية اللغة الشعرية – جان كوهين ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ .

٤– تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص – محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .

٥- التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة – سامح الرواشدة ، مجلة أبحاث اليرموك عمان ، ع ٢ ، ١٩٩٨ .

٦- التوازي في قصيدة محمود درويش (عاشق من فلسطين) ، د غانم صالح سلطان ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، المجلد ١١ ، ع (٢) لسنة ٢٠١٢ .

٧- دراسات في النص الأدبي الحديث – د . محمد صلاح زكي أبو حميدة ، منشورات جامعة الأزهر بغزة ، ٢٠٠٦ .

٨- شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية – د . امتنان عثمان الصمادي ، مطبعة الجامعة الأردنية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ودار الفارس للتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١ .

٩- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د . عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ط (٢) ١٩٧٢ .

١٠- طائر الوجد دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث سعدي يوسف انموذجا ، د . عبدالقادر جبار ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٠ .

١١- في الطريق إلى الحداثة ، دراسات في الشعر العراقي المعاصر – سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٣ .

١٢- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية – د . محمد صابر عبيد منشورات اتحاد الأدباء والكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧ .

١٣- قضايا الشعرية – رومان جاكوبسن ، ترجمـــة محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ .

١٤- متاهة الفراشة ، محمود البريكان قصائد مختارة ١٩٤٧ – ١٩٩٨ ، منشورات الجمل ، اختيار وتقديم باسم المرعبي ، كولونيا ، ألمانيا ، ٢٠٠٣ .

١٥- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع – فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

التثنية ودلالتها في سورة

الـــــرحمن

الاستاذ الدكتور جاسم غالي رومي المالكي

جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى ، رب السموات والأرض والصلاة والسلام على رسوله وحبيبه الذي عرجه اليه ، فكان قاب قوسين أو أدنى محمد وعلى آله وصحبه الأخيار المنجبين الذين حملوا رسالته الى الا رضين ، فكانت تكلم بشرى ليس مثلها بشرى .

وبعد ... فأن الله جلت قدرته ، قال في محكم كتابه العزيز " أقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * أقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم".

فالحمد له والثناء عليه الذي جعلنا من السائرين في طريق العربية هذه اللغة التي كرمها الله سبحانه بأنه انزل قرآنه بحروفها التي أصبحت لآلمنا تشف بنورها دياجير الظلام ، لتستطيع على البشرية .

فقدر لي أن التقط لؤلؤه من تكلم اللآلئ فكان نصيب من ذلك النحو العربي ، الذي لها لما حملت السير في مخالفيه ، وان افتح تأخذه من النوافذ.

فكانت ((التثنية في سورة الرحمن تأخذ في التي أطلت من خلالها من معينة واقتبس من فنون.

وقد تناولت في المبحث الاول والمثنى لغة واصطلاحاً اما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان ((المثنى في اللغات السامية)) والألفاظ المتعلقة بالمثنى)).

اما المبحث الثاني تناولت فيه – التثنية في الفعل والاسم والتثنية بالعطف والتثنية بالعرف وتحليل نموذج لكل منهما في سورة الرحمن .

أما الصعوبات التي واجهتني عدم توفر الوقت الكافي وبعد كل هذا وفي نهاية الرحلة اريد ان اقول برغم من كل هذا الجهد المغني الذي واصلت فيه الليل والنهار معا دلاً أن استوفي كل ماله علاقة بموضوعي – متوخياً الكثير من الدقة والعرض لاج لان يخرج البحث بأبهى وأحسن صورة وهذا ما يتمناه كل باحث معد ، فأنني ابقى ذلك الباحث المبتدأ.

المبحث الاول

المثنـــى

لغـــة:-

قال ابن فارس ((التاء والنون والياء اول واحد وهو تكرير الشيء مرتين او جعله شيئين متوالين أو متباينتين قولك "ثنيت الشيء ثنياً ". [١]

جاء في الصحاح : ثنى الشيء تنياً اي رد بعض بعضه على بعض واو ثنيته أي جعلته اثنين . [٢]

اصطلاحاً :-

هو ضم اسم الى اسم مثله في اللفظ ويختصر ذلك بأنه يقتصر على لفظ احدهما اذ كان لا فرق بينه وبين الآخر . [٣]

وذكر أبو العباس المبرد بأنه اسم يلحق في آخر ألف ونون مكسورة من حالة الرفع وياء ونون مكسورة في حالتي النصب والجر [٤]. وسار ابن جتي على خطى سيبويه والمبرد في تعريفه للمثنى .[٥]

اما في المحدثين فهو اسم معرب دل على شيئين او اثنين بزيادة الف ونون في حالة الرفع او باء ونون في حالتي النصب والجر وكان صالح للتجريد . [٦]

او هو الاسم الذي يرفع بالألف نيابة عن الضمة ويجر وينصب بالباء نيابة عن الكسرة والفتحة[٧]

من خلال تعريفات العلماء للتثنية نلاحظ انهم وضعوا لها صيغة قياسية بسيطة تتمثل بزيادة الف ونون الى المفرد في حالة الرفع وياء ونون في حالتي النصب والجر هذا قانون لغتهم وعليه جل كلامهم نثراً وشعراً . الا ان هناك قبائل عربية معينة ألزمت نفسها بصيغة واحدة في جميع الأحوال الإعرابية فالتزمت بزيادة الألف والنون في الرفع والنصب والجر فحكم المثنى على هذه اللغة حكم الاسم المقصور الملازم الألف .

ويكون أعرابه بحركات مقدرة على الألف رفعا ونصباً وجراً والقبائل هي قبيلة الحارث بن كعب ، وخشعم ، وزبيد وكنانه وبنو العنبر من تميم ، وبنو الهجيم [٨]

مثال على ذلك قول الشاعر

فالطرف أطراف الشجاع ولو بري

مساناً لناباهُ لشجاع الصمها[٩]

فقد قال لناباه ولو جاء على لغة عامة العرب لقال النبية وكذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(لا ونربى في ليلة)[١٠]

ولو جاء على لغة عامة العرب لقال (لا وتربن في ليله) وقد خرج كثير من النحاة على هذه الصفة قوله تعالى (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى[١١] جاء بالرفع على لغة بالحارث بن كعب [١٢] لا نهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه

المبحث الثاني

المثنى في اللغات السامية

تتفق المصادر على أنه اللغات السامية ترجع الى سلالة سام بن نوح (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام). وقد أطلق على تلك المجموعة من اللغات العالمان الألمانيان (شلوتزر) أو (ابكورن) في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وكانت غير دقيقة ولكنها رغم عدم دقتها فقد عرفت بها هذه المجموعة لسهولتها وانتشارها .

والمجموعة تقع في بعض قارتي آسيا وأفريقيا وبعض لغاتهم ضد العرض والآخر لا يزال حياً.

وهي تشمل : البابلية والآشورية والفينيقية والآرامية والعبرية والعربية والحبشية وكل ما تفرع منها.(١٣)

ومما تميزت بها اللغة العربية بين اللغات السامية الأخرى الدقة في البيان والجلاء في وضوح الصورة والدلالة والسر في احتفاظ اللغة العربية بأسلوب التثنية هو القرآن الكريم ، الذي استخدمه واستخدمته القوة والحياة والديمومة على مر العصور.(١٤)

اما المثنى في غير العربية من اللغات السامية فلو قليل ولا يكاد يوجد الا على شواهد ما تزال شاخصة في آثار تلك اللغات وكذلك هو نادر جداً في كل من السريانية والعبرية والشعبية .(١٥)

وقد أشار تدريسي الى بعض اللغات التي انعدم فيها المثنى منها ما كان فيها او ما يزال فيها مثنى فالهندية والأوربية كان فيها مثنى وابقي عليها في الزمن التاريخي مدة طويلة او قصيرة على حسب اللغات ثم ابعد منها جميعاً تقريباً شيئاً فشيئاً ، وكانت الفارسية القديمة والزندية تستعملانه في صرامة ولا يوجد منه أثر في الفهلوية ولا يوجد في الأرمينية ولا في اللاتينية منذ اقدم تاريخ العصور.(١٦)

واقتصرت التثنية في بعض اللغات مثل الأرمينية والبابلية على أعضاء الجسم المزدوج كما في (يدين) و(يداين) و(رجلين) و(رجلاين) وعلامته الياء والنون اما في الآشورية فعلاً منها الالفا واللينة والمتبوعة بالنون .(١٧)

ويبدو أن سبب ندرة المثنى في اللغات السامية يرجع الى ما يسمى بالتطور النازل وهذا يعني أن المثنى كان كثير الاستعمال في هذه اللغات ثم قل استعمال وتنازل فلم يبق منه سوى امثله قليلة وان كانت شواهده في العربية على جانب من الوفرة .(١٨)

ويمكن تغير هذه الظاهرة بما يسمى بالتطور الصاعد ومعنى ذلك انه كان قليل الاستعمال في اللغات السامية ثم أخذت مع الزمن تتفاوت مع اللغات في الإكثار منه فهو في العربية منه اكثر منه في الآرامية والسريانية وفي الحبشية اقل منه اللغتين السابقتين اما في العربية فلا تضاهيها فيه لغة أخرى.(١٩)

لقد اهتمت اللغة العربية بالمثنى دون غيرها من الصيغ شاع فيها هذا الخطاب للمفرد بصيغة التثنية والتثنية بصيغة المفرد والتثنية بصيغة الجمع والجمع بصيغة التثنية ولم تكن هذه الظاهرة على العربية بل تعد من مراحل نضعها وقد ورد بالقرآن ما يؤكد هذا الشيء وأول من نسبه الى هذه الظاهرة سيبويه عندما سال شيخه عن قولهم ما أحسن وجههما[٢٠] ومن هذه الأنواع ما وجد في سورة الرحمن قوله تعالى([٢١])([illegible]

أن ضمير التثنية في الآية (ربكما) هو خطاب موجه بالدرجة الأولى الى الإنسان فقط لأنه في اول الكلام ذكر في ((خلق الإنسان وبعد ذلك ثنى وان التثنية هنا حقيقية لأن أريد الآيتين والجاف كما دل على ذلك قوله (([illegible] وكذلك في قوله " [illegible])) [٢٢] ([illegible]وكذلك في قوله (([illegible] [٢٣] (([illegible] وقد ينسب الفعل الى الاثنين في وهو لأحدهما كقوله تعالى .(([illegible] [٢٤]

وقد تثنى البقعة الواحدة في قوله تعالى (([illegible] [illegible] [illegible]

فما لا يصدق عليه حد المثنى مما دل على اثنين بزيادة او شبهها فهو ملحق بالمثنى فكلا وكلتا واثنان واثنتان ملحقة بالمثنى ، لأنها لا يصف عليها حد بالمثنى [٣١]لكن لا يلحقه كلا وكلتا بالمثنى الا اذا أضيفا الى ضمير نحو جاءني كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما ، وجاء في كلتاهما ورأيت كلتيهما ومررت بكلتيهما فان كانا مضافين الى الظاهر كانا بالألف على كل حال نقول "جاءني كلا أخويك" و " مررت بكلا أخويك" .

فيكون أعرابهما حينئذ بحركات مغيرة فلا الألف لأنها مقصورات كالفتى والعصا وكذا القول في كلتا نقول "كلتاهما" رفعاً و "كلتيهما" جراً ونصباً وكلتا أختاك بالألف في الأحوال كلها [٣٢] ((ولقد اختلف النعاة في (كلا وكلتا) وذهب الكوفيون الى ان فيهما تثنية لفظية ومعنوية . [٣٣]

وجهتهم ان التاء والألف في "كلتا" للتثنية ، ففيها تثنية لفظية ومعنوية وزعموا ان واحدهما "كلت" واحتجوا بقول الشاعر [٣٤]

في كِلْتَ رحليها سلاْمَي واحده

كلتاهما مقرونة برائده

فآخر وقوله"كِلْتَ" خدل على ان "كلتا" تثنية ، هذا بطرق النقل[٣٥].وأما القياس فأشار أليه بالدليل على انها ألف التثنية انها تقلب الى الياء في النصب والجر اذا أضيفت الى الياء في النصب والجر اذا أضيفتا الى المضمر وذلك نحو قول ابن قتيبة : ((رأيت الرجلين كليهما "بالباء")) ومررت بهما كليهما ، ورأيت المرأتين كلتيهما ومررت بهما كلتيهما ، فانظرا بهما مع الناصب والخافض بالباء)). [٣٦]

ولو كانت الألف في آخرها بالألف في آخر "عصا" و"رحا" لم تقلب كما لم تنقلب الفهما نحو " رأيت عصاها ورحاها ومررت بعصاها ورحاها" فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب الف " الزيدان" "والعمران" دل على ان تثنيتهما لفظية ومعنوية.[٣٧]

اما البصريون فقد ذهبوا الى أفرادا لفظياً تثنية معنوية وحجبتهم "ان الضمير تارة يرد اليها مفرداً حملاً على اللفظ وتارة يرد اليهما مثنى حملاً على المعنى والألف فيهما كالألفي "عصا ورحا" فاما رد

الضمير مفرداً حملاً على اللفظ فقد جاء ذلك كثيراً قال تعالى:((□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□)) .[٣٨]

فقال :اتت" بالأفراد حملاً على اللفظ ولو كان مثنى لفظاً ومعنى لكان مثنى لكان يقول "أتت" كما في الزيدان ذهبا، والعمران صربا.[٣٩]

ونخلص من هذا ان خبره "كلا وكلتا" ياتي مفرداً حملاً عليهما كما في قول الشاعر [٤٠]

كلا اخوينا ذو رجال انهم اسود

الثرى من كل اغلب ضيعم

فقال "ذو" بالأفراد حملا على اللفظ ولو كان مثنى ولو كان مثنى لفظاً ومعنى لقال ذوا[٤١] ومن خلال العرض الآراء الأفريقي تبين اهما يتفقان على ان كلا وكلتا مثنيا في المعنى واختلفوا في تثنيتهما في اللفظ ورجع اكثر النحويين المذهب البصري القائل ان كلا وكلتا مفردات في اللفظتين مثنى في المعنى ، ومن الذين انتصروا المذهب البصرين ابن الانباري الذي حاول جاهداً ان يرد الحجج الذي جاء بها الكوفيين ويدحضها .

ومن ذلك الشاهد الذي استبدل الكوفيين على ان كلا وكلتا مثنيات لفظاً وهو قول الشاعر : في كلتا رجليها سلامي واحدة قال ابن الانباري : فلاجهة فيه لان الأصل ان يقول (كلتا) بالألف الا ان حذفها اجتزاء بالفتحة عن الألف بضرورة " [٤٢]

ـ اثنان واثنتان:

وهما من أسماء الأعداد ، ولا مفرق لهما من لفظهما فلا يقال (اثن) او اثنه لذلك الحقت بالمثنى [٤٣]

مثل : صلاة الصبح ركعتان اثنان.

ـ اثنا :ـ صفة مرفوعة وعلامة رفعها الألف لانها ملحق بالمثنى

ـ جاء الاثنان:

الاثنان: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لانه ملحق بالمثنى

. قال تعالى : (([illegible])) [٤٤]

اثنتين :ـ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لانه ملحق بالمثنى ، قال تعالى: ((اذا اخرجه اللذين كفروا ثاني اثنتين انهما في الغار))[٤٥]

اثنين :ـ مضاف اليه مجرور وعلامة جره الياء لانه ملحق بالمثنى .

المبحث الثالث

التثنية في الفعل

اجمع العلماء على ان الفعل ينقسم الى ثلاثة أقسام :ـ (ماضي ومضارع وأمر) وعند استقصاء سورة الرحمن ظهر ان عدد الأفعال المثناة هي ست وثلاثون فعلاً وقد تكرر الفعل (تكذبان) أحدى وثلاثين مرة ، وان الأفعال المثناة في سورة الرحمن جميعها مضارعة (يسجدان تكذبان ، يلتقيان ، يبقيان وتنتصران تجريان) كلها مرفوعة تنتهي بالنون ولا يخفى ان الفعل يدل على الحركة وهو امر يشير الى ان السورة تتحدث عن الزمن الحاضر بمعنى ان الحدث آتي وهو من الواقع المعيشي . وقد فرق النحاة بين ألف التثنية الذي يلحق الأفعال: (فعلا ويفعلان ،أفعلتها) وقرروا ان ألف التثنية الذي يلحق الأسماء حرف لانه علامة تلحقها لتدل على ان الاسم قد صيغ ليدل على الاثنين او الاثنتين والألف لا تدل على الاسم وانما هي علامة تثنية وأعراب.[٤٦]

والدليل على انه علامة إعراب تغير إعراب الاسم اذا يحل محله حرف الياء في حالتي النصب والجر اما الألف يلحق الأفعال فهو اسم لانه يدل على ان الفعل قد امتد الى المثنى المضمر فهو اذا فعل محل المسند اليه ولا يكون المسند اليه الا اسماً فضلاً عن ان هذه الألف كتابة عن مخاطب او غائب.[٤٧]

وكل منهما لا يكون الا اسماً الا ان هناك حالة بعد فيها النحاة الف التثنية مع الأفعال حرفاً .

وذلك اذا جاء الكلام على لغة (اكلوني البراغيث) نحو قولهم غادروا الضيفان .

وهنا الألف دالة على عدد الفاعل الظاهر الذي اسند اليه الفعل فحكمها حكم تاء التأنيث التي تلحق الفعل المسند الى فاعل مؤنث نحو قرأت فاطمة[٤٨]

الأفعال المثناة في سورة الرحمن

ت	تثنية الأفعال	رقم الآية
1	يسجدان	6
2	تكذبان	13
3	تكذبان	16
4	تكذبان	18
5	تكذبان	19
6	تكذبان	20
7	تكذبان	21
8	تكذبان	23
9	تكذبان	25
10	تكذبان	28
11	تكذبان	30
12	تكذبان	32
13	تكذبان	34
14	تنتصران	35
15	تكذبان	36

16	تكذبان	38
17	تكذبان	40
18	تكذبان	42
19	تكذبان	45
20	تكذبان	47
21	تكذبان	21
22	تجريان	50
23	تكذبان	51
24	تكذبان	53
25	تكذبان	55
26	تكذبان	57
27	تكذبان	59
28	تكذبان	61
29	يلتقيان	63
30	تكذبان	67
31	تكذبان	69
32	تكذبان	71
33	تكذبان	73

34	تكذبان	75
35	تكذبان	77

تحليل نموذج من السورة

(([illegible] [illegible] [illegible]

٢ـ المقصور : هو كل اسم معتل الآخر لا يدخله الحركات نحو موسى عيسى وهدى ويكون له نظر من الصحيح بدل على مثل إعرابه فنظير حبلى وبشرى وصحراء [٥٢] اي انه الاسم الذي يعرب بالألف اللازمة. [٥٣]

تثنية الاسم المقصود:

نحن نعلم ان شرط تثنية اي اسم يكون بزيادة ألف والنون المكسورة على مفردة والاسم الصحيح يثنى بالألف اما المقصور فإذا أردنا تثنية وجدنا في آخره الغي ألف التثنية والألف المقصورة ولا يمكن الجمع بينهما بأية حال من الأحوال ومن ثم تقلب ألف المقصورة عند تثنية واواً او ياء بناء على القواعد التي حددها اللغويون على وفق ما يلي :

١ـ ان يكون ألف الاسم الثلاثي أصلها واواً كعصا وقفا فتقلي واواً ،فتقول : عصوان قفوان.

ومما يعضد هذا كلام الصبان اذا ثنيت مقصوراً على ثلاثة أحرف فتقلب الألف واوا نحو: منار مناران[٥٤]. ونفهم مما سبق ان ألف الاسم المقصور تقلب واواً اذا كانت ثالثة أصلها الواو.

٢ـ ان تكون ألف الاسم المقصورة ثالثة واصلها ياء فتقلب الى ياء ومما يعضد هذا كلام ابن قتيبة عندما ذكر ان كانت الألف ثالثة بدل من الياء كفتى ورحى قلبت ياء فتقول فتيان ورحبان[٥٥]

نحو ((□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□)) [٥٦]

ونفهم مما سبق ان ألف الاسم المقصور تقلب ياء اذا كانت ثالثة واصلها الياء.

٣ـ ان تكون ألف المقصورة رابعة فصاعداً فتقلب ياء فتقول في ((ملهى)) ملهيان وفي متقصى – متقصيان)) ومما يعضد هذا كلام ابن قتيبة اذا كان الاسم المقصور من أربعة أحرف تثنية بالياء نحو حُبلى – حبليان.[٥٧]

ومما يؤيد هذا الكلام ايضاً ويقويه قول الزجاجي : ((فإن كان الاسم على أربعة أحرف فما زاد او كانت الفه بدلاً من نفسي العرف وزائد فتثنية ما كان من الواو ، من هذا كتثنية ما كان من الياء نحو مستشفى مستشفيات وأعمى – اعميان [٥٨]. ومهما يكن من امر فإن الاسم المقصورة تقلب ياء اذا كانت رابعة فاكثرو لان اصلها ياء.

ـ الاسم الممددة:ـ

هو اسم معرب آخره همزة قبلها الف زائدة نحو سماء – صحراء [٥٩] نحو ((□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□)) [٦٠].

ـ تثنية الاسم الممدة:

أشار اللغويون الى ان همزة الاسم الممدة عند تثنية لها ثلاث حالات:

١ـ يجب أبقاء الهمزة اذا كانت (أصلية) وق نص ابن قتيبة على هذا بقوله

((اذا ثنيت ممدودة غير مؤنث تركت الهمزة على حالها فتقول كساءان ورواءان))[٦١]

٢ـ قلب الهمزة واواً اذا كانت زائدة للتأنيث ومما يقوى هذا الكلام ابن قتيبة عندما ما ذكر اذا أردنا ان تثنى الاسم الممدود وكان مؤنثاً نقلب همزته واواً فنقول ((حمروان وثلاثا وان)).[٦٢]

ومما يدعم كلام ابن قتيبة ويقويه قول البلاغيين ((ما يجب تغير همزته بقلبها واواً وهو ما همزته بدل من الف التأنيث وكصحراوان)). [٦٣]

وعللو ذلك بان قلب الهمزة واواً ، لان بقاءها على صورتها يؤدي الى وقوعها بين الفين . وذلك كتوالي ثلاث الفات واختير قلبها الى الواو لبعد شبهها بالألف لان الياء تشبه الألف كل منها للتأنيث [٦٤].

٣ـ وان كانت الهمزة غير أصلية اي مبدله من واو او ياء كانت مزيدة للإلحاق جاز فيها حكمان بقاؤها على حالها او قلبها واواً فتقول في المبدلة : ((كساوان وكساءان وغطاوان وغطاءان)) ونقول في المزيدة للإلحاق ((علياوان وعلياءان)).[٦٥]

والاسم الممدود لم ترد تثنيته في سائر القرآن

الاسـم المنقوص:

هو اسم معرب آخره ثابته مكسور ما قبلها مثل (القاضي والراعي).[٦٦]

وقوله تعالى (.((□□□□ □ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□)) [٦٧]

اذا اردنا تثنية الاسم المنصوص كالراعي المعني بآخره علامة التثنية بدون تغير فيه نحو الراعيان والقاضيان .[٦٨]

ت	تثنية الاسم	رقم الآية
25	ربكما	51
26	زوجان	52
27	ربكما	53
28	الجنتين	5
29	ربكما	55
30	ربكما	57
31	ربكما	59
32	ربكما	61
33	جنتان	62
34	ربكما	63
35	مدها متان	64
36	ربكما	65
37	عينان	66
38	نضاختان	66
39	ربكما	67

40	ربكما	69
41	ربكما	71
42	ربكما	67
43	ربكما	75
44	ربكما	77
تكرر الاسم ربكما (٣١) مرة		

وقد وردت الاسماء المثناة في سورة الرحمن في ثلاثة واربعين موضعاً وجميعها صحيحة .

ت	تثنية الاسم	رقم الآية
1	ربكما	13
2	ربكما	16
3	المشرقين	17
4	المغربين	17
5	ربكما	18
6	البحرين	19
7	ربكما	21
8	ربكما	23
9	ربكما	25

10	ربكما	28
11	ربكما	30
12	الثقلان	31
13	ربكما	32
14	ربكما	34
15	ربكما	36
16	ربكما	38
17	ربكما	40
18	ربكما	42
19	ربكما	45
20	جنتان	46
21	ربكما	47

"تحليل نموذج من السورة"

١- (([illegible] .[٦٩]))

جاءت لفظة جنتان مثناة وكان في الوسع القول جنة ولكن تشويق المستمع او المتلقي الى الجنة وتصويرها بلفظ التثنية لتوسع مدارك المتلقي وفضلاً عن ذلك جاءت اللفظة بصيغة التثنية لتقريب صورة الجنة لديه . اذا ان الإنسان عنده تصور عن جهم الجنة للامثناة فيكن اذا كانت ((جنتان)) كل هذا جعل الآية تتحمل لفظة ((جنتان)) بصيغة التثنية .

٢- (([illegible] [٧٠]))

قيل ان الجنتين هما نهران وقيل عينان احدهما السلسبيل والأخرى التنسيم او انها العينان العقيقيان اعتمدت الصورة هنا على التثنية و(عينان نضاختان) لترغيب المتلقي في الجنة التي صارت (جنتان) فالجنة أصبحت جنتين والعين أصبحت عينين وكل هذا لجعل المتلقي يعيش أجواء السورة بقبول كامل ورغبة جامعة في دخول الجنة وحتى تكتمل الصورة جاءت الصفة (نضاختان) لتفعل فعل السحر لدى المتلقي لما فيها من جرس موسيقي عال يحملنا الى الشدة والقوة التي تصل حد التضجر ، فضلاً عن ان الصفة جاءت على وزن (فعاله) وهي صيغة مبالغة تدل على الشدة والتكثير وهو امر يثير الى دلاله الكثرة والمبالغة في النضج : واختيار لفظة النضج بدل من النضج لان للماء الضعيف والنضج هو أقوى من النضح.

فجعلوا الحاء لدقتها للماء الضعيف والخاء لغلضها فلو استعمل النضح بدلاً من النضخ لما تحجرت مشاعر التشويق والانتباه من شدة قوة الفعل اذا ان في الفعل ايحاءً قوياً وايقاعاً عميقاً الى المعنى المقصود والعين الواحدة النضاخة كانت تلقي المتلقي ليفهم فما بالك في عيني نضاختين ؟

الدلالة واضحة هي الترغيب في الجنة من خلال الاستعانة بالصفة المعتمدة على المبالغة .

٣. (([illegible])) [٧١]

لو قال ((ربك)) أو (ربكم) لكان الواقع اخف صوتياً فربك تنتهي بالسكون اي قافية مقيدة ولكن الف التثنية يتضمن مداً عالياً له وقع في النفوس يثير الانتباه ويحرك مشاعر المتلقي نحو النص قيلقي في نفسه الرعب والخوف واستعملت الآية ضمير الخطاب "كما" وليس ضمير الغيبة "هما" وهو يدل على تهديد مباشر لهما ، فالتهديد موجه (لكما) انتما وليس لغيركما ، فلو استعملت لفظة (عليهما)لكان التهديد يتضمن العموم وليس الخصوص ، لذا فالآية واضحة وصريحة في الخاب والتهديد جاء يعمل صفة الخصوص.

((التثنية بالعطف))

المثنى لغة: أصله المعطوف من ثنيت العود اذا عطفته [٧٢]

اصطلاحاً : لفظ دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه . [٧٣]

لذا يتبين لنا ان اصل التثنية العطف نحو ذهب العمران ، والأصل عمر وعمر الا انهم حذفوا احدهما وازدادو على التثنية طلباً بالإيجاز واختصار الكلام.(٧٤)

وقال ابن الشجري ((التثنية والجمع المستعملان بالعرف اصلهما التثنية والجمع بالعطف ، فقولك : جاء الرجلان ومورث بالزيدين . اصله جاء الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد . فحذفوا العاطف والمعطوف واقاموا حرف التثنية مقامها اختصاراً)).(٧٥)

ويؤكد ابن الشجري على التثنية بالعطف بقوله "فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا الى الى التكرار بالعاطف كقولك : جاء الرجل والفرس ، ومررت بزيد وبكر " (٧٦)

ويفهم من كلام ابن الشجري ان العطف بالواو وهو نوع آخر من التثنية في اللغة الا انه يتعين فيها اختلف لفظته من الأسماء المعطوفة .

ويشير ابن عصفور الى التثنية بالعطف ويشترط فيه اختلاف اللفظتين.

نحو ((والنجم والشجر يسجدان))

وقد يكرر للتكثير بغير عطف كقوله تعالى ((كلا اذا دكت الارض دكاً دكا)) .

أي دكاً بعد دك وصفاً بعد وصف فعدلوا عن ذلك الى التثنية كراهة منهم للإطالة والتكرار

وقد وردت التثنية بالعطف في سورة الرحمن خمس عشر مرة .

ت	التثنية والعطف	رقم الآية
1	الشمس والقمر	5
2	والنجم والشجر	6
3	اللؤلؤ والمرجان	22
4	الجلال والإكرام	27
5	السموات والأرض	29

6	الجن والإنس	33
7	السموات والأرض	33
8	نار ونحاس	35
9	انس والاجان	39
10	النواصي والإقدام	41
11	انس والاجان	56
12	الياقوت والمرجان	58
13	نخل ورمان	68
14	انس ولا جان	74
15	الجلال والإكرام	78

((التثنية بالحرف))

هناك نوع آخر من التثنية وهو التثنية بالعرف اي تثنية الحروف لتدل على وجود تثنية في الجملة غير التثنية دلالات معينة تظهر دلالات معينة جديدة خاصة بهذا الحروف والبيان ذلك الامر لا بد من تحليل عينه من السورة لإظهار الدلالة المتوخاة من هذه الحروف تحليل نموذج من السورة :

□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□))

□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□))[٧٧](

والضمير "عليكما" يرجع الى الجن والأنس بالحال النحاس فلز يعد من اول العناصر الفلزية التي عرفها الانسان ومعناه في العربية هو اللهب بلا دخان يميل لونه الى الحمرة . قال عليكما ولم يقل لكما ... لماذا ؟

يبدو ان "ربكما" تدل على الغير نحو قوله تعالى " [illegible] "(٧٨).

و" عليكما" تأتي على الأغلب في سياق الشر والتهديد الوعيد من الله تعالى مباشراً من فوق اي تدل على القوقية امر يعطي للتهديد صورة مهولة ومفزعة نحو قوله تعالى (([illegible] (٧٩)))

لهذا كله جاءت كلمة "عليكما" مناسبة لواقع الحال ومقتضى الكلام.

ت	تثنية الاحرف	رقم الآية
1	بينهما	20
2	منهما	22
3	عليكما	35
4	بينهما	44
5	فيهما	50
6	فيهما	52
7	دونهما	62
8	فيهما	66
9	فيهما	68

الخاتمة

١- لم يكف المحدثون متفقين على أصل المثنى فبعضهم قال ان أصله الباء والبعض الآخر ذهب الى أصله الألف وقد ورد ألزام المثنى الألف في القرآن الكريم والشعر العربي.

٢- لا يلحق كلا وكلتا بالمثنى الا اذا أضيفا الى ضمير نحو جاء في كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فان كانا مضافين ابن الظاهر كانا بالألف لانها مقصوران كالفتى والعصا وكذا القول في كلتا نقول كلتاهما)).

٣- احتفاظ العربية بالتثنية دون سائر أخوتها من اللغات السامية يرجع الى حاجة العربي الى التثنية ففي الرفقة يحتاج انتباهه الى التثنية فمعظم أعضاء الجسد اثني كاليدين والرجلين والعينين وما يحيط من مثنات محسوسة كالشمس والقمر والليل والنهار والخير والشر .

٤- الحقت بالمثنى ألفاظ تثنية وليست بمثناه حقيقة لفظ شرط التثنية والألفاظ الملحقة بالمثنى هي ((واثنان واثنتان وكلا وكلتا)) . ومما لا يصدق عليه حد المثنى مما دل على اثنين بزيادة او شبهها فهو ملحق بالمثنى لكلا وكلتا واثنان واثنتان ملحق بالمثنى لانها لا يصدق عليها حد .

٥- جاءت جهود النحوين العرب واضحة في الظاهرة من حيث دلالتها الإعرابية ، ولكن لم يفطن والى المقارنة في دراسة النحو اللغة فخانتهم نتيجة لهذا علم كثير .

[١] – مقاييس اللغة :١٧٢.

[٢] – ينظر : الصحاح الجوهري مادة (ثني) ٢٠٤/١.

[٣] – ينظر: كشف المشكل في النحو :٤٤.

[٤] – ينظر : المقتفي:٥/١.

[٥] – ينظر : اللمع في العربية : ٣٩٢.

[٦] – ينظر :دروس العربية :١٧١/١ وللمزيد ينظر : المدخل النحوي :١٩.

[٧] – ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى :٦٢–٦٣ ، ينظر القواعد الأساسية اللغة العربية : ٤٨.

[٨] – ينظر : شرح الأشموني :٧٩/١.

[٩] – ينظر : معاني القرآن (للفراء) : ١٨٤/٢.

[١٠] – صحيح ابن داود :١٤٨/٥.

[١١] – طه:٦٣.

[١٢] – ينظر : شرح المفصل:١٣٠/٣.

[١٣] – ينظر : العربية وخصائصها وسماتها:٥٨.

[١٤] – ينظر : المصدر نفسه:٣٦٥.

[١٥] – ينظر : خصائص العربية في الأفعال والأسماء اللغوية المقارنة :٦٢.

[١٦] – ينظر : اللغة :١٣٣.

[١٧] – ينظر : التطور النحوي :٩٢.

[١٨] – ينظر : خصائص العربية في الأفعال والأسماء دراسة لغوية مقارنة :٦٢–٦٣.

[١٩] – ينظر : خصائص العربية في الافعال والاسماء دراسة لغوية مقارنة :٦٢–٦٣.

[٢٠] – ينظر : الكتاب سيبويه /٤٨/٢.

[٢١] – الرحمن /١٣.

[٢٢] – الرحمن /٣.

[٢٣] – الرحمن /١٠.

[٢٤] – الرحمن /٣١.

[٢٥] – الرحمن /٢٢.

[٢٦] – الرحمن /٤٦.

[٢٧] – البرهان : ٦٤/١.

[٢٨] – المصدر نفسه :٦٥/١.

[٢٩] – الرحمن/٣٣.

[٣٠] – معاني القراء:١٦/٣.

[٣١] – ينظر : شرح ابن عقيل :٢٩/١.

[٣٢] – ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى :٦٣. والمطالع البعيدة :٥٧/١.

[٣٣] – الانصاف:٤٣٩/٢.

[٣٤] – المصدر السابق :٤٣٩/٢.

[٣٥] – ينظر : المصدر نفسه :٤٤١/٢.

[٣٦] – ادب الكاتب /٢٠٧.

[٣٧] –ينظر : الانصاف :٤٤١/٢.

[٣٨] – الكهف /٣٣.

[٣٩] – الانصاف نفسه :٤٤٢/٢

[٤٠] – المصدر نفسه :٤٤٢/٢.

[٤١] – ينظر : المصدر نفسه :٤٤٧/٢.

[٤٢] – الانصاف في مسائل الغلاف : المسألة (٦٢) /٢ : ٤٤٨.

[٤٣] – ينظر : الفوائد :٢٠٢/١.

[٤٤] – يس /١٤.

[٤٥] – التوبة /٤٠.

[٤٦] – ينظر : شرح الفصل :٧.٤٢/٧

[٤٧] – ينظر : المصدر نفسه :٧/٧.

[٤٨] – ينظر : اوضح المسالك :١ : ٢٥١.

[٤٩] – الرحمن /١٣.

[٥٠] – ينظر : شرح التصريح :٢٩٤/٢ ، وشذا العرف /٩٢.

[٥١] – ينظر : جامع الدروس العربية :١٧٣/٢.

[٥٢] – ينظر : الانصاف :٣٧/١ وحاشية الصبان: ١٠٦/٤.

[٥٣] – ينظر : شرح ابن عقيل : ٧٢/٤.

[٥٤] – ينظر : حاشية الصبان : ١١٢/٤، وشرح التصريح :٢٩٥/٢.

[٥٥] – ينظر : ادب الكاتب :٢١٨.

[٥٦] – يوسف : ٣٦.

[٥٧] – ادب الكاتب : ٢١٨.

[٥٨] – الأصول : ٤١٨/٢.

[٥٩] – ينظر : همع الهوامع. ١٧٣/٢ وما بعدها : وشرح المفصل : ١٥٠/٤.

[٦٠] – الرحمن /٧.

[٦١] – ادب الكاتب :٢٣٢–٢٣٤.

[٦٢] – ينظر : المصدر نفسه : ٢١٨ / ينظر : جامع الدروس العربية : ١٧٣/٢.

[٦٣] – شرح التصريح :٢٩/٢ ، وشرح المفضل :١٥٠/٤ ، وجامع الدروس العربية :١٧٣/٢وما بعدها .

[٦٤] – ينظر : شرح التصريح:٢٩٥/٢.

[٦٥] – ينظر : جامع الدروس العربية : ١٧٤/٢.

[٦٦] – ينظر : شرح المفصل /٥٦/١ ، وشرح قطر الندى /٧٧.

[٦٧] – الاحقاف /٣١.

[٦٨] – ينظر : جامع الدروس العربية :١٧٣/٢.

[٦٩] – الرحمن /٤٦.

[٧٠] الرحمن /٦٦.

[٧١] – الرحمن الآية/ ١٣.

[٧٢] – ينظر : اللباب في علل البناء والاعراب:٤٩/٢.

[٧٣] – ينظر : شرح ابن عقيل :٢٩/١.

[٧٤] – ينظر : امراء العربية : ٦٣ . وكشف الشكل في النحو /٤٤.

[٧٥] – اما ابن الشجري :١٠/١.

[٧٦] – المصدر نفسه : ١٠/١.

[٧٧] – الرحمن /٣٥.

[٧٨] – الفتح /١.

[٧٩] – الحجر /١٤.

قائمة باسماء المصادر

القرآن الكريم

١- أدب الكاتب . ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦م) ، وشرح محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، دار الجبل ، بيروت ،ط٤، ١٣٨٢هـ.

٢- اسرار العربية ، ابو بركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري (ت٥٧٧هـ) ، دار الجبل ، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م ،ط١ تع : د. فخر صالح قدرة .

٣- الأصول في النحو . ابو بكر السراج (ت٣١٦هـ) تع : د. عبد العين الغنلي مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط ٣/ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤- الامالي الشجرية . ضياء الدين ابو السعادات هبة الله بن علي حمزة المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ) ،تع : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت (د.ت).

٥- الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت٥٧٧هـ) تع: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة المصرية ، بيروت ،د.ط ،١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م.

٦- اوضح المسالك الى الفقيه ابن مالك ، ابو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام (ت ٧٦١هـ) ، تع محي الدين عبد الحميد دار التراث العربي بيروت ١٩٦٦م.

٧- البرهان في علوم القرآن . البدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . تع : محمد ابو الفضل إبراهيم . دار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط١ ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٨- التطور النحوي اللغة العربية ومحاضرات القاها في الجامعة المصرية ابو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط ١ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٩- جامع الدروس العربية مصطفى الغلانيين، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ .د.ت.

١٠- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك الصبان (محمد بن علي الصبان "ت١٢٠٦هـ"، دار احياء الكتب العربية ، عين البابي الحلبي وشركاءه ودار المنار (د.ت) .

١١- خصائص العربية في الأفعال والأسماء دراسة لغوية مقارنة ، د: إسماعيل احمد ، دار حنين الأردن ،ط٢,١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٢- سنن ابن داود سليمان بن الأشعث ابو داود الدجاني الازدي (ت٢٧٥هـ)تع : محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر .د.ت.

١٣- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك وبهاء الدين عبد الحميد بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ) تع : محي الدين عبد الحميد دار الحياة للنشر والتوزيع القاهرة – مصر (د.ت).

١٤- شرح الاشموني على الفية ابن مالك علي بن محمد الاشموني (ت٩٠٠هـ) منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه (د.ت).
١٥- شرح التصريح على التوضيع، خالد بن عبد الله الازهري (ت٩٠٥هـ) مطبعة الاستقامة ، القاهرة ط١ ، ١٩٥٤م.
١٦- شرح جمل الزجاجي ، علي بن مؤمن بن محمد بن علي عصفور (ت٦٦٩هـ) المسمى (بالشرح الكبير) تع : الدكتور صاحب ابو جناح ،مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ،(د.ت).
١٧- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) تع : محمد محي الدين بن هشام عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ، ط١٠ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
١٨- شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) صححه يوسف الشيخ محمد البقاعي . دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ،ط١ ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.
١٩- شرح الكافية ورضي الدين محمد بن العين الاشريادي(ت٦٨٦هـ) دار الكتب العالمية ، بيروت – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ.
٢٠- شرح المفصل . موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) تع : محمد منير المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٣١م.
٢١- شذا العرف في فن الصرف . احمد العملاوي مكتبة مصطفى البابي الحلبي ،ط١٦ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
٢٢- الصحاح . للأمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار المعرفة ،بيروت ،ط٢ ، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٢٣- العربية خصائصها وسماتها . د: عبد الغفور حامد هلال مكتبة وهبة القاهرة ، ط٥، ٢٠٠٤م.
٢٤- الفوائد الضبائية . نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت٥٨٩٨) تع د. اسمامة طه الرفاعي ، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، ١٤٥٣هـ -١٩٨٣م.
٢٥- القواعد الأساسية في النحو والصرف ، يوسف العمادي ةآخرون ، دار النشر وزارة التربية والتعليم ، مصر ، ١٩٩٤-١٩٩٥م.
٢٦- القواعد الأساسية في اللغة العربية ، السيد احمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، ١٣٥٤هـ).
٢٧- كتاب سيبويه ، ابو عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تع : عبد السلام محمد هارون . دار الجيل للطباعة بمصر (د.ت).
٢٨- كشف المشكل في النحو ، علي بن إسماعيل التميمي الملقب بحيدرة اليمنن (ت٥٩٩هـ) قرأه وعلق عليه د. يحيى مراد ،دار الكتب العلمية ، بيروت . ط١ ، ٢٠٠٤م.
٢٩- اللباب في علل البناء والإعراب ابو البقاء العكبري (٦١٦هـ) تع : خليل ابنيان العسون ، جامعة القاهرة ١٩٨٣م.

٣٠- اللغة ، خندويس ، تعريب عبد الرحمن الدوخلي ، محمد العصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ومطبعة لجنة البيان العربي (د.ت).

٣١- اللمع في العربية . ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ،تع : حامد المؤمن مطبعة العاني بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢م.

٣٢- المدخل النحوي (تطبيق وتدريب في النحو العربي) علي بهاء الدين بغداد ، ط١ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٣٣- المطالع السعيدة (شرح السيوطي على الفيه) ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تع : د. طاهر حمودة ، الدار الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية .

٣٤- معاني الفراء، ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧) ج٢ ، تع : د. عبد الفتاح إسماعيل وعلي نجدي والهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

٣٥- مقاييس اللغة (احمد بن فارس ٣٩٥هـ) ، دار احياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٨م.

٣٦- المقتضب . ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تع " محمد عبد الفائق عطية . دار التحرير للطبع والنشر (د.ت).

٣٧- النحو العصري وسليمان فياض . دار النشر مركز الأهرام ، ط١ ١٩٩٥م.

٣٨-همع العوامع في شرح الجوامع . جلا ل الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تصحيح السيد محمد بدر الدين التعاني ونشر مكتبة الكليات الأزهرية . ط١ ،١٣٢٧هـ.

القصدية في آيات من سورة الإسراء

أ.د خليل خلف بشير – جامعة البصرة – كلية الآداب

م.م محمد قاسم محمد – تدريسي في معهد الموانئ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: هذا بحث يتناول معياراً من معايير النص السبعة التي أوجدها دي بوجراند وهو القصدية، ويتعلق هذا المعيار بمنتج النص، فلا بدّ من وجود الربط بين ما يقصده منتج النص وبين النص الملفوظ من قبله حتى يتسنى للمتلقي فهم مقصده، والقصدية إحدى المقومات الأساسية للنص على اعتبار أن لكل منتج غاية يسعى إلى إبلاغها أو نية يريد تجسيدها.

وقد قسّمنا البحث على فقرات هي :

- مدخل : مفهوم القصدية.
- القصدية القرآنية.
- أنماط القصدية في بعض آيات سورة الإسراء المباركة.

وحاولنا تطبيق القصدية وأنماطها في آيات مختارة من سورة الإسراء متوصلين الى نتائج أثبتناها في خاتمة البحث.

مدخل : مفهوم القصدية:

يدور المفهوم اللغوي للقصد في دائرة الاستقامة أو الاتيان أو الطلب. جاء في العين ((القصد: استقامة الطريق، وقصدَ يقصدُ قصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة ألا تسرف ولا تقتِّر...))[١] أو هو ((إتيان الشيء أو طلب الشيء، والأصل في معنى القصد هو التَوجه نحو الشيء))[٢].

ومن ذلك أُخذ مفهوم القصدية في اصطلاح النصيين، فهي التعبير عن هدف النص أو تضمن موقف منشئ النص من كون صورة من صور اللغة قُصد بها أن تكون نصا أو خطابا تمتع بالسبك

والحبك وهما معياران يجبُ أن يكونا حاضرين وأنّ مثل هذا النص يُعد وسيلة من وسائل متابعة خُطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، تلك الغاية هي مقصدُ المنشئ [٣].

ومعيار القصدية من المعايير السبعة التي أوجدها دي بوجراند ويتعلق هذا المعيار بمنتج النص، فلا بدّ من وجود الربط بين ما يقصده منتج النص وبين النص الملفوظ من قبل المنتج حتى يتسنى للمتلقي فهم مقصده[٤].

والقصدية إحدى المقومات الأساسية للنص على اعتبار أن لكل منتج غاية يسعى إلى إبلاغها أو نية يريد تجسيدها فالنصُّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، لذلك ينطلق غرايس من أن كلّ حدثٍ سواء أكان لغويا أو غير لغوي فهو إما أن يكون محتويا على نية الدلالة أو لا، فعلامة الدخان دلالة على وجود النار واحمرار الوجنتين دلالة على الخجل، فالحدثان لهما دلالة وليس وراءهما قصد، وهناك فرق بين الدلالة الكائنة في (هدوء الليل) أو(نهر النيل) ومن نسبة هذه الدلالة إلى شيء ما كأن نقول مثلا: لَفّنا هدوء الليل، وسرتنا رؤية نهر النيل، فأنت تريد أن توصل مفهوما ما إلى المتلقي وهذا هو القصد، وقد يكون القصد طلب شيء ما تعقبه إجابة[٥].

ويُعد القصد من المحفزات الأساسية للمرسل في إنتاج نصه، إذ تُنسج النصوص في سبيل تحقيق القصد وترجمته في الواقع التواصلي اللساني سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، ويتضمن القصد موقف مُنتج النص لإنتاج نص متناسق ومتماسك باعتبار منتج النص فاعلاً في اللغة مؤثراً في تشكيلها وتركيبها[٦].

وهذا المعيار يتحدد بمنتج النص والمخاطب معا، فالقصدية هي الوظيفة والهدف من إنشاء النص، والنصوص مرتبطة ارتباطا كليا في القصد ومن غيره لا يوجد نص، والقصد أحد المقومات الأساسية للنص إذ أن كل فعل قولي أو إنتاج لساني يُفترض فيه نية للتوصيل والاقناع، ومن هنا تتحدد أهمية القصد في عملية الإفهام والتواصل التي لا تتحقق إلا بوقوع المخاطب على قصد المتكلم من خلال التشكيل اللغوي الذي يضمّ العناصر والقرائن المنطوقة وغير المنطوقة، ومن هنا يغدو النص وسيلة اجتماعية مقصودة لنقل أفكار منتج النص عن طريق الاتصال والتفاهم مع المتلقي[٧].

القصدية القرآنية: بُنيت القصدية القرآنية على عنصرين أساسيين[٨]:

الأول: رؤية القرآن الكريم الشاملة للعالم: وتعني التصور الواعي الشمولي للقرآن في خطابه، فالنظام القرآني يشكل رؤية منهجية في كليته البيانية والفكرية الشاملة والقصدية القرآنية عملية بنائية خُططت تخطيطا قصديا بإحكام دقيق وقرار إلهي سابق. قال تعالى (ألم كتابٌ أُحكمت آياتهُ ثُم فُصلت من لدنُ حكيم خبير– هود/١)، وقال تعالى (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد– فصلت/٤٢)، والخطاب القرآني يحتوي على مضمون فكري إبلاغي، وهذا المفهوم هو الرسالة السماوية التي أرسلها الله سبحانه وتعالى من خلال الرسل إلى البشر، فقد وصف عوالم مختلفة وكثيرة منها عالم الإله الواحد، فوصف قدرته وآياته في الكون، وعالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجماد...الخ، وقد خضع هذا النظام القرآني في كلّ عالم من هذه العوالم لها وتخطى حدود الزمان والمكان فالقرآن الكريم ممتد لكل زمان ومكان فكان الخطاب القرآني في كل مشهد من مشاهد هذا العالم يوحي بالمقاصد الإلهية.

الثاني: الإفهامية: ويقصد بها أن الخطاب القرآني بُني على مقصدية، وهي الوظيفة الافهامية الموجهة نحو المخاطب والمتلقي وقد مهد القرآن الكريم لمضمون الرسالة السماوية بآيات كثيرة جاءت على شكل حوار متدرج مع الإنسان على قدر طاقته لتحقيق الإفهام وصولا إلى الإقناع، والافهامية البيانية المقصودة سمة من سمات الأسلوب القرآني وهي المقدرة على حاجة النفوس البشرية وتتمثل بقصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى.

أنماط القصدية في بعض آيات سورة الإسراء المباركة

أولاً : القصديّة في بناء السورة : يحتوي القرآن الكريم على المضمون الفكري الإبلاغي، وهو الرسالة السماوية إلى البشر، والوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم ضمّت وحدة فكريّة تلازمت بين أجزاء النص القرآني، والفكرة الرئيسة المقصودة في بناء سورة الإسراء نقف عليها من مقدمة السورة فهي تبدأ بهذا النحو :

(بسم الله الرحمن الرحيم. سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)).

فالمقدمة تحدثت عن ظاهرة إعجازيّة هي إسراء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووُصِلَ الحديث عن الإسراء بالحديث عن الإسرائيليين وتحذيرهم ثُمّ الإشارة إلى نوح (عليه السلام) من أنّه كان عبدا شكورا فقد وُظِفت العناصر اللغويّة في النص لإنارة الفكرة التي قصدتها السورة فبناء السورة تشكل من مفاهيم الإسراء والسلوك الإسرائيلي والشُكر فإيراد قصة بني إسرائيل لم يكن القصد منها السرد القصصي، وإنما انسجمت لغةً وأسلوباً مع لغة السورة وأسلوبها في تأدية وظيفتها الإبلاغيّة[٩] فالبناء الفنّي فيها اتخذ خصوصيته للجانب البياني الإعجازي المتصل بغرض السورة فالإعجاز وظفت له التراكيب اللغويّة والكلمات في النص فالله تَعَالَى قد ذَكَرَ تَشرِيفَ مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ) بِالْإِسْرَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ عقِيبَهُ تَشْرِيفَ مُوسَى (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) بِإِنْزَالِ التَّوْرَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَصَفَ التَّوْرَاةَ بِكَوْنِهَا هُدًى، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ التَّوْرَاةَ إِنَّمَا كَانَ هُدًى لِاشْتِمَالِهِ عَلَى النَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ غَيْرِ اللَّهِ وَكِيلًا، وَذَلِكَ هُوَ التَّوْحِيدُ، فَرَجَعَ حَاصِلُ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ أَنَّهُ لَا مِعْرَاجَ أَعْلَى وَلَا دَرَجَةَ أَشْرَفُ وَلَا مَنْقَبَةَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَصِيرَ الْمَرْءُ غَرِقًا فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ وَأَنْ لَا يُعَوِّلَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ[١٠].

ثانياً : القصديّة في سياق الآيات : ١) كما جاء في قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) إذ القصد من الإسراء في الأساس يوضحه قوله تعالى (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) وفي سورة النجم نجد نتيجة تلك المشاهدات في قوله تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨))[١١].

٢) وفي قوله تعالى: في الآية التاسعة (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) فالاسم الموصول (التي) يحيل إلى مرجع إشاري خارج النص ويفهم من السياق فالتي هي أقوم المقصود به (الملة) بدليل قوله تعالى في سورة الانعام(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ –١٦١))[١٢]،

أمّا كلمة (أقوم) فتعني الهيمنة، وهو ما يفسره قوله تعالى من سورة الروم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) أي المهيمن على حياة الناس وأحوالهم فهذا الدين يختلف عن سائر الأديان التي فيها ما يضر وما ينفع أما الدين الإسلامي فهو جامع لخير الدنيا والآخرة.

٣) ومن قصدية السياق في قوله تعالى : (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا – ١١) فالقصد من الدعاء مطلق الطلب سواء كان بلفظ نحو : اللهمّ ارزقني ووفقني ...الخ أو كان السعي والعمل والسلوك، وهذا ما يتضح من خلال السياق إذ من البديهي أن يدعو الإنسان ربّه

بالخير، ولكن ليس من المنطقي ولا من العرف أن يدعو الإنسان ربّه بالشرّ والبلاء، بل إنّ هذا الطلب ليس طلباً قوليا إنما هو طلب مُترجم عن طريق السعي والسلوك كأن يجحد نِعَم الله، أو يكفر بآياته، أو يظلم نفسه، أو يظلم الآخرين، وهذا القصد سيتضح مرّة أخرى في كلمة (عجولا) التي وردت في سياق الآية فهذه الصفة التي تقابل الرويّة والأناة تلائم من كان سلوكه وسعيه الشرّ ولا تلائم من يتوجّه لله تعالى بالعفو والصفح والمغفرة(١٣).

ثالثاً : القصد في الألفاظ . ومثاله:

١) نشير إلى كلمة (ليلا) في (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) فقد جاءت (ليل) ظرفا للإسراء في أسرى وتنكيره يدلّ على قصر الوقت فهو دال على برهة وجيزة من الليل بدلا من ظرف الزمان الليل الذي يستغرق كل الليل، وفي هذا الاستعمال تأكيد على الإعجاز في قضية الاسراء(١٤).

٢) في قوله تعالى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ –١) قال (السميع البصير) ولم يقل القدير مع أن المقام مقام إعجاز وقدرة فحدوث أمر معجز يتطلب إشارة إلى أنّ هناك قديرا وراءه لكن السميع والبصير للإشارة إلى أن السميع والبصير من شأنه أن يهب السمع والبصر، وهذا ما حصل في الإسراء والمعراج .

٣) ومن قصد الالفاظ قوله تعالى: (مِنْ آيَاتِنَا) ولم يقل (آيَاتِنَا) دون التبعيض ...؛ لأنّ الحدث اقتصر على مشاهدة بعض الآيات فآيات الله تعالى أكثر من أن تحصى لذا قال في موضع آخر في سورة طه : (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣))

فإن قيل إن قَوْلُهُ (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) ((يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات ، لأن كلمة (من) تفيد التبعيض، وقال في حق إبراهيم : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض)(١٥) فيلزم أن يكون معراج إبراهيم عليه السلام أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم. قلنا : الذي رآه إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، والذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ، ولا شك أن آيات الله أفضل))(١٦).

وفي قوله تعالى (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)) نلمس انتقالاً

((من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ، لأن قوله : (سبحان الذي أسرى) فيه ذكر الله على سبيل الغيبة وقوله (باركنا حوله لنريه من آياتنا) فيه ثلاثة ألفاظ دالة على الحضور وقوله (إنه هو السميع البصير) يدل على الغيبة وقوله (وآتينا موسى الكتاب) الخ يدل على الحضور وانتقال الكلام من الغيبة إلى الحضور وبالعكس يسمى صنعة الالتفات))[١٧].

رابعاً : القصدية في نصوص الآيات: ومنه القصديّة المباشرة في الآيات الكريمة (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)).

والناظر في النص يلحظ أن المولى تبارك وتعالى لم يقصد الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما فحسب، وإنما اراد التشديد والتأكيد على هذا الأمر فالمولى يقرن طاعة الوالدين بطاعته وإن دل هذا المعنى على شيء فإنه يدل على عظيم قدرهما وجليل شأنهما عنده جل وعلا، وقد جسّد هذا المعنى الرسول (صلى الله عليه وآله) في قوله ((رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين))[١٨]

ومثال القصد غير المباشر في قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣))، الظاهر من لفظ النص إنه إخبار بحالين من أحوال الإنسان، والمخبر هو المولى جل وعلا وهو العالم بحال عباده، إلا إن النص يوحي لنا بمعنى يستتر خلف معناه الظاهري يتمثل بالتوبيخ والتأنيب فعدم شكر المولى جل وعلا على نعمه والإعراض والنأي عنه وهو المتفضل بلا مقابل فيه جحود كبير وسوء أدب بيّن من العبد تجاه خالقه جل وعلا، وكذلك يأس الإنسان وعدم اللجوء إلى الله إذا مسه (أي الإنسان) الشر وهو جناية يده فيه ما فيه من الجفاء لله وعليه فتصريح الباري بهذا الأمر لا يقصد منه الإخبار فحسب لعدم تحقق الفائدة من الإخبار لخلو الإخبار من التأثير في المقابل[١٩].

وهذا المعنى يستفاد من طريق آخر فإذا ما روعي ما تبعه من كلام وهو قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا –٨٤) فهذا الكلام يبين أن حال الإنسان المذكور في النص غير مرضية عند الله، وإن الله يكل كل إنسان إلى طبيعته إذ هو عالم بأحوال عباده، وقد وصفت هذه الآية بأنها ((أرجى آية في كتاب الله؛ لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به))[٢٠]

الخاتمة

في نهاية هذه الرحلة البحثية الممتعة يطيب لي أن أسجل نتائجها بالآتي :

١- لاتتحقق نصية أي نتاج علمي أو فني مالم يتم الوقوف على قصدية منتجه ؛ لأن هذا المعيار يتعلق بمنتج النص، فلا بدّ من وجود الربط بين ما يقصده منتج النص وبين النص الملفوظ من قبله حتى يتسنى للمتلقي فهم مقصده.

٢- تعدّ القصدية إحدى المقومات الأساسية للنص على اعتبار أن لكل منتج غاية يسعى إلى إبلاغها أو نية يريد تجسيدها.

٣- ويُعد القصد من المحفزات الأساسية للمرسل في إنتاج نصه، سواء أكان منطوقا أو مكتوباً.

٤- للمتدبر أن يستجلى تظافر المعايير النصية من سبك وحبك وإعلامية ومقبولية ومقصدية في بيان تلك القصدية الكبرى للنص القرآني .

٥- بُنيت القصدية القرآنية على عنصرين أساسيين هما؛ رؤية القرآن الكريم الشاملة للعالم، والإفهامية، ويعني العنصر الأول التصور الواعي الشمولي للقرآن في خطابه، والافهامية البيانية المقصودة سمة من سمات الأسلوب القرآني وهي المقدرة على حاجة النفوس البشرية وتتمثل بقصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى.

٦- القصديّة ثلاثة أنماط

أ- في بناء السورة : يحتوي القرآن الكريم على المضمون الفكري الإبلاغي، وهو الرسالة السماوية إلى البشر، والوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم ضمّت وحدة فكريّة تلازمت بين أجزاء النص القرآني، فبناء السورة تشكل من مفاهيم الإسراء والسلوك الإسرائيلي والشُكر فإيراد قصة بني إسرائيل لم يكن القصد منها السرد القصصي، وإنما انسجمت لغةً وأسلوباً مع لغة السورة وأسلوبها في تأدية وظيفتها الإبلاغيّة.

ب-القصدية في السياق : كما جاء في قوله تعالى: الآية التاسعة (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) فالاسم الموصول (التي) يحيل إلى مرجع إشاري خارج النص ويفهم من السياق فالتي هي أقوم المقصود به (الملة) بدليل قوله تعالى في سورة الانعام(قُلْ إِنَّنِي

هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ –١٦١))،وغيرها الكثير.

ت– القصد في الألفاظ . ومثاله:

١) نشير إلى كلمة (ليلا) في (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) فقد جاءت (ليل) ظرفا للإسراء في أسرى وتنكيره يدلّ على قصر الوقت فهو دال على برهة وجيزة من الليل بدلا من ظرف الزمان الليل الذي يستغرق كل الليل،

٢) ومن قصدية الألفاظ (السميع، البصير) ولم يقل القدير مع أن المقام مقام إعجاز وقدرة فحدوث أمر معجز يتطلب إشارة إلى أنّ هناك قديرا وراءه لكن السميع والبصير للإشارة إلى أن السميع والبصير من شأنه أن يهب السمع والبصر، وهذا ما حصل في الإسراء والمعراج .

٣– هناك قصديّة مباشرة في بعض نصوص الآيات الكريمة (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)).

والناظر في النص يلحظ أن المولى تبارك وتعالى لم يقصد الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما فحسب، وإنما قصد التشديد والتأكيد على هذا الأمر فالمولى يقرن طاعة الوالدين بطاعته وإن دل هذا المعنى على شيء فإنه يدل على عظيم قدرهما وجليل شأنهما عنده جل وعلا، وقد جسّد هذا المعنى الرسول (صلى الله عليه وآله) في أكثر من موقف دلت عليه السنة الشريفة.

٥– وهناك قصدية غير مباشرة في بعض النصوص ومثال القصد غير المباشر في قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣))، فالدلالة الحرفية التي دلت عليها القرينة البنيوية(جملة الشرط) إنه إخبار بحالين من أحوال الإنسان، والمخبر هو المولى جل وعلا وهو العالم بحال عباده، إلا إن النص يوحي لنا بقصد يستتر خلف معناه القضوي يتمثل بالتوبيخ والتأنيب فعدم شكر المولى جل وعلا

على نعمه والإعراض والنأي عنه_وهو المتفضل بلا مقابل_ فيه جحود كبير وسوء أدب بيّن من العبد تجاه خالقه جل وعلا، وكذلك يأس الإنسان وعدم اللجوء إلى الله إذا مسه (أي الإنسان) الشر وهو جناية يده فيه ما فيه من الجفاء لله وعليه فتصريح الباري بهذا الأمر لا يقصد منه الإخبار فحسب لعدم تحقق الفائدة من الإخبار لخلو الإخبار من التأثير في المقابل.

وهذا القصد يستفاد من طريق آخر فإذا ما روعي ما تبعه من كلام وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ٨٤ ﴾ فهذا الكلام يبين أن حال الإنسان المذكور في النص غير مرضية عند الله، وإن الله يكلُ كلّ إنسان إلى طبيعته إذ هو عالم بأحوال عباده، وقد وصفت هذه الآية بأنها أرجى آية في كتاب الله؛ لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به.

الهوامش:

(١) العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي ٥/٥٤-٥٥.

(٢) الصحاح/ الجوهري ٢/٥٢٤

(٣) ينظر: محاضرات في نحو النص/ د. محمد يس الشكري ١١١.

(٤) ينظر: في لسانيات النص/ د. أيمن محمود موسى ٢٦.

(٥) ينظر: الإبداع والاتباع بين البلاغة العربية وعلم النص / محمد عبد الرضا الكناني ١١٣-١١٤.

(٦) ينظر: لسانيات النص في المقابسات لأبي حيان التوحيدي / د. أحمد هاشم شمام ١٢٣.

(٧) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص / د. هناء محمود إسماعيل ١٦٧.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ١٦٧-١٧١.

(٩) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم / د. محمود البستاني ٣/٧-٨.

(١٠) ينظر: تفسير الرازي / الفخر الرازي ٢٠/١٥٤.

(١١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن/ السيد الطباطبائي ١٣/٧.

(١٢) ينظر : المصدر نفسه ١٣/٤٦.

(١٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٣/٤٩.

(١٤) ينظر: تفسير الرازي ٢٠/١٤٦.

(١٥) سورة الأنعام / الآية ٧٥ .

(١٦) تفسير الرازي ٢٠/١٤٧.

(١٧) تفسير الرازي ١٥٣/٢٠.

(١٨) كشف الخفاء / العجلوني ٤٣١/١.

(١٩) ينظر: الميزان ١٨٢/١٣-١٨٣.

(٢٠) مجمع البيان / الشيخ الطبرسي ٥٦٤/٦.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإبداع والاتباع بين البلاغة العربية وعلم النص، محمد عبد الرضا الكناني، ط١، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٨م.
- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع للاستانة الرضوية المقدسة، ١٤٢٣هـ.ق- ١٣٨١هـ.ش.
- تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ط٣، (د.ت).
- الصحاح، الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح/ د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة الصدر، ١٤١٠هـ.
- في لسانيات النص، د. أيمن محمود موسى، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٥م.
- كشف الخفاء، العجلوني، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م
- لسانيات النص في المقابسات لأبي حيان التوحيدي، د. أحمد هاشم شمام، ط١، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح، السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٣، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- محاضرات في نحو النص، د. محمد يس الشكري، ط١، دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا، ٢٠١٧م.

- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

الجمعيات العلمية العراقية ودورها الريادي في مجالات التعاون الثقافي والعلمي الإقليمي المشترك ، دراسة مسحية مختارة .

أم د. عبدالرزاق رحيم صلال م د. آيات عبد جوني

جامعة البصرة / كلية الآداب الجامعة المستنصرية / كلية الآداب.

الملخص

تعد الجمعيات العلمية رافدا من روافد الريادة العلمية في مجالاتها المختلفة . لذا أفردت لها وزارة التعليم العالي البحث العلمي قانونا خاصا بها ينظم نشاطاتها الثقافية والعلمية . فانطلقت بندواتها وحلقاتها النقاشية ومؤتمراتها العلمية المحلية والدولية لتدخل معترك الحوار العلمي والتنموي في اطار التعاون الإقليمي المشترك ، رافعة شعار الحوار مرتكز لبناء علاقات عراقية . دولية متطورة .

وتأتي هذه الدراسة لتسطر الضوء على نماذج مختارة من أنشطة بعض الجمعيات العلمية العراقية من خلال قنوات متعددة ، منها إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية وإصدار المجلات العلمية المحكمة ، وإقامة ورش العمل المحلية والدولية ،وغيرها من أوجه الفعاليات الثقافية والعلمية ، التي تعزز من مجالات التنمية ، وتحقق فاعلية التعاون المشترك بين العراق ومحيطه الاقليمي والدولي عبر منصة العلم والثقافة ،بما يحقق للعراق مكانته العلمية المميزة بين دول المنطقة .كما أن هذه الفعاليات العلمية سوف تستثمر في تطوير مختلف سيل المعرفة المتبادلة بين الشعوب ، فتعزز أواصر العلاقات الثقافية .

وسعى الباحثان إلى دراسة وتقييم واقع العلاقات العلمية العراقية مع دول العالم المختلفة ، والبحث في آفاق التعاون الاستراتيجي ، وتسليط الضوء على الفرص المتاحة لتطوير تلك العلاقات نحو الأفضل والأمثل من خلال توصيات اعتمداها في ختام البحث ترشد إلى تفعيل حواري ثقافي علمي مؤسس على علاقات اقليمية .كما تكمن أهمية البحث أن هناك نسبة كبيرة من الباحثين الأكاديميين والمثقفين والأدباء يجهلون كنه الجمعيات العلمية ووجودها ودورها الفاعل في الحياة الثقافية .

Iraqi scientific societies and their pioneering role in the areas of joint regional cultural and scientific cooperation selected series study

Dr. Abdul Razzag Raheem **Dr. Ayat Ad johnny**

Basrah University Art College **Baghdad University Colleg of Arts**

Abstract

Scientific Societies are tributary of Scientific leadership in its various Field . Therefore the Ministry of Higher Education and Scientific Research allocated a law of its own to regulate its cultural and scientific activities . it launched its local and international seminars and scientific conferences to inter the scientific and developmental dialogue within Its framework of joint regional cooperation raising the slogan of dialogue based on building advanced Iraqi international relations .

This study comes to shed light on selected examples of the activities of some Iraqi scientific societies through channels including holding local and international seminars and conferences issuing refereed scientific journals holding local and international workshops and other aspects of cultural and scientific activities that enhance the areas of development and achieve .

المقدمة

تناولت هذه الدراسة الدور المهم للجمعيات العلمية ومراكز البحوث في ثقافة التواصل والحوار الثقافي والعلمي . ويعد العراق من الدول الغنية بعمقه الثقافي وإرثه الحضاري الممتد لآلاف السنين . فأولت قوانينها الاهتمام بسن التشريعات المنظمة لعمل ونشاطات لجمعيات العلمية ومراكز البحوث ، وهو قانون تأسيس الجمعيات العلمية المرقم (٥٥ لسنة ١٩٨١) العلمي بين الشعوب والأمم . ولا يكاد يخلو عام من استحداث او فتح جمعيات ومراكز دولية لتنمية التعاون الثقافي والعلمي بين شعوب العالم يختص معظمها بموضوعات الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل .ويعد حوار الحضارات وتواصل الثقافات من أهم العوامل التي تساهم في بناء مجتمع عالمي متقدم ، ينشد الرفاهية والسلام لأناسه ومجتمعه . ولكن هناك صعوبات تحول دون تحقيق هذا الهدف ، حيث تحاول كل ثقافة تفرض نفسها على الثقافات الأخرى وان بقية الثقافات يشوبها النقص وعدم الصلاحية ويفترض تهميشها .

ويقف العراق اليوم عند مفترق طرق خطير بسبب تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية يعيشها شارعه العام ، مما يفرض على نخبه العلمية أن تتواجد على كافة الصعد المجتمعية للأخذ بالبلد إلى مصاف الدول في رقيها ورفاهيتها على مختلف الصعد . أما محاولات عزلة العلماء وغياب قنوات التواصل والاتصال معهم فتعد من العوائق المثبطة لعمل الجمعيات العلمية ونشاطاتها المختلفة . فغياب الفعاليات والدراسات العلمية واجراء البحوث التطبيقية والاستراتيجية يؤدي الى شل كافة برامج الدولة المؤسسة لبناء صروح التقدم والازدهار لشتى المجالات الثقافية والعلمية . وهو ما يؤدي إلى صعوبة وضع الحلول الناجعة لمشاكل البلد المتراكمة بدءا من عام ٢٠٠٣.

وقسمت الدراسة الى مدخل تمهيدي ومطالبين اثنين ونتائج وتوصيات . فالمدخل تمهيدي الجمعيات العلمية رديف الجامعات والمراكز البحثية والمؤسسات العلمية في التنمية الثقافية والعلمية المستدامة . وفي المطلب الأول تناولت دور وسائل الجمعيات العلمية والتنوع الثقافي والعلمي في تفعيل التعاون والحوار الاقليمي المشترك . أما المطلب الثاني بينت فيه فاعلية الجمعيات العلمية في تأصيل ونشر ثقافة التعاون التواصل الاقليمي. وختمت الدراسة بجلة نتائج وتوصيات .

مدخل تمهيدي

الجمعيات العلمية رديف الجامعات والمراكز البحثية والمؤسسات العلمية في التنمية الثقافية والعلمية المستدامة .

سن المشرع العراقي قانون الجمعيات العلمية المرقم (٥٥) ع.ام١٩٨١ الذي هدف في مادته الأولى الى تنظيم شؤون الجمعيات العلمية وتوفير مستلزمات عملها ودعمها وتنسيق نشاطاتها فيما بينها ومع اجهزة الدولة في سائر فروع المعرفة بما يكفل اسهامها في تحقيق تطور علمي يخدم اهداف خطط التنمية القومية . (١)

وصدر قبل هذا قانون تشريع مرقم (١٣٢) لسنة ١٩٧٠الذ ى عهد الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وسائر جهات الدولة بمد يد العون الى الجمعيات العلمية . كما أنها قامت بالإشراف على تأسيس الجمعيات العلمية وممارسة نشاطاتها . وصدر التعديل الاول لقانون الجمعيات العلمية حسب رقم التشريع (٦٨) ١٩٨٧/٧/٢٧.

وتهدف الجمعيات العلمية والثقافية الى تحقيق جملة أهداف تروم منها تفعيل دور العلم والثقافة في نشر الوعي المجتمعي بين مختلف شرائح المجتمع ، من خلال ممارسات علمية تتوزع بين إقامة الحلقات النقاشية والندوات والمؤتمرات العلمية لتطوير الواقع العلمي مما ينعكس على كافة الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية . وأهم تلك الأهداف:

١.أحتضان النتاج والأبداع الثقافي العراقي ونشره والتعريف به دراسة ونقدا .

٢. التعريف بالنتاج العراقي عالميا لما له من وقع على الإنسانية كمفهوم عام

٣.لا يتوقع من جمعية ثقافية يشكّلها أفراد يتطوعون لعملها ومسؤولياتها أن تأخذ دور الدولة بمؤسساتها المختصة.

وعليه فأن سقف الطموحات للجمعيات الثقافية العراقية لن يكون عاليا ما لم يكن هناك تشجيعا وتفاعلا إيجابيا مع المؤسسة العراقية الثقافية الرسمية التي يظل من

مصلحتها على المديين القريب والبعيد .

٤. تنمية الفكر الثقافي والعلمي سواء للباحثين أو لعموم المجتمع خلال التواصل المثمر والمبدع المفضي لعمل علمي جاد .

٥. تيسير تبادل الانتاج العلمي مع التشكيلات العلمية المتناظرة ، سواء جمعيات علمية ومراكز بحثية متنوعة ، وجامعات حكومية وخاصة ،وغيرها .

٦. تطوير الأداء الثقافي والعلمي لأعضاء الجمعية أنفسهم . والعمل على تحقيق التواصل العلمي بينهم ، أو بينهم وبين نظرائهم في المؤسسات العلمية الأخرى.

٧. أن المهرجانات الثقافية التي تشرف عليها وتنظّمها جمعيات علمية وثقافية عراقية أسسّت بهدف التعبير الصادق عن النتاج العراقي الثقافي المبدع .وعليه فأن ايجاد مراكز ثقافية عراقية سيكون له دوره الإيجابي في هذا المجال الحيوي المهم. وما تجربة المركز الثقافي العراقي في لندن الاّ واحدة من تجارب نتمنى أن تأخذ أبعادها كاملة وتحققّ النتائج المرجوّة منها.

٨. تقديم المشور العلمية لعموم الجهات الرسمية ، والمؤسسات والمنظمات المجتمعية ، المختلفة بهدف تطوير عملها وتنميته .

وهناك أنشطة متنوعة تقوم بها الجمعية العلمية منها :

١. تشجيع أجراء البحوث والاستشارات العلمية.

٢. تأليف وترجمة الكتب العلمية في مجال اهتمامها وما يتصل بها من مجالات أخرى.

٣. أجراء الدراسات العلمية لتطور جوانب الممارسة التطبيقية .

٤. عقد الندوات والحلقات الدراسية والدورات التي تتصل بمجلات اهتمامها .

٥. إصدار الدراسات والنشرات والدوريات العلمية التي تتصل بمجالات اهتمامها.

٦. المشاركة في المعارض المحلية والدولية.

٧. دعوة العلماء والمفكرين ذوي العلاقة للمشاركة في نشاطات الجمعية وذلك وفق الإجراءات المنظمة لذلك .

٨. تنظيم رحلات علمية لأعضائها وإقامة مسابقات علمية في مجال تخصصها.

المطلب الأول : التنوع الثقافي والعلمي في فعاليات الجمعيات العلمية وأثره في التنمية الوطنية والاقليمية الشاملة.

ان اختيار نشاط بعض الجمعيات العلمية للذكر فقط وليس للحصر . فالكثير من الجمعيات الأخرى لها أنشطتها العلمية المشهودة .

أولا : وسائل الجمعيات العلمية في تفعيل التعاون والحوار الثقافي الاقليمي .

تتعدد وسائل تفعيل نشاطات الجمعيات العلمية بغية التعاون العلمي والثقافي الاقليمي والدولي حسب تنوع تلك الأنشطة وامتلاكها لتلك الوسائل ، وهو أمر نابع من قدراتها الذاتية في تحقيق أهدافها وأنشطتها العلمية المختلفة . وأهم تلك الوسائل هي :

١. اللقاءات والحوارات الثقافية : إن ديمومة التواصل العلمي مع المؤسسات والمراكز البحثية والجمعيات العلمية والجامعات المختلفة ، تسهم بشكل فاعل في خلق بيئة علمية حوارية نقاشية ينتج عنها نشاط علمي مثمر يصب في تحقيق الأهداف العلمية المنشودة .وهو ما عمدت إليه جمعية المشكاة الثقافية ، وجمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة في لقاءاتها الثقافية والعلمية مع جامعة (آزادي الإيرانية) .

٢. المجلات الأكاديمية : تساهم البحوث العلمية التي تنشر في المجلات الأكاديمية التابعة للجمعيات العلمية في تأطير وتوسعة مجالات التعاون العلمي وتفعيله بدرجة مثلى ، وهو . معمول به في مجلات (حولية المنتدى) التي تصدرها جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، ومجلة (نسق) التي تصدرها الجمعية العراقية للدراسات التربوية والنفسية .

٣. التعشيق مع الجامعات والمراكز البحثية ، من خلال مذكرات تفاهم وبروتوكولات تعاون علمي . وهو ما عمدت بعض الجمعيات العلمية العراقية عندما وافقت على الموافقة المشاركة في أنشطة علمية داخل جامعة البصرة عبر ممثليها في محافظة البصرة ، والذي نتج عنه توجيه الدعوات لرؤساء الجمعيات العلمية لحضور تلك الفعاليات العلمية .ومن الجمعيات العلمية التي وجهت لها الدعوات والمشاركة :

. جمعية المشكاة الثقافية .

. جمعية المترجمين العراقيين . ٦

. جمعية العراقية للدراسات التربوية والنفسية .

. جمعية العلم والمعرفة .

. جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة .

. جمعية علوم الحديث العلمية .

. جمعية الكفاءات العلمية والفنية .

. الجمعية العراقية لتكنلوجيا المعلومات .

. جمعية اختصاصي المكتبات والمعلومات والتوثيق العراقية .

. جمعية الرابطة الوطنية للمثقفين والأكاديميين العراقية .

ثانيا :التنوع الثقافي والعلمي في فعاليات الجمعيات العلمية وأثره في التنمية المستدامة .

يعد التنوع الثقافي والعلمي من المدخلات الايجابية المشجعة على اقامة التنمية المستدامة وديمومتها . لذا عمدت الجمعيات العلمية الى استغلال هذا التنوع في برامجها الثقافية ، معتمدة على دعوات أممية لتفعيل دور هذا التنوع خدمة للناس أجمع . وأهم تلك الدعوات :

١. اعتمدت اليونسكو الإعلان العالمي للتنوع الثقافي في عام٢٠٠١ .

٢. كما اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول / ديسمبر٢٠٠٢ قرارها المرقم ٥٧/٢٤٩ في ٢١ أيار/ مايو يوما عالميا للتنوع الثقافي للحوار والتنمية .

٣. وفي عام ٢٠١٥ اعتمدت اللجنة الثانية للجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع مشروع قرار بشأن الثقافة والتنمية المستدامة (A C.2 70 L. 59) الذي اكد على مساهمة الثقافة في الابعاد الثلاثة للتنمية المستدامة . (٢)) ٧

ويجد المتصفح لنشاطات الجمعيات العلمية الفعالة أن مشاركات باحثيها ، وتنوع ثقافاتهم وأجناسهم العرقية ، وقومياتهم لدليل على وجود هذا التنوع وفعاليته في نجاح تلك المؤتمرات الدولية .

إن الاحتفال باليوم العالمي للتنوع الثقافي للحوار والتنمية المستدامة يعكس المكمن الذي تصبو إلى تحقيقه تلك الأهمية من وراء التنوع الثقافي من خلال استغلال هذا التنوع لجسر الهوة بين الثقافات العالمية الهادفة لتحقيق محركات التنمية نحو رفع مستويات التطور الاقتصادي والثقافي ، لان هذا التنوع بفعاليته هذه يعد وسيلة للعيش الآمن لحياة فكرية ومعنوية وروحية وهو ما تنص عليه الصكوك الدولية التي تنظم مجال الراث الثقافي التي تتيح ركيزة صلبة لتعزيز التنوع الثقافي .(٣)

وفي ظل الظروف الراهنة التي يمر بها العالم أجمع ، وما ابتلي به من انتشار جائحة فايروس كورونا ، سعت الثقافة لتكون مصدرا للمرونة هير اقامتها المؤتمرات العلمية العالمية الافتراضية ، كمصدر للتواصل ، ونشر الثقافة عير الانترنت وشبكات التواصل المختلفة . وبما أن المؤتمرات والفعاليات العلمية من أبرز ما تسهم به الجمعيات العلمية به الجمعيات العلمية فقد دأبت تلك الجمعيات على إقامتها حفاظا على هويتها الثقافية والعلمية .

ومن تلك المؤتمرات العلمية الافتراضية التي اقامتها المؤسسات العلمية لعراقية المتخصصة ، والجمعيات العلمية أو ساهمت عبر مشاركة أعضائها فيه :

١. المؤتمر العلمي الافتراضي الأول للجمعيات العلمية العراقية الذي أقيم في ذي قار تحت عنوان (خط الابداع الأول في مواجهة كورونا للمدة من ١٧.١٨/٥/٢٠٢٠)

٢. مشاركة أعضاء جمعية اطباء الباطنية في ذي قارفي المؤتمر الدولي الافتراضي لكلية الطب في جامعة الأنبار بالتعاون مع الكلية الملكية البريطانية ، موقع جمعية أطباء الباطنية في ذي قار(٤)

٣. مؤتمر مالية العراق الافتراضي الذي أقامته شركة فرو نتير اكسينج (٥)

ثالثا : أوجه تنمية العلاقات الاقليمية في ظل التحديات وأثرها في التعاون الثقافي.

اهتمت المجتمعات الانسانية عامة وساسة الحكم بالثقافة على مدار العقود المتأخرة في مجال السياسة الدولية . وتصدر الأمن القومي الاهتمام المباشر ن فعمدوا الى تبني دراسات وبحوث معمقة تناولت أثر الثقافة في تحقيق السلم الاجتماعي ، والأمن المجتمعي .ولا يمكن لأي نشاط علمي أو ثقافي أن يبنى ويترعرع في ظل بيئة غير آمنة . فدمج الثقافة مع الأمن

تستدعي ترابطا وتفاعلا حقيقيين على مستوى الواقع المعاش . وكلاهما يؤثر في الآخر سلبا وايجابا . قوة وضعفا . فالأمن الثقافي عد أحد عناصر الأمن القومي للدول .(أهمية مجالات التعاون الثقافي الاقليمي في تنمية العلاقات الثقافية الدولية . اعداد: باسم راشد مقال منشور في موقع مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة الالكتروني بتاريخ ١٩يناير ٢٠١٥ . www. Futureuae.com)

وأشار الباحث (إريك نيميث)في كتابه (لأمن الثقافي.. تقييم قوة الثقافة في الشؤون الدولية")، والصادر في يناير ٢٠١٥. إلى ثلاثة أبعاد لدراسة العلاقة بين الأمن والثقافة؛ وهي:

١ . البُعد المادي، ويُعنَى بالتهديدات الأمنية للممتلكات الثقافية أو ما يُطلق عليه "جريمة الفن"، مثل سرقة التحف الفنية من المتاحف أو تدمير الهياكل الثقافية المختلفة.

٢ . البُعد الاقتصادي، ويعبر عن القيمة المالية لتلك الممتلكات الثقافية أو ما يعرف باسم ."سوق الفن"، ومن ذلك مبيعات التحف الفنية أو الفنون الجميلة من خلال التجار أو المعارض أو المزادات المنتشرة عالمياً.

٣ . البُعد السياسي، ويُقصد به دور الممتلكات الثقافية في السياسة الخارجية أو ما يسمى "الدبلوماسية الثقافية"؛ فتبادل الأعمال الفنية بين المتاحف، واستعادة بعض الدول للأعمال الفنية الثقافية كاللوحات والآثار من بعض المتاحف الدولية، والتعاون الدولي للحفاظ على المواقع التاريخية، كلها أمثلة على تلك الدبلوماسية الثقافية. (٦) وفي هذا الإطار، أكد "نيميث" على الحاجة إلى تشكيل ما أسماه "جهاز الاستخبارات "

الثقافي"، وهو ما سوف يساعد على تقييم الأهمية التكتيكية والاستراتيجية للتحف والفنون ومواقع التراث الثقافي بالنسبة للأمن الوطني والإقليمي، وذلك لمواجهة التهديدات

التي يتعرض لها الأمن الثقافي، كما أنه سيكشف شبكات الإتجار العابرة للحدود، ويُقيِّم المخاطر التي تهدد مواقع التراث الثقافي، وسيكون بمنزلة الخطوة الأولى في تحقيق الأمن الثقافي ليس الوطني فقط بل الإقليمي أيضاً.٠ (٧)

وفي ظل ما يمر به المجتمع الدولي من اجتياح جائحة كورونا ، سجل النمو الاقتصادي تناقصا حادا ، اقترب من حالة الركود . وهو ما توقعته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا) بأن

توسع انتشار الوباء سيتسبب بخسائر تزيد عن ٤٢مليار دولار في العالم العربي خلال ٢٠٢٠م ، بالاعتماد على توقف الحركة التجارية والصناعية . ناهيك عن فرض حظر التجوال على المواطنين وإلزامهم الجلوس بالبيوت .(٨)

مما أثر ذلك سلبا على وجه تنمية العلاقات الاقليمية والدولية في التعاون الثقافي والعلمي . فعمدت الجهات المتضررة كافة الى البحث عن بدائل غير تقليدية لدعم توجهاتها الثقافية . ، وإن كان بشكل محدود ، دون حد الطموح المنشود . لذا هبت الجمعيات العلمية العراقية إلى استخدام بعراض تلك البدائل كالمؤتمرات الافتراضية ، واستخدام منصات التوصل الالكتروني اجتماعيا وعلميا .كما ان عقد الجمعيات العلمية لمؤتمراتها العلمية في الخارج تسهم في فتح أفق التعاون الثقافي مع تلك الدول ، التي سينتج عنه تبادل الخبرات العلمية في العلاقات الثنائية . فالخبراء من الأكاديميين المنضمين للجمعيات العلمية ومراكز البحوث هم من سيجدون الحلول لكافة التحديات التي تقف حجرة عثرة أمام التعاون الثقافي . وهو ما تلمسناه في الزيارات المتبادلة بين بعض الجمعيات العلمية والملحقيات الثقافية في السفارات الاجنبية في العراق.(٩) ولقاء رئيسة الجمعية الدكتورة ايمان سالم الخفاجي بالسفير الياباني في مقر الجمعية ببغداد لتوطيد العلاقات الثقافية عبر منبر الثقافة والتراث)وكذلك ما قامت به جمعية العلاقات العامة من استقبال ذات السفير بتاريخ ٢٠١٩/٤/٢٢) (١٠)

وأدت الدور ذاته جمعية اللسانيين العراقيين ، حيث يقول رئيس الجمعية الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي : وقعت جمعيتنا اتفاقية علمية مع مركز (مرجعية اللغة العربية) التابع لجامعة الاهواز الايرانية . واتفاقية أخرى مع جامعة الزهراء في العاصمة الايرانية طهران .وأجرينا ١٠حلقة مشتركة مع رئيس مجمع اللغة العربية في بيروت الدكتور عبدالله باسل . (١١)

وغاية ما تصبو إليه المؤسسة الثقافية هو السلام والأمن اللذان كانا ولا يزالان مطلباً وضرورة إنسانية لتخليص البشرية من ويلات الحروب والنزاعات والصراعات والعنف والإرهاب. "الأمن"، "السلام"، "النزاع" ... مصطلحات أصبحت محور اهتمام مختلف الفواعل الدولية. ومحل نقاش من طرف العديد من الباحثين والأوساط الأكاديمية ، باعتبارها من أبرز المواضيع البحثية في حقل الدراسات الأمنية. ويُقارب كتاب "مقدمة في دراسات السلام والأمن في نظرية العلاقات الدولية" الصادر عن دار روافد الثقافية–ناشرون ودار النديم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى (٢٠١٧) مساهمة

في مقاربة مفاهيم السلام والأمن كضرورة استراتيجية في مواجهة قاعدة العنف والصراع والحرب. وقد جسدت المؤتمرات العلمية لبعض الجمعيات العلمية هذا الدور ، من خلال طرحها لشعارات ومفاهيم تخدم الأمن والسلام .

من خلال استخلاص الفكر الانساني عامة ، والاسلامي تحديدا في نظرته للأمن والسلام . فالمؤتمرات الثلاثة التي عقدتها جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة حول فلسفة الدولة في فكر الشهيد الصدر في صياغات مفاهيمية حول اتجاهات سلوك الدولة في أبعادها

الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، المؤسسة للأمن الاقتصادي والسلم المجتمعي (١٢)

المطلب الثاني :فاعلية الجمعيات العلمية في تأصيل ونشر ثقافة التواصل الاقليمي.

أولا : طبيعة الريادة الثقافية العلمية للجمعيات العلمية في نشر ثقافة التواصل الاقليمي .

يعد التواصل الثقافي والحوار العلمي من أسس البناء الخلاق ، لقيم تطور المجتمع العلمي الانساني . وهذا الأمر يتطلب تفهم ثقافة الآخر واحترامها لخصوصياته . ولا يتحقق ذلك إلا بالحوار المفضي لحل كل الاشكاليات والاختلافات بين الجميع .

وبناء على ما تقدم توجهت برامج واستراتيجيات الجمعيات العلمية العراقية للاهتمام بتأصيل الحوار من خلال منظور الثقافة الاستراتيجية باعتبارها ظاهرة ملازمة لعالم الاجتماع كمتغير مستقل يعمد الانسان الى صنعها المؤثر في ادراكاته وسلوكياته ، باعتباره يتصرف ككائن ثقافي ينظر الى الثقافة من خلال التنشئة الاجتماعية والاتصال والمحاكاة السلوكية .(١٣)

ومن تتبع نشاطات الجمعيات العلمية ووسائل بثها لثقافة التواصل والتلاقح الثقافي على جميع المستويات وفي مختلف المجتمعات ، فقد سعت الجمعيات العلمية الى التعامل مع الثقافات المختلفة بغض النظر عن توجهاتها الفكرية وأيدولوجياتها السياسية . فأقامت مؤتمراتها العلمية في دول المحور الإقليمي التي تتباين مواقفها العقدية والسياسية والاقتصادية ، ضعفا وقوة ، تقاطعا وتواصلا ، فشارك الباحث التركي والباحث الايراني الى جانب الباحث العربي في بحوثهم العلمية المتنوعة بكل حرية ، انطلاقا من هدفية الجمعيات العلمية وإيمانها باستقلاليتها المهنية والثقافية من جهة ، وأن تواصل الثقافات لا يعني بالضرورة اجبار جميع الأطراف على الاتفاق على جميع الأصول والمعتقدات إذ أن

اختلافاتنا الاجتماعية والتاريخية هي اختلافات مهمة ، ووجودها ثمين وله تأثير عظيم . ولن نستطيع رسم صورة كاملة لحياتنا من غير الاستفادة جميع التجارب والخبرات المختلفة . بل يجب أن تكون اختلافاتنا أساس تقبلنا لغيرنا وفهم آرائهم وتقديرها .(١٤)

ناهيك عن أن الجمعيات العلمية بعيدة عن التكتلات الاقتصادية ذات القدرات الكبرى ، والامتداد الجغرافي الواسع اقليميا . إذ أنها تنظر في عصر العولمة الذي لا يمكن لأي جهة سواء كانت دولة أو مجموعة محددة ، او منظمات وهيئات ، مواجهة تحديات العصر الحديث لوحدها ، بل لابد من تحالفها مع وتعاونها مع المجتمع الدولي الانساني لتحقيق السلم المجتمعي والعلمي الآمن .

ولكي تحقق الجمعيات العلمية والمراكز البحثية أهدافها في التنمية الثقافية ، لا بد من تواصلها مع صاحب القرار السياسي والعلمي للحصول على الدعم المتكامل ماديا ومعنويا . دون النظر الى التقاطعات التي ربما تحدث هنا وهناك . مع التأكيد على تنمية شبكات التواصل بين الجمعيات العلمية والجامعات والمؤسسات البحثية المختلفة . فعمدت تلك الجمعيات إلى أنشاء مواقع إلكترونية خاصة بها لنشر فعالياتها العلمية والثقافية كي يطلع عليها الآخرين في الجمعيات المتناظرة وأساتذة الجامعات والباحثين المستقلين . مع التأكيد على نوعية النشاط العلمي الذي يخدم ثقافة التواصل والحوار مع الآخرين .(١٥) .

ثانيا : سبل تطوير مجالات التعاون الثقافي والعلمي الاقليمي .

هناك سبل وآليات متعددة تفعل التعاون الثقافي الاقليمي المشترك ، منها :

١. توسيع قاعدة التعاون المشترك مع المؤسسات الثقافية الاجنبية من منطلق فهم الآخر، تمهيدا لوضع برنامج أو برامج ثقافية اقليمية أو دولية . وهو ما عمدت اليه جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، عندما عقدت ندوة ثقافية في مقرها بالنجف الأشرف عن (١٦)

٢. التأكيد على دور المنظمات الدولية في تطور جودة أداء المؤسسات الأكاديمية .

٣. تفعيل دور الإدارة المعاصرة وجودة الانتاج في النمو الاستثنائي للاقتصاد .

٤. تفعيل اللقاءات والمشاورات العلمية بين أصحاب القرار والجامعات الاجنبية ،يهف التعاون المشترك . مثلما حصل بلقاء رئيسة المجلس الأعلى للجمعيات العلمية العراقية الدكتور ايناس طه

الحمداني ، مع البروفيسور البريطاني (نيكل بانكس) من جامعة شفيلد ، ضمن المنهاج التنسيقي للبورد العربي للتعليم الطبي المستمر .(١٧)

٥. التوسعة في اقامة معارض الكتب الثقافية والعلمية المشتركة ، لما لها من دور بارز في نشر ثقافة الآخر . والتعرف على ثقافته وحضارته وامتداداتها . المتزامنة غالبا مع اقامة المؤتمرات الدولية سواء داخل العراق وخارجه . وهو ما فعلته جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة عندما أقامت المعارض الآتية :

أ. معرض الكتاب السنوي الأول الذي أقيم متزامنا مع المؤتمر الدولي الأول الذي أقامته الجمعية في النجف الأشرف .

ب . معرض الكتاب السنوي في شهر رمضان المبارك . من كل عام ،حيث تشترك فيه دور النشر العراقية والعربية والاجنبية .

ت . معرض الكتاب السنوي الثاني الذي أقامته الجمعية على قاعة جامعة الكوفة . بتاريخ نيسان ٢٠٠٨م .

ث . معرض الكتاب السنوي الثالث في النجف الأشرف ٢٠٠٩م.

ج . معرض الكتاب السنوي الرابع تزامنا مع المؤتمر العلمي السنوي الثالث ، في نيسان ٢٠٠٩م . (١٩)

النتائج والتوصيات :

١. التركيز على تفعيل دور الجمعيات العلمية ، والمراكز البحثية المعتمدة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، من خلال دعم مشاركاتها الخارجية والمحلية في الندوات والمؤتمرات الدولية لاكتساب الخبرات في مجال تطوير القابليات والقدرات والبحوث العلمية الرصينة .

٢. العمل على تنوع تخصصات الجمعيات العلمية ، لتشمل تخصصات حديثة ، تواكب التطور العلمي المستحدث في العلوم والمعارف المختلفة .

٣. ضرورة تعشيق البحث العلمي والتعاون مع الجمعيات العربية والأجنبية المناظرة للجمعيات

العلمية العراقية خدمة للعلم والارتقاء بالباحثين الى مستويات علمية عليا ، بدء من المحيط الإقليمي العربي . ناهيك عن التعاون العلمي بين الجمعيات المحلية المتناظرة .

٤. على الجمعيات العلمية مجتمعة ومنفردة وضع خطط علمية دورية سنوية لنشاطاتها

المختلفة تواكب التطور المتسارع في العلوم والمعارف المتنوعة .

٥. تفعيل التنسيق العلمي بين الجامعات والجمعيات العلمية من خلال التشاركية في اقامة

المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية التي تخدم المسيرة العلمية وتنميتها المستدامة .

٦. البحث عن موارد دعم للجمعيات العلمية ماديا ومعنويا لإقامة نشاطاتها العلمية ، سواء كانت رسمية أو أهلية .

٧. أوصي بمتابعة عمل استبيانات دورية حول جدوى العلاقات الثقافية ونتائجها ، لاستخلاص الثمرة من ذلك . وبيان مديات التطبيق الحقيقي للنتائج على أرض الواقع .

٨. تنظيم وتنمية الاتصالات الثقافية والعلمية بين الجمعيات العلمية والجامعات المحلية والعربية والاجنبية والمراكز البحثية والمؤسسات العلمية الاجنبية .

٩. تبادل المعلومات والبرامج والنظم وتبادل الأساتذة والخبراء مع الجامعات والمعاهد الأجنبية. وتنسيق أنشطة الكليات فيما يختص بالنشاط والتبادل الثقافي بينهما وتنظيم الندوات والمؤتمرات والمواسم الثقافية وحلقات البحوث . ١٤

الهوامش

(١) (الوقائع العراقية رقم العدد ٣١٦٠ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٧) .

(٢) اليوم العالمي للتنوع الثقافي من اجل الحوار والتنمية . دراسة منشورة على موقع الامم المتحدة www.un.org

(٣) موقع جمعية أطباء الباطنية في ذي قار tg internist.com

(٤) موقع الاخبار الالكتروني المنشور بتاريخ كانون الثاني Akhbar.org

(٥)مقال (اهمية مجالات التعاون الثقافي الاقليمي في تنمية العلاقات الثقافية الدولية . اعداد : باسم راشد منشور في موقع مركز المستقبل للأبحاث والدراسات التقدمة بتاريخ ١٩يناير ٢٠١٥ www.Futureuae.com

(٦)المصدر السابق.

(٧)منشورات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ، فيروس كورونا التكلفة الاقتصادية على المنظمات العربية . لبنان)

(٨) المصدر السابق)

(٩) ظ: موقع جمعية المشكاة الثقافية www.almeshkat.orgولقاء رئيستها (د. ايمان الخفاجي بالسفير الياباني في مقر الجمعية ببغداد.

(١٠) ظ : موقع جمعية العلاقات العامة الالكتروني .

(١١) المصدر السابق.

(١٢) اتصال هاتفي ومحاورة مع الدكتور كريم حسين ناصح رئيس جمعية اللسانيين العراقيين بتاريخ٢٠٢١/١/٩.

(١٣) ظ: فلسفة الدولة عند الشهيد الصدر . مجموعة أبحاث المؤتمرين العلميين الذي عقدهما المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة . المحورين الرابع والخامس ص٥٢٥.٦٥٥ العرف للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، شباط٢٠١٠ ١٥

(١٤) منظور الثقافة الاستراتيجية ، مقال منشور في موقع الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، بتاريخ/٤/٨/٢٠٢٠

(١٥) تواصل الثقافات وبناء مجتمع السلام . عبد العزيز بن اسماعيل طرابزوني ،مقال منشور في صحيفة الجزيرة والمنشور الالكتروني بتاريخ٩ /٢/٢٠٠٨

(١٦) ظ : مواقع الجمعيات العلمية العراقية للتعرف على نشاطاتها الثقافية والعلمية .

(١٧) كتاب المنتدى ، انجازات نوعية ، نشاطات ثقافية، تطلعات مستقبلية ، ص٦٦.٦٢، منشورات المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة .

(١٨) ظ : موقع المجلس الأعلى الجمعيات العلمية العراقية كتاب المنتدى ص١٠٧.

(19) scss iq.com

المنظور الايدولجي في الحلم البوليفاري لباسم فرات

أ.م.د اشراق سامي عبد النبي

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المنظور الايدلوجي في الحلم البوليفاري

الحلم البوليفاري للكاتب العراقي باسم فرات هو عنوان لكتاب عن ادب الرحلات في ثلاثة بلدان لاتينية هي (البيرو والاكوادور وكولومبيا) وقد حصل هذا الكتاب على جائزة(ناجي الساعاتي) لأدب الرحلات والكاتب(باسم فرات) شاعر ورحالة عراقي ناقش في هذا الكتاب القضايا والافكار الايدلوجية بطريقة المقارنة بين الحلم البوليفاري والحلم العربي وقد ركز على جملة من المعطيات السياسية معلقا عليها بوجهة نظره الخاصة .

أدب الرحلات

يعد هذا الشكل من الكتابة الادبية نوعاً اصيلاً في الادب العربي إذ طالما زخرت المكتبة العربية بمؤلفات كتبها رحالة داروا في البلاد فسجلوا بملاحظات دقيقة ميزات تلك البقاع التي زاروها، ولذا اختلطت آنذاك هذه الكتابة بجملة من العلوم المعرفية والانسانية الاخرى مثل الجغرافية والتاريخ وطبائع البشر اما الجانب الادبي فكان يتباين من مؤلف إلى اخ، وثمة اختلاف في طرائق الكتابة الرحلية بين الاسلوب الكلاسيكي والمعاصر، فحين كانت الكتابة الرحلة موضوعية واصفة لحقائق واضحة ومحددة فأن الرحلة المعاصرة تميل نحو الذاتية ووجهة النظر الخاصة ولذا اختارت هذه الدراسة أن تنظر في وجهة النظر التي تحدد المواقف الفكرية في هذه الرحلة عبر اختيار المصطلح النقدي (المنظور)

المنظور في السرد

هو مصطلح نقدي يعتمد على السؤال (من الذي يرى وهو مصطلح مستمد من الفنون التشكيلية ولاسيما الرسم فهو يفيد رؤية الاشياء بالعين حسب بعدها والوانها، وانتقل إلى السرد عبر اعتماد الية دقيقة لفهم "مع أوسبنسكي تطرح وجهة النظر بطرق عديدة. اذ أن وجهة النظر تتصل اتصالا وثيقا

(بتوليف) العمل الفني بصفة عامة. وهي حسب أوسبنسكي تتعلق بالمواقع التي يحتلها المؤلف، والتي انطلاقا منها ينتج خطابه السردي، فإنه يسعى في مشروعه النظري إلى معاينة هذه المواقع " ١

ويمكن ان يقسم المنظور في النص الى عدة انواع منها:

الايدلوجي

النفسي

المكاني

التعبيري

تهتم هذه الدراسة بالمنظور الايدولوجي وهو " ويتم فيه التركيز على تقديم الإيديولوجي من خلال مواقع محددة تقع خارج الكتاب أو حسب رؤية شخصية موجودة في العمل المحلل"٢

قد يكون من البديهي الأشارة إلى تحكم الجنس الادبي بدرجة معينة في فرض خطاب خاص يتعلق بالمنظور، لاسيما أن الرحلة تجترح طرائق تعبير تقترب كثيراً من الكتابة الوثائقية وإن كانت لا تغفل التخييل الذي يلازم كل مادة سردية مكتوبة وبنسب متفاوتة ولاشك "أن لكل كاتب مجموعة من الظروف البيئية والاسرية والاجتماعية والسياسية والجغرافية المتمايزة التي تشارك في تشكيل أفكاره ومضامينه ومبادئه الاستراتيجية لتكوين الرؤية السردية الاساسية للجنس الادبي الذي يسعى لتكوينه، وهذا يطال البنية السردية للنوع الادبي، فلا يمكن للكاتب أن يعامل كل الانواع الادبية المعاملة ذاتها " [٣] وعلى الرغم من ان " أدب الرحلات لم يجد مكانة واضحة في نظرية الأدب، ولم تستوعبه نظرية الاجناس الادبية ضمن طاقاتها التصنيفية وذلك لغياب رؤية فلسفية واضحة المعالم في النقد العربي قبل الانفتاح على النقد الغربي "[٤]

الا أن ثمة تداخلا واضحاً بينه وبين أجناس أدبية معروفة وثابتة القواعد مثل الرواية التي يأخذ منها السرد والتتابع الزمني ومثل السيرة الذاتية التي يشترك معها بواقعية الاحداث "ويختلف عنها في طريقة التبئير ففي الرحلة رغم وجود التبئير فان السرد يراعي الموضوعية المرتبطة بمسائل خارجية تتمثل في هدف الرحلة "[٥] .

يكتشف القاريء بسهولة منذ أول تجربة قراءة مع رحلة الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا، أن ثمة هاجساً يحتل مساحة كبيرة في السرد وفي الاختيارات وطريقة تقديم الوصف هاجس مبني على فكرة المقارنة بين فكرتين وطرائق تجليهما عبر مظاهر عدة يجيد الكاتب انتقاءها والحوار معها .

التقاء الرواية السيرية أو السيرة الذاتية مع الرحلة يؤدي إلى تطابق بين الكاتب والسارد والشخصية هذا التطابق سيجعل من قضية المنظور الايديولوجي : من الذي رأى ومن يتكلم، ولأن الرحلة تحتاج إلى الميثاق السردي الذي يتجسد في توجيه القراءة عبر الإعلان بكلمة رحلة استباقاً للنص الادبي فأن المنظور هنا سيتعلق بالسارد هو المؤلف وهو الشخصية الفاعلة أو الرئيسة في السرد الرحلي، ولأن المنظور غالبا ما يتعلق بأفكار الكاتب فإن مثل هذا الميثاق سيؤكد إن الافكار المطروحة تمثل بشكل مباشر الكاتب، الأمر الذي قد لا يكون على هذه الدرجة من التوكيد مع فنون سردية اخرى تعتمد على التخييل بدرجة أكبر مثل الرواية والقصة اذن المنظور الايديولوجي هو " منظومة الافكار التي تتجلى في كتابات مؤلف ما وتعكس نظرته لنفسه وللآخرين بشكل مدرك أو بشكل غير مدرك "[٦]

ويمكن متابعة تجليات المنظور الايديولوجي الروائي في رحلة

(الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى) عبر أساليب عدة منها :

المقدمة : في الغالب لا تحظى مثل هذه الكتب (الرحلات) بمقدمات شارحة، فالموضوع يحتمل التداخل النصي والتعليق أو أي هامش يريد الكاتب شرحه أو أضافته، فضلا عن ارتباط المقدمة بالجهد البحثي اكثر منها بالإبداعي ، لكن الكاتب (باسم فرات)جعل منها موجها أساسيا للقراءة وموضحة لكثير من الامور فيقول فيها على سبيل المثال :

" كنت اتساءل ما سبب هذا القرب من العرب هنا وأنا أرى تأثير الحضارة العربية عمارة وسلوكاً وتقاليداً في البلدان الثلاثة التي تعرفت عليها عن كثب، حتى قرات أن ثلاثة ملايين عربي هربوا من اسبانيا إلى امريكا الجنوبية، لكن لم يبق أحد من سلسلي هذه الملايين الثلاثة يتذكر اسلافه او يعي حقيقتهم "[٧]

قربت المقدمة بكل ما فيها صورة الدول التي زارها الاديب الرحالة من ذهن المتلقي لكن مروراً بذهن الكاتب او عبر تصوراته الذاتية وان كان قد استخدام فيها العديد من المعلومات العامة عن هذه الدول

وبطريقة مشوقة وفاتحة لشهية القراء ،لكنه كتبها وفق صياغة ذاتية ومنظور خاص يؤكد ان ما يذكره يمثله هو دون ادنى شك .

- **المنلوج الداخلي** : وكما هو معرف هو حديث النفس للنفس ويستعمل في الرواية كثيراً بوصفه أحد الادوات التقنية لشرح ما يدور في ذهن الشخصية الروائية، ويتسم المنلوج عادة بميله إلى التأمل والافراط في المشاعر، فحديث الانسان مع نفسه في شأن يومي او عابر لا يسمى منلوجاً بالمعنى الاصطلاحي النقدي لهذه الكلمة " يتأسس المونولوج داخل المحكي على مسار درامي يقوم على رص لبنات النص وفق استراتيجية البوح/ البوح بآلام الذوات والأصوات التي تغذي حركية الحدث وديناميته "[٨] ورغم الاختلاف النوعي بين الرواية والرحلة الا أننا نفترض في سرد كليهما المتعة وقد يتأتى هذه عبر مصارحة المتلقي والشريك المعرفي في القراءة بمكنونات النفس وهواجسها "يخلق المونولوج حركية ماتعة في المنجز النصي "لحظات لا غير"، لكونه يستنطق أغوار الذات، ويعرض صوتها الصارخ والفاضح لوقائع الماضي المأساوي " [٩] فضلا عما يحوي المنلوج من قدرة على شرح عجز الذات على فهم وتفسير الكثير من سلوكها، وفيما يؤشر النقد أن المقصدية في الرحلة مهمة ومثلها فهم الحافز الذي يدفع إلى انجاز مثل هذا النشاط الانساني وتدوينة بطريقة ادبية " لان هذا الحافز ينطوي على الخلفية الفكرية التي توجه الكاتب في كثير من المستويات وتسهم في تشكيل نصي وتشكيل اخلاقي وفكري للبطل " [١٠] وفي رحلة الحلم البوليفاري يناقش الكاتب سببها أو حافزها مع نفسه عبر المنلوج قائلاً :

" لم اعد أذكر شيئا كانت رحلة عجيبة لا ادري من حملني إليها، هوسي أم جنوني أم تلك الافكار الغريبة التي تسكنني .أحيانا أظنني مجنوناً واحياناً شخصاً نفض عن نفسه غبار التأريخ وخرج للناس كما ينفض شاعر ذرات الغبار القليلة والتي لا ترى بالعين المجردة التي رماه بها شويعر أو موهوم . لم يكن النفض الا لان الشاعر يؤمن بانه يجب ان يكون بكامل اناقته امام القصيدة يضع حريته فوق كل اعتبار وسنواته قربانا للشعر "[١١]

الحكاية القصيرة:

يورد مؤلف الحلم البوليفاري العديد من القصص والحكايات الصغيرة لذكريات ويربطها بطريقة موحية ومباشرة مع سرد رحلته فيكسبها امتاعا ويسحبها نحو ميدانه الفكري الخاص وتمنحنا مثل هذه

الاستعمالات العرضية لمواقف مر بها المؤلف أحساس المطابقة الذي يواجه المتلقي مع كتاب سير ذاتي وأن كانت هنا تبدو مكثفة ومستثمرة لجهة الفكرة والمعنى "ويمكن ان تكون وسيلة من وسائل دمج الموضوعي بالذاتي أو دمج العام بالخاص دمجاً لا يخلو من توجه مضمر للخروج بموقف من العام ومن التاريخي ومن المعيش والمشاهد "[١٢] وقد استعمل الكاتب مثل هذا التوظيف كثيراً ضمن كتابه وسنختار من بداية الرحلة قوله :

" تذكرت كتاب فاضل العزاوي (بعيدا داخل الغابة) هذا الكتاب الذي جلبه لي مع مجموعة من الكتب زميل في العمل حين كنت اعمل في الاهلية ابيلا في عمان سنة ١٩٩٦ فحين عرف شغفي بالقراءة واني حسب قوله "شاعر " وهي كلمة ارتجف حين اقولها اخبرني ان شقيقه يعمل في الرقابة الاردنية ولديهم في البيت الكثير من الكتب، كانت كمية مغرية، حين عدت بها للبيت ليلا والتقيت بصديق (تقطعت بنا السبل الان) قبل وصولي للبيت استعارها مني ولم أرها وكان كتاب فاضل العزاوي (بعيداً داخل الغابة) اكثر كتاب حزنت عليه ذكرى الكتاب بقيت ملازمة لي وأنا اتوغل في هذه المتاهة التي يطلقون عليها محمية يا سوني " [١٣] والعلاقة بين السرد والرحلة علاقة وجود اذ لا يمكن للرحلة ان تكتب دون الاستعانة بالسرد لكن ربط الحكاية بالرحلة لم يكن عشوائيا اذ انسجم مع فكرة مررها الكاتب بطريقة غير مباشرة كما يحدث عادة في توظيف الحكايات للحكمة والعبرة " في حين يتيح التشكيل البنائي للخطاب الرحلي امكانية تجاوز التصنيف ،اذ تمثل الرؤية في المستوى الفكري تمثيلا مباشرا من قبل كاتب الرحلة، في أغلب الاحيان ، كما تتصف معظم الرؤى بالجزئية لارتباطها بالمرجعية الواقعية ،غير ان هذا لا ينفي وجود تمثيلات اخرى ذات سمة وسيطة "[١٤]

المقارنة الفكرية الضمني

يقوم كتاب الحلم البوليفاري على مسالة المقارنة بين العالم العربي ودول الاكوادور التي يزورها فنراه يربط بينهما عبر مجموعة من المقارنات التي تتم عبر عدة اشكال منها

١ _ الربط عبر منولوج داخلي قصير

في الغالب يشاهد الكاتب حالة أو موقفاً معيناً ويصفه ثم يحاور نفسه مذكراً بما يملك من شيء مشابه أو مختلف، دون مقدمات تمهيدية تبرر للقارئ سبب الربط بين مدن الرحلة المذكورة وبين المدن التي تحيل إليها المقارنات سوى الانتماء الذي يحمله الكاتب عاطفياً وفكريا لها ،فيقول : " مع ذلك عدد

الحدائق والمتنزهات والمتاحف في عاصمتها اضعاف ما في بغداد أن لم يكن ربعه وكذلك عمرها، فهي تأسست بعد بغداد بأكثر من ٨٠٠ سنة تقريبا " [١٥] لاشك أن ارتباط الايدلوجيا بالمقارنة تفسح المجال لتثبيت وجهة نظر الكاتب مسبقا لاسيما وأن " الايديولوجيا، في أبسط تعريفاتها، الأفكار والقيم والمعتقدات التي يتبناها الأفراد. وهي التصورات التي تعبر عن مواقف تجاه علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالعالم الطبيعي " [١٦] ومثل هذه القيم تقوم أساساً على جملة من التجارب والاختيارات في الحياة وحتى يستطيع الكاتب من اقناع المتلقي بها وتوجيهه نحو تصديقها يعتمد على مثل هذه التقنيات السردية مثل المقارنة المختارة بعناية لتفصح عن وجهة نظر مسبقة .

"تساءلت مع نفسي في اثناء القداس، هل أنا في كربلاء ،أم هو الحنين يجعلني ألوي عنق ما أرى ليكون شبيها بمدينتي، هل هي قراءتي أم انها حقيقة ، فالمؤمنون يقومون بحركات تشبه ما يجري في كربلاء، يتضرعون ويرفعون ايديهم الى للسماء سائلين من يعتقدون به أن يحقق لهم ما يبغون أو أن يبعد عنهم المرض والعوز والحاجة .التشبث بشبابيك وأبواب، صلوات وقراءات " [١٧].

٢_ المعلومات الوثائقية المباشرة

يعمد كاتب الرحلة في أحيان كثيرة الى تضمين معلومات عن المناطق التي يزورها ويشير إلى إنها دقيقة أو وثائقية كما في قوله : " تعد هذه الجزر صحراوية لكنها كما الارض العربية التي ابتليت بسمعة الصحراء المجدبة من غير الالتفات إلى كل هذا العدد الكبير والهائل من البشر والكائنات الحية التي تعيش على أراضيها " ١٨ ورغم أن اللجوء إلى المعلومات العلمية يبدو موضوعياً إلى حد ما لكنه يبقى وسيلة مضمونة في توجيه الفكرة باتجاه يرتضيه صاحب النص اذ " تمثّل الإيديولوجيا أحد نماذج هذا النوع من المسائل المعرفيّة، لذلك نرى أنّ أفضل طريقة لبلوغ القدر الممكن من الموضوعيّة في فهم ماهيّة الإيديولوجيا، إن لم نقل الطريقة الوحيدة المتاحة، تقوم على استعراض التعريفات المتباينة التي أعطيت عنها، أو أهمّ هذه التعريفات، ومن ثمّ محاولة استخلاص نمط جامع منها، مبنيّ على أساس اعتبارها وظيفة وسائليّة، أي أنّنا نتخلّى، منذ الآن، عن مطمح الموضوعيّة المطلقة حيال هذه المسألة، قانعين بالمنحى الذاتيّ لما يتمتّع به من جدوى استعماليّة." [١٩].

الخاتمة ونتائج البحث

تعد الرحلة نوعا ادبيا جميلا وله عمق ضارب في التراث العربي ، فهو يوثق كل ما صادف الكاتب _ الرحالة عبر سفرته، اذ يقوم بنقل واقعي لما شاهد من اماكن وما لاحظ من طبائع مختلفة من البشر و وينقل كل المواقف التي تعرض لها خلال رحلته أو رحلاته التي قام بها خلال حياته.

((الحلم البوليفاري)) هو عبارة عن أدب رحلة في ثلاثة بلدان هي كولومبيا والبيرو والأكوادور

لاتعد المقدمة تلخيصًا للكتاب أو تعريفًا به وإنما رؤية الكتاب باسم فرات لمفهوم أدب الرحلات، ويختتم الكتاب بقصائد كتبها الشاعر والكاتب في أماكن متفرقة من رحلته وإقامته في الأكوادور لم تُنشر في كتاب.

تناول هذا البحث مسالة الروية التي ترافق عادة النصوص السردية وطرح سوالا مفاده من هو صاحب وجهة النظر التي تطرحها هذه الرحلة لاسيما وانها تاخذ صف الافكار الكبيرة وتحاول مناقشتها عبر جملة من العلاقات والتي رصد حركتها البحث عبر عدة تمثلات وهي

المقدمة ، المنلوج الداخلي ، القصص القصيرة ، التي حاول الكاتب بالاستناد اليها عرض التوجه الايدولجي الذي يريد غبر منظوره الذاتي وبوسائل صوغ متناسبة مع الرحلة بوصفها نوعا ادبيا يعتمد الميثاق السردي الذي يعقد مع الكاتب باعتبار ان مايسرد فيه حقيقيا ويمثل تجربة الكاتب فعلا .

وتقوم هذه الرحلة في الاساس على فكرة الربط بين المشروع البوليفاري ومشروع الوحدة العربية عبر سلسلة من المقارنات والتصورات الرابطة بين الفكرتين .

الهوامش :

١_المنظور السردي في "أفراح القبة" لنجيب محفوظ عبد الرحمان الكياكي/ أبريل ٢، ٢٠١٦/مجلة ثقافات الالكترونية على الموقع http://thaqafat.com/2016/04/30622:

٢_ المصدر نفسه

٣_ القصة القصيرة عند اديب نحوي دراسة فنية /رسالة ماجستير من جامعة دمشق كلية الاداب / ديما ماون الحريري /٢٠١١: ١٣

٤_ تقنيات اليرد في الرحلة /دزعبد العليم محمد اسماعيل علي/ جائزة الطيب صالح /الدورة الثامنة /٢٠١٨: ٥

٥_المصدر نفسه : ٩

٦_ العلمانية تحت المجهر /عيبد الوهاب الميري،عزيز العظمة /دار الفكر المعاصر بيروت/الطبعة الثانية /٢٠٠٠:٣٠٢

٧_ا لحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى /باسم فرات/ الحضارة للنشر /القاهرة /٢٠١٥.

٨ بنية المونولوج في رواية "لحظات لا غير" لفاتحة مرشيد/ سعيد موزون / مجلة طنجة الادبية /العدد ٥٣/اكتوبر ٢٠١٤ : ٣٤

٩_ المصدر نفسه: ٣٥

١٠_ الادب العام والمقارن / دانيال هنرو : ٥٩

١١_ الحلم البوليفاري : ١٥

١٢_السرد والتبرير في نماذج من الرواية العراقية الحديثة /عقيل عبد الحسين /دار الشؤون الثقافية/ بغداد /٢٠١٥: ٩٧

١٣ – الحلم البوليفاري :١٢

١٤_ أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني... رسالة ماجستير.. جامعة منتوري الجزائرية.. فاطمة بوطبسو.. سنة ٢٠١٠ ص ٨٨

١٥_ الحلم البوليفاري : ٢٢

١٦ ينظر: د. شكري عزيز الماضي، في نظرية الادب، دار المنتخب، بيروت–لبنان، ١٩٩٣، : ١٠٣

١٧_ الحلم البوليفاري : ٢٥.

١٨_ المصدر نفسه : ٤١.

١٩_ رؤية بيديا صفحة ثقافية: أيديولوجيا/http://www.roayapedia.org/wiki/index.php

.

الهُوية في الشعر العراقي المعاصر

(ديوان أسير أسيراً بدهشتي) لعدنان الصائغ إنموذجاً

أ.م.د. مريم عبدالنبي عبدالمجيد

جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

تبنى الشعر بعالمه الواسع التعريف بهُوية الأنا والآخر وما يكتنفها من تجليات، إذ كانت الهوية قضية متميزة في جانبه الموضوعي بكل زمان ومكان، وتبنى الشعر العراقي المعاصر التعريف بهاجس الهوية وما ينتاب الأنا والآخر في الإحساس بها، بالإحالة على مظهر وجوهر كينونة الذات والآخر وحدود ما فيها من ملامح، ومشاعر، ووعي، تبدى مجلى للوجود الكامن في الذات ورؤيته للآخر المختلف أو المؤتلف، وكانت الإحالات الموضوعية على مبنى الهوية وما تضمه من أفكار، ورؤى، ومسلمات، وممنوعات، وميول، محوراً للتعريف بأنا الشاعر الذي يتوخى كشف هواجسه في نصه بوصفه قطبا دلالياً يحمل مشاعره وفكره.

وقد تجلت عبر القول بالهوية في ديوان (أسير أسيراً بدهشتي) لعدنان الصائغ صلات، ومواقف، ومتمنيات، ومخاوف تُعرف بهوية الأنا والآخر، عبر تضمينه لسمات، وخصائص، وإشكاليات، وهواجس نفسية، وعاطفية، وفكرية فلسفية، تضم صفات الذات وما يعتريها.

وكان التعريف بهوية الأنا ثيمة بارزة في الديوان للتعريف عن صفاته ومحمولاته الروحية والفكرية، وتموضعها الوجودي وقيمها استناداً لرؤى، وأزمات، وآثار، تتعالق في نصه مع مفردات الحياة اليومية الآنية، التي يستحضرها بوصفها بيئة تضم أناه عبر الآتي:

المبحث الأول: الشعور بالذات/ هاجس الهُوية

تحيل الهُوية على نسق يضمّ المعايير التي يمكن أن يُعْرَف الفرد بها ويُعَرَّف، ويتبدى الشعور بالهوية في شعر عدنان الصائغ ثيمة بارزة في فضاءات نصوصه، إذ يستلهم بمداه عناصراً تدل على رؤيته للأنا:(الذات، والمؤتلف)/ والآخر:(المختلف)، وعمق انفعالاته النفسية، والفكرية، عبر صور ومواقف تستثير القارئ وتستفز وجدانه، فاستثارة الروح هي غرض الشعر الفعلي[١]، يقول في ومضة 5 من قصيدة تشكيل3:

تكراري

لا....يكررني[٢]

التكرار مصدر يدل على المبالغة من كرّ يؤتى به لأجل التكثير في الأفعال، ومعناه العام هو الإعادة، وقد تجلى استلهام الشاعر لهذا المعنى للتعبير عن شعوره بذاته عبر رؤية تحيل على كينونة الإنسان المتفردة، وثيمة تشير لشخصيته وكيانه المقفل على مظهر وجوهر لا يمكن أن يكون له مثيل بمختلف ملامحه الجسدية/ والروحية النفسية وصراعاتها وتناقضاتها، فالذات غير قابلة للتكرار ولا الإعادة في أصل الوجود والماهية.

أما حينما يقول:

حياتي..

يا...

لحياتي

كيف سرقتكِ الأيامُ مني

ولم أنتبه... !؟ [٣]

أخذ القول بالحياة أبعادا تحيل على تموضعها في ميادين مفاهيمية متعددة منها فلسفي، وديني، واجتماعي، ونفسي، وغيرها، وفي الأدب تجلى القول بها للتعبير عن مشاعر الناص وعلائقه بالزمان والمكان وما يحملانه من مظاهر وصلات تحتضن وجوده، أما في نص الشاعر عدنان الصائغ الآنف

فجاء القول بسرقتِها لتوصيف رؤيته لسيرورة الزمن وشعوره الآن بهذه السيرورة، وما تحمله بحركتها الدائمة من فَقْد متموضع في استعارته اللغوية لمضمون الفعل سرق، لاستجلاء عمق وعيه بها في الحاضر الذي يضمّ صراعه الروحي لما رافقها من خسائر، وحين يقول:

شكراً لهم....

إنَّهم يسْتنسِخونَني

بتأويلاتِهِم..

وإشاعاتِهِم

وشتائِمِهِم...

لهذا تكاثرتْ نُصوصي،

بين الناس[٤]

الشعور بالأنا في النص يحيل على الآخر، فالآخر ماهو إلاّ وجهاً للأنا الذي لايحاط إلاّ من خلال الإحاطة بالآخر، والتعالق معه، لتتمايز الغيرية بينهما[٥]، في ومضة عدنان الصائغ تحضر رؤيته لذاته من خلال تأويلات الآخر وما يفترضه عن الأنا (بوصفه نصاً كما مثَّله)، عبر التأويل، والإشاعة، والشتيمة، ليضمّ القول بالتوحد بين الذات والنص، فالأنا نص مقروء يتكرر مجلاه عبر الآخر وعبر رؤيته وما فيها من فيوضات تبدت متأزمة متكئة على النفي والاستبعاد، لقد كان الحدث في النص يتفرع إلى أكثر من محور يرتبط بشخصية الراوي (النص/مجازا) وما ينتهي إليه، إذ يرتبط بشخصيات:(هم) تؤدي مقولاتهم إلى(تكاثر نصوصه): الأنا، من محور عدائي يجترح هذا المدى ضمن متواليات الموقف وتعدد الرؤى.

وفي قصيدة (مرآة 3) يقول:

في الصبح

أرى شخصاً يشبهُني

يتطلعُ في وجهي

أضحكُ كُ كُ

يضـ...ـحكُ كُ كُ.....

يعبسُ سُ

أعْبِـ.....

يعضُّ على طرفِ السينِ؛ بأسناني،

فأغادرُني..

يمسكني من كمِّ قميصي هلعاً:

- **أين ستذهبُ...!؟**

... خذني ني ني ني

فأنا لا أقدرُ أن أبقى وحدي في المرآةْ (٦)

يبدو الشعور بالذات منطويا على قلق وشعور بالوحدة، التي تبدى أثرها في نفس الشاعر باستعماله للفعل المنفي لا أقدر، وجاء الشعور بالذات مترابطا مع الخوف من الوحدة وما تحمله من آلام وآثار، في مشهد تبنى التعريف به عن عقم واقعه في المنفى عبر انتقائه للأفعال التي ترد في جو إيحائي يجمع بين الأنا الحاضر والأنا المُتخَيَّل: أرى: يشبهني، ويتطلع/ أضحك: ويضحك/ يعبس: وأعبس/ يعضّ: وأُغادرني/ يمسكني، وستذهب، خذني، ولاأقدر، أبقى، فالشعر"إذا جنح إلى النزعة التأملية والاستبطانية للذات استخدم اللغة الإيحائية"(٧)، أما في قوله:

نسيتُ نفسي على طاولة مكتبتي

ومضيتُ

وحين فتحتُ خطوتي في الطريق

اكتشفتُ أنني لا شيء غيرُ ظلٍّ لنص

أراهُ يمشي أمامي بمشقةٍ

ويصافحُ الناسَ كأنه أنا(٨)

تجلى في هذا النص التوحد التام بين الذات والنصّ الذي تكتبه، في تصور يحكم اتجاهات ومشاعر تُعبر عن ناتج خاص لعلاقة الأنا بما تكتبه، وتمجيده، في فضاء يحد اتجاهات ذاته المغرقة بالتوحد مع الكتابة وما تخبئه من مفاهيم تُعرِّف بها وبما يكتنف الشاعر من هواجس ووعي، فنصة محاولة لتعرية الذات وكشف تفاصيلها ورصد ما ينتابها من مشاعر، نعم لقد اتخذ شاعرنا النص قناعا لذاته_ في مجمل مجموعاته الشعرية– يكشف من خلاله مظاهر هويته وإحساسه بما فيها من صراعات ومتناقضات، فضلا عن انفتاحه على الذوات الأُخرى.

بينما تجلى في قصيدة (باب) ذكر النفس بالتجاور مع ذكر الأبواب ليرمز لما يكتنف الذات من هواجس التشظي والتيه في وجود الأبواب وما ورائها من معان كلها تشير لأناه، فقد استثمرها الشاعر لتوصيف هواجسه ووعيه بذاته وصراعه الدائم للتصالح معها، وقد اختار مفردة الباب ليصف الإحساس المرتبط بها بالمعنى المجازي للباب الذي يؤدي لمداخل يحاول الولوج إليها لفهم ذاته وفقه حاجاتها، عبر صياغة نصية مرتبطة بالوظيفة الإبلاغية التي استثمرها في نصه للتعبير عن هاجس الهوية وشعوره بها، يقول:

أطرقُ باباً

أفتحهُ

لا أبصر إلاّ نفسي باباً

أفتحهُ

أدخلُ

لا شيء سوى بابٍ آخر

يا ربي

كم باباً يفصلني عني [٩]

ويقول في موضع آخر:

نلوبُ بزعانفنا في طيات المياه

الهواء يختنقُ بنا

والجالسون أمامَ زجاج حوضِنا الأنيق

ينظرون بلذةٍ لشهقاتنا الملونة وهي تخبطُ السديمَ

بحثاً عن بقايا الهواء

نحن الأسماك المحاصرة في حوض الوطن[١٠]

في هذا النص يتبدى القول بالحصار وهو عنوانه دالة على سجن يرمز للوطن، وما يكتنف الذات: النحن من آلام ومشاعر اختناق تحيل على مدى يعكس الإحساس به، ورؤية عميقة تشفّ عن الانتماء لحيّزه المؤلم، وتشير لعناصر تدلل على إحساس بعدم الأمان، والملاحظ على هذا النص أنه حكاية ضمت عناصرا بدأت بها ولاسيما الشخصيات: نحن/ هم، وهي شخصيات حاضرة في الحدث تتولد عنها غائية النص أو الفكرة والموضوع، ضمن البناء الكلي للنص، الذي ينفتح داخل كيان كل منهما بتجلي الفعل والأثر ضمن حدود الموقف.

أما في قصيدة (حنوّ) فيقول:

أنحني كالقوس على نفسي

ولا أنطلقُ

أشياءٌ مريرةٌ تشدّني إلى الأرض [١١]

يتبدى الشعور بالأنا وعجزها ومايعتريه من مرارة وألم مشدود إلى بُعد يشف عن حزن وعقم باستعمال الفعل أنحني، فهو علامة على فيوضاته في النفس وما يعتريها في مداه بالتشبيه بالقوس وسكون حركته، ليظهر مقدار الشعور بالوهن في تركيب النص لصنع موقف يعبر عنه ويعكس مظهرا

انفعاليا لفكرة تقوم على التحسس من هيمنة الواقع الذي رمز له بالأرض لاجتراح مايعانيه في سياق مكاني يعبر شعريا عن الواقع .

وفي (مرايا متعاكسة) يقول:

أحياناً

... يوقفني وجهي في المرآة

أنتَ تغيّرتَ....

..... تغيّرتَ كثيراً

أتطلّعُ مذعوراً

لا أبصرُ في عينيّ سوى شيخٍ

يتأبّطُ عكّازَ قصائدهِ

... متجهاً نحو البحر

يتمرأى في صفحتِهِ الزرقاءْ

فيرى في أعماق الموجِ

ولداً في العشرين

يتطلّعُ مبهوراً

في وجه المرآة...

أيّهما كانْ !؟ (١٢)

يتجلى الشعور بالذات وسيرورة الزمن ومظاهره المتجلية على ملامح الأنا غاية الخطاب في القصيدة، فكان الشعور بها موقفاً إنسانياً شاملاً لاستجلاء هاجس اللحظة وإحساسه بذاته في صلبها، ليعبر عن إشكالية فلسفية ووعي للوجود القائم على حركة لانهائية دائبة، وتغير للأحياء مستمر، لقد

جاءت العبارة الافتتاحية بوظيفة زمنية للتعريف بالشعور بالذات باستخدام جمل متعاقبة تؤدي كل جملة منها وظيفة دلالية تضاف إلى سياق التعريف وتشير إلى الإحساس والواقع، وتنقسم جمل هذا التعريف إلى قسمين الأول يمنح الجانب السلبي من صفة الذات وحاله، والآخر يسلب هذه السلبية بإعطائه دلالة إيجابية في الصفة والحال. أما حينما يقول:

كالوردةِ...

يذبلُ قلبي...

.. ويموتْ

لو تقطعهُ..

من غصن الشعرْ (١٣)

في هذا النص يتجلى الشعور بالذات بحدّ تعلق القلب بغصن الشِعر بوصفه دالة تشير على عمق ارتباطه الحميم به، وهذا اتجاه آخر للتعريف بشخصيته وميولها، حيث يلتزم وظيفة إبلاغية تحدّ مداه وظهوره في وجدان الأنا التي تتَّحد تماماً مع معناه ومبناه ليكون إيقونة ترتبط به من جميع الجهات.

المبحث الثاني: التضاد واللاجدوى

يتبدى التضاد واللاجدوى علامتان بارزتان في متن ديوان (أسير أسيراً بدهشتي)، وقد التزم القول بهما للإحالة على مواقف ووعي ومشاعر في صور تشير إلى قلق الشاعر ورؤيته لأناه وعلائقه مع الآخر والكون، و"في الفن تعدّ الصور وسيلة أساسية من أجل إدراك الحياة، تنمذج إبداعيا الظواهر عن طريق إعادة إنشاء ذاتيتها"(١٤)، فحينما يقول:

ثملٌ، ولا خمرةٌ

مقيمٌ، ولا وطنٌ

مغرمٌ؛ لا خليلةٌ، ولا ناي

هاديءٌ..

وأحسني أظطرمُ[١٥]

يتبدى التضاد بين: ثمل/ لاخمرة، مقيم/ لاوطن، مغرم/ لاخليلة، وبين الهدوء والاضطرام مكمنا يحد صراعات مشاعره وفقده للآخر الوطن، والحبيبة، وكشفا لخوفه وقلقه ووحدته في منفاه، وحينما يقول:

أحلامي؛

أخطاءٌ،

لم أقترفْها بعدُ[١٦]

يتبدى التضاد بهذا النص في الشعور بالأحلام ووصفها بأخطاء، في مدى يشير إلى تناقض يحيل على عقم واقعه وسوداوية نظرته للآتي من الزمان، وكان وعيه به مشبعاً بقلق يؤكد تيهه ورؤيته لعدم جدوى الأشياء ومن ضمنها الأحلام، التي باتت ناتجاً رديئاً في هواجس ذاته وتجليها، فـ "الزمان حركة متصلة ولذلك يسعى الشعر للاتصال بهذه الحركة والسعي معها إلى لانهائيتها"[١٧]، ومثلها قوله في قصيدة (تشكيل):

حياة بيضاء

كثيراً ما نفسدها

بالأحلام[١٨]

تبدت الأحلام في النص عبر الحياة البيضاء فساداً، وهذه رؤية تحيل على إحساسه بذاته وهويتها ومايكتنفها من مسارات تبدت معتمة وقاتمة، تؤدي إلى طرق مغلقة، ويقول في قصيدة (شيزوفرينيا):

في وطني

يجمعني الخوفُ ويقسمني:

رجلاً يكتبُ

والآخر– خلف ستائر نافذتي –

يرقبني[١٩]

يستلهم التضاد في هذا النص للقول بالوطن وما يفتحه الاحساس به من هواجس، تمظهرت في الخوف الذي تبنى التضاد الذي يقسمه إلى رجُلين، أما اللاجدوى وترابطها مع الشعور بالإحباط فكان القول بها بارزا في صور الديوان، "فإن الصورة في الشعر تنزع بموقف وتجأر بفكر وتسعى إلى غاية أو هدف إنها الحياة وقد أُعيد ترتيبها في اللغة وباللغة وعبر اللغة"[٢٠]، ومنه قوله:

نحن المنحنين إلى الأبد

كجسور الأرياف الخشبية

تمرُّ علينا الجواميس

والأحزاب

والجنرالات

والمركبات السريعة

والأحلام المتثائبةُ

ونحن نتأمل خرير مياه التاريخ

ونبتسم بعمق

لأمواجه التي ستتكسر عما قليل

أمام صخورنا[٢١]

في هذا النص تبدت اللاجدوى منوطة بالذات: النحن:(المنحنين إلى الأبد كجسور الأرياف الخشبية) وما يكتنفها من مشاعر إلى حد بعيد، بل بدت جذوره قارة في صلب تكوينه الوجودي الذي اختزله (جمعيا) لأجل غاية فكرية تعلقت بنظرته لواقعه، وما يلتزمه فكره نحو تجليه في الوجود وتناقضاته، أما عندما يقول:

انتظرتُ الأغصان الجرداء حتى أزهرتْ

والرايات المنكسة حتى انتصبتْ

لكن ما أن تكوّر الورد حتى قطفه غيري

وما أن سارت الرايات حتى تركتني على الرصيف

ومضت تشق طريقها وسط الهدير.. إلى باحة القصر

وانتظرت السفن المبحرة حتى عادتْ

لكن ما أن نزل البحارة والمسافرون

لم أجد من يعرفني

وقرعت الزنازين حتى فُتحَت

لكن ما أن خرج السجناء

فاتحين أذرعهم ورئاتهم للحرية

حتى جروني من ذراعي ورموني فيها[٢٢]

تجلت اللاجدوى بقوله: تكور الورد/قطفه غيري. سارت الرايات/ تركتني على الرصيف. انتظرت السفن/ لم أجد من يعرفني. قرعت الزنازين حتى فُتحَت/ جروني من ذراعي ورموني فيها، وهي دالة تشف عن تصوره لنضوب الأشياء وهروبها من بين يديه، بصورة حسية تحيل على مكون أصيل من مكونات وجوده وعلائقه بها وبالكون، وتبدت وكأنها أشياء عدائية بالنسبة إلى أناه تدفعه لعالم التيه والضياع والأُفول، أما عندما يقول:

أعرفُ الحياةَ

من قفاها

لكثرة ما أدارتْ لي وجهها[٢٣]

تتجلى اللاجدوى بالفعل (أدارت) الذي تولى مهمة تشخيصها وتصوير عجزه الكبير، وتكشف عن مكنونات ذاته وهويته الروحية والوجودية التي ترابطت بعمق مع تسلط الحياة وقسوتها، وما تفتحه في ذاته من ندوب وألم عميق وضياع.

المبحث الثالث: الوحدة والمنفى

تجلى القول بالوحدة والمنفى في ديوان عدنان الصائغ (أسير أسيراً بدهشتي) للتعبير عما ينتاب الأنا من مشاعر في غربته المكانية والروحية، ويفتح القول بهذين المسارين على ثورته، وتمرده، وخوفه، وقلقه، من الآني والآتي، وبدت فيه قيمه ورؤيته لمتغيرات الكون وعناصره وثقافته وإحساسه بها، فـ" لكل مؤلف معجمه الخاص إن صح التعبير – إذ إن معنى الكلمة عنده قد يختلف عن المعنى اللغوي والاجتماعي لما تثيره هذه الكلمة عنده من أُمور وانفعالات نتيجة لتجاربه الشخصية"[٢٤]، فعندما يقول:

صريرُ رُ رُ رُ

باااااابْ

ولا من جوابْ

هكذا،

سوف يمضي بنا الاغتراب[٢٥]

في هذا النص يحيل الشعور بالاغتراب على الصمت وما يضمه من تجليات في الآتي الذي يتوقعه من المستقبل، ويشفّ عن رؤية تحيل على إحساسه ومناحي تركيزه في النظرة التشاؤمية لواقعه، الذي لايجد له أملاً في التغيير في الآتي من الأيام، فيحتل مفتتح النص بداية حالة وهو ثيمة دالة في مجريات الأحداث ضمن النص، المتكون من ثلاث جمل يؤطرها الشعور بعتمة الغربة وعذاباتها وانتظارها فهي تركيب يمنح المتلقي أفقا لكشف هواجسه في هذا المدى من الوجود المتفرد في الظروف والهوية الروحية. أما حينما يقول:

–عزلتي..

اكتظاظٌ

داخليٌّ

-لست وحيداً

وحدتي

معي[٢٦]

الغربة والوحدة تتجليان في النص وتكمنان في صلب الشعور بالأنا، عبر صورة موجزة لدواخل الوجدان وما يكتنفه من هواجس تحيل على إحساسه بأناه، ووجهة الشعور بالألم والإحباط من حاضره وتقديره لذاته وتمايزها بمشاعر خاصة نحو الكون، وانعكاسا للنزعات الشعورية المستقرة في أناه وإحساسه به، ويقول:

وحدتي

مليئةٌ بالنوافذ

أطلُّ منها عليَّ[٢٧]

في هذا النص تتجلى الوحدة التي يشعر بها بعمق عبر مدى يستثمر القول بامتلائها بالنوافذ التي يطل بها على أناه فحسب، لكشف عالمه الباطني الخالي من الآخر تماما، للدلالة على عمق الشعور بالوحدة ومعاناتها، فالإبلاغ في هذا النص يتمركز في الدلالة على الوحدة الخالصة وتعبيره عنها سمة من سمات المستوى الإبلاغي لدى الشاعر في هذا الديوان لاعتماده غالبا على النص: الومضة الشعرية، التي تحتل ثيمة خاصة ينتقيها موقع المرجع الذي تقوم ومضته بالدلالة عليها، بوساطة المعطى اللغوي ليصل إلى المتلقي استجابة لما تمليه عليه طبيعة الوجهة التي يحاول إيصال الثيمة من خلالها، عبر التمثيل وخصوصية الأُسلوب في صياغة النص، للدلالة على الأشياء: وهنا استخدم النوافذ، والمعاني المجردة : مفردة وحدتي، والفعل: أطلُّ، والشخصية: الأنا، وقد استخدم للدلالة عليها في النص ياء المتكلم.

وفي قوله:

نثيثُ الثلج

على نافذة منفاي؛

رسائل متجمّدةٌ وصلتني من هناك

هكذا يُخيّلُ لي

بينما ساعيةُ البريد على دراجتها الهوائية

تشيرُ أن لا رسائلَ لي اليوم(٢٨)

يبدو نثيث الثلج والرسائل المتجمدة إيقونة تعبر عن مدى يحيل للمنفى وشعوره الخاص به، وكمونه في وجدانه متلاحماً مع أبعاد الطبيعة التي ترد بوصفها جزءاً من الكون الذي ينتمي إليه، يحيل على نسق يشف عن ملامح ذاته وعالم التجربة التي يموضعها، دالة على الحالة النفسية التي تنضج في رؤيته لأناه وما يكتنفها من هواجس، "والذات في الشعر مهمة للغاية حينما يتمكن الشاعر من جعلها وعياً مركزاً لمجمل الذوات الأُخرى"(٢٩)، لقد استخدم الشاعر هنا الحكاية من حيث الأحداث والتسلسل والنظام السببي وأعمال الشخصيات وتفاعلهم في الزمان والمكان، لتمثيل الفكرة إبلاغيا عبر الخبر للدلالة على معطى نفسي يضطلع بحدث يصور يوم من يومياته في المنفى. أما حينما يقول:

سأقطفُ الوردةَ

ساقطفها

لكن لمن سأهديها

في هذا الغسق

من وحدتي(٣٠)

يعبر النص عن الوحدة القاسية التي يستشعرها، وقد تبدت ثيمة تحدّ منفاه وعنصراً يتجاور مع ورودها، وهي تضم انفعالات أناه وتجليها في مدها الشعوري، وهي حالة تشف عن فكره الواعي وتصوراته، الشاعر هنا رسم صورة لحادث، يعبر عن حاجته للآخر: أو الأخرى في تطور الحكاية، ويمنح الإيجاز في النص بعدا خبريا يطوي هواجسه في جملة: من وحدتي، فمنح دلالة وافية ضمن مستوى القص لدلالة الوحدة ومايعتمل فيها من مشاعر.

ويقول:

- يسقطُ الثلجُ

على قلبي

في شوارع رأس السنة

وأنا وحدي

محاطٌ بكل الذين غابوا

- كل عام

الأذرعُ تتعانقُ

وأنا أحدّقُ

عبر نافذة المنفى

إلى وطني

كعصفور يرمي نظرتَهُ الشريدة

إلى الربيع

من وراء قضبان قفصه[٣١]

يتلاحم القول في هذا النص بالوحدة مع المنفى، وتَحُدّ وصفه لهما علائق خاصة في فضاء النص وترسيمه للأشياء المحيطة، التي تكتنف ملامح ذاته وتشير إلى تجليها عبر إدراك فني خاص، يتخذ أُسلوب يكشف عالمه الذي ينبثق من نتاجه الفني الذي يتولى الشاعر عبره التعريف بأناه، وما يكتنفها من هواجس، فيقدم لنا هذا النص جانبا من حياة الغربة، تتناوب فيها الحركة والسكون: يسقط الثلج/ أنا وحدي، الأذرع تتعانق/ أحدق، وهو ما اعتاد عليه في غربته الطويلة ووحدته فيها، وهو محاط بكل الذين غابوا وذكرياتهم مع اشتياقه لرؤية الوطن.

وفي (قصائد الرحيل) يقول:

ذئابٌ سودٌ

تتسلّقُ ذاكرتي

تنهش جثث الأيام المنسية

في الأرض الحرام

وتتركني

-كل مساء-

أعوي..

وحيداً

على ثلوج أوراقي

في منافي العالم

أتطلعُ إلى صور الأصدقاء

في ألبوم الحرب

وأحصي: كم قنينةً

سكبتُ-هنا، على طاولتي-

فوق حفر مقابرهم

التي سُوّيتْ على عجل (٣٢)

يتبدى القول بالوحدة والمنافي طاغياً في فضاء النص، ومعبراً عن ألم كبير ومحتوى يحتضن ذاته في شعوره باللانتماء للمكان وعلائقه مع الآخر المفقود في الآن من الزمان، إذ يرسم ملامح هذا المدى

عبر عناصر تتجه لكشفها والتعبير عن تجليها الكبير في واقعه، كونها ناتجاً لقوة فاعلة لا يستطيع التحكم بها، بالقول بـ: الذئاب السود، جثث الأيام، الأرض الحرام، منافي العالم، ألبوم الحرب.

وفي قوله:

بين أصابعنا المتشابكة

على الطاولة

كثيراً ما ينسج العنكبوتُ

خيوط وحدتي (٣٣)

تتجلى الوحدة في عالم خاص عبر مدى متوطن في كينونته، وعنصراً يتميز في هواجس وجودها وسراً يشفّ عن أصل متعلق بمستوى صلته مع الآخر، الموجود والمفقود في آن معاً، وكأن الوحدة قدر يتملكه ويشير إلى ملامح أناه وتفصيلاتها، بدون أو مع الأخرى. وفي قوله:

أقفُ أمام المرآة

لكي أرى وحدتي (٣٤)

تبدو الوحدة شيئاً ملموساً في النص الذي يحيل على عوامل نفسية قاهرة، تفتض عمق هواجسه في نظرته للأنا وتطلعاته نحوها، وتجلي خصائص يشير فيها إلى أن الوحدة عالمه الكامن الذي يحدد وجوده وكينونة هويته، من خلال المرآة ومايمكن أن تحويه من أبعاد متخيلة تتجسد بصورة الوحدة التي تعكسها.

المبحث الرابع: الحزن

تجلى الحزن في ديوان عدنان الصائغ (أسير أسيراً بدهشتي) بصورة طاغية في الذات، ليشير لملامح مستقرة في أناه وناتجاً للوحدة والشعور بالقلق والضياع، ومنه قوله:

هذه المئذنةْ؛

جسدٌ

ناعظٌ

من عذاباتنا،

يتوسلُ

للقبتين

أو...

.. الريح

-ح ح

أن تحضنه (٣٥)

يُعبر النص عن كمون العذاب وتجليه مادياً برمز يشف عن علوّه وبروزه وتمكنه واستقراره وتحوله إلى علامة متمركزة في الذات باستخدامه للمئذنة، فهي تمثيل يحيل على تمركزه في ذاته ويعبر عنه ماديا، فالتمثيل لا يقتصر على إيضاح صورة متجسدة إنما هو قد يفصح عن فكرة ذهنية، أو عن حادث ما ، إنه وسيلة من وسائل كشف المكنون في النفس. أما عندما يقول:

وجعي نَوْلٌ

ينسج القصيدة (٣٦)

يبدو الوجع مادة لنسج القصيدة، والوجع ثيمة بارزة في شعر الشاعر، وعالم يتلاحم معه وتنتج في مساراته تجربته الانفعالية الشعرية، عبر عناصر ومعطيات تتبنى كنه وجوده النفسي الخالص وهويته المفاضة من كمونها فيه، فيقول:

لا أحتاج إلى حبرٍ

لكتابة تاريخي

بل إلى دموع [٣٧]

الدموع دالة على حزن كبير وألم يصور مظاهر وجوده وما يفيض عنه من مشاعر، تحيل على تاريخه وتكشف عن مسارات نفسية وجوهرية تضمه، وتحتضن وجعه ووعيه به في مسارات بنية النص، و"بنية النص تتشكل وفق البنية الاجتماعية والذهنية للناص وتعكس الوسط الذي ينتمي إليه الكاتب إضافة إلى رؤيته للعالم" [٣٨]، فالدموع في هذا النص دلالة معروفة بوساطة معان متواضع عليها بين المرسل والمتلقي، تمثل مستوى انفعالي يكشف طبيعة الذات(وهو في هذا النص :الأنا) المسكونة بالحدث لإظهار مايعتريه من مشاعر.

ويقول:

أفتحُ ثلاجة أحزاني

أخرج قنينة عرق

وأشربها كلها

نخب أصدقائي المهاجرين

عبر الأنفاق

بلا وطن

ولا سجائر

ولا جوازات سفر

أرفع أنخابهم كأساً، كأساً

أو جثةً، جثةً

وحين أسقط عل الرصيف

من الثمالة

سيحملونني- في توابيتهم-

إلى البيت[٣٩]

يصرح الشاعر عبر استعانته بالاستعارة في قوله بثلاجة الأحزان في هذا النص عن ذاته للتعريف بها، عبر مدى يكتسب فضاءه من هواجسه، لتوصيف أهم روافدها وجدلية تجليها في الوجود، أما حينما يقول:

المطر الأبيض

وكذلك أحلامي

ترى هل تفرّق الشوارع بينهما؟

المطر حزين

وكذلك قلبي

ترى أيهما أكثر ألماً..؟

حين تسحقهما أقدام العابرين[٤٠]

يبدو التلاحم بين حزن المطر وحزن القلب علامة ترابط بين حديهما، ومحيطاً يشف عن علاقة وطيدة بين النص والواقع، تحمل ثناياها عمقه واتساعه وتفشيه بامتياز في ذاته، إذ إن إدراك الشاعر لحدوده وثقافته الكبيرة تنفتح على تجليات تدعم القول به وتفتح قراءة لأناه وما يكتنفها من مكامن، "وهكذا أصبحت العلاقة بين النص والواقع تفهم على نحو تحويلي: الواقع يُقرأ كنص له معناه بقدر ما تعامل الوقائع كعلامات ورسائل، وفي المقابل تعامل النصوص كوقائع لها فعلها وأثرها في تشكيل الواقع نفسه"[٤١]، عندما يقول:

أتركُ متسعا في صدري، لشجون أخرى

سوف تجيء

فهذا الزمن الآتي... لا يأتي

-قلْ عني المتشائم-

إلاّ بشجون أُخرى

أتركُ متّسعاً في آخر أوراقي..

لقصيدة حب.. قد تأتي

فالكلمات-ككل امرأة تركتْ موعدها وارتحلت-

قد تأتي...

أو.....

لا تأتي

- **من أين يجيء الحزن**

وقلبي، أوصدتُ جميع نوافذه

لكن الحزن... ((لعينٌ))

يتسلل أحيانا بثياب امرأة لا أعرفها

أو بكتاب ممنوع

أو بمواويل الغربة في ليلة صيف قمراء

من ذا سأقاسمه حزني...في هذه الساعة من آخرة الليل

ولا شيء سوى مصباحي الواني،

والبقّ...

وأحزان الدنيا تتكاثر كالطحلب،

فوق ضفاف دمي...

هذا الآسن.. في الزمن الآسن

لكني، لو أملك شيئا غير الشعر

لأطفأتُ المصباح..

ونمت! (٤٢)

الحزن في هذا النص مفتوحا على عمق الذات وذاكرتها ورؤيتها للآتي، ويتبنى الوعي بالآن ملامح الحزن المستقرة في أناه، إذ أصبح مادة تتعرّف بها ودالة عليها، وشعور الحزن

وانفعاله يبدو في فضاء النص صلة تتمثل وجدان الشاعر، وتبلغ مداها فيه عبر الصور والأفكار المحيلة لعالمه القاتم ، فيقول:

للحزن نافذةٌ- في القلب- سيدتي

وللمساءات.. أشعارٌ ومصباحُ

معتّقٌ خمر أحزاني.... أيشربهُ

قلبي، وفي كل جرح منه أقداحُ

تسافرُ الريح- ويلي- في ضفائرها

ومن يطارد ريحاً كيف يرتاحُ!؟ (٤٣)

وهكذا تجلى الحزن في نصوص المجموعة عبر بؤرة تفتح في الوجدان وتشفّ عن أزمان موجعة ومُعتقة، تأخذ مقترباً يرشح سمات الأنا في الآن ومكنونات وعيه في لحظته الشعرية المضيئة، التي تبنت مبعثه وتجليه نصياً حاملاً من الأنين والوجع لغة تؤرخها.

الخاتمة:

تجلى تعبير الشاعر عن هاجس الهوية للتعبير عن شعوره بذاته في مدى يحيل على كينونة الإنسان المتفردة، وشخصيته وكيانه المقفل على مظهر وجوهر لا يمكن أن يكون له مثيل بمختلف ملامحه الجسدية/ والروحية النفسية، وصراعاتها وتناقضاتها، بالقول بـ: الحياة وسرقتها، والآخر وما يفترضه عن الأنا، والقلق والخوف، والتوحد بين الذات والنص، وهواجس التشظي والتيه، والسجن ومشاعر الاختناق، والعجزومرارته، والتغير المستمر للوجود القائم، وعمق ارتباطه بالشعر وعالمه الواسع.

وتبدى التضاد واللاجدوى علامتان بارزتان في متن ديوان (أسير أسيراً بدهشتي)، وقد التزم القول بهما للإحالة على مواقف ووعي ومشاعر في صور تشير على قلق الشاعر ورؤيته لأناه وعلائقه مع الآخر والكون.

بينما تجلى القول بالوحدة والمنفى للتعبير عما ينتاب الأنا من مشاعر في غربته المكانية والروحية، ويفتح القول بهذين المسارين على ثورته، وتمرده، وخوفه، وقلقه، من الآني والآتي، وبدت فيه قيمه ورؤيته لمتغيرات الكون وعناصره وثقافته وإحساسه بها.

وتردد ذكر الحزن في الديوان بصورة طاغية، تشير لملامح مستقرة في الأنا وناتجاً للوحدة والشعور بالقلق والضياع، باستحضار المئذنة، والوجع، والدموع، وثلاجة الأحزان، وحزن المطر، والشجون، ونافذة الحزن.

الإحالات:

١) ينظر: الشعر والإبداع الفني، د.إسماعيل خلباص حمادي،١٤.

٢) أسير أسيراً بدهشتي كأني أحلق بجناحين من ريش قصيدة، عدنان الصائغ، قصائد قصيرة، ١٣.

٣) نفسه،٢٣.

٤) نفسه،٣٠.

٥) ينظر: الهوية والسرد، بول ريكور، ٦.

٦) الديوان،٤.

٧) تطور الشعر الحديث والمعاصر، د.عمر الدقاق، د.محمد نجيب التلاوي، د. مراد عبدالرحمن مبروك، ١٩٦.

٨) أسير أسيراً بدهشتي، ٦٤.

٩) نفسه،٦٦.

١٠)نفسه،٨٤.

١١)نفسه،٩٥.

١٢)نفسه،١٧٤.

١٣)نفسه، ٢١٦.

١٤)المدخل إلى علم الأدب، مجموعة من الكُتاب الروس، ترجمة، د.أحمد علي الهمداني، ٧٧.

١٥)أسير أسيراً بدهشتي،١٣.

١٦)نفسه،٢٤.

١٧)العقل الشعري (الكتاب الأول)، أسير أسيراً بدهشتي، خزعل الماجدي، ٩٩.

١٨)أسير أسيراً بدهشتي،٢٦.

١٩)نفسه،٦٦.

٢٠)الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك، ٦٤.

٢١)أسير أسيراً بدهشتي،٧٤.

٢٢)نفسه،٨٣.

٢٣)نفسه، ١١٨.

٢٤)السياق الثقافي وتحليل النص، بشير سعيد سهر المنصوري،٨.

٢٥)أسير أسيراً بدهشتي،٨.

٢٦)نفسه،١٢.

٢٧)نفسه،١٣.

٢٨)نفسه،٣١.

٢٩)الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، ٢٧٧.

٣٠)أسير أسيراً بدهشتي،١٠٣.

٣١)نفسه،١١٠.

٣٢)نفسه،٤٥.

٣٣)نفسه،١٦١.

٣٤)نفسه،١٦٥.

٣٥)نفسه،٧.

٣٦)نفسه،١٤.

٣٧)نفسه،١١٩.

٣٨)نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، ٧٢.

٣٩)أسير أسيراً بدهشتي، ١٣٣.

٤٠)نفسه،١٤٢.

٤١)هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، د. علي حرب ، ٢١.

٤٢)أسير أسيراً بدهشتي،٢٠٩.

٤٣)نفسه، ٢٢٤.

المصادر:

- أسير أسيراً بدهشتي كأني أحلق بجناحين من ريش قصيدة، عدنان الصائغ، قصائد قصيرة، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠١٥.
- تطور الشعر الحديث والمعاصر، د.عمر الدقاق، د. محمد نجيب التلاوي، د. مراد عبدالرحمن مبروك، دار الأوزاعي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- السياق الثقافي وتحليل النص، بشير سعيد سهر المنصوري، مجلة أبحاث البصرة(الإنسانيات)، كلية التربية، جامعة البصرة، العراق، مج٣٠،ع(٢–أ)، السنة، ٢٠٠٦.
- الشعر والإبداع الفني، د.إسماعيل خلباص حمادي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مج٣، ع٤، آيار، ٢٠٠٧م، جامعة واسط–كوت، العراق.
- الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.

- العقل الشعري، الكتاب الأول، خزعل الماجدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.
- المدخل إلى علم الأدب، مجموعة من الكُتاب الروس، ترجمة، د. أحمد علي الهمداني، دار المسيرة، عمّان– الأردن، ط٢، ٢٠١٠م.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر– العاصمة، ط١، ٢٠٠٧م.
- هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، د. علي حرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- الهوية والسرد، بول ريكور، ترجمة: حاتم الورفلي، دار التنوير، تونس، ط١، ٢٠٠٩.
- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.

دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا

أ.م.د: محمد جارالله توفيق
الجامعة التقنية الوسطى
قسم تقنيات التصميم الداخلي
mohammed.tawfiq1970@gmail.com

الملخص

إن فاعلية دور الثقافة التصميمية تبدأ ببناء نظام الفكرة التصميمية ، إذ يسعى المصمم الداخلي جاهداً ليجسد ذلك من خلال اعتمادهٌ على قواعد بنائية تُشكل بمجملها نظاماً تصميمياً متطوراً ضمن البيئة الداخلية .ذلك لان مهارة القدرة التصميمية تعد من الوسائل التعبيرية التي تقوم بإيصال رسالتها الى المتلقي، لذا يتوجب على المصمم الداخلي بحسب ظرف جانحة كورونا أن يتبع في آليات خطابه التصميمي الثقافي أنموذجاً محدداً لكي يحقق الهدف المطلوب نحو بنائية التصميم الداخلي . ومن هنا فإن ذلك لا يتم دون قدرة ومراس ووعي بالعملية التصميمية.، لذلك كان لابد من دراسة هذا الموضوع المتكون من أربعة فصول ..فبالنسبة للفصل الاول أعتمد الباحث من خلال صياغة مشكلة البحث التي تتلخص بالتساؤل الاتي: ما هو دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا ؟ في حين تكمن أهمية البحث في تطوير كفاءة العاملين في تصميم البيئات الداخلية وفق ظرف جانحة كورونا، فضلاً عن رفد الجانب المعرفي بدراسة حديثة وتطويرية لتصاميم تتلاءم مع ظرف جانحة كورونا، وعلى ضوء ذلك ركز الباحث هدف البحث في تحديد مرتكزات دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا ، بينما أعتمد الفصل الثاني الى دراسة أولاً: ثقافة البيئة التصميمية وثانياً: مرتكزات فاعلية دور البيئة التصميمية في بناء التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا، بينما تضمن الفصل الثالث في تحديد موضوع اجراءات البحث والمتمثلة بمنهجية البحث المعتمدة على المنهج الوصفي التحليلي بينما تركز مجتمع البحث الى اعتماد أسلوب الانتقائي القصدي واخيراً تضمن الفصل الرابع استخلاص نتائج البحث .

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التصميم ، الثقافة التصميمية، هندسة التصميم الداخلي

The role of design culture according to the circumstances of the Corona pandemic

Assistant Professor Dr. Muhammad Jarallah Tawfiq

Central Technical University

mohammed.tawfiq1970@gmail.com

Abstract:

The effectiveness of the design culture role begins with building the design idea system, as the interior designer strives to embody this through his reliance on constructive rules that constitute a whole advanced design system within the internal environment, because the skill of design ability is one of the expressive means that convey its message to the recipient, so The interior designer, according to the circumstances of the Coronavirus pandemic, must follow in the mechanisms of his cultural design discourse a specific model in order to achieve the desired goal towards the construction of interior design Hence, this does not happen without the ability, conscientiousness and awareness of the design process. Therefore, it was necessary to study this topic, which consists of four chapters .. As for the first chapter, the researcher adopted by formulating the research problem that is summarized by the following question: What is the role of design culture according to the circumstance of the Corona pandemic ? While the importance of research lies in developing the competence of workers in designing internal environments according to the circumstances of Corona pandemic

In addition to providing the knowledge side with a modern and development study of designs that are compatible with the circumstance of the Corona pandemic, and in light of that, the researcher focused the goal of the research in determining the foundations of the role of design culture according to the circumstances of the Corona pandemic, while the second chapter was adopted to study first: the culture of the design environment and secondly: the pillars of the effectiveness of the role The design environment in building the interior design according to the circumstance of Corona delinquency, while the third chapter included defining the topic of the research procedures represented by the research methodology based on the descriptive analytical approach, while the research community focused on adopting the intentional selective method, and finally the fourth chapter included extracting the results of the research.

الفصل الاول

مشكلة البحث والحاجة الية

١-١مشكلة البحث

إن نجاح المصمم يتوقف على حسن اختيارهٌ لآليات الفعل التعبيرية لكفاءة البيئة التصميمية وقدرتها العالية للتعبير عن هندسة التصميم الداخلي إذ يسعى المصمم الداخلي جاهداً ليجسد ذلك من خلال اعتمادهٌ على قواعد بنائية تُشكل بمجملها نظاماً تصميمياً متطوراً. ويظهر ذلك من خلال علاقة تنوع ثقافات التصاميم لمحددات الفضاءات الداخلية ، علاقًة يتم من خلالها التوافق والتفاعل بين العناصر الظاهرة والكامنة مؤدياً بالمحصلة الى ظهور المدلولات الحسية الكامنة وحضورها ذهنياً وبقوة ضمن البيئة التصميمية .معتمداً أيضاً على ضرورات وظيفية و شكلية و تعبيرية وذلك للتغير من تصميم هندسة الفضاء الداخلي مع ظرف جانحة كورونا وكذلك أيضاًمن اجل استثارة المتلقي من خلال اكتمالها جمالياً. لذلك فأن مهارة ثقافة القدرة التصميمة تبدأ ببناء نظام الفكرة التصميمية ،

إن دور ثقافة القدرة التصميمية في بناء البيئة التصميمية تعد من الوسائل التعبيرية التي تقوم بإيصال رسالتها الى المتلقي، لذا يتوجب على المصمم الداخلي أن يتبع في آليات خطابه أنموذجاً محدداً لكي يحقق الهدف المطلوب. ومن هنا فإن ذلك لا يتم دون قدرة ومراس ووعي بالعملية التصميمية.

.. ومن خلال اطلاع الباحث على العديد من الفضاءات الداخلية ذات البيئة التصميمية ، أتضح وجود مبادئ كامنة إدراكية تؤدي إلى فاعلية القدرة التصميمية مما يؤدي الى زيادة قوة تأثيرها على المتلقي وهذا مما قادنا الى التساؤل الآتي:-

ما هو دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا؟

١-٢أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إنه: -

١- يسهم في تطوير قدرة ثقافة الباحثين في بناء هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا .

٢- يرفد البحث بدراسة حديثة وتطويرية لثقافة هندسة التصميم الداخلي.

١-٣ هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الى تحديد مرتكزات دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا

١-٤حدود البحث :

١_الحد الموضوعي: دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جائحة كورونا

٢_الحد المكاني والزماني : الفضاءات الداخلية الحديثة والمتمثلة ب(بغرف المعيشة للمنازل السكنية الاوربية) المنفذة للفترة ٢٠١٧-٢٠٢٠م

١-٥ تحديد المصطلحات :

الثقافة: وهي التعبير عن طاقات والرغبات الكامنة ذات الإمكانيات الادائية العالية ضمن مضمون فكري نابع من مادة الموضوع التي يؤديها المصمم من أجل تحقيق الاخراج والاظهار النهائي.(٩، ٩٥ص) وهو أيضاً الطريق الذي يعتمده المصمم في التعبير عن طاقاته ورغباته الكامنة من زاوية ديناميكية، بوصفها وسيلة أساسية لبعض الغايات التصميمية .ذات الإمكانيات الادائية والجمالية والنفعية ، (١٥،ص١٣٠٤)

التصميم : هو الصياغة الشكلية لمخطط موضوع سلفا والذي يتحقق من خلال تقنيات الذي تؤدي بدورها انعكاسات جمالية.(١١ ،ص٣٧)

هندسة التصميم الداخلي : هو جملة من العلاقات المدركة والمتجسدة تجسيداً فيزيائيا بحيث تكون ذات شكل ومعنى محددة ،كما تمثل بكونها أنظمة معبرة عن أهداف وظيفية وجمالية ضمن منظومة التصميم الداخلي (٦ ، ص٥٥)

الفصل الثاني

الاطار النظري

٢-١ الثقافة التصميمية

يسعى المصمم الداخلي قدر الامكان وفق ظرف جانحة كورونا الى توجيه انظار المتلقي نحو اهم العناصر الفاعلة في الفضاء الداخلي من خلال اعتماد معالجاته التصميمية بما ينسجم مع وذلك على مستوى جاد من الوضوح، لذلك يعتبر تميز ثقافة التصميم لهندسة البيئة التصميمية هو احدى المعالجات المؤثرة في ايجاد الجاذبية والتشويق اذ لابد للمصمم ايجاد طابع مميز للإثارة الحسية

التصميمة وذلك لكونها لها تأثير مباشر على ادراك المتلقي(١٨، ص٣٦٥)، كذلك يحقق الوضوح من خلال استخدام المبادئ التصميمية التي تبرز فيها معاني معروفة ومألوفة بين الناس، فالوضوح في ثقافة التصميم يعني تضمنه المعاني الواضحة ،السهلة الفهم والتعريف(23 p.60,)،وهو احدى الخصائص والصفات المظهرية للإثارة الحسية التي ترتبط بالتعبير والنظام التصميمي. كما يكون للتدرج في التصميم الداخلي تأكيده ووجوده وذلك بحسب الأهمية النسبية للعناصر، (١١ ،ص١٠) وذلك لما يتضمنه من مكونات تصميمية ، تساهم على اظهار الفضاء الداخلي بتتابع منطقي ضمن هندسة التصميم الداخلي،(351 p , 25).أن دور الثقافة التصميمية يتم إدراكها من خلال التكوينات التصميمية التي تضم هذه العناصر ضمن الحقل البصري(p.88, 5 2) والتي تقوم على أساس حصول التفاعل بين المُتلقي وبين ما يقوم بإدراكه والذي يعتبر هو امتداد من الأبعاد أو المسافات بحيث يكون ملون ومظلل أو مضاء ضمن المساحة المحددة من لهندسة التصميم الداخلي، وقد يحوي أيضاً على ملمس ومكون من سطوح، وحافات، وهيئات وتداخلات ضمن هندسة التصميم الداخلي، وفي النهاية فهو مكون من أشياء لها معنى(١١،ص١٠٧) وعليه يعتمد هذا بالأساس على دراسة التمييز للصفات الإدراكية الحسية ،معتمداً على توزيع المساحات وفق نظم هندسية ذات العلاقات التصميمية. مع الاخذ بنظر الاعتبار دراسة طبيعة الناتج التصميمي ضم البيئة التصميمية الخاضع الى ترتيب معين والذي يبرز من خلالها الاحساس في كل أجزاء التصميم(٧، ص٤٨) .حيث تصف هذه الخاصية في طبيعة محتواها عن النظام التصميمي المكون والتي أظهرت (كنتاج تصميمي) لها تأثير مباشر على هيكلية بنائية هندسة التصميم الداخلي، ويعتمد ذلك على اختيار الموقع المحدد لها ضمن اجزاء معينة من التكوين التصميمي ، فضلاً عن دراسة التقسيم المكاني للفضاءات الداخلية والذي يعتمد على اختيار الاشياء التي تمتلك احجاماً تناسبية مقبولة(٦ ،ص ٨٠). معتمداً على دراسة التنوع في التقسيم المساحي لتصاميم الفضاءات الداخلية، من خلال مراعاة توزيع مراكز تناسب الجذب البصري لتصاميم التكوينات التصميمة(٦ ،ص٤٤).هذا بالإضافة الى مراعاة قواعد النسب الصحيحة ضمن البيئة التصميمية لإظهار القيم الجمالية ضمن هندسة التصميم الداخلي

٢-٢ مرتكزات فاعلية دور الثقافة التصميمية في بناء هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جائحة كورونا

أن دور الثقافة التصميمية تنعكس من خلال الغاية بشكل مضمون فكري نابع من مادة الموضوع وفق ظرف جائحة كورونا، والذي يرتبط بمفهومين رئيسين اولاً: إيصال المعاني الجمالية من خلال

التنظيم الشكلي المجرد وثانياً: إيصال المعاني الرمزية من خلال إعطاء المعنى للأشكال ،وبصورة عامة فأن دور الثقافة التصميمية في بنائية هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا قد تمتلك مقومات بقائها من خلال المواضيع الثلاثة الآتية:(مادة الموضوع – العلاقات الجمالية للأشكال(بوصفها مميزات حسية) – والرموز (بوصفها مميزات فكرية وعاطفية) (١٤،ص٥٧).كما أن دور الثقافة التصميمية يعتمد أيضاً على الاداء الوظيفي ، ولا يتحقق إلا برؤيا ذهنية تتنامى وفق مستوى الانجاز.(٨،ص ١٩–٢٠.) ،لذلك يسعى العديد من المصممين وفق ظرف جانحة كورونا الى بلورة ادراك الفعل التصميمي ،وبهذا فقد أرتبط المعنى لمهارة بناء الثقافة التصميمية ضمن حركات تصميمية متعددة وذلك لما تحمله من المعنى الحقيقي للوظيفية. إذ لا يمكن لأي شكل في هندسة العمارة أو هندسة التصميم الداخلي أن يؤول أو يفسر كفعل إلا بمعنى(26.p113) ، كما أن التعبير عن وظيفة بنائية هندسة التصميم الداخلي على مستوى فاعلية الثقافة التصميمية هو بحد بذاته أحد وظائف التصميم الداخلي، إذ يتوافق ذلك مع دراسة طبيعة تصميم الفضاء داخلي من خلال تأكيد ماهيتها وبناء معطياتها الشكلية التي يجب ان تتوسم بالوضوح في التعامل مع الأشكال المتنوعة المحيطة بها ،كما أن القصد من دور الثقافة التصميمية في تكوين بنائية هندسة التصميم الداخلي هو تحقيق الوظيفة الاستعمالية النافعة، فهناك مجموعة وظائف أساسية للفضاء الداخلي وهي تحقيق(وظيفة الاتصال: والتي تكون بين التكوينات الشكلية والمتلقي. وكذلك وظيفة التعبير والتي تمثل تعبير المصمم عن ذاته، أو عن الحدث من خلال الرموز، أو عن كليهما بالإضافة الى الوظيفة الجمالية والتي تبرز من مجموع الوظيفتين أعلاه.(١٢، ص٩٩).

أن تأويل مفهوم دور الثقافة التصميمية ضمن تكوين هندسة التصميم الداخلي قد تتسع وتتفق بشكل إقناعي مرتقيه بنفسها ضمن البيئة الداخلية المألوفة حاملةً معها مبدأ التغير والتبديل من خلال أفعالها التصميمية غير التقليدية منذ اللحظة الأولى لرؤيتها من خلال المتلقي والتي تمتلك ضمن مقوماتها التصميمية من خلال علاقات ارتباطها الوثيقة بين التصميم والنظام الهندسي للبيئة التصميمية ،أذ يعد التصميم من اساسيات الشكل الفني ،وعليه ان التشكيلات الهندسية تعتبر مظهر من مظاهر مهارة الثقافة التصميمية على مستوى القياس والتقسيم ،لذا جرى الاعتماد عليها في العديد من الصيغ التصميمية القائمة وذلك لتحقيق وحدة اتزانها المبني على أساس التناسب الهندسي (٢،ص٢١٢). كما جرى بلورتها الى تصنيفات متعددة لتكون مناسبة في تنظيم تكويناتها ومكوناتها البنائية من أجل تحقيق افضل مستوى ممكن من الاتقان والفعالية التصميمية ،ولعل من ابرز مرتكزات

فاعلية دور الثقافة التصميمية في بنائية هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا هي كالاتي :

١_ تصميم الوحدة الاساسية وتوزيعها ضمن مساحات مدروسة بما يحقق لمساحة البيئة التصميمية الاساسية نسيجاً تصميماً متصلاً ومتناغماً (١٠،ص٥٤-٥٥) مع اعتماد أساليب عدة في التقسيم المساحي ضمن تكوينات نباتية خضراء يعتمد في توزيعها بغية إحداث توزيعها ضمن المساحة المخصصة لها بصورة منسجمة ومتناسقة مع البيئة الداخلية الخضراء ،ومن هذه النظم هي كالاتي:

أ_ ان تتجاور وحدات التكوينات الاساسية ضمن اضلاع مشتركة وفي جميع الجهات (١٠،ص٥٥) بحسب تصميم التكوينات اللونية الخضراء.

ب_ ان تتناوب وحدات التكوينات التصميمة الهندسية الاساسية داخل البيئة التصميمية المخصص لها وهذا يعتمد على دراسة التتابع المتسلسل والمتطابق في تكوينها، كما يتطلب المعرفة الجيدة في طرائق التوافق وعلاقات التناسب الجمالية المتوافقة للتصميم العام (٢٠،ص ١٤٠-١٤٤)،فضلاً عن التبادل والاختلاف في المعالجات اللونية وذلك لإحداث التنوع المظهري وتفعيل الاثراء الجمالي للبيئة التصميمية الخضراء .

ج_ أن تتكرر وحدات التكوينات الاساسية ضمن اتجاه واحد أو ضمن عدة اتجاهات بشكل متناوب مرة الى الاسفل واخرى الى الاعلى ضمن صورة عكسية (١٩،ص ٥٥-٥٦)

٢- اعتماد المصمم الداخلي الى فاعلية البيئة التصميمية باستخدام الافاريز والاطر ،ضمن خطين متوازيين وذلك لتحديد السطوح والاحاطة بها او الفصل بينها (١٦،ص٢١٧) وبما يتلاءم مع التكوينات النباتية الخضراء

٣-استناد المصمم الى مبدأ تدرج الاهمية في التنظيم الشكلي وبما يتناسب مع بنائية البيئة الداخلية (٨،ص٣٥٥) مع دراسة نسق الوحدة التصميمية للمحددات الداخلية مع الانتظام الذاتي على النحو الذي يفضي أي تغير في ذاتية النسق الكلي وذلك بالنسبة لمستوى معين من مستوى تلك المحددات الداخلية(١٣،ص٢٨٩)،مع اعتماد التجزئة المساحية على هيئة تكوينات نباتية خطية .فضلاً عن اعتماد المغايرة اللونية والشكلية لمفردات كل تكوين تصميمي مع الاستناد الى التدرج في حجم المفردات من الاصغر الى الاكبر

٤_اعتماد المساحات والحجوم الهندسية وشبه الهندسية والتي تشكل بدورها مركز الثقل البصري للناظرضمن هندسة التصميم الداخلي والذي يقوم المصمم بتقسيمها هي الاخرى الى مساحات وحجوم

ثانوية هندسية بحيث انها تستوعب المفردات والوحدات التصميمية داخل الاطار المكاني المحدد لها. (٥،ص٣٥٢)

٥_ لغرض الحصول على توزيع تصميمي منتظم ومتناسق ينم عن وحدة تصميمية لابد للمصمم من مراعاة عدد من الاعتبارات ،ومنها أن يراعي التوازن بين والمساحات التصميمية مع النسب المقبولة جمالياً، وان يتم أيضاً توزيع المساحات بحيث تحقق للعمل التصميمي وحدة السيادة والتنوع والترابط المظهري لجميع الاجزاء فضلاً عن توزيع المساحات الفاتحة والقاتمة سواءً الناشئة عن لون المادة أو تلك الناشئة عن تأثير كل من الاضاءة والظلال والتي تساهم في إثارة ٱلإحساس بالعمق الفضائي ،كما يجب ان يتفق توزيع المساحات التصميمية مع الهدف المطلوب في العمل الفني بما يتضمنه من سيادة درجات الوان معينة كما يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار العلاقات بين المساحات مع بعضها (٢،ص١٦٧)

٦_ اعتماد التعددية التصميمية بين كل مستوى محدد من المحددات الداخلية للبيئة التصميمية ،(وبما يضمن تحقيق الجمالية من خلال تفاعل الصفات الشكلية على مستوى التكوين المساحي الواحد ،بغية الحصول على تباين عالي ضمن كل تكوين تصميمي من حيث (الخط، الشكل ، اللون ،الخامة ،الملمس ،القيمة الضوئية)(. p.62, 24)

٧_غالباً ما تعالج التكوينات التصميمية الخاصة بالمحددات الداخلية من حيث الشكل والصفات المظهرية ليكون بالنتيجة الوحدة التصميمية (١١،ص٣٨). كاعتماد تكوينات ذات صفات هندسية مظهرية متنوعة ضمن البيئة التصميمية

٩_الاعتمادعلى اختيار فاعلية التنوع الشكلي المظهري ضمن أنواع من التكوينات النباتية الخضراء بحسب المساحة المراد اشغالها بالتكوينات التصميمية .

١٠_ استخدام تقنيات ذات خامات متنوعة تنسجم مع هندسة التصميم الداخلي كالمرمر والخشب والحجر وذلك ضمن أظهارات جديدة وفق منجزات تعتمد على المغايرة بين أجزاء الوحدة التكوينية ،فقد يعتمد المصمم الى اتباع أساليب تقنية متنوعة كأسلوب البارز والغائر أو اسلوب التخريم (١،ص١٣). ضمن البيئة التصميمية

١١_ اعتماد التراكيب الهندسية المحكمة والتي تنشأ من تقاطع الخطوط والتكوينات المستقيمة القابلة للتجزئة المساحية ضمن جميع الاتجاهات كتكرار النماذج النجمية (١٨،ص٩) .بحيث تترابط مع التكوين التصميمي لهندسة التصميم الداخلي

١٢_ ان تمتاز البنية التصميمية المساحية ضمن البيئة التصميمية على دراسة الانسيابية والتتابع والتسلسل في توزيع التكوينات النباتية الخضراء ، مع الابتعاد عن التعقيدات والتداخلات الشكلية النباتية الامر الذي يحقق انسيابية قراءتها بسهولة ،مع دراسة الفراغات ضمن كل تقسيم مساحي.

١٣_ أن يؤخذ بنظر الاعتبار دراسة التقسيم المساحي للتكوينات الهندسية والذي يعتمد على تنظيم محاور التجزئة للمساحات بشكل متجانس ومتناسب ضمن هيكلية العمل التصميمي بحيث يضيف كل جزء من أجزاء المحددان الداخلية معناً تعبيرياً ،كما يراعي المصمم الداخلي الى دراسة التقسيمات الاتجاهية وذلك لتحقيق تنوع اتزاني وتقسيم (أتجاهي –فضائي)ناشئ عن احداث المعالجات التناسبية بين الكل والجزء بين الاشكال التصميمية المساحية المحددة لها (١٧،ص٢٤)

١٤_ دراسة التقارب والتشابه في الوحدات التصميمية المتقاربة نسبيا بحيث انها تدرك كمجموعة تصميمية واحدة (١٢،ص٢١-٢٢)مع اعتماد دراسة الشكل والمساحة واللذان يشكلان تلازماً كل منهما للأخر ضمن تكوين العملية التصميمية .اي بمعنى دراسة وحدة نسق مدروسه لخدمة الشكل العام (٩،ص٨٣) وبذلك يكون التصميم ضمن عدة أشكال فقد يكون تقسيم الفضاء التصميمي الى محاور افقية وعمودية او قد يكون تقسيم الفضاء التصميمي الى محاور متقاطعة.

١٥_ اعتماد الابعاد القياسية المدروسة لكل مستوى من مستويات هندسة التصميم الداخلي بما ينسجم مع مستويات التكوينات النباتية الخضراء مثلاً وذلك من اجل تحقيق اعلى إفادة ممكنة من عملية تجزئتها الى مساحات اصغر ،والتي يفرض من خلالها نظام أساس تحدد بموجبه العلاقات المكانية ضمن البيئة التصميمية المحدد لها من قبل المصمم الداخلي او المعماري .

الفصل الثالث

٣-١منهجية البحث واجراءاته:

نظراً لطبيعة البحث فقد أعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي ،وهو احد مناهج البحث العلمي وذلك للتعرف على دور الثقافة التصميمية وفق ظرف جانحة كورونا ،ذلك لان هذه الدراسة تتطلب معرفة بكافة تفاصيلها معتمداً بالدرجة الاساس على الاطار النظري وصولاً الى تحقيق شامل لهدف البحث وذلك من خلال دراسة :

١- الثقافة التصميمية

٢- مرتكزات فاعلية دور الثقافة التصميمية في بناء هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا

٣-٢ مجتمع البحث وعينته :

بما ان الدراسة دور الثقافة التصميمية في بناء هندسة التصميم الداخلي وفق ظرف جانحة كورونا ، فقد تم اعتماد الاسلوب الانتقائي القصدي (للفضاءات الداخلية والمتمثلة بغرف المعيشة للمنازل السكنية الكبرى الاوربية)،حيث كانت عينة البحث كالاتي:

الانموذج الاول : غرفة معيشة لمنزل سكني في هولندا

الانموذج الثاني : غرفة معيشة لمنزل سكني في كندا

الانموذج الثالث : غرفة معيشة لمنزل سكني في بريطانيا

وقد تم اختيار هذه العينات وفقاً للمبررات الاتية :

١_ اعتماد التنوع في اختيار تصاميم المحددات الداخلية، فضلاً عن مستوى التنوع في استخدام تقنيات متنوعة في طريقة تنفيذها وبما ينسجم مع هندسة التصميم الداخلي .

٢_ان هذه النماذج المنتخبة تم تصميمها بشكل مدروس على مستوى تنوع البيئة التصميمية .

تحليل الانموذج الاول : غرفة معيشة لمنزل سكني في هولندا

لقد اظهرت الأوزان البصرية دورها الفاعل من خلال مواد الانهاء التي كان لها تأثيرات مميزة للإحساس بمهارة بناء الثقافة التصميمية ، كما أضافت الاشكال التصميمية انطباعات اضافية الى هندسة التصميم الداخلي لاسيما في اتجاهاتها الخطية والمنحنية والتي ساعدت في توجيه النظر الى الفضاء الداخلي مع الاحساس بالاتساع من خلال دراسة الالوان ومواد الانهاء المستخدمة ،مما اعطت مرونة كافية لعمل تشكيلات متنوعة، فضلاً عن مساهمتها في جذب النظر إليها من قبل المتلقي ينظر للشكل رقم(٢)، كما أعتمد مهارة الإرادة التصميمية للمصمم الداخلي على المحددات الداخلية العمودية ذات المستويات بما تتضمنه من نباتات خضراء مما اعطى الاحساس بالحرية والانفتاح ينظر للشكل رقم (١) ، فضلاً عن الاختلافات التي تظهر في مستويات ارتفاعات السقف

ذات التقسيم المساحي ضمن الفضاء الداخلي الواحد مما ساعد في الجذب بصري مع تحديد حدود الحيز الفضائي ، ينظر للشكل رقم (٢)

إن التغيير الذي احدثه الثقافة التصميمية ، قد أظهرت قدرتها على إمكانية التحديد والتعريف بالحدود الحيزية والتمايز بين المساحات المتجاورة ، مما أضاف بالنسبة لهذا التصميم كعنصر وفعل وظيفي يؤثر في إضاءة الفضاء الداخلي بل وأصبح أيضاً عاكساً للضوء ، ومن ثم الإحساس بأتساع المكان. والواقع ان الثقافة التصميمية قد ساهمت الى حد كبير في الادراك الحسي الذي تم ادراكها من خلال دراسة المصمم الداخلي للبيئة الداخلية الخضراء وخلفياتها ضمن مستويات المحددات الداخلية والتي تدرجت من أبسطها شكلياً والمتمثلة بمركزها التصميمي. ينظر للشكل رقم (٢)،كما تم معالجة مشكلة أيضاً ارتفاع التجزئة المساحية للسقف عن طريق جعل مادة إنهاء السقف ذات الالوان الفاتحة تمتد إلى مسافة معينة ،كما تم توظيف أسلوب المعالجات البصرية ضمن البيئة التصميمية ، من خلال التلاعب بخصائص التكوينات الشكلية وذلك لإحداث تغييرات ظاهرية مع إعطاء اتجاهية معينة لها مما ساهم الى بلورة ادراك فعل المبدأ الانتفاعي الى معنى حقيقي تصميمي ووظيفي بشكل مضمون فكري نابع من مادة الموضوع ،والمتضمنةإيصال المعاني الجمالية من خلال التنظيم الشكلي المجرد مع إعطاء معنى الاحتوائية للأشكال ذات التكوينات الهندسية والحرة بوصفها مميزات حسية لتمثل تعبيرية المصمم عن ذاته والذي توافقت من خلال تأكيد ماهيته وبناء معطياتها الشكلية التي اتسمت بالوضوح في التعامل مع الأشكال المتنوعة المحيطة به . ينظر للشكل رقم (١)،كما منحت المصمم الداخلي حرية اختيار الشكل المكمل للفضاء فضلاً عن حرية التنويع في ارتفاعات الفضاء مع حرية تثبيت تراكيب الإنارة والخدمات التكميلية وبذلك اعتمد المصمم على تحقيق التنوع البصري ووضع نوع من الموازنة من خلال جمع هذه التكوينات مع بعضها مما أضاف متعة بصرية أكثر من كون رؤية هذه الأشكال مُنفردة ينظر للشكل رقم (١)، فضلا لما أظهرته الثقافة التصميمية من عنصر المفاجأة والتشويق وذلك باستخدام خامة المرمر مما عزز البُعد الفضائي الذي توازيه وذلك بتوجيه حركة العين نحو امتدادها، كما أن تأويل الدلالات الانعكاسية لمفهوم القدرة التصميمية قد أتسعت مرتقيه بنفسها ضمن البيئة الخضراء المألوفة المحيطة بها حاملةً معها مبدأ التغير ضمن نظام تصميمي هندسي مدروس وذلك باعتماد القياس والتقسيم ضمن صيغ تصميمية قائمة في تحقيق وحدتها ،مع اتزان الثقافة التصميمية للبيئة الخضراء على أساس التناسب الهندسي لذا فقد جرى بلورتها الى فعل ذات تصنيفات متعددة من حيث التجزئة والتقسم المساحي لتكون مناسبة في

تنظيم تكويناتها ومكوناتها البنائية ،الامر الذي حقق افضل مستوى ممكن من الاتقان والفعالية للبيئة التصميمية ،كذلك نلاحظ ان هناك العديد من المقومات التي حققت على أثرها بناء الثقافة التصميمية وهي خاصية التكرار الذي حققت هي الاخرى للمساحة التصميمية الاساسية نسيجاً تصميماً متصلاً ومتناغماً مع اعتماد عدة نظم في التكرار بغية إحداث توزيعها ضمن المساحة المخصصة لها بصورة منسجمة ومتناسقة ، فضلاً على التتابع المتسلسل والمتطابق في تكوينها، وذلك للحصول على التكوينات المتوافقة ضمن التصميم العام ينظر للشكل رقم (١)،مع التركيز على تدريجية السيادة المظهرية ضمن فاعلية التنوع الشكلي المظهري وذلك باستخدام تقنيات بخامات اظهارية متنوعة لغرض الحصول على المغايرة بين أجزاء الوحدة ضمن أساليب تقنية البارز والغائر ضمن البيئة التصميمية كذلك اعتمدت التراكيب الهندسية المحكمة والتي تحققت من خلال تقاطع الخطوط والتكوينات المستقيمة والمنحنية، فضلاً عن اعتماد الوحدة التكوينية والوضوح والابتعاد عن التعقيدات والتداخلات الشكلية ، كذلك نلاحظ اعتماد التعددية التصميمية والتباين بين كل مستوى محدد . ينظر للشكل رقم (١) ضمن البيئة التصميمية، كما اعتمد المصمم الداخلي الى استخدام الاطر وذلك لتحديد السطوح ولأبد من الاشارة الى اعتماد المغايرة اللونية والشكلية لمفردات كل تكوين تصميمي مع الاستناد الى التدرج في حجم هندسة المفردات التصميمية ، مع اعتماد الفصل ضمن علاقات الجزء بالجزء أو الجزء بالكل وذلك وفق تقسيمات رياضية وهندسية تنظيمية بحسب مساحة البيئة التصميمية الخضراء ،كذلك نلاحظ دراسة نسق الوحدة التصميمية الداخلية مع مراعاة التوازن بين المساحات وقواعد النسب المقبولة جمالياً في توزيعها بحيث انها حققت للعمل التصميمي وحدة السيادة والتنوع والترابط المظهري لجميع الاجزاء فضلاً عن توزيع المساحات الفاتحة والقاتمة أو تلك الناشئة عن تأثير كل من الاضاءة والظلال مما إثارة ٱلإحساس بالعمق الفضائي ،كما استند المصمم الى مبدأ تدرج الاهمية وذلك للحصول على التسلسل القرائي الصحيح، ينظر للشكل رقم (٢)،كذلك فان دراسة التنظيم اللوني بالنسبة لمستويات محددات البيئة التصميمية الخضراء كان مقبولاً ،فضلاً عن امكانية هذا التنظيم في تحقيق الوحدة عن طريق الهيمنة، فضلا عن دراسة التقارب والتشابه والوضوحية في الوحدات التصميمية المتقاربة نسبيا ضمن البيئة التصميمية بحيث انها أدركت كمجموعة واحدة ، مع اعتماد دراسة الشكل والمساحة واللذان يشكلان تلازماً كل منهما للأخر ضمن تكوين العملية التصميمية .اي بمعنى دراسة وحدة نسق منظم لخدمة الشكل التصميمي العام ضمن البيئة التصميمية الخضراء .



شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)

تحليل الانموذج الثاني :غرفة معيشة لمنزل سكني في كندا

لقد استند المصمم الداخلي الى مبدأ تدرج الاهمية في التنظيم الشكلي للتجزئة المساحية ضمن هندسة التصميم الداخلي ما بين المحددات العمودية وذلك للحصول على التسلسل القرائي الصحيح للبيئة التصميمية الخضراء ينظر للشكل رقم (٣)،كما أن تأويل الدلالات الانعكاسية لمفهوم القدرة التصميمية قد أتسعت بشكل افتراضي إقناعي والذي توافقت مع دراسة المصمم الى طبيعة تصميم البيئة التصميمية الخضراء من خلال تأكيد ماهيتها وبناء معطياتها الشكلية التي اتسمت بالوضوح في التعامل مع الأشكال المتنوعة المحيطة بها ضمن نظام تصميمي هندسي يتلاءم مع ثقافة البيئة التصميمية الخضراء ينظر للشكل رقم (٣).الامر الذي حقق صورة إداء عمل، ذات رؤيا ذهنية تتنامى تدريجياً وفق مستوى الانجاز مما ساهم الى بلورة ادراك فعل المضمون الفكري النابع من مادة الموضوع التصميمي ،مع الاستناد الى التدرج في حجم الوحدات التصميمية ضمن مساحات وحجوم هندسية وشبه الهندسية والتي كان لها تأثير واضح على كل ما يجري عليها من علاقة الجزء بالجزء أو الجزء بالكل مع اعتماد الفصل ضمن تكوينات المستويات والتي حققت نظام أساسي تحددت بموجبه العلاقات المكانية التي بنُيت عليها هيئات التكوينات المساحية ذات التنوع المظهري داخل البيئة التصميمية . ينظر للشكل رقم (٣)،كما استطاعت القدرة التصميمية للمصمم الداخلي توظيف أسلوب المعالجات الاظهارية البصرية ، من خلال التلاعب بخصائص التكوينات الشكلية للجدران فضلاً عن الشفافية ، وذلك لإحداث تغييرات ظاهرة ضمن اتجاهية معينة له، مع الاخذ بنظر الاعتبار اعتماد تغيرات أظهارية بصرية عن طريق استخدام أسلوب المعالجات التصميمية كمواد الإنهاء ذات اللون

الفاتح والغامق ينظر للشكل رقم (٣)، (٤)ومن هنا تبرز حقيقة كون أن هندسة التصميم الداخلي تعتمد بالأساس على هذا التمييز للصفات الإدراكية الحسية، مع اعطاء أهمية للوزن البصري للاقواس الشفافة باعتبارها كعنصر جذب للبيئة التصميمية الداخلية الخضراء، هذا بالإضافة الى اعتماد المصمم الى استخدام الانارة الطبيعية والإنارة الشاملة والمركزة مما اظهر الإحساس بأتساع المكان، ينظر للشكل رقم (٣)،(٤) وبذلك يمكن القول ان الالوان الفاتحة والانارة كان لها الدور الكبير في تشكيلات لبيئة التصميمية الخضراء مما ساعد في إدراك انفتاحيتهًا الامر الذي اعطى مرونة كافية لعمل تشكيلات متنوعة ،وبذلك اعتمد المصمم على تحقيق العديد من الغايات التصميمية ضمن البيئة التصميمية بواسطة هذه التكوينات من ضمنها تحقيق التنوع البصري مما أضاف متعة بصرية، ومما عزز من البُعد الفضائي، بحيث امتازت بأنها تهيمن الى حدما على بقية عناصر الفضاء الداخلي، لاسيما في اتجاهاتها الخطية والمنحنية والتي ساعدت في توجيه النظر الى البيئة التصميمية الداخلية الخضراء ، والواقع ان فعل الإرادة التصميمية ساهمت الى حد كبير في الادراك الحسي من خلال دراسة المصمم الداخلي للتكوينات الشكلية وخلفياتها ضمن مستويات المحددات الداخلية ، مما شكل الخطوة الأولى في قراءة الحقل البصري للبيئة الداخلية الخضراء ينظر للشكل رقم (٣) ، من خلال التنظيم الشكلي المجرد ،فضلاً عن إيصال المعاني الرمزية من خلال إعطاء معنى الاحتواء للأشكال ذات التكوينات الهندسية من خلال دراسة المصمم الداخلي الى المواضيع الثلاثة الآتية: وهي(مادة الموضوع–العلاقات الجمالية للأشكال(بوصفها مميزات حسية) – الرموز (بوصفها مميزات فكرية)،كما أستطاع المصمم من خلال تصميم هذه المحددات الداخلية الى ايجاد التناسب بين المساحة المصممة والتكوينات الموظفة ضمن علاقات بنائية مترابطة ضمن البيئة التصميمية مما أظهر الفعل الذاتي نتيجة لبناء تكويناتها المنسجمة ضمن المساحة المقسمة لها ،مع الاخذ بنظر الاعتبار اتزان البيئة التصميمية على أساس التناسب الهندسي الامر الذي حقق افضل مستوى ممكن من الاتقان والفعالية التصميمية للبيئة الداخلية الخضراء ينظر للشكل رقم (٤) ،فضلاً عن التنظيم للتكوينات التصميمية، بصورة متوازنة محورياً مع اتباع أساليب تقنية متنوعة كأسلوب البارز والغائر، كذلك اعّتمدت التراكيب الهندسية والحرة المحكمة ، فضلاً عن دراسة المصمم الى الانسيابية والتتابع والتسلسل ،وكذلك دراسة التقارب والتشابه والوضوح في الوحدات التصميمية المتقاربة نسبيا والذي اعتمدت على تنظيم محاور التقسيم للمساحات بشكل متجانس ومتناسب ضمن هيكلية العمل التصميمي بحيث ينجز كل جزء من أجزاء الجدران معناً تعبيرياً ،كما راعى المصمم الداخلي الى دراسة

التقسيمات الاتجاهية وذلك لتحقيق أحداث تنوع اتزاني وتقسيم (أتجاهي –فضائي)ناشئ عن احداث المعالجات التناسبية بين الكل والجزء ضمن البيئة التصميمية ينظر للشكل رقم (٣)،، كذلك نلاحظ دراسة نسق الوحدة التصميمية مع مراعاة التوازن بين المساحات وقواعد النسب المقبولة جمالياً في توزيعها بحيث انها حققت للعمل التصميمي وحدة السيادة والتنوع والترابط المظهري لجميع الاجزاء فضلاً عن توزيع المساحات الفاتحة سواءً الناشئة عن لون المادة أو تلك الناشئة عن تأثير كل من الاضاءة والظلال مما إثار ٱلإحساس بالعمق الفضائي للبيئة الداخلية ، فضلاً عن دراسة المغايرة اللونية والتنوع الشكلي ما بين الجدران والارضية ضمن البيئة التصميمية ينظر للشكل رقم (٤)



شكل رقم (٣)



شكل رقم (٤)

تحليل الانموذج الثالث : غرفة معيشة لمنزل سكني في بريطانيا

أن دراسة نسق الوحدة التصميمية كان لها تأثير واضح على كل ما يجري عليها من علاقات ضمن البيئة التصميمية بين الجزء والجزء أو الجزء بالكل ضمن مساحات وحجوم هندسية وشبه الهندسية وذلك وفق ما تقتضيه افتراضات الفكرة التصميمية بالاعتماد على بنائية هندسة التصميم الداخلي والتي شكلت بدورها مركز الثقل البصري للناظر حيث قام المصمم بتقسيمها هي الاخرى الى تكوينات هندسية تستوعب الوحدات التصميمية داخل الاطار المكاني المحدد ضمن مساحات وحجوم ثانوية ،ولأبد من الاشارة الى أعتماد الانسجام الشكلي لمفردات كل تكوين تصميمي ضمن البيئة التصميمية الداخلية الخضراء ،كما اعتمد مهارة الاراده التصميمية بالنسبة للمصمم الداخلي هذا التنظيم التصميمي وفقاً لضرورات وظيفية و شكلية و تعبيرية وذلك للتغير من تصميم الفضاء الداخلي ، في

حين أضافت الاشكال التصميمية انطباعات اضافية الى الفضاء الداخلي بما تتضمنه من انسجام مساحي للبيئة الداخلية الخضراء لاسيما في اتجاهاتها والتي ساعدت في توجيه النظر الى الفضاء الداخلي ذات البيئة التصميمية ينظر للشكل رقم (٥)،فضلاً عن تحديد حدود الحيز الفضائي بين مساحات السقوف المتجاورة ،مما اعطى الاحساس بالحرية والانفتاح، كما أستطاع المصمم أيضاً توظيف أسلوب المعالجات التصميمية من خلال التلاعب بخصائص التكوينات الشكلية، وذلك لإحداث تغييرات ظاهرية في ارتفاعها مع إعطاء اتجاهية معينة لها الامر الذي حقق صورة إداء عمل منسجمة للبيئة التصميمية الخضراء ، كما تم معالجة مشكلة ارتفاع التجزئة المساحية للسقف عن طريق جعل مادة إنهاء السقف ذات الالوان الفاتحة والتي أخذت مسارها على سطوح الجدران، ينظر للشكل رقم (٥)،(٦)، ومن هنا تبرز حقيقة كون أن مهارة القدرة التصميمية تعتمد بالأساس على هذا التمييز للصفات الإدراكية الحسية، وبذلك يمكن القول ان الالوان الفاتحة والانارة كان لها الدور الكبير في إظهار مهارة القدرة التصميمية ضمن البيئة الداخلية الخضراء مما ساعد في إدراك انفتا حيتها ، مع مراعاة التوازن في توزيع المساحات ضمن قواعد ونسب مقبولة جمالياً مما إثارة ٱلإحساس بالعمق الفضائي ينظر للشكل رقم (٥) بحيث انها حققت للعمل التصميمي وحدة السيادة والتنوع والترابط المظهري لجميع الاجزاء فضلاً عن توزيع المساحات الفاتحة والغامقة ينظر للشكل رقم (٦) ، مع الاستناد الى التدرج في حجم المفردات والوحدات التصميمية من الاصغر الى الاكبر ينظر للشكل رقم (٦) ، فضلاً عن اعتماد التقسيم المساحي ضمن تكوينات يعتمد في توزيعها على التكرار ومن ثم توزيعها ضمن المساحة المخصصة لها بصورة ومتناسقة ، كما أستطاع المصمم ايجاد التناسب بين المساحة المصممة والتكوينات الموظفة ضمن علاقات بنائية مترابطة تصميمية قائمة في تحقيق وحدتها مع اتزان البيئة الداخلية الخضراء على أساس التناسب الهندسي، كما استند المصمم الداخلي أيضاً الى مبدأ تدرج الاهمية في التنظيم الشكلي للحصول على التسلسل القرائي الصحيح ،كذلك اعٌتمدت التراكيب الهندسية المحكمة ذات الخطوط والتكوينات المستقيمة القابلة للتجزئة المساحية مع أيجاد التوازن بين كافة مكوناتها ،فضلاً عن اعتماد الوحدة التكوينية والوضوح والابتعاد عن التعقيدات والتداخلات الشكلية لغرض الحصول على توزيع مساحي منتظم ومتناسق ينم عن وحدة تصميمية للبيئة التصميمية الداخلية الخضراء، ينظر للشكل رقم (٥)،(٦) وذلك من خلال التأكيد على دراسة كل تكوين تصميمي من حيث (الخط، الشكل ، اللون ،الخامة ،الملمس ،القيمة الضوئية) وذلك ضمن صيغ تصميمية توفر الجاذبية . فضلا عن دراسة وضوحيه التقارب والتشابه في الوحدات التصميمية

المتقاربة نسبيا بحيث انها أدّركت كمجموعة واحدة في تنظيم وبشكل متجانس ومتناسب ضمن هيكلية العمل التصميم بحيث أظهرت كل جزء من أجزاء المحددات الداخلية معناً تعبيرياً، كذلك نلاحظ الى اعتماد التعددية التصميمية المساحية ضمن البيئة التصميمية ، كما اهتم المصمم الداخلي الى دراسة التقسيمات الاتجاهية وذلك لتحقيق أحداث تنوع اتزاني وتقسيم (أتجاهي –فضائي)ناشئ عن احداث المعالجات التناسبية بين الكل والجزء وبما يضمن تحقيق الجمالية من خلال تفاعل الصفات الشكلية ضمن مستوى التكوين المساحي الواحد ومن ثم دراسة تفاعلات الصفات الشكلية لمجموع هيئات التكوينات الاخرى ضمن مستويات التقسيمات المساحية الاخرى من حيث الشكل والصفات المظهرية ليكون بالنتيجة نظاما خاصاً من العلاقات التصميمية مما حقق للمساحة التصميمية الاساسية للمحددات الداخلية نسيجاً تصميماً متصلاً ومتناغماً، وبذلك اعتمد المصمم على تحقيق العديد من الغايات التصميمية بواسطة هذه التكوينات من ضمنها تحقيق التنوع ووضع نوع من الموازنة من خلال جمع هذه التكوينات مع بعضها مما أضاف متعة بصرية للبيئة الداخلية الخضراء ينظر للشكل رقم (٥)،(٦) كما إن التغيير الذي احدثه المصمم في تصاميم المحددات الداخلية يقع ضمن المستويات العمودية والافقية ، مما أظهر قدرتها على إمكانية التحديد والتعريف بالحدود الحيزية والتمايز بين المساحات المتجاورة ضمن البيئة التصميمية، كما أضاف هذا التصميم الداخلي كعنصر وفعل وظيفي كتنوع مواقع الإضاءة في الفضاء الداخلي مما أضاف جمالية للبيئة الداخلية الخضراء.



شكل رقم (٥)



شكل رقم (٦)

الفصل الرابع

النتائج

١- أظهرت النماذج المنتخبة لهندسة التصميم الداخلي على دراسة الثقافة التصميمية بما تتضمنه من تقسيم مساحي لاسيما في اتجاهاتها الخطية مع تحقيق التنوع البصري ووضع نوع من الموازنة من خلال جمع هذه التكوينات مع بعضها مما أعطى متعة بصرية والتي ساعدت في توجيه النظر الى الفضاء الداخلي .

٢- اعتماد المغايرة اللونية المتحقق بالنسبة لمفردات كل تكوين هندسي تصميمي بحسب تصميم البيئة التصميمية الداخلية الخضراء مع الاستناد الى التدرج في حجم المفردات التصميمية.

٣- أظهرت توزيع تراكيب الإنارة بمختلف أشكالها وأحجامها لكل مستوي الى الإحساس بأتساع أدراك الحجم الظاهري للبيئة التصميمية الداخلية الخضراء بالاعتماد على قواعدهندسة التصميم الداخلي

٤-حققت الثقافة التصميمية للنماذج المنتخبة الإثارة الحسية والذي تم إدراكها من خلال دراسة المصمم الى التكوينات الشكلية وخلفياتها ضمن مستوياتها التي تدرجت من أبسطها شكلياً وبما ينسجم مع تصميم الهندسة التصميمية للبيئة الداخلية.

٥- إن الاراده التصميمية ضمن مستويات هندسة التصميم الداخلي المنتخبة حققت إمكانية التحديد والتعريف والتمايز بين المساحات المتجاورة، ذات الالوان الفاتحة كعنصر وفعل وظيفي وجمالي .

٦- توافقت دراسة الثقافة التصميمية على طبيعة تصاميم الفضاءات المنتخبة من خلال تأكيد ماهية بناء معطياتها الشكلية التي أتسمت بالوضوح في التعامل مع الأشكال المتنوعة المحيطة .كما أن تأويل الدلالات الانعكاسية لمفهوم البيئة التصميمية ضمن النماذج المنتخبة أظهرت أتفاقها بشكل افتراضي إقناعي مرتقيه بنفسها ضمن البيئة الداخلية الخضراء المألوفة المحيطة منذ اللحظة الأولى لرؤيتها من خلال المتلقي .

٧- أن مهارة الثقافة التصميمية للنماذج المنتخبة وفق هندسة التصميم الداخلي قد أعتمد تغيرات أظهارية عن طريق استخدام معالجات اللون أو مواد الإنهاء ،فضلاً الى جعل تلك المعالجات تمتد إلى مسافة معينة على سطوح الجدران من خلال التلاعب بخصائص التكوينات الشكلية، وذلك لإحداث تغييرات ظاهرية في ارتفاعها .

٨- ان مهارة الثقافة التصميمية ضمن المحددات الداخلية المنتخبة تمتلك مقوماتها التصميمية من خلال علاقاتها المدروسة في القياس والتقسيم والتكرار القائمة في تحقيق مقومات وحدتها واتزانها المبني على أساس التناسب الهندسي .

٩- أظهرت دراسة الثقافة التصميمية ضمن النماذج المنتخبة قدرتها في إيصال المعاني الجمالية من خلال التنظيم الشكلي المجرد وكذلك في إيصال المعاني الرمزية من خلال إعطاء المعنى للأشكال التصميمية بشكل مضمون فكري نابع من مادة موضوع البيئة الداخلية وفق هندسة التصميم الداخلي.

١٠- امتازت الثقافة التصميمية للنماذج المنتخبة ضمن البيئة الداخلية الخضراء اعتماد التراكيب الهندسية المحكمة والتي نشأت من اعتماد الخطوط والتكوينات المستقيمة، فضلاً عن دراسة المصمم الى(الانسيابية، النسبة والتناسب ، التتابع ،التسلسل ،الوضوح)،مع الابتعاد عن التعقيدات بين الفراغات ضمن كل تقسيم مساحي.

١١- راعى المصمم الداخلي ضمن البيئة التصميمية الى دراسة التقسيمات الاتجاهية وذلك لتحقيق أحداث تنوع اتزاني وتقسيم (أتجاهي –فضائي)ناشئ عن احداث المعالجات التناسبية بين الكل والجزء فضلاً عن اعتماد المعالجات التتابعية الايقاعية المتنوعة بين الاشكال التصميمية المساحية المحددة لها .

١٢- استخدام تقنية البارز والغائر ضمن أظهارات جديدة للحصول على اشكال جديدة بين أجزاء الوحدة التصميمية كما حقق الشكل والمساحة تلازماً أساسياً لكل منهما بالنسبة للأخر ضمن بنية هندسة التصميم الداخلي

١٣- اعتماد الابعاد القياسية المدروسة ضمن كل مستوى من مستويات المحددات الداخلية المنتخبة ،الامر الذي ساهم في تحقيق اعلى إفادة ممكنة من عملية تجزئتها الى مساحات اصغر من خلال نظام تصميمي تحددت بموجبه العلاقات المكانية

١٤-أتخاذ تكوينات ذات تنويعات شكلية وذلك وفق ما تقتضيه افتراضات الفكرة التصميمية ضمن البيئة التصميمية الخاصة بحسب المساحة المراد اشغالها بالتكوينات التصميمية .

١٥- اعتماد المساحات والحجوم الهندسية وشبه الهندسية والتي شكلت بدورها مركز الثقل البصري للمتلقي داخل الاطار المكاني وذلك وفق تقسيمات رياضية وهندسية تنظيمية مع التأكيد على مبدأ تدرج الاهمية في التنظيم الشكلي للتجزئة المساحية وذلك للحصول على التسلسل القرائي الصحيح ضمن البيئة التصميمية.

١٦- أظهر الثقافة التصميمية للمصمم قدرته التصميمية من خلال قدرته على تنظيم العناصر ضمن الفواصل الخاصة لكل تكوين تصميمي من حيث (الخط، الشكل ، اللون ،الخامة ،الملمس ،القيمة الضوئية) مما حقق الجاذبية للبيئة التصميمية الداخلية الخضراء .

المصادر :

١- احمد صبري، **البيئة التصميمية في الواقع المعاصر** ،دار الكتب اللبنانية ،٢٠٠٨م

٢-أسماعيل شوقي ،**الفن والتصميم** ،كلية التربية الفنية ،جامعة حلوان ،مطبعة العمرانية ،١٩٩٩م ،ط٢، ١٩٨٨م

٣- باسم سمير ، **التصميم الداخلي** ،مجلة البناء السعودية ،العدد (٤٥) ، السعودية ، ٢٠٠٣م.

٤- تمرا سعد ،**تصاميم الغرف السكنية** ،مجلة العمارة العربية ، العدد٧، دبي ،٢٠١٣م

٥- الدباغ، شمائل محمد وجيه،" **أسس التفضيل الجمالي في جماليات لغة الفضاء الداخلي المعاصر** "، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة التكنولوجيا، قسم الهندسة المعمارية، بغداد،٢٠٠٢م.

٦- رويد هاشم ، **اعتبارات التصميم البيئي** ، مطبعة الشروق ، لبنان ، ٢٠٠٨

٧- سامي ، عرفان ، **الوظيفة في العمارة** ، مجلة المعمار، السنة الثالثة ، العدد ٨ ، جمعية المهندسين المعمارين المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨.

٨- سناء فكري، **الفكر في منظور جديدة**، ترجمة : كمال خلايلي ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٩م.

٩- - شكري وليد ، **الفن والبيئة** ،مطابع جامعة سعود ،ط١، ٢٠٠١م

١٠- عبير دنو ، **تذوق الفن المعماري** ، ترجمة،د. محمد حسين،عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود،الرياض،السعودية، ١٩٨٦م.

١١- حارث علي ، "**هندسة التصميم الداخلي والديكور**"، المطبعة الوطنية، عمان – الأردن، ١٩٨٥م.

١٢- قاسم حسين صالح ، **الابداع في الفن** ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة بغداد ،كلية الفنون الجميلة ، بغداد ،١٩٨٨م

١٣ كرم عصام ، **(الجوانب البيئية والتكنولوجية)** ، برنامج الامم المتحدة للبيئة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت، ١٩٨٩م.

١٤- منير زمام ، **البيئة المكانية في مفهوم النظام**، مجلة الهندسة والتكنولوجية،مجلد ١٩، بغداد ،٢٠٠٠م .

١٥ – المياح، سرى علي محمد، "**أسس بناء الإيهام البصري بالأنماط الشكلية والتدرج الرمادي في الفضاءات الداخلية السكنية**"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة التكنولوجيا، قسم الهندسة المعمارية، ١٩٩٩م

١٦ – نورس قمر ، **الزخرفة والبيئة** ، ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٤م

١٧ – نصيف جاسم محمد ، **مدخل في تصميم الاعلان** ،بغداد ،٢٠٠١م

١٨ –هدير موفق ، **خصائص البيئة الخضراء** ،مجلة آفاق عربية،العدد(١٤) ، بغداد ، ١٩٨٩م.

١٩–وسام كامل عبد الامير ،**أساليب تصميم الزخارف النباتية في واجهات الحضرة العباسية** ،رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة ،جامعة بغداد ، ٢٠٠٣م

٢٠- يحيى حمودة ،**التشكيل المعماري** ،دار النشر العربية ،بيروت،١٩٩٩م

٢١- ياسر وناس ،**التصميم الداخلي والبيئة** ، مجلة فنون عربية ، العدد (٥) ، بغداد ، ٢٠١٠

22 -Arnhim ,Rodolf.H-DesigGriteria far decition-USA,1979

23 -Baker, Geoffrey : **Design Strategies in Architecture** , John wiley and Sons, 1980.

24- Ching, F.D., "**Architecture: Form, space and Order**", Van Nastran Reinhold company, London, 1979

25-Ching , Francis .D.K:**Interior Design** , Van Nostrand Rein hold , 1987

26-Rapport, Amos and Kantor, **Robert**", **Complexity and Ambiguity in Environmental Design**", A.I.P. Journal, July, 1967.

صراع الهوية الأدبية في الأندلس .. الموشحات إنموذجا

الأستاذ المساعد الدكتور عارف عبد الكريم مطرود مرزوق
جامعة البصرة / كلية الآداب
arifalzkry@gmail.com

ومضات تعريفيّة

الهوية :

الهوية في معناها المُجرَّد هي جُملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة ، تستقلُّ بها الذات عن الآخر ، وعند غياب هذه العلامات والخصائص تغيبُ الذات وتذوبُ في الآخر ، وبحضورها تكون حاضرة (١) . وعندئذ فإن الهوية هي الكيفيّة التي يُعَرِّف الناس بها ذواتهم أوْ أُمَّتهم ، وتُتَّخذ اللغة والثقافة والدِّين أشكالاً لَها ؛ فهي تنأى بِطبعها عن الأُحاديّة والصَّفاء ، وتنحو منحى تعدديًّا تكامليًّا إذا أُحسن تدبيرها ، ومنحى صداميًّا إذا أُهملت وأُسيء فهمها ، وتستطيع أنْ تكون عامل توحيد وتنمية ، كما يمكن أنْ تتحوَّل إلى عامل تفكيك وتمزيق للنسيج الاجتماعي ، الذي تؤسِّسه عادة اللغة الموحَّدة (٢) .

ولابدَّ من معرفة أنَّ لكلِّ شيءٍ في الكون هوية دالة على وجوده ومميِّزة له عن باقي الموجودات ، وهناك هويات مُتجددة وأُخرى ثابتة ، وتُعد الهوية العِرْقية المشكل الأوَّل للهوية الإنسانية ويحملها الإنسان قسْراً دون اختيار مُسبَّق منه ، وهي غير قابلة للتغيير على المستوى الجيني مع قابلية تغييرها والتخلي عنها في الأوراق الثبوتية التي يختارها الفرد للتعبير عن نفسه ، كما يمكن التخلي عنها من خلال المظهر الثقافي والذي يعكس الانتماء لهذه الهوية ، وبعد ذلك فإنَّها الأساس الذي تتشكل على أساسه العديد من الهويات المُتداخلة والتي يكتسبها الإنسان منذ الميلاد ، وقبل أنْ يتفاعل حتى مع وسطه الاجتماعي ، وقبل أنْ يتعرَّف على ماهيته وماهية الأشياء من حوله وقبل اكتسابه للثقافة ، واللغة ، والدِّين بالإضافة إلى هويات أُخرى يتم تحديدها لاحقاً كالانتماء لجماعة دينيّة أوْ مهنيّة أوْ حزبيّة أوْ ثقافيّة ، وبناءً على ما تقدَّم تفسر الهوية على أنَّها الكيفية التي يعرِف الناس بها أنفسهم

ويوصفون بها تأسيساً على العِرْق ، الأثنية ، المواطنة ، الانتماء إلى أرض واحدة وتاريخ وعقيدة مشتركة (٣) .

الهوية لغةً : جاء في [المعجم الفلسفي] أنَّ مصطلح " الهوية ليست عربيا في أصله ، وإنَّما اضطر إليها بعض المترجمين ، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط ، أعني الذي يدل على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره ، وهو حرف [هو] " (٤) . وهناك من يميّز بين [الهَوية – بفتح الهاء] و[الهُوية– بضم الهاء] ، إذْ يرى أحد الدارسين بأنَّ معنى [الهَوية – بالفتح] يختلف اختلافاً بيّناً عن معناها [بالضم] (٥) ، فالهَوية [بالفتح] تعني في مجال المعجم العربي القديم عند ابن منظور ، [المَزيّة] البئر بعيدة المهوان ، والهُوّة ، البئر أو الحُفْرة البعيدة القعر(٦) ، أمَّا كلمة الهُوية [بالضم] ، فهي كلمة جديدة طارئة على اللغة العربية ، إذْ أنَّ هذا المصطلح لا يمُت في حدِّ ذاته بصلة إلى جوهر اللغة العربية فهو طارئ عليها ، وأنَّ المعاجم العربية القديمة تخلو من كلمة [الهُوية– بالضم] ، ولا نجدها في المعاجم الحديثة ، ومع ذلك فإنّها قدْ استقرَّت كاصطلاح له تعريفاته التي تعكس مفهوم المعرفين له (٧) .

وقد بيَّن فتحي المسكيني طبيعة التمايز والتشابه بين [الهَوية والهُوية] وأصلهما في اللغة العربية ، فذكر أنَّ فلاسفتنا القدامى قد استعملوا لفظة [هُوية] المنحوتة من الضمير المفرد المذكر الغائب [هو] ، بوصفه مقابلاً للفظة (إسنين) في اليونانية و(هسسن) في الفارسية ، للدلالة على وجوه المعنى الذي أقره أرسطو لمفهوم الوجود ، وأن لفظة [الهُوية] مستعملة في ترجمة [ما بعد الطبيعة]، التي فسرها ابن رشد للدلالة على معنى [الوجود] في اليونانية (٨) . وأضاف قائلا : أنَّ الانزياح من لفظة [هُوية] من المعنى الانطولوجي [الوجودي] الدَّال على معنى الوجود ، كما استعمله الفارابي وابن رشد ، إلى المعنى الابستمولوجي [المعرفي] الحديث للأنا معمول به منذ ديكارت إلى كانط ، هو واقعة فلسفية ، وبذلك ثم التحول من [الهُوية] الوجود [الانطولوجيا] إلى [الهُو] الفينومينولوجي [الظاهراتي] الذي استكشفه المحدثون ، وأيضاً إلى الطرح الانثروبولوجي [علم الاناسة – الإنسانيات] والثقافي لمسألة [الهَوية] كما صار شائعاً اليوم ، وعليه حسب رأي [المسكيني] فإنَّ لفظة الهَوية بالفتح في مستوى اللغة العادية العربية الحديثة [غير الفلسفية] تُشير إلى [نحن] انثروبولوجية وثقافية ، يختلف عن الهُوية بالضم التي تقع في مستوى اللغة الفلسفية (٩) . وهكذا تكون لفظة [الهُوية] قدْ دخلت إلى اللغة العربية كترجمة لـ(الوجود) ، وهي اسم مُرادف لاسم وحدة الوجود ، قال الفارابي : هوية الشيء هو غيبته

وتشخصه وخصوصيته ووجوده المُنْفرد له ، كل واحد ، وقولنا إنَّه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك (١٠) .

والهوية عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق ، وتطلق كذلك على الشيء من جهة ما هو واحد ، وتطلق أيضاً على الشخص ، إذا ظل هذا ذاتاً واحدة رغم التغيُّرات التي تطْرأ عليه في مختلف أوقات وجوده (١١) ، وقال [الجرجاني] في الهوية " وتُطلق غالباً على الأمر المتعقَّل مثل المتعقَّل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي ، والأمر المتعقَّل من حيث إنَّه مقول في جواب ما هو يُسمى ماهية ، زمن حيث ثُبوته في الخارج يُسمّى حقيقة ، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية " (١٢) ، ويذهب رأي آخر إلى تحديد معنى مغاير للهوية ، إذْ يقول أنَّها " تُضاف إلى الكلمة [بطاقة] ، أوْ تُوصف بالنَّعت [الشَّخصية] ، لتجعلنا نحصل على المصطلح [بطاقة الهُويّة أوْ البطاقة الشّخصية] المتداولين حديثاً ، فيذكر أنَّ الهُويّة بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيتهُ ومولدهُ وعملهُ " (١٣) ، وجاء في [دليل أكسفورد للفلسفة] حول الهوية ، بوصفها حالة الكينونة المتطابقة بإحكام أوْ المتماثلة إلى حدِّ التطابق التَّام أوْ التَّشابه المُطلق ، والكينونة ، وهنا تتعلَّق بالشيء المادي أوْ بالشخص الإنساني ، وإن الأمر يتعلق بالتطابق التام بين باطن الشيء وظاهره ، أوْ بتماثل الشكليات الظاهرة لأيّة كينونة مع جوهرها العميق بلا انفصام أوْ انشطار مهما كان ضئيلاً (١٤) .

الهوية اصطلاحاً : تُعاني المفاهيم وكما هو الحال في العلوم الإنسانية بصورة عامة والعلوم الاجتماعية والسياسية بصورة خاصة ، من إشكالية في التعريف وتحديد المعنى باختلاف الزمان والمكان أوْ اختلاف المنطلقات الفكرية التي تتناول هذا المفهوم أو ذاك ، أوْ المجال المعرفي والعلمي في البحث والدراسة . ومفهوم الهوية كما يقول هنتنغتون " لا يستغنى عنه ، وفي الوقت نفسه غير واضح ، إنَّه مُتعدد الأُوجه ، تعريفه صعب ، ويراوغ العديد من طرق القياس العادية " (١٥) .

وعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها هذا المفهوم فإنَّه وعلى خلاف ذلك " يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد والمشكلة ، وذلك لأنَّه بالغ التنوّع في دلالاته واصطلاحاته " (١٦) ، وهنالك من يرى أنَّ مفهوم الهوية " على قدر كبير من الأهمية ، والذي أثار ولا يزال جدلاً واسعاً في صفوف المثقفين ، ليس فقط فيما يختصّ بتعريف المفهوم بلْ حتَّى فيما يتعلَّق بوجوده " (١٧) ، وذكر [أمين معلوف] حول مفهوم الهوية قوله : لقد علّمتني حياة الكتابة أنْ أحذر الكلمات ، فتلك التي تبدو أكثر شفافية هي في أغلب الأحيان أكثرها خيانة ، وإحدى هذه الكلمات المظللة هي كلمة

[هوية] تحديداً ، فنحن جميعاً نعتقد بأنَّنا ندرك دلالتها ونستمر في الوثوق بها وإنْ راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة (١٨) . إذاً مفهوم الهوية مثل معظم مفاهيم العلوم الاجتماعية مفهوم هلامي وواسع يحتمل الكثير من المعاني والتفسيرات وكثيراً ما يتم خلطه مع مفاهيم أُخرى مثل : [الثقافة ، الخصوصية ، القومية ، حقوق الاقليات وحق تقرير المصير] ، أوْ يستخدم بدلاً من هذه المفاهيم ، وذلك لتداخلها وتشابهها مع تلك المفاهيم(١٩) . وبعد ذلك يُعد " مفهوم الهوية من المفاهيم الحديثة التي ترتبط بالوجود والذات والتراث الثقافي ، مثلما ترتبط بالتعدد والتنوع والاختلاف والتغيير، أوْ بالتشابه والتماثل والثبات الاجتماعي في صيغها المختلفة ومستوياتها المعرفية المتنوعة وكذلك في سياقاتها المتعددة التي تنتج وعياً اجتماعياً يثير تساؤلات تقترب بالهوية من حيث دلالاتها وأبعادها ومكوناتها الأساسية وعلاقاتها بما هو ثابت ومتغير من عناصرها ، ومن حيث هي وعي متوتر وملتبس في علاقتها مع مكوناتها من جهة ومع الآخر من جهة ثانية " (٢٠) . وهنالك من الباحثين البارزين في هذا المجال من وصف الهوية [إريك إريكسون] هذا المفهوم بأنَّه مُنتشر في كلِّ مكان ، لكنَّه غامض ولا يسبر غوره أيضاً ، وهناك من يقول بأنَّ الهوية كالإثم لا نستطيع النجاة منه مهما عارضناه (٢١) .

وبعد كل هذه التصورات والآراء المتخوفة من مفهوم [الهوية] ومع كلِّ ما يُحيط بهذا المفهوم من التعقيدات والغموض ، يجب ألّا تمنع من السعي لتحديده وتعريفه في العلوم الاجتماعية والسياسية بعد أن حددناه وعرفناه لغوياً وقاموسياً كضرورة حتمية للبحث العلمي للتعرف على خصائصه وانواعه ومكوناته وعناصره . وفي سؤال [كيف نعرّف الهُويّة؟] نجد لدى الباحثين أجوبة مختلفة ، لكنها تتفق على فكرة واحدة مركزية تفيد بأنَّ الهوية هي : إحساس الفرد أو الجماعة بالذات إنَّها نتيجة وعي الذات ، بأنَّني أنا أوْ نحن نمْتلك خصائص مُميّزة ككينونة تُميِّزني عنك وتُميِّزُنا عنهم(٢٢) ، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بالعلاقة مع اسمه وجنسه وأُبوته وأمومته ومواطنيته ، وهذه الأشياء في كل حال ، لا تصبح جزءاً من هويته حتى يعيها الطفل [الإنسان] ويُعرَّف نفسه بها ، وهُنا يتم التركيز على الوعي والإدراك في مسألة الهوية لأنَّ العناصر والخصائص المعينة لا تصبح هوية معينة حتى يعيها الإنسان ويدركها ويستخدمها للتعبير عن هويته (٢٣) . ومَّما تقدم يُمكننا القول أنَّ الهوية مجموعة من السِّمات المادية والمعنوية التي تسمح لنا بتعريف موضوع أوْ شيءٍ مُعين ، وتتكون من جانبين [موضوعي وذاتي] ، الموضوعي : هو وجود مجموعة من السِّمات والعناصر ، والذاتي : هو اصطفاء واختيار أي جزء من هذه السِّمات والعناصر ، ونعني بها " السَّمات المُميَّزة لطابع الفرد

أوْ الجماعة بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم " (٢٤) ، وقبل أن نأتي على نهاية تعريف مفهوم الهُويّة لابد من القول أنَّها : " الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، والتي عن طريقها يتعرَّف عليه الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة ، وهي شفرة تتجمع عناصرها المكونة لها على مدار تاريخ الجماعة وتراثها الإبداعي وطابع حياتها " (٢٥) ، وحسب هذا رأي فإنَّ الملامح الحقيقية للهُويّة هي تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة ، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي ، وتحدد الهُويّة الشعور العميق الوجودي الأساسي للإنسان ، ولكن على الرغم من وجود تأثير الوراثة في تحديد هُويّة ما ، يجب أنْ لا ننسى الإضافات والتحولات التي تطرأ على عناصر هُويّة ما ، وأيضاً دور الاختيار والاصطفاء للعناصر المستحدثة كانت أوْ وراثيّة للهُويّة (٢٦) ، ولابد من الاعتراف بأنَّ الهُوية مسألة فلسفيّة جوهرية مُنْذ قول سقراط الشهير [اعرف نفسك بنفسك] وصولاً إلى فرويد مروراً بفلاسفة كثيرين آخرين ، والتَّصدي مُجدداً لهذا المفهوم الآن ، يحتاج إلى كفاية أكثر مَّما ، ولذلك بعضهم بسَّط في تحديد مفهوم الهُويّة قائلا أنَّ : " هويتي هي التي تعني أنَّني لا أشبه أيَّ شخصٍ آخر " (٢٧) .

وبتتبع الآراء السابقة الذكر فيما يخص مفهوم الهوية ، نلاحظ أنَّ أغلبها يؤكد على أنَّ هُويّة الإنسان هي حقيقته التي تميَّزه عن إنسان آخر ، وأنَّه بالرغم من أنَّ كل البشر متساوون ، فإنَّه يمكن القول أنَّ هُويَّة الإنسان يُحددها انتماءه ، إذْ أنَّ بعض التعاريف تربط بين الهُويَّة والانتماء مَّما يجعل الهُويَّة مُحصلة الانتماءات ويتجلَّى الانتماء في تحديد عناصر وخصائص مُحددة ومُصْطفاة بوعي أوْ بغير وعي لتعريف الإنسان سواء كان فرداً أوْ جماعة (٢٨) .

وصفوت القول مّما تقدَّم لمفهوم الهوية لُغةً واصطلاحاً يمكن تعريف هذا المفهوم بأنَّه ، " منظومة من الخصائص والعناصر المادية والمعنوية المكونة لوجود شيء ما والتي تميّزه عن الأشياء الأُخرى بصورةٍ عامة على الرغم من وجود عناصر وخصائص متشابهة " (٢٩) .

الموشحات الأندلسية بين التأصيل والتغريب :

اختلف فن التوشيح عن ضروب الشعر العربي لأنَّه يلتزم بقواعد معينة في التقنية لا نجدها في الشعر المشرقي ابرزها استعماله اللغة الدراجة او الأعجمية في خرجته بالإضافة الى اتصاله المباشر بفن الغناء وقد جاءت تسمية من أصل [وشح] بمعنى زين أوْ حسن أوْ رصع ... وفي لسان العرب : الوِشاحُ والإشاحُ والوُشاحُ : كله حَلْيُ النساءِ من لؤلؤ وجوهر منظومان مُخالَفٌ بينهما معطوف أَحدُهما

على الآخر ، تَتَوَشَّحُ المرأَةُ به ، ومنه اشتقَّ تَوَشَّحَ الرجلُ بثوبه ، والجمع أَوشِحةٌ ووُشُحٌ ووَشائِحُ ؛ وجمع تَوشيح : توشيحات وتواشيحُ ، مصدر وَشَّحَ ، تَوْشِيحُ البَطَلِ : إلْبَاسُهُ الوِشَاحَ ، (٣٠) والتَّوْشِيحُ : اسم لنوع من الشعر ، استحدثه الأَندلسيُّون ، وله أَسماطٌ وأَغصانٌ وأَعاريضُ مختلفة ، وأَكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أَبيات ، وعن سبب تسمية هذا الفن بالموشح ترجع الى العلاقة الجمالية القائمة بين الوشاح المرصع بالجواهر والفن الشعري المُتعدد القوافي القائم على نظام خاص تتلذذ الأذن بسماعه لحلو انغامه ... وعن نشأة هذا الفن وما فيه من خلاف له أهمية كبيرة في تقدير اصالة هذا الضرب من الشعر الغنائي العربي ، لهذا يقول د. مصطفى عوض "بدأت دراستي للموشحات الأندلسية منذ أكثر من ربع قرن ولم أغادر كتابا ولا مخطوطا ولا مقالا كتب عنها إلا واطلعت عليه ، ولكنِّي الآن لا أشعر بالاطمئنان إلى ما وصلت إليه من النتائج ، ومازلت أشعر أنَّ هذا الميدان بِكْر، وأنَّ الحكم الجازم فيه بشيء ، أمر لا يخلو من المجازفة" (٣١) ، وهنالك من يردّونه إلى أصول مشرقية ، ولكنَّنا لا نجد عندهم الدليل الكافي على ما يزعمون ، وقد أجْمع مؤرخو الأدب الأندلسي على أنَّ الموشحات من مخترعات بلادهم ، وأنَّ المشارقة أخذوها عنهم وتتلمذوا فيها ، واعترف لهم المشارقة بالفضل ولمْ ينازعوهم في الفخر، ويؤيد هذا قول ابن دحية الكلبي " وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشَّمس الطَّالعة والضِّياء المُشرق"(٣٢) ، ووافقه ابن خاتمة ، إذْ قال عن التوشيح : "هذه الطريقة من مخترعات أهل الأندلس ، ومبتدعاتهم الآخذة بالأنفس ، هم الذين نهجوا سبيلها ، ووضعوا محصولها" (٣٣) ، وبيَّن ابن سناء الملك الذي يُعد أوّل من اهتم بتعريف هذا الفن وشرح البناء الفني له ، وذهب إلى أنَّ تعريف الموشح هو كلام منظوم على وزن مخصوص" (٣٤) ، ليدلل على الفرق بين الموشح والقصيدة هو الوزن ، باعتبار تعدد أوزان الموشحة ، فتارة تأتي على أوزان العروض العربي وتارة تخالفه ، وشرح ابن القيم معنى التوشيح إذْ قال : "أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد ، فعلى أي القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً" (٣٥) ، أمَّا ابن خلدون في مقدمته إذْ قال في أصل استحداث فن الموشحات "أمَّا أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطًا أسماطًا وأغصانًا أغصانًا ... واستظرفه الناس جملة ، الخاصة والكافة ؛ لسهولة تناوله وقرب طريقه ، وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس لله اسمه مقدم بن معافى القبري . من شعراء الأمير عبد الله بن مُحمّد المرواني ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب" العقد" ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت

موشحاتهما ، فكان أوّل من برع في هذا الشأن عُبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية ... " (٣٦) ، ومن الأدباء المحدثين من رأى في تعريف الموشحات بأنَّها : "ضربٌ من الكلام المنظوم تتعدد أوزانه و تتنوع قوافيه تبعا لرغبة قائله و قدرته على التصرف في أفانين الكلام" (٣٦) ، وهذا يبيّن مدى اختلافها عن القصيدة التي يلتزم فيها الشاعر بالوزن والبحور الخليلية ، أما الموشح فلا يشترط فيه قيد أوْ التزام بوزن شعري أوْ قافيه موحدة ، بل ترجع إلى قدرة الوشّاح الفنية في تنسيق الإيقاع والقافية ، وعرَّف الشكعة الموشح فقال : "هو فن أنيق من فنون الشعر العربي ، اتخذ قوالب بعينها في نطاق تعدد الأوزان الشعرية ، و كان ظهوره في نطاق إطاره هذا بأرض الأندلس " (٣٧) ، وأما من النقاد المحدثين فقد عرّفه مصطفى عوض الكريم بأنَّه : "التوشيح لون من ألوان النظم ، ظهر أوَّل ما ظهر بالأندلس ، في عهد الدولة المروانية في القرن التاسع الميلادي ، ويختلف عن غيره من ألوان النظم ، بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية وبخروجه أحياناً على الأعاريض الخليلية ، وبخلوه أحياناً أُخرى من الوزن الشعري ، وباستعماله اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه ، وباتصاله الوثيق بالغناء" (٣٨) ، وهناك من ربط بين فن الموشحات وبين الغناء بقوله : "الموشحة منظومة غنائية ، لا تسير في موسيقاها على المنهج التقليدي ، الملتزم لوحدة الوزن ورتابة القافية ، وإنَّما تعتمد على منهج تجديدي مُتحرر نوعاً ، بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية ، ولكن مع التزام التقابل في الأجزاء المتماثلة " (٣٩) .

ومَّما تقدم نفهم أنَّ فن الموشح هو نتاج إبداع القريحة العربية في الأندلس ، وأنَّه فنٌّ شعريٌّ وثيق الصلة بالغناء والموسيقى ، اختلف بناؤه وهيكله الفني عن الشكل التقليدي للقصيدة العمودية ، من حيث الوزن ونظام التقفية ، واعتمد على تداخل المستويات اللغوية بين الفصحى في أساسه والعامية في خرجاته ، فمثَّل الموشح انعكاساً لواقع البيئة الأندلسية المفعمة بالترف والثراء والمناظر الجذَّابة للغناء والطرب ، فخرج من ضيق القصيدة التقليدية إلى آفاق أرحب وأقرب للمجتمع الأندلسي .

الإرهاصات الجنينية للموشحات :

يُعد فن الموشحات من أكثر الفنون الأدبية التي أثارت الجدل حول نشأتها ، وبداية ظهورها ، فقد تنازعت حول أصل فن التوشيح عدّة نظريات أدبية ، حاولت إبعاد نشأة هوية هذا الفن الشعري المتميّز عن بلاد الأندلس ، ولكنَّها كانت ضعيفة الحجة ، ولتوضيح ذلك سوف نتعرَّض لتلك النظريات ، لبيان أدلّتها ، وأسباب تفنيدها ، وأولى هذه النظريات ، هي [[نظرية الأصل المشرقي]] : يرى أصحاب هذه النظرية أنَّ فن الموشحات هو مجرد تطوير للمسمطات المشرقية ، وعليه فإنَّ فن التوشيح ينحدر

من أصل مشرقي ، ويقصد بفن التسميط "أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ، ثلاثة منها على سجع واحد أوْ اثنين ، بخلاف قافية البيت" ، (٤٠) أي أن ينوّع الشاعر في قوافي الأبيات ، و ذلك نحو ما بدأ به امرؤ القيس ، قائلاً :

١- تَوهَّمْتُ مِن هِنْدٍ مَعالِمَ أَطْلالِ عَفاهُنَّ طُولُ الدَّهْرِ في الزَّمَنِ الخَالِي

٢- مَرابِعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَتْ وَمَصايِفُ يَصِيحُ بِمَغْناها صَدًى وَعَوازِفُ

٣- وَغَيَّرَها هُوجُ الرِّياحِ العَواصِفُ وَكُلُّ مُسِفٍّ ثُمَّ آخَرُ رادِفُ

بِأَسْحَمَ مِنْ نَوءِ السِّماكَينِ هَطّالِ(٤١)

وهذا الأمر إنَّما يُعد بمثابة التجديد في الشعر العربي التقليدي وظهور المحاولات الأولى للخروج على رتابة القصيدة العمودية ، وفي مسمطة [أبو نواس] في وصف الخمر شاهد آخر على محاولات التجديد ، إذْ قال :

١- سلاف دنّ كشمسِ دجنٍ كدَمع جفن كخمرِ عدنِ

٢- طبيخ شمسِ كلون ورسِ ربيب فرسِ حليف سجنِ(٤٢)

لقد التزم فيها الشاعر بـ "قواف داخلية مُتَّحدة غير القافية الواحدة الموجودة في آخر الأبيات"(٤٣) ، ولذلك فقد عدَّها بعض الأدباء بداية لفن التوشيح وأنَّ الموشحات تطورت عنها ، وهذا ما نفاه البعض إذْ قال : "مع أنَّه لا غُبار على كونها مسمطة مربعة ، ولا علاقة لها بفن التوشيح في أية حال من الأحوال" (٤٤) .

وبذلك نجد أنَّ جميع هذه المحاولات ، ظلت محدودة النطاق لم تتجاوز التنوع في القوافي ، وذلك على العكس من الموشح ، الذي يعتمد على تعدد القوافي والأوزان داخل الموشحة ، ويتميز بوجود الخرجة التي تخالف لغة الموشح أحياناً ، فتأتي بالعامية أوْ الرومانثية ، إذْ إنَّ "التسميط لمْ يخرج عن التقاليد الشعرية إلّا فيما يخصُّ القافية ، أما الموشحات ، فضلاً عن تنويعها للقوافي ، فإنَّها نوَّعت أيضاً في الأوزان كما نوَّعت أحيانا في اللغة" (٤٥) ، فضلا عن ذلك نجد بعض شعراء الأندلس قد نظموا المسمطات ، أمثال ابن زيدون و ذلك يعني وجود النوعين جنبا إلى جنب في الأندلس ، فالأولى "أنْ يستغنى بالشكل المتطور عن الشكل القديم ، فيما لو صح هذا الفرض" ، ومن جهة أُخرى ، نجد أقوال المؤرخين أمثال ابن خلدون وابن دحية والمحبي وغيرهم ، التي أكَّدت على نشأة فن التوشيح في بلاد الأندلس ، وعلى أصله المغربي ، ثم ذيوع صيته في الشرق ، ويؤكد الصفدي كذلك على النشأة الأندلسية للموشحات : إذْ قال : "الموشح فن تفرَّد به أهل المغرب ، وامتازوا به

على أهل المشرق ، و توسعوا في فنونه ، و أكثروا من أنواعه و ضروبه" ، وقال ابن سعيد ، عن فني الموشح والزجل : "هذان طرازان كان الابتداء بعملهما من المغرب ، ثم ولع بهما أهل المشرق" (٤٦) ، وقال ابن سناء الملك المصري المشرقي ، في مدح الموشحات ، والتأكيد على أندلسيتها : "والموشحات مّما ترك الأوّل للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وغادر بها الشعراء من متردم ، صار المغرب بها مشرقا لشروقها بأفقه ، وإشراقها في جوه ، و صار أهله بها أغنى الناس ، لظفرهم بالكنز الذي ذخرته لهم الأيام ، و بالمعدن الذي نام عنه الأنام" (٤٧) . ومن ثمَّ قام شعراء الشرق بمحاولة تقليد الموشحات الأندلسية ومحاكاتها ، ويبدو أنَّ موشحات المشرقيين جاءت متكلّفة وخالية من الإبداع ، فقد قيل : ((أما المشارقة قد تكلفوا التوشيح وبقى للأندلسيين فضل الطبع ، لم ينازعهم فيه إلّا ابن سناء الملك المصري" (٤٨) وقال آخر : "أما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات" (٤٩) ، كذلك نجد أنَّ هناك موشحات أندلسية سابقة للموشحات المشرقية بعدَّة قرون ، ولمْ "نر للمشارقة موشحات ، ولم يذكر أحد منهم في الوشاحين ، إلّا بعد أنْ اشتهر هذا الفن في الأندلس ، وكثر أعلامه ، وذلك بعد نحو ثلاثة قرون من نشأة الموشحات" (٥٠) ، ومن هنا لابد من القول أنَّ الموشحات المشرقية ظهرت بعد تعمق شهرة موشحات أهل الأندلس وذيوع صيتها ، وعليه ينتفي أن تكون الموشحات مشرقية الأصل ، في حين أن أهل الشرق قد عجزوا عن التميُّز فيها ، فلم يستطع أحد منافسة الأندلسيين في فن التوشيح ، فظلَّت لهم الصدارة والسَّبق ، وليس أدل على ذلك من إقرار ابن سناء الملك ببراعة الوشاحين الأندلسيين ، إذْ يؤكد على تفوق موشحات أهل الأندلس على موشحات المشارقة ، بل على موشحاته هو نفسه ، وفي ذلك قال : "وكيف ما كان فموشحاتي تكون لتلك الموشحات كظلها وخيالها ، وأشهد أنَّها ناقصة عن قدر كمالها ... واعذر أخاك فإنَّه لمْ يولد بالأندلس ، ولا نشأ بالمغرب ، ولا سكن إشبيليه ، ولا أرسى على مرسية ولا عبر مكناسة ولا سمع الأرغن ... ولا لقي الأعمى وابن بقي ولا عُبادة" (٥١) .

وهنالك من فقد آثر من الباحثين والمستشرقين ، ليعد الموشحات ذات أصل إسباني ، وأنَّها لا تمت بصلة إلى الأصل العربي ، وذلك استناداً منهم إلى وجود الخرجات الأعجمية في الموشحات ، فكانت حجتهم أنَّ الشعراء العرب قد تأثَّروا بالأغاني الإسبانية الشعبية ، التي كان يتغنّى بها الشعراء الإسبان والفرنسيون باللغة

الرومانثية ، فقاموا بترجمتها ، وأنشدوا الموشحات على نسقها ، إلّا أنَّ هذا الأمر لا يُعدُّ دليلاً دامغا على أعجمية الموشحات، وذلك لعدّة أسباب نذكر منها قول أحدهم أنَّه "لم يستطع باحث بين

المستشرقين الإسبان ، أن يرد خرجة رومانسية إلى أغنية رومانسية كانت متداولة في الأندلس أوْ تغنى" (٥٢) ، فليس هناك أي تشابه بين الخرجات الأعجمية في الموشحات ، وبين الأغاني الرومانسية في ذلك الوقت ، و إنَّما هي ثقافة الوشاح وتباهيه بقدرته اللغوية ، و كذلك إن نسبة الخرجات الأعجمية في الموشحات، تعد نسبة ضئيلة بالمقارنة بالخرجات التي جاءت باللغة الفصيحة أو العامية العربية . بالإضافة إلى أنَّ استعمال الشعراء العرب للغتين في قصائدهم – رغم قلّته – هو تقليد قديم في الشعر العربي ، ولذلك نجد بعض الشعراء المشرق وكذلك في الأندلس ، ممن كانوا يجيدون التحدث بلغتين ، وذلك للتنوع العِرقي في بيئتهم ، فكثيراً ما كانوا يزيّنون أشعارهم باستعمال كلمات من غير العربية ، "ففي المشرق نشأ شعراء كتبوا الشعر باللغتين العربية والفارسية ، منذ التقت الحضارتان والثقافتان في بواكير العصر العباسي بل وأيام العصر الأموي أيضاً " (٥٣) ، وهو ما يسمّى في الشعر المشرقي "الملمّ" * ، أضف إلى ذلك ، فإنَّ الوزن العروضي للخرجات ، لا علاقة له بأوزان الشعر الإسباني آنذاك ، "بل يبتعد كثيراً عن أوزان الشعر الأوروبي القديم ، التي خلطت بين النظامين المقطعي والمنبور ، وعن الأغاني الشعبية الإسبانية التي يزعم أنَّها ظهرت قبل الموشحات" (٥٤) ، وعليه نجد أنَّ تلك المحاولات التي أرادت نسب فن التوشيح إلى غير الأصل الأندلسي ، قامت على أدلة سهلة التفنيد ، مردودة الحجة ، فقد جاء هذا الفن الشعري معبراً عن التطور الحضاري والفني الذي شهدته بلاد الأندلس ، إذْ ارتبطت الموشحات بالبيئة الأندلسية ، وطبيعتها الخلاّبة ، التي سلبت عقول الشعراء هناك ، وجاءت مُطعمة بروح المجتمع الأندلسي ، تُرضي أذواق أهله ، وتحمل ثقافتهم المزدوجة ، وبات الموشح هو الأدب الذي مثّل ازدواج اللغة في ذلك المجتمع ، فهو ثمرة انتشار اللهو ومجالس الغناء والطرب في الأندلس ، ونتاج طبيعي لتطور الموسيقى آنذاك . ولا شك أنَّ الموشحات قد نجحت في رسم صورة لحرية المجتمع الأندلسي بجميع طوائفه ، وجاءت بلغة سهلة و قريبة من لسان أهله ، ونزعت قيود الوزن والعروض ، التي طالما ضيقت الخناق حول القصيدة المشرقية ، ولذلك وصلت الموشحات إلى قلوب الخاصة والعامة، بسبب " شروط ذيوع الشعر أن ينسجم مع بيئته اللغوية في ألفاظه وأخيلته و أوزانه" (٥٥) ، فانتشرت الموشحات و أصبحت تُلقى في قصور الحكّام ، ويتغنّى بها أهل الأندلس في مجالسهم ، و هذا ما أشار إليه ابن خلدون عن فن التوشيح "واستظرفه الناس جملة ، الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه" (٥٦) .

ولقد كانت الموشحات الأندلسية القالب الذي انصهرت فيه أصالة المشرق وثقافة المغرب ، حيث اضطر الوشاح إلى استخدام المفردات الأعجمية والعامية في موشحته ، لأنَّها تُعبر عن مفردات بيئته

المحيطة ، وذلك لأنّ "الموشحات ظهرت في بيئة لم تكن تحرص على العربية حرصاً كبيراً ، وربَّما كانت ترى في التغني والشدو بها ، ما لا يناسب حال أهلها من العجمة وعدم الأصالة في العربية" (٥٧) ، وربَّما كان هذا الإهمال المتعمد في تدوين الموشحات ، يرجع إلى أنَّ الموشحات "هي أوَّل جنس أدبي عربي يسمح بدخول الناس من غير البدو ، أبهاء الشعر دون حرج أو تكلّف ، لذا عانت الموشحات من النفي والاضطهاد ، وحرمت من دخول الموسوعات العربية الأولى " (٥٨).

بعض شعراء الموشحات : لسان الدين الخطيب ، علي الحصري القيرواني ، ابن زمرك ، ابن مالك السرقسطي ، عُبادة بن مَاء السماء ، التطيلي الأعمى ، أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بَقيّ ، أبو بكر محمّد بن أحمد بن رُحَيْم المرسي الأندلسي ...

انموذج من موشحات لسان الدين بن الخطيب :

١- جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى يا زَمانَ الوصْلِ بالأندَلُسِ
٢- لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُما في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ
٣- إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى تنْقُلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَمُ
٤- زُفَراً بيْنَ فُرادَى وثُنَى مثْلَما يدْعو الوفودَ الموْسِمُ
٥- والحَيا قدْ جلّلَ الرّوضَ سَنا فثُغورُ الزّهْرِ فيهِ تبْسِمُ
٦- ورَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما كيْفَ يرْوي مالِكٌ عنْ أنسِ
٧- فكَساهُ الحُسْنُ ثوْباً مُعْلَما يزْدَهي منْهُ بأبْهَى ملْبَسِ
٨- في لَيالٍ كتَمَتْ سرَّ الهَوى بالدُّجَى لوْلا شُموسُ الغُرَرِ
٩- مالَ نجْمُ الكأسِ فيها وهَوى مُسْتَقيمَ السّيْرِ سعْدَ الأثَرِ
١٠- وطَرٌ ما فيهِ منْ عيْبٍ سَوَى أنّهُ مرّ كلَمْحِ البصَرِ
١١- حينَ لذّ الأنْسُ مَع حُلْوِ اللّمَى هجَمَ الصُّبْحُ هُجومَ الحرَسِ
١٢- غارَتِ الشُّهْبُ بِنا أو ربّما أثّرَتْ فيها عُيونُ النّرْجِسِ
١٣- أيُّ شيءٍ لامرِئٍ قدْ خلَصا فيكونُ الرّوضُ قد مُكِّنَ فيهْ
١٤- تنْهَبُ الأزْهارُ فيهِ الفُرَصا أمِنَتْ منْ مَكْرِهِ ما تتّقيهْ
١٥- فإذا الماءُ تَناجَى والحَصَى وخَلا كُلُّ خَليلٍ بأخيهْ
١٦- تبْصِرُ الورْدَ غَيوراً برِما يكْتَسي منْ غيْظِهِ ما يكْتَسي
١٧- وتَرى الآسَ لَبيباً فهِما يسْرِقُ السّمْعَ بأذْنَيْ فرَسِ

١٨- يا أُهَيْلَ الحيّ منْ وادِي الغضا وبقلْبي مسْكَنٌ أنْتُمْ بهِ
١٩- ضاقَ عَنْ وجْدي بكُمْ رحْبُ الفَضا لا أبالِي شرْقُهُ منْ غَرْبِهِ
٢٠- فأعِيدوا عهْدَ أنْسٍ قدْ مضَى تُعْتِقوا عانِيكُمُ منْ كرْبِهِ
٢١- واتّقوا اللهَ وأحْيُوا مُغْرَما يتَلاشَى نفَساً في نفَسِ
٢٢- حُبِسَ القلْبُ عليْكُمْ كرَما أفَتَرْضَوْنَ عَفاءَ الحُبُسِ
٢٣- وبقَلْبي منْكُمُ مقْتَرِبٌ بأحاديثِ المُنَى وهوَ بَعيدْ
٢٤- قمَرٌ أطلَعَ منْهُ المَغْرِبُ بشِقوةِ المُغْرَى بهِ وهْوَ سَعيدْ
٢٥- قد تساوَى مُحسِنٌ أو مُذْنِبُ في هَواهُ منْ وعْدٍ ووَعيدْ
٢٦- ساحِرُ المُقْلَةِ معْسولُ اللّمى جالَ في النّفسِ مَجالَ النّفَسِ
٢٧- سدَّدَ السّهْمَ وسمّى ورَمى ففؤادي نُهْبَةُ المُفْتَرِسِ
٢٨- إنْ يكُنْ جارَ وخابَ الأمَلُ وفؤادُ الصّبِّ بالشّوْقِ يَذوبْ
٢٩- فهْوَ للنّفْسِ حَبيبٌ أوّلُ ليْسَ في الحُبِّ لمَحْبوبٍ ذُنوبْ
٣٠- أمْرُهُ معْتَمَدٌ ممْتَثِلُ في ضُلوعٍ قدْ بَراها وقُلوبْ
٣١- حكَمَ اللّحْظُ بِها فاحْتَكَما لمْ يُراقِبْ في ضِعافِ الأنْفُسِ
٣٢- مُنْصِفُ المظْلومِ ممّنْ ظَلَما ومُجازي البَريءِ منْها والمُسي
٣٣- ما لقَلْبي كلّما هبّتْ صَبا عادَهُ عيدٌ منَ الشّوْقِ جَديدْ
٢٤- كانَ في اللّوْحِ لهُ مكْتَتَبا قوْلُهُ إنّ عَذابي لَشديدْ
٢٥- جلَبَ الهمَّ لهُ والوَصَبا فهْوَ للأشْجانِ في جُهْدٍ جَهيدْ
٢٦- لاعِجٌ في أضْلُعي قدْ أُضْرِما فهْيَ نارٌ في هَشيمِ اليَبَسِ
٢٧- لمْ يدَعْ في مُهْجَتي إلا ذَما كبَقاءِ الصُّبْحِ بعْدَ الغلَسِ
٢٨- سلِّمي يا نفْسُ في حُكْمِ القَضا واعْمُري الوقْتَ برُجْعَى ومَتابْ
٢٩- دعْكِ منْ ذِكْرى زَمانٍ قد مضى بيْنَ عُتْبَى قدْ تقضّتْ وعِتابْ
٣٠- واصْرِفِ القوْلَ الى المَوْلَى الرّضى فلَهُم التّوفيقُ في أمِّ الكِتابْ
٣١- الكَريمُ المُنْتَهَى والمُنْتَمَى أسَدُ السّرْحِ وبدْرُ المجْلِسِ
٣٢- ينْزِلُ النّصْرُ عليْهِ مثْلَما ينْزِلُ الوحْيُ بروحِ القُدُسِ
٣٣- مُصْطَفَى اللهِ سَميُّ المُصْطَفَى الغَنيُّ باللهِ عنْ كُلِّ أحَدِ

٣٤- مَنْ إذا ما عقَدَ العهْد وَفَى وإذا ما فتَحَ الخطْبَ عقَدْ

٣٥- مِنْ بَني قيْسِ بْنِ سعْدٍ وكَفى حيْثُ بيْتُ النّصْرِ مرْفوعُ العَمَدْ

٣٦- حيث بيْتُ النّصْرِ محْميُّ الحِمَى وجَنى الفَضْلَ زكيُّ المَغْرِسِ

٣٧- والهَوى ظِلٌّ ظَليلٌ خيَّما والنّدَى هبّ الى المُغْتَرَسِ

٣٨- هاكَها يا سِبْطَ أنْصارِ العُلَى والذي إنْ عثَرَ النّصْرُ أقالْ

٣٩- عادَةٌ ألْبَسَها الحُسْنُ مُلا تُبْهِرُ العيْنَ جَلاءً وصِقالْ

٤٠- عارَضَتْ لفْظاً ومعْنىً وحُلا قوْلَ مَنْ أنطَقَهُ الحُبُّ فَقالْ

٤١- هلْ دَرَى ظبْيُ الحِمَى أنْ قد حَمَى قلْبَ صبٍّ حلّهُ عنْ مَكْنِسِ

٤٢- فهْوَ في خَفْقٍ وحَرٍّ مثلَما ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ (٥٩)

الهوامش

١- يُنظر : اللغة والدِّين والهوية : ص٦٧ .

٢- يُنظر : الهويات اللغويّة في المغرب من التعايش إلى التَّصادم ، ضمن كتاب اللغة والهويّة في الوطن العربي ، إشكاليات تاريخيّة وثقافيّة وسياسيّة : ص٢٤٧ ، ٢٤٨ .

٣- يُنظر : الهوية الثقافية والنقد الأدبي : ص٧ .

٤- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية : ٥٢٩/٢ ، ويُنظر أيضا ما يؤيد هذا الرأي في كل من :

- موسوعة علم السياسة : ص٣٨٤ .

- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة : ص٩١١ .

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ١٧٤٥/٢-١٧٤٦ .

- المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٦٥٤ .

٥- يُنظر: هوية الإنسان في الوطن العربي [تعريف الهوية] : د. سعيد التل ، مقال من الانترنت ، نُشِرَ ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦م .

٦- يُنظر : لسان العرب : ١١٦/١٥-١١٧.

٧- يُنظر: هوية الإنسان في الوطن العربي [تعريف الهوية] : د. سعيد التل ، مقال من الانترنت ، نُشِرَ ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦م .

٨- يُنظر: الهُويّة والزمان ، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن" : ص٦ ، ٧ .

٩- يُنظر: المصدر السابق : ص٨ .

١٠- يُنظر : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية : ٥٣٠/٢ .

١١- يُنظر : المصدر السابق : ٢/ ٥٣٠ ، ٥٣١ .

١٢- معجم التعريفات : ص ١٦٣،١٦٤ .

١٣- الثقافة والهوية [الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية] : د. عبد الرحمن بسيسو ، ضمن مشروع : الخطة الاستراتيجية للثقافة الوطنية ، ورشة عمل خاصة لمناقشة مسودة الخطة ، غزة ، ٢٠٠٥/٥/١٦م ، من الانترنت .

١٤- دليل أكسفورد للفلسفة : من حرف (ظ إلى ي) .

١٥- من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية : ص٣٧.

١٦- الهوية : إليكس ميكشيللي ، ترجمة : ص٧ .

١٧- الهوية الثقافية بين الخصوصية والتبعية [مقاربة معرفية – اجتماعية] : أميرة كشغري ، ورقة عمل مقدمة في برنامج الفعاليات الثقافية المصاحبة لمعرض الرياض الدولي للكتاب ، ٢٢/ فبراير/٢٠٠٦م .

١٨- يُنظر : الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة" : ص١٣.

١٩- يُنظر: الهوية الوطنية بين الفرد والجماعة : سليم مطر ، مقال من موقع [الحوار المُتمدِّن] ، ١١/٢٨/ ٢٠٠٣م ، من الانترنت ، ويُنظر أيضا : مُقاربة في إشكالية الهوية ، المغرب العربي المعاصر : ص ١٩ ، ٣٥ .

٢٠- إعادة إنتاج الهوية العراقية محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها : إبراهيم الحيدري ، مجلة الثقافة الجديدة ، العراق ، العدد ٣١٧ ، لسنة ٢٠٠٦م ، ص٧٩ .

٢١- يُنظر : موسوعة علم السياسة : ص٣٨٤ .

٢٢- دراسة في مفهوم الهوية : حبيب صالح مهدي ، مركز الدراسات الإقليمية ، مجلة دراسات اقليمية ، جامعة الموصل ، العدد ٥ ، لسنة ٢٠١٣م ، ص٣ .

٢٣- يُنظر : من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهُويّة الأمريكية : ص٣٧ .

٢٤-علم الاجتماع مع مُداخلات عربيّة : ص٧٦٦ .

٢٥- الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة" : ص١٧ .

٢٦- إشكالية الهُويَّة في إسرائيل : د. رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة [مجلة] ، الكويت ، ١٩٩٧م ، ص٧.

٢٧- يُنظر : المصدر السابق : ص٧ .

٢٨- اشكالية الهُويَّة في العراق رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام ٢٠٠٣م : د. عبير سهام مهدي و د. عمار حميد ياسين ، المجلة السياسية والدولية ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد ٢٨-٢٩ لسنة ٢٠١٥م ، ص٣٩٦،٣٩٥ .

٢٩- المصدر السابق : ص٣٩٦ .

٣٠ – يُنظر : لسان العرب ، مادة (وشح) .

٣١- فن التوشيح : ص١٠.

٣٢- المُطْرب من أشعار أهل المغرب : ص٢٠٤ .

٣٣- أزهار الرياض في أخبار عياض : 253/٢ – 252 .

٣٤- دار الطراز في عمل الموشحات : ص٢٥ .

٣٥- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ص ٢٣٢ .

٣٦- مقدمة ابن خلدون : ١٤٤٨/٤ ، وينظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض : ٢ : ٢٠٧ .

٣٧- الموشح في الأندلس وفي المشرق : ص٨ .

٣٨- فن التوشيح : ص١٨ .

٣٩- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص١٣٩ .

٤٠- المعجم المفصل في الأدب : ٢٤٧/١ .

٤١- ديوان امرئ القيس : ص٤٧٥ .

٤٢- ديوان أبي نواس : تحقيق وشرح إسكندر آصاف ، ص ٣٣٣-334 ، ويُنظر : ديوان أبي نؤاس برواية الصولي ، تحقيق : د. بهجت عبد الغفور الجبوري ، ص١٥٧ .

٤٣- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة : ص132 .

٤٤- الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري : ص ٨ .

٤٥- توشيح التوشيح : ص٢٠ .

٤٦- المقتطف من أزهار الطرف : ص١٠ .

٤٧- دار الطراز في عمل الموشحات : ص ٢٣ .

٤٨- تاريخ آداب العرب : ص ٢٦ .

٤٩- تاريخ ابن خلدون : ٨٢٥/١ .

٥٠- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : ص146 .

٥١- دار الطراز في عمل الموشحات : ص39 .

٥٢- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس : ص14 .

٥٣- جيش التوشيح : ص : ض ، مقدمة المحقق .

* الملمّع : من الخيل الذي يكون في جسمه بقع تخالف سائر لونه . يُنظر : لسان العرب : 327/٨ .

٥٤- اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية : مُحمّد عباسة ، مجلة حوليات التراث ، العدد9 ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2009 ، ص1 .

٥٥- الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري : ص100 .

٥٦- تاريخ ابن خلدون : ٨٢٥/١ ، ويُنظر : نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي : ص٢٣٣ .

٥٧- المختار من الموشحات : ص62 .

58- شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد : ص104 .

٥٩- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني : ٢/ ٧٩١-٧٩٤ .

المصادر والمراجع :

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : أحمد عبد المقصود هيكل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- أزهار الرياض في أخبار عياض : شهاب الدين أحمد بن مُحمّد المقري التلمساني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، طبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
- اللغة والدِّين والهوية : عبد العلي الودغيري ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ٢٠٠٠م .
- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠٠م .
- تاريخ ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الاستاذ : خليل شحادة ، مراجعة د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١م .
- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- توشيح التوشيح : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٦٦م .
- جيش التوشيح ، لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : د. هلال ناجي ، مطبعة المنار ، تونس ، د. ت .
- دار الطراز في عمل الموشحات : ابن سناء الملك ، تحقيق : د. جودة الركابي ، تقديم : سليمان العطار ، الشركة الدولية للطباعة ، د. ط ، ٢٠٠٤م ، القاهرة ، مصر .
- دليل أكسفورد للفلسفة : تد هوندرتش ، ترجمة : نجيب الحصادي ، المكتب الوطني للبحث والتطوير، دار الكتب الوطنية ، بنغازي– ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق : مُحمّد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعارف) مصر ، ط/٥ ، د. ت .
- ديوان أبي نواس ، تحقيق وشرح : إسكندر آصاف ، القاهرة : دار العرب للبستاني ، د. ت .
- ديوان أبي نؤاس برواية الصولي ، تحقيق : د. بهجت عبد الغفور الجبوري ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية ، المجمع الثقافي ، ط/ ١ ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني ، صنعه وحقَّقه وقدَّم له د. محمّد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط/١ ، ١٩٨٩م .
- شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد : د. صلاح فضل ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥ م .

- علم الاجتماع مع مُداخلات عربيّة : انتوني غِدِنْز ، ترجمة وتقديم : د. فايز الصيّاغ ، المنظمة العربية للترجمة [مؤسسة ترجمان] بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠٥م .
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة : د. حكمة علي الأوسي ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد، د. ت .
- فن التوشيح : د. مصطفى عوض الكريم ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٥٩م .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : شمس الدين أبي عبدالله مُحمّد المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي ، تحقيق : مُحمّد بدر الدين النعساني ، السعادة مطبعة ، مصر ، ط/١ ، ١٣٢٧ هـ.
- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدِّين مُحمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط/٣ ، ٢٠٠٤م .
- المختار من الموشحات : مصطفى السقا ، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1997م .
- المُطْرب من أشعار أهل المغرب : ابن دحية الكلبي ، أبو الخّطاب عمر بن الحسن بن علي بن مُحمّد ... المعروف بذي النسبين الأندلسيّ البلنسيّ ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط/ ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- معجم التعريفات : علي بن محمّد الشّريف الجرجاني ، (مكتبة لبنان) بيروت ، ط/ ١٩٨٥م .
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة : عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط/٣ ، ٢٠٠٠م .
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية : د. جميل صليبا ، (دار الكتاب اللبناني) بيروت ، ط/ ١٩٨٢م .
- المعجم المفصل في الأدب : د. مُحمّد التونجي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٩م .
- المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- مُقاربة في إشكالية الهوية ، المغرب العربي المعاصر : مُحمّد صالح الهرماسي ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٠م .
- المقتطف من أزهار الطرف : لأبن سعيد الأندلسي ، تحقيق ودراسة : د. سيد حنفي حسنين ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

– مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن حلدون ، تحقيق : د. علي عبد الواحد وافي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

– من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية : صموئيل ب . هنتنغتون ، ترجمة : حُسام الدّين خضور ، دار الرأي للنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

– الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري : د. مقداد رحيم ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط/١ ، بيروت ، ١٩٨٧م .

– الموشح في الأندلس وفي المشرق : د. مُحمّد مهدي البصير : مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٤٨م .

– موسوعة علم السياسة : ناظم عبد الواحد الجاسور ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط/١ ، ٢٠٠٤م .

– موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : مُحمّد علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم – علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٩٦م .

– نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي : كامل كيلاني ، مطبعة المكتبة التجارية ، مصر ، ط/١ ، 1924م .

– الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة" : أمين معلوف ، ترجمة : نبيل محسن ، دار ورد للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

– الهويات اللغويّة في المغرب من التعايش إلى التَّصادم ، ضمن كتاب اللغة والهويّة في الوطن العربي ، إشكاليات تاريخيّة وثقافيّة وسياسيّة : رشيد بلحبيب ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط/١ ، بيروت ، ٢٠١٣م .

– الهوية الثقافية والنقد الأدبي : د. جابر أحمد عصفور ، دار الشروق ، مصر ، ٢٠١٠م .

– الهُويّة والزمان ، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن" : فتحي المسكيني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠١م .

– الهوية : إليكس ميكشيللي ، ترجمة : علي وطفة ، ط ١، دار الرسيم للخدمات الطباعية ، سوريا ، ١٩٩٣م .

الدوريات :

– اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية : مُحمّد عباسة ، مجلة حوليات التراث ، العدد ٩ ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .

– إعادة إنتاج الهوية العراقية محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها : إبراهيم الحيدري ، مجلة الثقافة الجديدة ، العراق ، العدد ٣١٧ ، لسنة ٢٠٠٦م .

– دراسة في مفهوم الهوية : حبيب صالح مهدي ، مركز الدراسات الإقليمية ، مجلة دراسات اقليمية ، جامعة الموصل ، العدد ٥ ، لسنة ٢٠١٣م .

– إشكالية الهُويَّة في إسرائيل : د. رشاد عبد الله الشامي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٧م .

– اشكالية الهُويَّة في العراق رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام ٢٠٠٣م : د. عبير سهام مهدي و د. عمار حميد ياسين ، المجلة السياسية والدولية ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد ٢٨–٢٩ لسنة ٢٠١٥م .

– اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية : مُحمّد عباسة ، مجلة حوليات التراث ، العدد9 ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2009 .

مقالات من الانترنت :

– هوية الإنسان في الوطن العربي [تعريف الهوية] : د. سعيد التل ، مقال من الانترنت ، نُشِرَ ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦م .

– الثقافة والهوية [الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية] : د. عبد الرحمن بسيسو ، ضمن مشروع : الخطة الاستراتيجية للثقافة الوطنية ، ورشة عمل خاصة لمناقشة مسودة الخطة ، غزة ، ٢٠٠٥/٥/١٦م ، من الانترنت .

– الهوية الثقافية بين الخصوصية والتبعية [مقاربة معرفية – اجتماعية] : أميرة كشغري ، ورقة عمل مقدمة في برنامج الفعاليات الثقافية المصاحبة لمعرض الرياض الدولي للكتاب ، ٢٢/ فبراير/٢٠٠٦م.

– الهوية الوطنية بين الفرد والجماعة : سليم مطر ، مقال من موقع [الحوار المُتمدَّن] ، ١١/٢٨/ ٢٠٠٣م ، من الانترنت .

وجه التوافق والاختلاف بين النّص والخطاب في تحقيق الدراسات النصية

أ . م . د. خليل عبد المعطي المايع

جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص

لقد استعمل مصطلح (النّص والخطاب) في الدراسات اللسانية الحديثة من دون تمييز كبير بينهما ، فنَلحظ أنّ معانيهما الاصطلاحية قريبة جداً من معانيهما اللغوية ، وأنّهما يشتركان في العديد من المعاني ، إلى درجة أنّ هناك كثيراً من الباحثين يرادف المصطلحين . ذلك أن النّص والخطاب إنّما هما عملية إنتاجية مركبة داخل اللغة .

وأنَّ الإشكالية بين المفهومين هي إشكالية مصطلحات وفهم ذلك المصطلح ، لأنّ كلَّ باحث إذا تشيّع إلى نظرية وفكرة ما ، أو انضوى تحت لواء رائد مؤسسي ، نجده يتبنى كثيراً من مصطلحاته في الدراسات والأبحاث التي يجريها . وهو الأمر الذي أدى إلى النظر إلى النص والخطاب على أن كل مصطلح يختلف عن الآخر عند البعض ، وعند آخرين يؤدي إلى المعنى نفسه .

The face of consensus and difference between text and discourse in achieving textual studies

Abstract

The term (text and discourse) has been used in modern linguistic studies without much distinction between them. We note that their idiomatic meanings are very close to their linguistic meanings, and that they share many meanings, to the point that there are many researchers synonymous with the two terms . As a result , text and discourse are a complex productive process within language .

And that the problem between the two concepts is the problem of terms and understanding of that term , because if every researcher converts to a theory and an idea , or falls under a pioneering institutional banner,we find that he adopts many of his terms in the studies and research he conducts . Which led to the view to the text and the discourse that each term differs from the other for some, and for others it leads to the same meaning .

مفاهيم أولية نَصيّة

عُنيت لسانيات النّص بوصفها فرعاً من فروع اللغة بدراسة النّص ، فاتخذت منه مادة لأبحاثها ، فاهتمت بدراسته ، وأبرزت مميزاته ، كما حددت الكيفيات التي ينسجم بها النّص أو الخطاب ، ولهذا يدعو " **فان دايك** " المؤسس لعلم النّص إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جُمل وإنّما على شكل وحدة أكبر شمولية وهي النّص (١) .

ولهذا فالنظريات اللسانية تَعدّ ((الجملة أعلى وحدة لغوية يمكن أن يطالها الوصف ؛ فإذا تمكنّا من وصف الجملة فإنّ وصفها سيصدق على الجمل المُركبة وكذا على متتاليات الجمل ، بينما يرى " **فان دايك** " أنّ الفروق بين الجملة والجمل المركبة ومتتاليات الجمل فروق نسقية)) (٢) وتماسكية تدخل ضمن موضوع " نحو النّص " وعلى الخصوص في مستوى وصفي تداولي ، فمعاني الجمل مثلاً ((يتوقف بعضها على بعض وإن كان ذلك مختلفاً عن طريقة توقف معاني أشباه الجمل بعضها على بعض في الجمل المُركّبة أو المُعقدة)) (٣) .

وعلى هذا فإنّ " الخطاب " مرتبط بشكل نسقي مع الفعل التواصلي على حدِّ قول الدكتور محمد خطابي الذي وافق رأيه رأي " **فان دايك** " ، وذلك لمّا كان الخطاب مرتبطاً بشكل متماسك مع الفعل التواصلي فإنّ ((المُكوّن التداولي لن يُحَدد فقط شروطَ المناسبة بالنسبة للجمل ، بل سيحدد أيضاً شروط المناسبة بالنسبة لأنواع الخطاب)) (٤) .

والمقصود ((بالمناسبة هنا سواء فيما يتعلق بالجمل أو بأنواع الخطاب ، مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية التي تنجز فيها . يهدف "فان دايك " بهذا التجاوز ، أي تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب كَتَجلٍ عملي لوحدة مجردة هي النّص إلى تحقيق غاية أعم ، وهي تفسير العلاقات النسقية بين النّص وبين السياق التداولي)) (٥) .

وبهذا ذهب " **فان دايك** " وغيره إلى ضرورة افتراض وحدة أعلى من الجملة ، ونعني بها النّص . وهنا نطرح سؤالاً مفاده : هل معنى هذا أنّ مجموعة المستويات والمقولات والقواعد ..الضرورية للتفسير الواضح لبنية الخطاب/ النّص مختلفة عن تلك المُستعملة في تفسير بنية الجملة ؟. الجواب : عن هذا السؤال : هو ((أنّ اختلاف وحدة الوصف لا يعني بالضرورة اختلاف المستويات والمقولات

... إلخ ، وذلك لأنّ كثيراً من العلاقات القائمة بين الأقوال ... في الجملة المركبة قائمة أيضاً بين الجمل في متتالية ما)) (٦) .

وهذا يدعونا أن نقف متأملين معاني النص ، كما نتأمل معاني الخطاب ومفاهيمه ، حتى ينكشف لنا وجه التوافق والاختلاف بين النّص والخطاب في تحقيق الدراسات النصية .

النّص والخطاب :

أولاً : مفهوم النّص .

والجديرُ ذكرُهُ أنّ الاختلاف في التعريف بمصطلح النّص ليس بدعاً في الدراسات اللغوية ، بل في العديد من العلوم وبخاصة في بداية نشأتها ، وهذا أمر طبيعي في عدم استقرار المصطلح، وبرزت تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص (Text) بصفة عامة ، وأُخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعيَنة ، وأخرى تحاول أن تبني مفهوم النّص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث السيمولوجية الحديثة (٧) ، لرسم معالم علم جديد يمكنه احتواء التداخل المعرفي بين هذه الاتجاهات المختلفة. غير أنّ منهجية البحث وطبيعة النّص كشفت أنّ الاتفاق في مفهوم محدد للنّص أمرٌ لا يمكن الوصول إليه ، ولا يمكن أن تتطابق رؤى الباحثين في فهمهم له ، إذ إنّ كل اتجاه يفهمه على وفق المرجعية المعرفية التي ينطلق منها ، والطريقة التي يتعامل بها معه ، وبدءاً أنّ مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي ، وذلك لاختلاف المدارس اللغوية التي ينتمي إليها علماء اللغة واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز فيها بحوثهم(٨) .

وقد أفرزت هذه الاتجاهات والتصورات المتباينة كمّاً هائلاً من التعريفات بمصطلح النّص ، جعلت الباحثين يصنفونها على وفق معايير وضوابط كثيرة أيضاً ، فصنّفها فريق بحسب الاتجاهات النقدية التي أفرزتها (٩) ، وراح فريق آخر يبحث في صلتها بالبنى النصية والسياقات النصية (١٠) ، وصنفها فريق ثالث بحسب صلتها بالجملة (١١) .

-النّص في إطاره المُعجَمي والاصطلاحي :

إنّ عملية استقراء المعجمات العربية للكشف عن معاني مادة (نصص) التي هي أصل اشتقاق المصطلح ينتج عنها معانٍ متعددة أبرزها :-

الرفع : قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) : نصصت الحديث إلى فلان نصاً أي رفعته والمنصة التي تقعد عليها العروس ، يسمى المكان الذي ترتقيه العروس المنصة ، لأنّها تظهر لمن يراها ، ونصصت ناقتي ، رفعتها في السير (١٢) .

التحريك : قال ابن منظور (ت٧١١هـ) : ((النصنصة : تحرّك البعير إذا نهض من الأرض ، ونصنص البعير : فحص بصدره في الأرض ليبرك)) (١٣) .

الإظهار : قال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ((نصّ الشيء : أظهره وكلّ ما أظهر فقد نصّ)) (١٤) . واشتق من هذا قول الفقهاء : نصّ القران ، ونصّ الحديث ، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الإحكام .

ومن هذه المعاني التي دوّنها أصحابُ المعجمات العربية ، قال الدكتور **صبحي إبراهيم الفقي** : إننا ((لا نريد أن نحمّل النصّ أشياءَ لا ينطق بها ، ولكننا نلاحظ أنّ الرفع والإظهار يعنيان أن المتحدث أو الكاتب لا بدَّ له من رفعه وإظهاره . لنصّه كي يدركه المتلقي (المستمع أو القارئ) وكذلك ضمّ الشيء : نلاحظ أنّ النّص في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط ، وكون النّص أقصى الشيء ومنتهاه : هو تمثيل لكون أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها ، إذ نعدّ النّص ممثلاً للمستوى السادس من مستويات علم اللغة المتعارف عليها)) (١٥) ، المستويات المتعارف عليها هي : المستوى الصوتي ، والصرفي ، والمعجمي ، والنحوي والدِّلالي ، المستوى السادس الذي أقترحه الدكتور الفقي يتمثل في المستوى النّصي .

أما المعنى الاصطلاحيّ فهو لم يَبْعُد كثيراً في هذا الاتجاه عن دائرة المعنى اللغوي لكلمة (نصّ) ، فهي تعني الظاهر الذي لا يحتمل التأويل ، وأن لا يتطرّق إليه احتمال إلاّ بشرط أن يُعَضّد هذا الاحتمالُ بدليل . إلاّ أَنَّ هذا المفهوم بدأ يخرج من دائرة الخصوص إلى العموم الذي يشمل جميع ما ورد عن صاحب الشريعة ، كما أرى من تعريف التهانويّ (ت ١١٨٥هـ) للنّص بقوله : ((النَّص : بالفتح والتشديد هو في عُرفِ الأصوليين يُطلق على معانٍ . منها : كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من

الكتابِ والسنّةِ سواءٌ كان ظاهراً أو نصّاً أو مفسّراً حقيقة أو مجازاً عامّاً أو خاصّاً اعتباراً منهم للغالب ، لأنّ عامّة ما ورد من صاحب الشَّرع نصوصٌ ، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النصّ وإشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ)) (١٦) ، ويعضد هذا القولُ ما أخذ عن أبي البقاء الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ) من بيانه النّص ، ووسّعه ليشمل فضلاً عن النَّص والمفسّر شمل أيضاً الحقيقة والمجاز عامّاً وخاصّاً (١٧)

-مفهوم النّص في الدراسات النصية :

إنّ لمفهوم النّص في الدراسة النّصية ، ثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات اللسانية الحديثة في مفهومه يصل أحياناً حدّ التناقض والإبهام ، مع هذا تظل محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنّص محاولة طموحة (١٨) . وهذا ما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنّص يَجمَعون عليه ، لأنّ لكل باحث تصوره التي تنير فكره مختلفة عن الآخر ، ((فالوصف اللغوي للنّص وصف مُعقّد يتجاوز حدود ما هو قائم في اللغة ، والواقع اللغوي ، إلى ما هو غير قائم في اللغة ، الواقع الخارجي ، أي إنّ المادة الفعلية التي تقدمها تراكيب اللغة ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة للنّصوص)) [١٩] .

جاء في الدراسات اللغوية الحديثة ما قاله **د . طه عبد الرحمن** إنّ النّص : ((كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات)) [٢٠] ، ويبدو لي أنّ هذا التعريف من التعريفات المهمة التي تصب في صلب تماسك النصوص وانسجامها ، وذلك في التنقيب عن جمل مترابطة ، داخل أبنية تركيبية ، تسودها علاقات معينة سواء كانت داخلية منها أو خارجية.

ولذا عمد **د . أبو زنيد** إلى تتبع مفهوم النّص في الحقول التي عُنيت به بدءاً بالمعاني المُعجمية ، حتى آخر النظريات النّصية ، وقد حشد كثيراً من التعريفات للنّص ، ورتبها بحسب النظريات ، حتى قال : ((فإنّ الذي أرتضيه له تعريفاً هو أن النّص : نظام كُلي ينطوي على أبعاد دلالية ، ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصي مركب من مجموعة من العلاقات المُتبادلة بين مُجريات لغوية ومُعطيات إنجازية ، خاضعة للدّلالة العميقة المُنتجة له ، ولإطار التلقي المُفترض في مرحلة الإنتاج)) [٢١] .

ويختلف مفهوم النّص الاصطلاحي عند الباحثين في الدراسات اللغوية الغربية ، شأنه في ذلك شأن الاختلاف الحاصل في الدراسات اللغوية عند العرب . إذ تحدد **جوليا كريستيفا** النّص على أنّه ((جهاز عَبرَ لساني يعيد توزيعَ نظام اللسان [أو اللغة] ، بوساطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملحوظات السّابقة عليه والمتزامنة معه)) (٢٢) . أمَّا مفهوم النص عند **كلاوس برينكر** فهو ((وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه)) (٢٣) . والنّص نتيجة لذلك إنّما هو عملية إنتاجية مركبة داخل اللغة (*) .

بعد أن حددنا بشكل موجز بعض مفاهيم النّص المشهورة لدى الباحثين ، نتساءل الآن : ما هو الخطاب ؟ وهنا تُحسن بنا الإشارة إلى مصطلح آخر يستعمله بعض المنظرين النّصيين بديلاً للنّص أو مرادفاً له ، يتداخل معه إلى حدٍّ يَصعُبُ التّفريق بينهما ، إنّه مصطلح (الخِطاب) .

لقد استعمل مصطلح **(النّص والخطاب)** في الدراسات اللسانية الحديثة من دون تمييز كبير بينهما ، فعندما تكون مادة اللغة وشكلها وبُنيتها ، هي الموضوع يتجه التأكيد إلى استعمال مصطلح " النّص " ، وحين يكون محتوى اللغة ودلالتها الاجتماعية هي الموضوع تتجه الدراسة " للخطاب " (٢٤) .

ويفرق بعض الباحثين بين مفهومي " النّص والخطاب " على أساس الكتابة ، ومن ثمَّ التواصل لأنّ المُدَوّن والمَكتوب من منظورهم لا يُحقق شروط عملية الاتصال ، لأنّ المتلقي مفقود ولا يكون التأثير فيه مباشراً . إذن فالخطاب عندهم هو كلٌّ ملفوظ قبل تدوينه (٢٥) .

وعليه ارتبط مصطلح (النّص) في الدرس اللساني الحديث بمصطلح آخر في الاستعمال والتداول وهو مصطلح (الخطاب) فما حدهُ ؟ وما هي علاقته بالنّص ؟ حتى سُلطّ عليه الأضواء من النّصيين وغيرهِم .

ثانياً : الخطاب .

إنّ العناية بالخطاب ومحاولة ضبط مفهومه ، ظاهرة حديثة نسبياً ، كما هي الحال في النّص ، ((فقد أصبح تعريفة من الأمور المستعصية ، نظراً للتحولات السريعة والتطورات المدهشة التي حصلت في الدرس اللساني)) (٢٦) .

وبهذا ((اختلط مفهوم الخطاب والتبس بغيره من المصطلحات ، وبخاصة مصطلح النّص ، لأنّه ظلَّ يلازمه في المعنى ، ويرادفه في الاستعمال ، فقد يسمع الواحد منّا مصطلح النّص والخطاب فيظن أنّ النّص هو الخطاب ، وأنّ الخطاب هو النّص ، فتختلط عليه المفاهيم والتصورات ، كما أنَّ توظيفه في البحوث النقدية عُرِفَ ارتباكاً كبيراً ، بسبب تداخل المصطلحات فيما بينها ، وعدم الضبط المنهجي في استعمال المصطلحات)) [٢٧] .

انطلاقاً من هذا الإشكال المعرفي ، نحاول النظر في الأصول العربية " للخطاب " ثم نُعَرّج بعد ذلك لنسلّط الضوء على مفهومه في الدرس اللساني الحديث ، لنعرض بعدها العلاقة التي تصله بالنّص .

أ- الخطاب في التراث العربي :

لإدراك مدلول مصطلح " الخطاب في التراث العربي " لا بدّ من الرجوع إلى نّص القرآن الكريم ، وأشهر المعاجم العربية ، ثمّ إلى كتب اللغة والأدب . فالخطاب في المعاجم العربية لا يخرج عن كونه دلالة على (الكلام) ، فهو يأتي للدِّلالة على الكلام بين اثنين ، وقد يُعبَّر به عمّا يقع به التخاطب بمعنى أنّه يراد به الكلام الذي يخاطب به الرجل صاحبه [٢٨] ، جاء في لسان العرب في مادة (**خ ، ط ، ب**) : تعني أنّ الخطاب والمخاطبة تعنيان مراجعة الكلام ، وقد خَاطَبهُ مُخاطبةً وخطاباً ، وهما يتخاطبان ، وصيغة مُخاطبة هنا جاءت على وزن مُفاعلة ، وهي تُفيد المُشاركة والتفاعل . والخطْبة بضم الخاء هي الكلام المنثور المُسّجع الذي يتكلم به الخطيب أو الواعظ ، والخُطْبة مثل الرسالة التي لها بداية ونهاية [٢٩] .

إذ يظهر الخطاب في كلام ابن منظور بمعنى الكلام الشفوي وبخاصة حين يقترن باشتقاق الخطاب نفسه واعني (الخطبة) التي هي ((اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب)) [٣٠] ، واقتران لفظ الخطاب بالخطبة لا يأتي فقط كونه من الاشتقاق نفسه ، فقد يقترن هذان اللفظان من خلال الوظيفة .

وإذا كان قد دلَّ على ما هو شفوي فإنّه يأتي أيضاً ليدل على ما هو مكتوب أي يأتي الخطاب بمعنى " الرسالة " [٣١] ، ولهذا يظهر من المعنى المُعجمي لـ (خطاب) اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة ، وفضلاً عن ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة ، وكأنّه (التواصل) في مفهوم هذه الكلمة أمر أساس في تحقق معناها [٣٢] .

يتضح لنا مما سبق أنّ لفظ " الخطاب " في اللغة هو فعل إنجازي آني يُشترط لقيامه وحدوثه مُشاركة طرفي الخطاب " المتلقي والمتكلم " من خلال تفاعلهما مواجهة ومُشافهة . وهذه المادة لها علاقة وإنعكاس مباشر على المفهوم الاصطلاحي للفظ " الخطاب " .

ب- مفهوم الخطاب في الدرس اللساني :

لقد تعددت مفاهيم مصطلح " الخطاب " بتعدد تصورات المهتمين به ، التي تمايزت عن بعضها وتكاملت في الوقت نفسه ، وتنوعت منطلقات الباحثين بسبب اختلاف الأفكار وتنوع الأفهام .

وفيما أنتج في مجال " نظرية الخطاب " يمكننا تلخيص مفاهيمَه كما يأتي [٣٣] : -

- يُرادف مفهوم مصطلح " الخطاب " مصطلح الكلام بحسب رأي " **دي سوسير**"((لذا تعود جذور الخطاب في الدرس اللساني إلى " **سوسير** " الذي يُعدُّ أب اللسانيات الحديثة بلا مُنازع ، حيث مَيَّز بدقة بين اللغة والكلام)) [٣٤] .

- مفهوم " الخطاب " هو وحدة لغوية يقوم المُتكلم بإنتاجها ، وهي تجاوز حدود الجملة بحسب رأي "**فان دايك** " .

- الخطاب وحدة لغوية تفوق الجملة ، ويشترط به البُعد التواصلي بحسب رأي " بنفنيست " .

انطلاقاً من تعريف " **بنفنيست** " للخطاب الذي ينظر إليه على أنّه بنية كُلية دلالية ، تتجاوز حدود الجملة إلى وحدة أوسع يُمثلها الخطاب ، لأنّه عملية تحليله تتجاوز بنيته اللغوية الصرفة إلى النّظر إلى كلِّ ما يُحيط به ، من ظروف تتعلق بإنتاجه وتلقيه ، وبعبارة أخرى : يجب دراسة كل السياقات الخارجة عن بنيته اللغوية الصرفة [٣٥] .

وعرَّفه " **هارس** " و " **جان كارون** " بأنّه عبارة عن ملفوظ طويل أو سلسلة من الجمل . وبعبارة أُخرى : بأنّه سلسلة من الملفوظات المنسجمة [٣٦] .

والذي يبدو أنّ المُتأمل في التعريفات السابقة لمفهوم الخطاب في الدرس اللساني ، يجد أنَّ هناك خصائصَ مشتركة فيما بينها ، إذ تتفق هذه التعريفات على أنّ الخطاب متتالية من الجمل ، أو مجموعة من النصوص تخضع لنسق مخصوص من التأليف [٣٧] .

جـ – الخطاب من المنظور القرآني :

ترددت مادة (خَطب) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة ، موزعة على اثنتي عشرة سورة ؛ وقد تعددت بعض معاني هذه اللفظة بحسب السّياق القرآني الذي وردت فيه ، وبحسب التركيب الصرفي للمفردة ، فقد يأتي للدّلالة على الشأن والغرض حين يختص به المصدر المشتق منها [*] :(خَطْب) بسكون الطاء [٣٨] ، في قوله تعالى { قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ } (يوسف آية : ٥١) .

وقد تأتي مفردة (**خَ** ، **ط** ، **ب**) للدِّلالة على كلام حامل لشأن أو غرض ؛ كما في الفعل خاطب أو المصادر المشتقة منها ، إذ ورد الفعل (خاطب) مرتين في كل من سورتي (**هود والفرقان**) وهو يقصد مجرد الكلام كقوله تعالى { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ } (هود آية : ٣٧) ، أمّا المصدر (خطاب) فقد ورد في سورة (ص) للدِّلالة على الكلام الحامل لشأن أو غرض مع اضافة ما يتضمنه السياق معنى أو ما يشير إليه من دلالة ، بما يجعل مفردة الخطاب تتمتع بشبكة من الدلالات القارة التي تظهر في سياقات مختلفة وبحسب الدِّلالة الرئيسة في النّص ، كما في قوله تعالى { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} (ص آية : ٢٠) ، فقد اختلف المفسرون إزاء معنى (الخطاب) الوارد في هذا النّص ، **فالزمخشري** (ت ٥٣٨هـ) يرى أنّه يجوز أن يراد بالخطاب هنا في الآية ((القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ، ولا اشباع ممل ...[أو هو] البيّن من الكلام المُلخص الذي يتبيّنُه من يخاطب به لا يلتبس عليه)) [٣٩] ، فالخطاب عند الزمخشري يأتي بمعنى الكلام الواضح والبين الذي لا يلتبس على من يُخاطَبُ به ، أي أنّ الزمخشري يؤكد على وجود ثلاثية مُشتركة لانتاج (الخطاب) المُخاطِب الذي يعي ويقصد ما يقول من خلال خطابه البين الواضح الموجه إلى المُخاطَب الموجود في ذهن المُخاطِب ، أمّا **الفخر الرازي** (ت٦٠٦هـ) في تفسيره فإنّه يتوسع في المعنى وذلك بأن يعطي لدلالة (الخطاب) صفة القوى العليا التي تحمل معنى التأثير في الآخرين تأثيراً يوحي بالسلطة والقدرة والتميّز ، فصفة فصل الخطاب من الصفات التي اعطاها الله تعالى للنبي داود (عليه السلام) مع ما اعطاه الملك والحكمة ، مُعتبراً أنّ هذه الصفة من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور ، والتي يمتاز بها الإنسان على اجسام العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوان ، بيد ((أنّ الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير ، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام

المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول ، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات ، وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه أكمل ، وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل كانت تلك الآثار أضعف ... لأنَّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء ، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام)) (٤٠) .

وذهب بعض المفسرين في قوله تعالى (فصل الخطاب) هو : التمييز بين الشيئين وقيل للكلام المبين فصل بمعنى المفعول وأصله : إنّهم يقولون كلام ملتبس ، وفي كلامه لبس والملتبس المختلط الذي لا يبين لتداخله أو معاظلته ، فقيل في نقيضه كلام فصل أي مفصول بعضه عن بعض وملخصه أن لا يخطىء مظان الوصل والفصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله : « ويل للمصلين » إلا موصولاً بما بعده ولا « والله يعلم وأنتم » حتى يصله بقوله : « لا تعلمون » ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه ، والإضمار ، والإظهار ، والذكر، والحذف ، والتكرار وغير ذلك ... ويجوز أن يكون الفصل بمعنى الفاعل أي الفاصل بين الحق والباطل وبين الصحيح والفاسد وبين السمين والغث (٤١) .

وبهذا فالقرآن الكريم رصَدَ مجموعة من الخطابات ، ((استطاع أن يسمو بها لتكون عالمية أي لا يتطرق إليها البطلان والتغيير ، ولذا برزت فيه عملية تصحيح واسعة متكاملة ، لأنّها تقوم على أُسس قوية قادرة على فحص" الخطاب " وتحليليه وتوجيهه)) (٤٢) ولعل أهم تلك الأسس ما يأتي: –

١– الإحاطة العلمية الحضورية المطلقة بعناصر الخطاب . وتشتمل على أمور منها (٤٣) :–

أ – العلم بالمتكلم وهو أنّ الله عزّ وجلّ يعلم ظاهر الإنسان وباطنه ، قال تعالى{ قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } (البقرة آية : ٣٣) .

بـ – العلم بالخطاب ومحتواه . قال تعالى { قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الأنبياء آية: ٤) .

جـ – العلم بالأشياء التي يُعبّر عنها الخطاب . قال تعالى { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا } (النّسآء آية : ١٢٦) .

٢- القدرة اللغوية على تشكيل خطاب بديل (٤٤) . قال تعالى { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (النساء آية : ١٦٤) .

يتضح من الآية أنّ الله يمتلك قدرةً مطلقةً على صنع الخطاب ، والقرآن وهو كلام الله يشهد على تلك القدرة المطلقة على إيجاد كلام مُعجز .

وهذا يدلّ دلالة جازمة على أنّ القرآن الكريم يريد أن يصنع الخطاب في مرتبة تعبيرية جمالية عالية ، يَتّحد فيها البُعد اللغوي مع البُعد التكويني بدقة ووضوح ، ويحذر المُبدع من الخطاب العشوائي العبثي الذي تنفصل فيه عناصره ، وقد حضّ الإسلام على الإذعان لقول الحقّ المنسجم والمتسق مع الموازين العقلية والمنطقية ، وإن كان صادراً ممن يُعارضهم في المُعْتقد ، ورفض الكلام غير الصحيح ، وغير المنطقي وإن صدر ممن يوافقهم في المعتقد(٤٥) .

-علاقة الخطاب بالنّص :

يفرق " **بوجراند** " صاحب النّظرية النّصية أو المعايير النّصيَّة السبعة تفريقاً واضحاً بين مفهومي (النّص والخطاب) ، ذلك بأنّه يرى أنَّ السَّمة التي تُمَيز النّص هـــي استعماله في التواصل أو الاتصال ، وأنّ الخطاب عبارة عن مجموعة من النصوص تربطها علاقة مُشتركة ،أي أنّه متتالية مترابطة من مظاهر الاستعمال النّصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق (٤٦) .

وإن كان الكثيرون قد يختلفون مع " دي بوجراند " في مثل هذا البيان ، إلاَّ أنَّ هناك مَنْ يؤيد هذا الطرح مثل (**محمد مفتاح**) (٤٧) . في حين نجد فريقاً آخر من اللغويين يرون أنّ النّص أعم من الخطاب وأشمل منه ، لأنّ النّص عملية إنتاجية ، له دلالات متعددة ويتفاعل مع النصوص الأخرى . وممن ينتصر لهذا التصور (**سعيد يقطين**) الذي يرى ضرورة الاعتناء بالنّص عنصراً مَؤولاً للدّلالة ، ويمثل أساس الاهتمام بجوانب أخرى تتعدى الراوي إلى الكاتب ، والمروي له إلى القارئ ، والبنيات السردية إلى الدّلالية ، وصيغ الخطاب إلى بُنيات النّص ، ويُعد انفتاح النّص أساس ذلك التّمييز ، لكونه سمح بالحديث عن التّناص من خلال التّمييز بين البُنيات النّصية عِبْرَ تعريف أوسع للنّص ، لأنّه أشمل من الخطاب(٤٨) .

وأما مَنْ كان يعدّ النّص والخطاب شيئاً واحداً ، فذلك لأنَّ أغلب البنيويين ، ولا سيمّا " **جرار جنييت** " لا يضعون حدوداً فارقة بين الخطاب والنّص ، لكونهم يركزون في " البُعد النّحوي " أو ما يُحدد سردية العمل السّردي ولم يُولوا اهتماماً بالبُعد الدّلالي [٤٩] . لذا بات يُنظر إلى النّص على أنّه الخطاب ((فهو متصل به متلاحم معه ، ذلك أنّ النّص لا يستطيع أن يتواجد إلاّ عِبْرَ الخطاب))[٥٠] .

وبذلك فإذا أنعمنا النظر في الأحكام وقفنا عند الدور الفاعل الذي يلعبه الخطاب في توجيه حركية المجتمعات ، ورسم فعالية المتلقي في توجيه المفاهيم ، ومن هنا تتعدد صور الخطاب وتحديد الفروق الأولية بينه وبين النّص ، وإن كانت فروقا نظرية إلاّ أنها رسمت معالم كل نوع ، ومن أهم هذه الروق : ((

١- يُنظر إلى النص في الاساس من حيث هو بنية مترابطة تكون وحدة دلالية ، ويُنظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته .
٢- يحصل في ذلك القول بأنّ الخطاب أوسع من النص ، فالخطاب بنية بالضرورة ولكنه يتسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها ، ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابيا الاتصال .
٣- النص في الأصل هو النص المكتوب ، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق ، ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع ، إذ يطلق النص على المنطوق ، كما يطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الروائي .
٤- يتميز الخطاب عادة بالطول ، وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية ، وأما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة مثل : (سكوت !) ويطول حتى يصبح مدونة مثل : (رسالة الغفران)) [٥١] .

فإذا وقفنا عند بعض هذه الفروق التي ذكرت وجدنا قد جعل الخطاب في مقابل الكلام لأنه يفتقر أحيانا إلى النظام ، ولكنه يخضع إلى الدلالة (ك = + د – د) ، فضلا عنه أنّ الكلام تُعززه سلوكيات حركية ، وهي التي تكفل نجاح عملية التواصل بين المرسل والمتلقي ، في حين أنّ النص يجب أن تتوافر فيه الدلالة والنظام أي : (نص = + ن + د) . وعليه إذا كان الخطاب

يفرض وجود مرسل ومتلقي فإنّ الفرق بينه وبين النّص من هذه الناحية هو أنّ المتلقي في النّص مؤجلا ، بينما يفترض في الخطاب وجود مخاطِب ومخاطَب في موقف تواصلي [٥٢] .

إذن من هذه المعاني والمفاهيم العامة " للنّص والخطاب " نَلحظ أنّ معانيهما الاصطلاحية قريبة جداً من معانيهما اللغوية ، وأنّهما يشتركان في العديد من المعاني ، إلى درجة أنّ هناك كثيراً من الباحثين يرادف المصطلحين ويساوي بينهما كما وضحنا آنفاً . لذا فالتعريفات السّابقة للنّص والخطاب التي جاء بها اللغويون العرب والدارسون الغربيون كلها تشترك في عدِّ الجملة محور الدّرس اللغوي الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها ، فهي من دون غيرها المُمثّل الوحيد للغة . وهذا يكون واضحا في التحليل إذ لا يفرق أغلب الباحثين بين النص والخطاب ، ويكون التعامل معهما بالطريقة نفسها ، لأنّ اللغة توظف في الاستعمال بين المخاطبين سواء كان المتلقي حاضرا أم مؤجلا ، فالاشتغال إذن في التواصل أو التفاعل هو الغاية المنشودة في النّص والخطاب .

كما يبدو أنَّ الإشكالية بين المفهومين هي إشكالية مصطلحات وفهم ذلك المصطلح لا غير ، ((لأنّ كلَّ باحث إذا تشيّع إلى نظرية وفكرة ما ، أو انضوى تحت لواء رائد مؤسسي ، نجده يتبنى كثيراً من مصطلحاته في الدراسات والأبحاث التي يجريها)) [٥٣] ، وهكذا تتعدد مصطلحات المفهوم الواحد من باحث لآخر .

-النّص والسُّورة القرآنية :

انطلاقاً من مدونة البحث التي اخترنا دراسته أن نُوضِّح بعض المصطلحات أو المفاهيم التي بها صيرورته ، من هذه المُصطلحات مصطلح (**سورة**) محاولاً الوقوف على علاقة السّورة بالنّص .

١- مفهوم السّورة في إطارها اللغوي :

مفهوم السّورة في إطارها اللغوي يدخل في عدة معانٍ منها [٥٤] : -

- السورة بمعنى : المنزلة والدرجة الرفيعة ، قال الشاعر [٥٥] :-

ألمْ ترَ أنّ الله أعطاكَ سورةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذبذبُ

- السور من البناء : بمعنى ما حَسُنَ وطَال [٥٦] .

- السورة سميت بهذا لأنّها محاطة بالأحكام قال **الراغب الأصفهاني** : (ت٥٠١هـ) سورة المدينة حائطها المشتمل عليه ، وسورة القرآن تشبيهاً بها لكونها مُحاطاً بها ، ومن قال سُؤرَة فإنه من أسْأرْتُ أي أبقيت منها بقية كأنها قطعة مفردة من الأحكام . وقيل : أسْأرتُ في القدح أي أبقيت فيه سُؤراً أي بقية [٥٧] .

والمُتأمل في هذه المعاني اللغوية على تعددها يجدها تدور حول الأمور الآتية :-

- معنى المنزلة والدرجة الرفيعة .
- بمعنى قطعة متكاملة من الأحكام .
- الإحاطة بالأشياء .

٢- المعنى الاصطلاحي :

السّورة : هي قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة أقلها ثلاث آيات وهي سورة الكوثر .

- وقيل : السّورة التي تشتمل على الآيات ، والآيات قرآن مركب من جمل ، ذو مبدأ ومقطع أي بداية ونهاية ، مندرج في السُّورة .

- وقيل : سميت السّورة اصطلاحاً سُورةً ، لأنّها من الطائفة المُسماة باسم خاص بتوقيف من النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " [٥٨] .

وأخيراً : ما نَخْلُص إليه من خلال عرض هذه المعاني العامة في معنى السُّورة ، أنَّ معانيها اللغوية تقترب كثيراً من معناها الاصطلاحي ، وكذلك نرى أنَّ هناك علاقة بين السّورة والنّص . وهما يتقاطعان ويشتركان في عدة نقاط منها :-

- السُّورة تشتمل على آيات ، والآيات قرآن مركب من مبدأ ومقطع . وكذلك النّص فهو تتابع مترابط من الجمل ، والجملة تُمثل جزءاً يرمز إلى الكّل (النّص) .

– ومن الخصائص المميزة للنّص خاصية الاتصال ، وفيه كلّ العناصر المُقامية التبليغية من مُرسِل ، ومُرسَل إليه ، ورسالة ، ومرجع وغيرها ، كذلك السورة فإنها تَوصيل لغوي مكتوب ، ينقل الأحكام والحكم للآخرين .

– السّورة بناء تحكم أجزاءه مجموعة من العلاقات ، كذلك النّص فهو نسيج متماسك من الكلمات المنظومة والمترابطة... تجمع عناصره في كلِّ موقف (٥٩) .

وهكذا لو واصلنا التنقيب عن أهم الخصائص المميزة للنّص ، لوجدناها تتجلى في السُّور ، وتتطابق مع خصائصها . وبناءً على ما تقدم يبدو أنّ السُّورة في القرآن الكريم بشكل عام تشترك في كثير من الخصائص البنيوية والدّلالية والتداولية مع النّص ، ممّا يُسوغ لنا القول انّ السّورة عبارة عن نصٍّ تتوافر فيه مقومات التماسك النّصي كلها .

فهرسة البحث :

[١] – علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات ، د . سعيد بحيري : ٦٧ – ٦٨ ،

[٢] – لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، د . محمد خطابي : ٢٩ .

[٣] – المصدر نفسه : ٢٩ – ٣٠ .

[٤] – المصدر نفسه : ٣٠

[٥] – المصدر نفسه : ٢٩ .

[٦] – المصدر نفسه : ٣١ .

[٧] – ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النّص ، د. صلاح فضل : ٢٢٩.

[٨] – ينظر :علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات : ١٣٧ ، ونسيج النص ، الأزهر الزّناد :١١ .

[٩] – النّص الغائب ، محمد عزّام : ١١– ٢٥ .

[١٠] – ينظر: الخطاب وأثره في بناء نحو النّص ،عبد المهدي الجراح : ١٩–٢٧.

[١١] – ينظر : أصول تحليل الخطاب ، محمد الشاوش : ٨٢–٩٣ .

[١٢] – العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (نصص) : ٧ / ٨٦.

[١٣] – لسان العرب : لإبن منظور الافريقي (نصص) : ٧ / ١١٠ – ١١٢.

[١٤] – ينظر : تاج العروس (نصص) : ١٨ / ١٩٧ .

[١٥] – علم اللغة النّصي : ١/ ٢٨.

[١٦] – تنظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون ،محمد بن علي التهانوي: ٢/ ١٦٩٥

[١٧] – ينظر: الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفويّ : ٩٠٨.

[١٨] – ينظر: علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات : ١٣٠ .

[١٩] – المصدر نفسه :١٢٩، وينظر : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البُنية والدِّلالة د . سعيد بحيري : ٩٣، ولسانيات النّص ، فطيمة زياد : ٥ .

[٢٠] – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د . طه عبد الرحمن : ٣٥ .

[٢١] – نحو النّص إطار نظري ودراسات تطبيقية ، د . عثمان أبو زنيد : ٣٠ .

[٢٢] – علم النّص ، ترجمة : فريد الزاهي : ٢١ ، وينظر :علم لغة النّص ، البحيري : ١٣٥، وبلاغة الخطاب وعلم النّص : ٢٢٩.

[٢٣] – التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، ترجمة د . سعيد حسن بحيري : ٢٨ .

(*) – للمزيد عن مفهوم النص وماهيته ، ينظر : بحثنا (النص الحدود والمكونات) المنشور في مجلة الآداب – جامعة البصرة (العدد – ٣٧) سنة ٢٠١٦ م .

[٢٤] – ينظر : لسانيات النّص " النظرية والتطبيق " : ٣٥ .

[٢٥] – ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النّص : ٢٧٨ .

[٢٦] – لسانيات النّص " النظرية والتطبيق " : ٣٤ .

[٢٧] – المصدر نفسه : ٣٤ – ٣٥ .

[٢٨] – ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (خطب) : ٣٠٤ .

[٢٩] – ينظر : لسان العرب (خطب) : ١/ ٣٦١ و ١٣٥/٤ .

[٣٠] – المصدر نفسه : ٤/ ١٣٥ .

[٣١] – ينظر : المُعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون : ١/ ٢٤٣ .

[٣٢] – ينظر : الخطاب النقدي للشعر ، د . رائد فؤاد طالب : ٤ .

[٣٣] – ينظر : الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) فرحا بدري : ٣٩ ، والتنوع في الخطاب القرآني " دراسة أسلوبية " د . أزهار علي ياسين : ٦ ، ولسانيات النّص " النظرية والتطبيق " : ٤٠ .

[٣٤]– لسانيات النّص " النظرية والتطبيق " : ٣٧ .

[٣٥] – ينظر : المصدر نفسه : ٤١ .

[٣٦] – ينظر : تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين : ١٧ – ٢٤ .

[٣٧] – يبدو أنّ ثمةّ خلطاً بين مفهومي النصّ والخطاب ، ولاسيما عند أصحاب الاتجاه اللغويّ المعروف بـ (تحليل الخطاب) ، إذ نجد تداخلاً كبيراً في تعريفات الخطاب مع ما يعرف بـ (النصّ) كذلك الآليّات المستعملة في تحليل الخطاب هي ذاتها مستعملة في تحليل النصوص ، فنجد الحديث عن تواصليّة الخطاب ، ومقام الخطاب ، وعلاقات الترابط بين وحدات الخطاب... وغيرها . وهناك من لا يرى فرقاً بين النصّ والخطاب فهما متلاحمان كما في قول " رولان بارت " فالنصّ يظلّ في كلّ الأحوال متلاحماً مع الخطاب ، وليس النصّ إلا خطاباً ، ولا يستطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر . ينظر: نظرية النصّ ، المفهوم والمنظور ، رولان بارت ، ترجمة: د. محمّد خير البقاعيّ : ٤٤.

ونجد أيضاً من يجعل النصّ جزءاً من الخطاب ، وإنّ مجموعة النصوص هي التي تكوّن الخطاب ، وذلك في حديث " ديّان " الذي يقول فيه ((إنّ الخطاب إذن مصطلح يعيّن الطريقة التي تشكّل بها الجمل نسقا تتابعيّا ، وتشارك في كلّ متجانس ومتنوع على السواء ، وأنّ الجمل تترابط في الخطاب لكي تصنع نصّاً مفرداً ، فإنّ النصوص ذاتها تترابط ، كذلك مع نصوص أخرى لتصنع خطاباً أوسع نظاماً)) : مقدّمة في نظريات الخطاب ، مكدونيل (ديان) ، ترجمة : د. عز الدين إسماعيل : ٣١ .

(*) – وردت صيغ مادة (خطب) في القرآن الكريم ، هذه بعض الآيات التي تضمنتها وهي :

– لفظ (تُخاطبني) قال تعالى { وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ } (المؤمنون آية : ٢٧) .

– لفظ (خاطبهم) قال تعالى { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } (الفرقان آية : ٦٣) .

– لفظ (خَطْبُكَ) قال تعالى { فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ } (طه آية : ٩٥) .

– لفظ (الخطاب) قال تعالى { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ }(ص آية : ٢٠) .

– لفظ (خطاباً) قال تعالى { رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا } (النَّبأ آية : ٣٧).
ينظر : المُعجم المُفَهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي : ٢٩٨ .

[٣٨] – ينظر : الخطاب النقدي للشعر : ٢ – ٣ .

[٣٩] – الكشاف ، الزمخشري : ٤/ ٧٧.

[٤٠] – تفسير الفخر الرازي : ١٣/ ١٧٢ .

[٤١]– ينظر : الكشاف : ٤/ ٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٦٢/١٥ ، وإعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش : ٨/ ٣٤٣ .

[٤٢] – تصحيح الخطاب البشري في ضوء المنظور القرآني (بحث) د . أحمد رسن صحن :٨٤ .

[٤٣]– لمعرفة تفاصيل عناصر الخطاب ، ينظر : وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى ، محمد محمد يونس علي : ١٣٠– ١٤٠ .

[٤٤] – ينظر : البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله الزركشي : ٤ / ٤٦٨ – ٤٦٩ .

[٤٥] – ينظر : الحوار بين الحضارات في الكتاب والسُنّة ، محمد الريشهري : ٢٥ ، وتصحيح الخطاب البشري في ضوء المنظور القرآني : ٨٢ .

[٤٦] – ينظر : النّص والخطاب والإجراء ، مقدمة المُترجم : ٦ .

[٤٧] – ينظر : من النص إلى النص المترابط ، سعيد يقطين : ١١٦ .

[٤٨] – ينظر : المصدر نفسه : ١١٧ ، وينظر : لسانيات النّص ، فطيمة زياد :٢٩ .

[٤٩] – ينظر : المصدر نفسه : ١١٨ .

[٥٠] – نظرية النّص (المفهوم والمنظور) ، رولان بارت ، ترجمة: محمد خيري البقاعي : ٤٤ .

[٥١] – النص والخطاب والاتصال ، محمد العبد : ١٢ .

[٥٢] – لسانيات النّص ، فطيمة زياد : ٢٩ .

[٥٣] – بنية النّص في سورة الكهف : ٣٠

[٥٤] – ينظر : مفردات غريب القرآن : ٢٥٤ .

[٥٥] – ديوان النابغة الذبياني : ٢٢ .

[٥٦] – ينظر : لسان العرب (سَوَر) : ٤/ ٣٨٦ .

[٥٧] – ينظر : مفردات غريب القرآن : ٣٢٦ .

[٥٨] – ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/٢٦٤.

[٥٩] – ينظر : بنية النّص في سورة الكهف : ٣٣ .

المصادر والمراجع :

- أصول تحليل الخطاب ، د. محمد الشاوش ، جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس – الطبعة الأولى /١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م .
- الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) فرحا بدري ، مؤسسة الجامعة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى / ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ، دار اليمامة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة السابعة / ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- بلاغة الخطاب وعلم النّص ، د . صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، مصر ، الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : محمود محمد الطنطاوي ، دار الجيل ، مطبعة الكويت / ١٩٧٦م .

- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، منشورات المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الطبعة الرابعة / ٢٠٠٥م .
- التحليل اللغوي للنّص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، ترجمة : د . سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- تفسير الفخر الرازي ، المعروف بـ (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين التميمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ) منشورات دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- تماسك النّص الأسس والأهداف ، د . حسن محمد عبد المقصود ، منشورات تنمية العلوم واللغات ، مصر / ٢٠٠١م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأَنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، مطبعة دار الشعب القاهرة ، الطبعة الثانية / ١٣٧٧هـ .
- الحوار بين الحضارات في الكتاب والسُنّة ، محمد الريشهري ، مركز البحوث دار الحديث ، الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- الخطاب النقدي للشعر ، د . رائد فؤاد طالب الرديني ، عالم الكتب الحديث ، أربد - الأردن ، الطبعة الأولى / ٢٠١٥ م .
- الخطاب وأثره في بناء نحو النّص، تطبيق على المُعلقات السّبع، د .عبد المهدي الجراح ، منشورات اليرموك ، الأردن / ٢٠٠٨ م .
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البُنية والدِّلالة ، د . سعيد حسن بحيري ، مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- ديوان النابغة الذبيانيّ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى / ١٩٩٨ م .

- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المُختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية /١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- علم النّص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية /١٩٩٧م .
- العين المسمى (كتاب العين) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، الدار الوطنية والاعلان ، وزارة الثقافة والاعلام دار الرشيد للنشر/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ، بيروت – الطبعة الثانية / ٢٠٠٠م .
- الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) رتّبه وضبطه : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان / ١٩٩٥م.
- الكُلِيَّات (مُعجم في المُصطلحات والفُروق اللغوية) ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفَويّ (ت١٠٩٤هـ) حققه ووضع فَهارسه ، د . عدنان درويش – ومحمد المصري ، منشورات مؤسسة الرِّسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية / ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي (ت٧١١هـ) دار ليبيا – بيروت/ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- لسانيات النّص، للأستاذة فطيمة زياد ،مطبوعات محمد رسول الله(د – ت) .
- لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، د . محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، المغرب – الطبعة الثانية / ٢٠٠٦م .
- لسانيات النّص ، النظرية والتطبيق (مقامات الهمذاني أنموذجاً)، ليندة قَيّاس ، تقديم د . عبد الوهاب شعلان ، منشورات مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى /١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

- مدخل إلى علم اللغة النَّصي تأليف (فولفجانج هاينه من – وديتر فيهفيجر) ترجمة : د . فالح بن شبيب العَجمي ، جامعة الملك سعود للنشر والطباعة ، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ .
- المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى، إيران – قم ، الطبعة الثالثة / ١٣٨٤ هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر – بيروت / ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .
- مفردات غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) على كتاب نهاية غريب القرآن ، المطبعة الخيرية ، مصر / وتحقيق : محمد جليل دار المعرفة . بيروت ، الطبعة الثالثة / ٢٠٠٦م .
- مقدّمة في نظريات الخطاب ، ديّان مكدونيل ، ترجمة : د. عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة – الطبعة الأولى / ٢٠٠٣م .
- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي بن محمد التهانوي (ت ١١٨٥هـ) منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى / ١٩٩٨م .
- نحو النّص إطار نظري ودراسات تطبيقية ، د. عثمان أبو زنيد ، عالم الكتب الحديث ، أربد الطبعة الأولى / ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .
- نسيج النّص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً) ، د . الأزهر الزّناد ، منشورات المركز الثقافي العربي ، بيروت – الطبعة الأولى / ١٩٩٣ م .
- النّص الغائب " تجليات التناص في الشعر العربي " ، محمد عزّام ، منشورات اتحاد الأدباء والكُتّاب العرب ، دمشق ، الطبعة الأولى / ٢٠٠١م .
- النص والخطاب والاتصال ، د. محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة / ٢٠٠٥م .

- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة – الطبعة الأولى / ١٩٩٨م .
- نظرية النّص المفهوم والمنظور ، رولان بارت ، ترجمة : محمد خيري البقاعي ، منشورات مركز الإنماء ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م .
- وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى ، محمد محمد يونس علي ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا (د – ت) .

البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات :

- تصحيح الخطاب البشري في ضوء المنظور القرآني ، د . أحمد رسن صحن ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٤٤) / ٢٠٠٧ م .
- من النص إلى النص المترابط (مفاهيم وأشكال وتجليات) ، سعيد يقطين ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الثاني – المجلد (٣٢) / ٢٠٠٢م .

الرسائل والأطاريح الجامعية :

- بنية النّص في سورة الكهف " مقاربة نصيّة للاتساق والسياق " شُعيب محمودي ، منشورات جامعة منتوري ، الجمهورية الجزائرية / ٢٠١٥م
- التنوع في الخطاب القرآني ، دراسة أسلوبية " اطروحة دكتوراه " د . أزهار علي ياسين ، جامعة البصرة ، كلية الآداب –قسم اللغة العربية وآدابها /١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

الاعلام العربي المعاصر ودوره في محاربة التطرف (العراق انموذجاً)

الاستاذ المساعد باسمة كزار حسن

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

bsmab2017@gmail.com

الملخص

تناول البحث موضوع الإعلام المعاصر؛ لأنه هو لغة العصر، وهو المستقبل الجديد الذي يسيطر على جميع مناحي الحياة، ويمكن التحكم في اقتصاد الدول وسياساتها عن طريق الإنترنت، وهو يتناول جميع مناحي الحياة في الدول.إذ بات لزامًا التعاطي مع هذه الظاهرة بالبحث والدراسة للوقوف على تأثيراتها في مجتمعاتنا، وإيجابياتها المتاحة للاستفادة من دورها في القضاء على التطرف الذي يواجه العالم العربي ومنه العراق. إذ تم تقسيم البحث الى الاطار النظري للأعلام المعاصر والتطرف، بينما تناول المبحث الثاني: الإعلام العربي المعاصر والتطرف في الوطن العربي، وجاء المبحث الثالث: بدور الإعلام الجديد في مواجهة التطرف في الوطن العربي(العراق انموذجا) واختتم البحث بعدد من الاستنتاجات والتوصيات التي اكدت على الحكومات أن تأخذ بعين الاعتبار قوة الإعلام العربي المعاصر، لأنه نجح في محاربة التطرف، وكشف عن دور كبير في توعية الرأي العام في العراق بضرورة مكافحة التطرف والتصدي له.

Contemporary Arab media and its role in combating extremism (Iraq as a model)

Assistant Professor Basima gzar Hassan

Basra University / Center for Basra and the Arabian Gulf Studies

bsmab2017@gmail.com

Abstract

The research covered the topic of contemporary media. Because it is the language of the age, and it is the new future that controls all aspects of life, and the economies and policies of countries can be controlled through the Internet, and it addresses all aspects of life in countries. It is necessary to deal with this phenomenon by research and study to find out its effects in our societies, and its available advantages. To take advantage of its role in eliminating extremism facing the Arab world, including Iraq. As the research was divided into the theoretical framework of contemporary media and extremism, while the second topic dealt with: contemporary Arab media and extremism in the Arab world, and the third topic came: the role of the new media in confronting extremism in the Arab world (Iraq as a model) and concluded the research with a number of conclusions and recommendations that emphasized the Governments should take into consideration the power of the contemporary Arab media, because it succeeded in combating extremism, and revealed a major role in educating public opinion in Iraq about the need to combat extremism and confront it.

المقدمة

تعد ثورة الاتصال والمعلومات شكلاً جديداً من اشكال الاعلام وهو ما عرف بالإعلام المعاصر او الاعلام البديل ذلك الاعلام الذى اتاح امام مستخدميه شكلاً جديداً لتبادل المعلومات والآراء وهو الشكل التفاعلي ،ولعل شبكات التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها الفيس بوك وتوتير ويوتيوب هي اكثر اشكال هذا الاعلام انتشاراً وشيوعاً بين مستخدمي الانترنت ذلك انها مكنت مستخدميها من خلال ما تملكه من ادوات التعبير عن آرائهم ومشاركتها للغير فيما يقع من احداث بل والمشاركة في صناعة الاحداث ايضاً ومن أقوى أدوات الاتصال العصرية التي تعين الجمهور المتلقي على معايشه العصر والتفاعل معه ، خاصة في القرن الواحد والعشرين وفي ظل ثورة الاتصال والمعلومات التي جعلت من العالم قرية الكترونية صغيره .

والجدير بالذكر إن ازدياد معدلات الجريمة وانتشار ظاهرة الإرهاب، علامة على انتشار الأمراض النفسية مع انتشار عدة أشكال للتطرف الفكري ، منها ما هو تدمير للمكتسبات الحضارية للمجتمع وقتل الأنفس، ومنها ما هو تشدد فكري يحمل جانب الإقصاء والتصنيف لأفراد المجتمع، وقد أصبح التطرف الديني سمة غالبة لظاهرة الانحراف الديني المعاصرة التي تفشت في العديد من المجتمعات الإسلامية والعربية بشكل عام و العراق بشكل خاص، فظهور أفكار جديدة (تضع الدين شعاراً لها والإسلام منها براء)، من هنا كان من المهم أن يقوم الإعلام العربي المعاصر برسالته لتوضيح الحق من الباطل، وإرشاد المواطن إلى اتجاهات هؤلاء القتلة للنيل من استقرار المجتمع وأمنه .

وفي السنوات الأخيرة، شكلت الجماعات الإرهابية مثل تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) في العراق ، وتنظيم القاعدة، وبوكو حرام، تصور للتطرف العنيف، والمناقشة بشأن كيفية التصدي لهذا التهديد. وقد كان للرسالة التي تبثها هذه الجماعات القائمة على التعصب الديني والثقافي والاجتماعي عواقب وخيمة في كثير من مناطق الوطن العربي. فهي باحتلالها الأراضي ،إنما تسعى إلى تحدي قيَمنا المشتركة للسلام والعدالة وكرامة الإنسان قد كان لوسائل الإعلام العربي المعاصر الدور الكبير في القضاء على الفكر المتطرف والارهاب من خلال "تقرير الشفافية الذي تصدره تويتر كشف عن ايقاف ١٦٦,٥١٣ حساب في الفترة ما بين شهر تموز الى كانون الاول من العام ٢٠١٨، إذ تقوم بإيقاف الحسابات فضلاً عن حذف المحتوى، كما تم حذف ٤٥٨,٩٨٩ حسابا ينتهك قواعد المنصة والتي تمنع الاستغلال الجنسي للأطفال.

ان انخفاض استخدام تويتر من قبل المروجين للإرهاب دليل على نجاح الاعلام المعاصر بمكافحة المحتوى المتطرف على المنصة وسرعة اكتشافها من قبل ادوات تويتر التي تستعمل الذكاء الاصطناعي لاكتشاف المحتوى الارهابي، فضلاً عن توجه المروجين للإرهاب الى التطبيقات المشفرة مثل تيليغرام والتي تمنحهم حرية اكبر لتوزيع محتواهم.

وقد جاء دور مركز دراسات البصرة والخليج العربي واضحاً من خلال التأكيد على أهمية الدور المحوري للإعلام ومساهمته الفاعلة في اجتثاث جذور الفكر المنحرف والترويج لخطاب الاعتدال وقيم التعايش والتسامح وقبول الآخر، وذلك على مختلف الأصعدة القطرية والإقليمية والدولية، باستخدام أحدث تكنولوجيا التواصل والتنسيق والانسجام التام مع كل الجهات المعنية بمكافحة التطرف والإرهاب.من خلال(عقد هذا المؤتمر).

مشكلة البحث: وفي ضوء ما سبق تتحدد المشكلة البحثية في الوقوف على دور الاعلام العربي المعاصر في مكافحة التطرف والارهاب في الوطن العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص.

لاسيما بعد ان أصبح التطرف ظاهرة عالمية تُهدد كل دول العالم بعد احدث ٢٠٠١/٠٩/١١، الذي يُعَدُّ أضخم وأهم حدث عاجل في التاريخ. ومع الإجماع على دور الإعلام في التوعية والتوجيه، أصبح الإعلام المعاصر من أهم الوسائل المستخدمة في التصدي للظاهرة، خاصة بعد أن أصبح الاعلام المعاصر يملك قوة تمكنه من التأثير في المجتمعات، وتغيير قناعاتهم وسلوكياتهم تجاه القضايا المطروحة لا سيما قضايا التطرف وتداعياته. فالجمهور أصبح يدخل في سلسلة من المناقشات وعمليات تبادل المعلومات من خلال البرامج الحوارية التي تقدمها الفضائيات الإخبارية المتخصصة، وكثيراً ما يتبنى من خلالها موقفاً وسلوكاً معيناً، وهو ما يؤكد ضرورة الاعتماد على الإعلام بصفة عامة وعلى الإعلام العربي المعاصر بصفة خاصة في مكافحة ظاهرة التطرف والحد من انتشارها، وتأتي إشكالية هذه الدراسة لتصب في هذا الإطار، وتحاول الإجابة على السؤالين التاليين:

– ما هو الدور الذي يوديه الإعلام العربي المعاصر في توعية الرأي العام لمواجهة التطرف وتحقيق الامن ؟.

– ما مدى مساهمة الإعلام العربي المعاصر في توعية الرأي العام العربي بضرورة مكافحة التطرف والإرهاب وتحقيق الامن؟.

اهمية البحث: إن الإعلام المعاصر يمثل عنصراً أساسياً من عناصر تنمية وتطوير المجتمع ولذا يجب أن يكون لديه القدرة على التواصل والعمل من أجل التنوير والوصول لمستقبل مشرق خالي من التطرف لذلك يعد النشاط الإعلامي على درجة كبيرة من الأهمية في ظل الاستراتيجيات الأمنية الحديثة، من خلال تبصير الأفراد والجماعات بحقيقية الفكر الارهابي المنحرف وكشف الأساليب الإجرامية، وفضح أهداف الخارجين على قيم المجتمع ومعاييره وتوضيح الأهداف الخبيثة لظاهرة التطرف. يعد الركيزة الأساس، التي توفر الحماية وتمهد الطريق للنمو الاقتصادي والاجتماعي وحماية المال العام من الانحراف وكذا حماية الشباب من الانحراف أو الإقبال للانضمام إلى صفوف المنحرفين والإرهابيين .

هدف البحث: في ضوء ما سبق يتحدد الهدف لهذه الدراسة في انها محاوله لتسليط الضوء على دور الاعلام العربي المعاصر في مكافحة التطرف في الوطن العربي والعراق من خلال:

اولا : التعرف على اهم العوامل التي دفعت الاعلام العربي المعاصر لفرض الرقابة على مواقع التواصل الاجتماعي.

ثانيا : التعرف على اتجاهات المتخصصون من رجالات الاعلام سواء من الممارسين أو الاكاديميين نحو محاربة ظاهرة الارهاب والتطرف في الوطن العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص.

ثالثا: التعرف على اليات توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التغلب على الممارسات المتطرفة في الوطن العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص.

فرضية البحث:. في ضوء هذه الأهداف تطرح الدراسة الفرضية التالية- :

(هناك دور كبير للأعلام العربي المعاصر في تحقيق اهدافه في محاربة التطرف في الوطن العربي بشكل عام والعراق بشكل خاص).

تنتمى الدراسة الحالية الى الدراسات الاستكشافية الوصفية؛ فبالرغم من الدراسات التي تناولت الممارسات الارهابية كثيرة ومتعددة سواء على المستوى القومي او الإقليمي او الدولي إلا أن معظم هذه الدراسات ركزت أما على وضع المعايير اللازمة للتفريق بين الممارسات الارهابية والممارسات الجهادية التي تقوم بها بعض الجماعات الوطنية، كما ركز البعض الاخر على تحديد مفهوم التطرف

والجهود الدولية للتصدي لهذه الظاهرة، او حتى معالجة وسائل الاعلام العربي المسموع والمرئي والمقروء والإلكتروني في الوقوف بحزم لمثل هذه الممارسات، اما الدراسات التي تناولت **الاعلام العربي المعاصر ودوره في محاربة التطرف وتحقيق الأمن** فنجد انها قليله ولا تتناسب مع حجم واهمية هذه المشكلة.

ولقد شهدت العديد من الدول العربية عمليات إرهابية مروعة خاصة في جمهورية العراق ،والمملكة العربية السعودية ، وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية اليمنية والجمهورية التونسية ، والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ومملكة البحرين ، والجمهورية اللبنانية ، وغيرها من الدول ، فضلاً عن إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل في الأراضي الفلسطينية مستهدفة المقدسات والمواطنين والممتلكات على حد سواء.

ومن هنا يأتي دور هذا المؤتمر التي يتبناه مركز دراسات البصرة والخليج العربي، وهو مؤتمر من شأنه تطوير الإعلام بما يتناسب مع التطورات المذهلة في عالم الإعلام ومواكبة مستجداته على الساحة العالمية؛ خاصة وأن الإعلام العربي يشهد في هذا العصر حراكا ديناميكياً ، لا ينحصر في الإعلام الحكومي الرسمي ، بل هنالك الإعلام الخاص الذي بات يشكل حضوراً متميزاً إلى جانب الإعلام الحكومي ومن شأن هذا الإعلام الخاص مساندة الإعلام الحكومي الرسمي في التصدي لهذه الظاهرة وكشف زيف للمتطرفين ومن يقف وراءهم. ومن هنا تأتي الحاجة إلى مؤتمر كهذا لمكافحة التطرف، علماً بأن هذا المؤتمر الذي اقامه مركز دراسات البصرة والخليج العربي قد نص على تكثيف استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتنمية الوعي العام العربي والوطني والقومي وإبراز الصورة الصحيحة للإسلام.

وإسهامًا منا في هذا الموضوع المهم نقدم هذه العجالة علَّها تكون إضافة إلى الجهد الذي يتبقى فيه الوجهة النافعة والحل الأمثل وتقديم العلاج الناجع والدواء النافع والعمل على ردم هذه البؤر والقضاء عليها.

المبحث الاول: الاطار النظري للأعلام المعاصر والتطرف

اولا: الاطار النظري للإعلام المعاصر

يمثل الإعلام المعاصر مظهراً جديداً كلياً، ليس في اطار دلالات علوم الاتصال فقط، ولكن في مجمل ما يحيط بهذا النوع المستحدث من الإعلام من مفاهيم خاصة كونه ما زال في معظم جوانبه حالة جنينية لم تتبلور خصائصه الكاملة بعد.وبرغم التطور الذي شهدته تكنولوجيا الإعلام المعاصر إلا أنها لم تلغي وسائل الاتصال القديمة ولكن طورتها بل غيرتها بشكل ضخم، وأدت إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى بشكل ألغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل، إذ أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرية تتسم بالطابع الدولي أو العالمي.

ويكتسب الإعلام ضمن إطار ثقافي وتاريخي وحضاري سمات العصر الذي يولد فيه وخصائصه، وفي الواقع، أن عصر المعلومات أفرز نمطاً إعلامياً معاصراً يختلف في مفهومه وسماته وخصائصه ووسائله عن الأنماط الإعلامية السابقة، كما يختلف في تأثيراته الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية الواسعة النطاق لدرجة أطلق فيها بعضهم على عصرنا هذا اسم (عصر الإعلام)، ليس لأن الإعلام ظاهرة جديدة في تاريخ البشرية، بل لأن وسائله الحديثة قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر وقوة التوجيه وشدة الخطورة أدت إلى تغييرات جوهرية في دور الإعلام، وجعلت منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع.

١ :نشأة الاعلام المعاصر

ظهر الإعلام المعاصر كمصطلح واسع النطاق في الجزء الأخير من القرن العشرين ليشمل دمج وسائل الإعلام التقليدية مثل الأفلام والصور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمطبوعة، مع القدرة التفاعلية للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات، وتطبيقات الثورة العلمية التي شهدها مجال الاتصال والإعلام، إذ ساهمت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال في التغلب على الحيز الجغرافي والحدود السياسية، التي أحدثت **New media** تغيير بنيوي في نوعية الكم والكيف في وسائل الإعلام[١].

٢ **تعاريف الإعلام المعاصر** :والمقصود بوسائل الإعلام الجديدة ببساطة هي وسائل الإعلام الرقمية وذلك لتفريقها عن **(Interactive)** والتفاعلية **(Internet)** والشبكية .**Digital** [٢]. عملية عرض العالم المعاصر بكل أبعاده العقلية والسياسية والاقتصادية من دون حاجات إلى عبارات[٣]. مثل أصبح الإعلام حاجة حيوية للكيانات الجماعية والمجتمعات، ذلك أن الإعلام لم يصبح كذلك، بل كان كذلك منذ كان، أما تقنيات بثه واستيداعه واسترجاعه فهي تطورات مادية جاءت ضمن سياق التطور الإنساني الذي يجعل كماليات اليوم ضروريات الغد الجديد[٤]. وهو العملية الاتصالية الناتجة من اندماج ثلاثة عناصر[٥]:

١-الكمبيوتر ٢- الشبكات ٣- الوسائط المتعددة

وعرفه عادل عبد الغفار انه نتاج التطوير والتحديث المستمرين للبيئة الاتصالية العربية ولوسائل الاعلام في عصر اتسم بانه عصر المعرفة وعصر ديمقراطية الاتصال[٦].

بينما يرى فرنك انه وليد عصر الاتصال عبر الفضائيات وتكنولوجيا الحاسوب[٧].

والإعلام المعاصر هو في الواقع ربيب ثورة الاتصالات الكبرى والتي تقوم على أساس البث التلفزيوني الفضائي وفي قلبها شبكة الإنترنت التي قلبت موازين عملية الاتصال العالمية، فقد أصبح متاحاً لكل مواطني العالم إن صح التعبير أن يتواصلوا عبر أدوات إلكترونية مبتكرة، مثل «البريد الإلكتروني» و «غرف النقاش»، وابتُدعت ألوان متعددة للتعبير عن الرأي بلا حدود ولا قيود، كان أبرزها «المدونات» blogs، التي انطلقت تعبر عن الآراء السياسية المخالفة بعيداً من رقابة الحكومات، ثم ظهر «تويتر»، وهو «تغريدات» بالغة القصر (لا تزيد على ١٤٠ حرفاً) تحمل وجهات نظر مركزة في شؤون البلد أو العالم. وأخيراً ظهرت ثورة الـ «فايسبوك»، الذي أصبح مجالاً عاماً جديداً يتلاقى فيه ملايين الناس[٨].

لذلك يمكن ان نعرف الإعلام العربي المعاصر هو مجموعة من التقنيات الحديثة التي تعتمد على الإنترنت، وفي نفس الوقت على أسس الإعلام والتواصل، وهناك إجمالاً ثلاث خدمات رئيسية يقدمها الإعلام المعاصر للمستخدمين[٩]:

أ-الاتصال من فرد إلى فرد أو من فرد إلى جماعة أو من جماعة إلى جماعة أخرى وأكثر لأغراض شخصية أو عامة.

ب-التفاعل: أي الاستخدام من أجل التسلية أو التعلم لأغراض اجتماعية وثقافية وسياسية

ج-الإعلام والمعلومات: استخدام الإنترنت لنشر واسترجاع المعلومات التي تعطي مساحات واسعة من الأنشطة الإنسانية والمعرفية.

ويمكن تعريف الراي العام : حصيلة افكار ومعتقدات ومواقف للأفراد والجماعات ازاء شؤون تمس النسق الاجتماعي كأفراد أو تنظيمات ونظم مما يوثر نسبياً أو كلياً في مجريات امور الجماعة على النطاق المحلي أو الدول(١٠).

أما الاتصال الجماهيري: هو ذلك الاتصال الذي يتميز بالقدرة على توصيل الرسائل الى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، والى افراد غير معروفين للقائم بالاتصال، اذ تصل اليهم الرسالة في نفس اللحظة وبسرعة متناهية، مع القدرة على خلق رأي عام وعلى تنمية اتجاهات وانماط من السلوك غير موجودة اصلاً وكذلك نقل المعلومات والمعارف والترفيه(١١).

يتضح من خلال العرض السابق للتعريفات أن هناك حالتين تميزا الإعلام المعاصر من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الإعلام المعاصر والكيفية التي يتم من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت مع بعضها البعض فضلاً عن استعمال الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس التي تميزه وهي أهم سماته.

٣:مسميات الاعلام المعاصر: لقد تعددت أسماء الإعلام الجديد، ولم تقف كذلك على اسم موحد، ومن هذه الأسماء(١٢):

أ-**الإعلام الرقمي:** لوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية مثل التلفزيون الرقمي، الراديو الرقمي، وغيرهما، أو للإشارة إلى أي نظام أو وسيلة إعلامية تندمج مع الكمبيوتر.

ب-**الإعلام التفاعلي:** طالما توفرت حالة من العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وغيرهم من النظم الإعلامية التفاعلية.

ت-**الإعلام الشبكي:** على خطوط الاتصال بالتركيز على تطبيقاته في الانترنت وغيرها من الشبكات.

ث-الوسائط السيبرونية: من تعبير الفضاء السيبروني الذي أطلقه كاتب روايات الخيال العلمي ويليام جبسون في روايته التي أصدرها عام ١٩٨٤.

ح-**إعلام المعلومات:** للدلالة على التزاوج بين الكمبيوتر والاتصال وعلى ظهور نظام إعلامي جديد يستفيد من تطور تكنولوجيا المعلوماتية ويندمج فيها.

ج-**إعلام الوسائط المتعددة:** حالة الاندماج التي تحدث داخله بين النص والصورة والفيديو.

ر-**المادة الإعلامية Media**

ز-**الديناميكية / التفاعليةDynamic / interactive**

س-**التقنية:Technology**

ش-**الانترنت:Internet**

ص-**الرأي والنشر:Democracy**

ض-**المستخدم:User**

٤: خصائص الإعلام العربي:

يتميز الإعلام الجديد بالعديد من الخصائص ومنها[١٣]:

أ-**التفاعلية:** إذ يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار، وتكون ممارسة الاتصال ثنائية الاتجاه وتبادلية، وليست في اتجاه أحادي، بل يكون هناك حوار بين الطرفين.

ب-**اللاتزامنية:** وهي إمكانية التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد، سواءً كان مستقبلاً أو مرسلاً.

ت-**المشاركة والانتشار:** يتيح الإعلام المعاصر لكل شخص يمتلك أدوات بسيطة أن يكون ناشراً يرسل رسالته إلى الآخرين.

ث-الحركة والمرونة: إذ يمكن نقل الوسائل الجديدة بحيث تصاحب المتلقي والمرسل، مثل الحاسب المتنقل، وحاسب الانترنت، والهاتف الجوال، والأجهزة الكفية، بالاستفادة من الشبكات اللاسلكية.

ح-**الكونية:** إذ أصبحت بيئة الاتصال بيئة عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة.

خ-**اندماج الوسائط:** في الإعلام المعاصر يتم استخدام كل وسائل الاتصال، مثل النصوص، والصوت، والصورة الثابتة، والصورة المتحركة، والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد،....إلخ.

ج-**الانتباه والتركيز:** نظراً لأن المتلقي في وسائل الإعلام المعاصر يقوم بعمل فاعل في اختيار المحتوى، والتفاعل معه، فإنه يتميز بدرجة عالية من الانتباه والتركيز، بخلاف التعرض لوسائل الإعلام التقليدي الذي يكون عادةً سلبياً وسطحياً.

ر-**التخزين والحفظ:** إذ يسهل على المتلقي تخرين وحفظ الرسائل الاتصالية واسترجاعها، كجزء من قدرات وخصائص الوسيلة بذاتها.

٥-فوائد وسائل الإعلام المعاصر[١٤]:

أ-**زيادة الوعي لدى المتابعين:** تستطيع هذه الوسائل أن تقدم للمشاهدين سلسلة من الآراء، وتكون هذه الآراء وفقاً لمتابعين ومحللين مشهود لهم بذلك، وتترك للمشاهد حريّة اختيار الرأي الذي يراه صواباً، أو الذي يشعر من خلاله هو الأقوى، وهي تعد موجه للرأي العام.

ب-**تكوين العالم كقريّة بسيطة:** تمكنت من الزحف بشكلٍ سريع، بحيث يمكن لأي شكل عبر هذه الوسائل معرفة آخر الأخبار، والأحداث، والمؤتمرات التي تحدث في نفس الوقت وهو في مكان آخر، عن طريق نقلها لهذه الأحداث من خلال مراسليها.

ج-**التعليم:** تخصيص مواد إعلاميّة متخصصة للأطباء، والسياسيون، والمعلمون، أي أنّ الطبيب يستطيع الحصول على آخر الأخبار، والمواد الإعلاميّة التي تخص الطب، وآخر ما توصل إليه الزمن من علاجات.

د-**التسلية:** توفر من خلال البرامج التي تبثها إلى المتابعين كالأفلام، والمسلسلات، وبرامج المسابقات، وأفلام الكرتون للأطفال اللاتي يعتبرن من البرامج الهادفة، والمسليّة، كما أنّها تملئ وقت الفراغ الذي يكاد يقتل الكثير من الأشخاص.

هـ-**حل المشاكل:** يوجد بعض البرامج التي تبث عبر أثير الإذاعات، والشاشات المتلفزة التي تهتم بشؤون المواطنين، وتسعى دائماً إلى توفير الحلول للمشاكل المتعددة التي يُعانون منها في حياتهم، وتعد هذه البرامج كوسيط بين المواطنين وأصحاب السلطة في البلاد التي يقطنون فيها.

و-**القدرة على المشاركة:** يستطيع الجمهور من خلال هذه الوسائل من إبداء آرائهم حول كثير من القضايا، والمشاركة في الضغط على مجموعة من القرارات الشائكة التي تحتاج إلى تدخلات من قبل المواطنين، وتعتبر هذه القضايا مهمّة من قبل المواطنين

ك-**التثقيف:** يختلف قليلاً التعليم عن التثقيف، فالتثقيف يشمل أمور معرفيّة كمعلومات حول الآثار السياحيّة، والبرامج الوثائقيّة التي تطرح معلومات تثقيفيّة.

ي-**الإعلانات:** يتم تتداول الإعلانات الهامة كإعلانات التوظيف وغيرها عبر هذه الوسائل، كما أنّها سهلت على الكثير من الأشخاص طرق البحث عن وظائف مختلفة بوقت قصير، وبوقت وجهد قليلين.

٦- **وظائف الاعلام الالكتروني المعاصر:** وللإعلام خمسة وظائف أساسية خلال فترات الأزمات وتتمثل فيما يلي[١٥]:

أ. تقديم المعلومات. **ب.** شرح أهمية ومغزى الأحداث. **ت.** بناء الوفاق الاجتماعي. **ث.** التخفيف من الضغط والتوتر. **ح.** تحقيق التسلية. وازدادت أهمية هذه الوظائف بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياتها. وسوف نتطرق لها لاحقا.

ثانياً: الاطار النظري للتطرف

١: مفاهيم التطرف في وسائل الإعلام: على الرغم من تباين الآراء في تعريف التطرف إلا أن معظم وجهات النظر تتفق على انه استخدام أدوات عنيفة بقصد إثارة الخوف في نفوس الأفراد[١٦]، ومن ثم فان مجرد التهديد باستخدام هذه الأدوات أو وسائل العنف يكفي في حد ذاته إلى وقوع جريمة إرهابيه[١٧]، ويظهر ذلك من خلال: قانون العقوبات الأردني: (جميع الأفعال التي ترمي إلى إيجاد حالة ذعر وترتكب بوسائل كالأدوات المتفجرة والمواد الملتهبة والمنتجات السامة أو المحرقة والعوامل الوبائية أو الجرثومية التي من شانها أن تحدث خطراً عاماً) [١٨] وقانون العقوبات المصري: (كل استخدام للقوة أو العنف والتهديد أو الترويع يلجا إليه الجاني لمشروع إجرامي فردي أو جماعي إذا كان من شانه ذلك تحقيق ما يلي) [١٩]:

أ-إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر ،إلحاق الضرر بالبيئة أو الاتصالات أو المواصلات أو الأموال أو المباني أو بالأملاك العامة أو الخاصة أو الاستيلاء عليها.

ب-منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها.

أما تعريف الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي وقعت في القاهرة في ٢٢ نيسان ١٩٩٨(كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه ، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض احد الموارد الوطنية للخطر) [٢٠].

ويمكن تعريف الفكر المتطرف: هو الفكر الإجرامي الذي يؤمن ويتبنى استعمال القوة المفرطة الممنهجة الهادفة إلى السيطرة على الآخر (دولة، طائفة، جماعة، مؤسسة...إلخ) من أجل تحقيق أهداف غير مشروعة، لعل من أبرزها[٢١]:

أ-بث روح الكراهية بين فئات المجتمع.

ب-هدم وزعزعة ثقة الجمهور في الحكومة.

ج-إكراه طبقات الشعب على طاعة قادة الإرهاب

د-دفع السلطات للخضوع لمطالب الإرهابيين (مثل الإفراج عن معتقلين، أو دفع إتاوة، أو عدم الملاحقة القانونية...إلخ.

هـ-قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة تحت حجج وأسانيد باطلة.

٢:مجالات توظيف الانترنت لخدمة التطرف:هناك ثلاثة مجالات لتوظيف الانترنت لخدمة التطرف:

الأول: إعلامي ويشمل التعبئة المعنوية وتحريض الأنصار وتنفيذ الحملات الإعلامية (الحرب النفسية).

الثاني: الاتصال والتنسيق بين أعضاء المجموعات بالعديد من الطرق منها توظيف فنون التشفير خشية الاكتشاف.

الثالث: توظيف خدمات وبرامج الحاسب والانترنت في مجال تعليم وتدريب عناصر هذه المجموعات على العمليات التخريبية وتبادل الأفكار حول طرق تضليل رجال الأمن وكيفية صناعة الأسلحة والمتفجرات.

ان السنوات الأخيرة شهدت تزايداً ملحوظاً في استخدام الإرهابيين لشبكة الإنترنت فقد زاد عدد مواقع الانترنت التي تروج للفكر المتطرف و الإرهاب إذ كان عددها عالميا ١٢ موقعاً عام ١٩٩٨ ليصل العدد في العام ٢٠١٦ إلى ٥٩٠٠ موقع ارهابي عالمياً [٢٢]. ومن هذه المواقع ٧٥٠ موقعاً ارهابياً [٢٣]. في الدول العربية بخلاف مئات الصفحات تستهدف الترويج لفكر التطرف والإرهاب وتجنيد ارهابيين وضرب خطط التنمية والتقدم في دولنا العربية واعاقة ثورات الربيع العربي في بعض الدول العربية عن تحقيق اهدافها.

وأن العدد الخاص بمواقع وصفحات الانترنت الارهابية يتغير بصفة شبه مستمرة نظراً لقيام معظم الدول الغربية والعربية بحجب مواقع الانترنت الارهابية واحيانا تعود تلك المواقع والصفحات الارهابية مرة أخرى وهكذا، ومن أبرز استخدامات الارهابيين لشبكة الانترنت إذ يوجد العديد من الاستخدامات للأنترنت من خلال المنظمات المتطرفة ومن أبرز تلك الاستعمالات:

أ-بث بيانات اعلاميه

يتم خلال تلك البيانات بث فيديوهات وصور وتفاصيل عن عملياتهم الارهابية الاجرامية إذ قامت تلك الجماعات بإنشاء فرق اعلامية احترافية تابعه لتلك الجماعات الارهابية كما تستعمل تلك التنظيمات الانترنت في اذاعة بيانات قادة تلك المنظمات الارهابية عبر الانترنت بما تحمله هذه البيانات من تهديد ووعيد او اعلان المسئولية عن تفجيرات معينة أو التعقيب على الاحداث ومنها على سبيل المثال "بيانات الارهابي ايمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة الارهابي وكذلك تقوم الجماعات الارهابية ببث تغريدات على تويتر واخبار وصور وفيديوهات عبر الفيس بوك ووسائل الاتصال المستحدثة كافة وابرز من يقوم بذلك التنظيمات الارهابية داعش و القاعدة والاخوان والنصرة.

ب-تجنيد إرهابيين جدد:

ابرز من يقوم بذلك تنظيم داعش الارهابي الذى قام بتجنيد الآلاف على مستوى العالم عبر الانترنت ويقوم ايضا بذلك تنظيم القاعدة الارهابي وتعد هذه الوسيلة هي الوسيلة الاساس لتجنيد أكثر من ٩٥% من الارهابيين في تنظيم داعش وتعد تلك التنظيمات الارهابية شبكة الانترنت هي الانسب والاسرع بالنسبة لها كما تعد أن استعمال عناصر جديدة داخل المنظمات الارهابية يحافظ على بقائها واستمرارها كما انهم يستغلون تعاطف البعض من مستخدمي الانترنت مع قضاياهم ويجتذبون هؤلاء بعبارات حماسيه وبراقه من خلال غرف الدردشة الالكترونية خاصة بعد أن اصبحت اعداد كبيره من الشباب والمراهقين تتركز في الجلوس بالساعات الطوال في مقاهي الانترنت للثرثرة مع جميع انواع البشر[٢٤].

ت-البحث عن المعلومات: شبكة الانترنت في حد ذاتها تعد مكتبه إلكترونية هائلة الحجم مليئة بالمعلومات الحساسة التي يسعى الإرهابيون للحصول عليها مثل أماكن المنشآت النووية ، المطارات الدولية ، المعلومات الخاصة بسبل مكافحة الإرهاب وبذلك فإنه حالياً ٨٥ % من مخزن الارهابيين المعلوماتي يعتمد في الاساس على مواقع إلكترونيه متاحة للكافة

ج- الاتصالات: تقوم المنظمات الارهابية المتطرفة بالاستفادة من شبكة الانترنت في الاتصال ببعضها البعض والتنسيق فيما بينها وذلك نظراً لقلة تكاليف الاتصال باستخدام الشبكة مقارنة بوسائل الاتصال الاخرى ، كما أن الاتصال عبرها يمتاز بوفرة المعلومات التي يمكن تبادلها.

ح-**اصدار التعليمات والتلقين:** يمتلئ الانترنت بكم هائل من المواقع والصفحات التي تحتوى على كتيبات وارشادات تشرح طرق صنع القنابل والاسلحة الكيماوية الفتاكة وهناك آلاف المواقع تقوم بذلك.

خ-**التخطيط:** يعد الارهابيون شبكة الانترنت وسيله للاتصال بالغة الاهمية بالنسبة للمنظمات الارهابية تتيح لهم حرية التنسيق الدقيق لشن هجمات ارهابيه محدده وقد اعتمد اعضاء تنظيم القاعدة البارزون بشكل مكثف على الانترنت في التخطيط لهجمات ١١ سبتمبر ويستخدم الإرهابيون الرسائل الالكترونية العادية لتدبير الهجمات الارهابية وتنسيق الاعمال والمهام لكل عنصر ارهابي، وقد نشر موقع الاخلاص وهو كثيراً ما يستخدمه انصار القاعدة نسخه محدثه من برنامج تشفير قال انه سيساعد في التواصل بشكل اكثر امنا وان هذا البرنامج " اسرار المجاهدين " هو اول برنامج للتراسل الأمن عبر الشبكات وتنوعت بعد ذلك برامج التشفير.

ن-**الحصول على التمويل:** يستعين الإرهابيون ببيانات احصائية سكانيه منتقاه من المعلومات الشخصية التي يدخلها المستخدمون على الشبكة من خلال الاستفسارات والاستطلاعات الموجودة على المواقع الالكترونية في التعرف على الاشخاص ذوى القلوب الرحيمة ومن ثم يتم استجداؤهم لدفع تبرعات ماليه لأشخاص اعتباريين يمثلون واجهة لهؤلاء الإرهابيين ويتم ذلك بواسطة البريد الالكتروني بطرق ملتويه لا يشك فيها المتبرع بأنه يساعد إحدى المنظمات الارهابية

ي-التنسيق: تستعمل المنظمات الارهابية الانترنت في التنسيق بين قيادات تلك المنظمات من جهة والتنسيق بين المنظمات الارهابية بعضها البعض من جهة اخرى وظهر ذلك واضحاً في التنسيق المستمر بين تنظيم داعش الارهابي وجماعة بوكو حرام الارهابية النيجيرية والتي تواجد عدد من الارهابيين المنتمين لها في الاراضي الليبية مع الارهابيين المنتمين لتنظيم داعش الارهابي بعد التنسيق بين قيادات المنظمتين الارهابيتين من خلال شبكة الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة وجاء هذا التنسيق بعد اعلان بوكو حرام ولاءها للإرهابي ابو بكر البغدادي قائد تنظيم داعش الارهابي.

لأنه أصبح الوسيط الأساس الذي تستعمله الجماعات الإرهابية في الترويج لعقائدها المتطرفة، أو لتجنيد المتعاطفين مع أفكارها، ليس داخل بلد محدد وإنما على مستوى العالم. وقد رأينا كيف أن رسالة تنظيم «داعش» الإرهابي عبر الإعلام وصلت إلى قلب المجتمعات الغربية، حيث شهدنا ظاهرة لافتة

للنظر حقاً هي التحاق مواطنين من بلاد أوروبية شتى، مثل فرنسا وبريطانيا وغيرها بصفوف «داعش» بعد أن بلغتهم الدعوة المتطرفة عن طريق الإعلام.

ذلك أنّ ما يسعى إليه الفكر المتطرف هو الوصول إلى العلنية وعقول الناس وعواطفهم والرأي العام المحلّي والدولي عبر وسائل الإعلام ، لذلك كان للإعلام العربي المعاصر من معالجة موضوع تجديد الخطاب الديني باعتباره ضرورة حتمية في المواجهة الثقافية للتطرف. وأخيراً حتى يقوم الإعلام العربي المعاصر بدوره التنويري المفتقد، فلا بد من التركيز على أهمية دور الاعلام العربي الجديد في مواجهه التطرف باعتبار ذلك البداية الضرورية للقضاء عليه نهائيا.

المبحث الثاني: الإعلام العربي المعاصر والتطرف في الوطن العربي

اولا: علاقة وسائل الإعلام العربي المعاصر في تشكيل المجتمع العربي

هل تدرك السمكة أنها مبتلة بالماء؟ هذا السؤال طرحه عالم الاتصال الكندي المعروف مارشال ماكلوهان (صاحب نظرية القرية العالمية)، الجواب طبعاً "لا"، فالسمكة لا تدرك أنها مبللة بالماء لأن البيئة التي تعيش فيها السمكة مغلفة بالماء (بيئة مائية) إلى درجة أنها لا تشعر بالماء إلا في حالة فقدان الماء أو غيابه!

هكذا الحال تماماً في علاقة أفراد الجمهور بوسائل الإعلام العربي المعاصر ، أن وسائل الإعلام العربي المعاصر تتدخل تقريباً في كل مجالات حياتنا اليومية و واقعنا إلى درجة أننا لا نشعر بوجودها، ناهيك عن تأثيرها علينا و على حياتنا، إننا – كالسمك في الماء– محاطين بوسائل الإعلام العربي المعاصر من كل جانب، إن وسائل الإعلام العربي المعاصر تزودنا بالمعلومة، تسلينا و ترفه عنا، تسعدنا، تحزننا، تضايقنا، تحرك مشاعرنا، تتحدى ذكائنا، و أحياناً تحاول استغفالنا. إن هذه الوسائل تساعدنا على التعرف على أنفسنا، كما أنها تشكل واقعنا و حياتنا.

والاتصال (Communication) مأخوذة من (Common) أي مشترك و عام. فالاتصال كعملية يتضمن المشاركة حول شيء أو فكرة أو إحساس أو اتجاه أو سلوك أو فعل ما. فنحن عندما نتصل بالناس في حياتنا اليومية إنما نشترك معهم في تبادل الأفكار و المعلومات[٢٥].

الاتصال، في أبسط صوره، هو "إرسال رسالة من مصدر إلى مستقبل بغرض إحداث تأثير". الإنسان منذ بدء الخليقة يعيش في تجمعات بشرية. و لكي يتفاعل الإنسان مع مجتمعه لابد عليه من أن "يتصل" بمن حوله حتى يستطيع أن يتبادل الأخبار، المعلومات، الآراء، المشاعر والتي تؤثر في حياته اليومية؛ لذا يتميز المجتمع الإنساني بأنه مجتمع اتصالي لأن الناس تحتاج إلى الاتصال بالآخرين لتسهيل أمور حياتهم.

عندما نتحدث عن علاقة الإعلام العربي المعاصر بالمجتمع و نصفها بأنها علاقة تفاعلية و مسؤولية متبادلة، فإن ذلك يعني أننا بدأنا ندرك و نعي أهمية توظيف وسائل الإعلام العربي المعاصر في إثارة قضايا التطرف في المجتمع، و استغلالها في التوعية الشاملة لكل أفراد المجتمع بالنسبة فيما يتعلق بمفهوم التطرف بضرورة محاربه التطرف في مجتمعه والقضاء عليه .

إن لوسائل الإعلام العربي المعاصر وظائف متنوعة في المجتمع- أي مجتمع- و من خلال الوظائف تؤثر وسائل الإعلام في أفراد المجتمع و في قيمه و آرائه و اتجاهاته، و تسهم بالتغيير الاجتماعي للمجتمع. ومن خلال استعراض ما ذكرته الأدبيات الإعلامية حول أهداف و وظائف الاعلام[٢٦]، فإننا نخلص إلى بعض الوظائف المهمة و التي تخدمنا في موضوع علاقة الإعلام المعاصر بالمجتمع و قضاياهم منها:

١-**الوظيفة التنموية:** يؤدي الاعلام العربي المعاصر دوراً مهماً في عمليات التنمية بمجالاتها المختلفة، وتمثل التنمية بأبعادها كافة أحد الدوافع الأساسية لإنشاء وسائل الاعلام العربي المعاصر ، من أجل تفعيل المشاركة في التنمية، ذلك إن الدول النامية لا تستطيع أن تحقق أهداف التنمية من دون أن تولي اهتماماً بأفرادها في مجتمعاتها المحلية[٢٧].

٢-**الوظيفة التعليمية:** يضطلع الاعلام العربي المعاصر بدور كبير في تعليم الأفراد، ورغم اختلاف وسائل الاعلام العربي الجديد عن عدد كبير من وسائل التربية والتعليم، إلا أن أهداف التربية والإعلام تتقاربان في معظم الوجوه في مجتمعاتنا المعاصرة، عن طريق ((نشر المعرفة على نحو يعزز النمو الثقافي وتكوين. الشخصية واكتساب المهارات والقرارات في مراحل العمر كافة)) [٢٨].

٣-**الوظيفة الثقافية:** تكمن أهمية هذه الوظيفة بتعريفها بالمنتج الثقافي ودورها في تثبيت الذاكرة الجماعية والهوية الخصوصية وترسيخ التاريخ المشترك، والربط بين الموروث الثقافي والإبداعات

الحديثة لبناء المستقبل، وتنشيط الحياة الثقافية بالاستجابة للرغبات الفردية، وتطوير الطموحات الذاتية لتحقيق النسيج. الاجتماعي المتميز[٢٩].

٤-**الوظيفة التسويقية (الإعلان أو الترويج):** وهي وظيفة مهمة بالنسبة للبائع والمنتج، وقد تعود المتلقي أو المتصفح للإعلانات المنشورة في الصحف والإذاعات والتلفزيون والانترنت... أن الإعلان صار من بين الوظائف الأساسية للاتصال في المجتمعات الحديثة.

٥-**وظيفة الخدمات العامة:** وتتمثل في النشرات الجوية بأحوال الطقس وفي نشر مواقيت الصلاة وبث الأذان، وفي الاستشارات الطبية والشرعية والقانونية والاجتماعية.

٦-**وظيفة خلق الدوافع وتكوين الآراء والاتجاهات:** إذ يقوم الإعلام العربي المعاصر بدعم الأهداف المباشرة وغير المباشرة والرئيسة لكل مجتمع، وتشجيع الاختيارات الشخصية ودعم الأنشطة المختصة بالأفراد والجماعات وتشجيع الذات الفردية باتجاه تحقيق الأهداف المتفق عليها ضمن الإطار الجماعي، كما إن من الوظائف التي يؤديها الإعلام في هذا النطاق، تكوين الآراء والاتجاهات، إذ إن له دوراً مهماً في تكوين الرأي العام، وهي وظيفة لا يمكن عزلها عن بقية الوظائف التقليدية في الإخبار والتعليم.

٧-**الوظائف السياسية للإعلام:** عد تطور الاعلام العربي المعاصر جزءاً من تطور الحياة السياسية بشكل عام، فلا يمكن للمجتمعات السياسية المعاصرة البقاء، من دون انتشار واسع واتصالات سريعة يوفرهما الإعلام.. إن المعلومات المهمة عن الأحداث التي تقع في أي مكان من العالم، تبث في كل مكان في دقائق قليلة، وبذلك أصبحت أجزاء واسعة من هذا العالم بمثابة متلقٍ واحد، تحركه الأحداث ذاتها وتدفعه الميول ذاتها[٣٠].

لذا يودي الاعلام العربي المعاصر دوراً هاماً ومؤثراً في توجهات الرأي العام واتجاهاته ، وصياغة مواقفه وسلوكياته من خلال الاخبار والمعلومات التي تزوده بها وسائل الاعلام المختلفة. اذ لا يستطيع الشخص تكوين موقف معين او تبني فكرة معينة الا من خلال المعلومات والبيانات التي يتم توفيرها له، ما يؤكد قدرة الاعلام العربي المعاصر بكافة صوره واشكاله على احداث تغييرات في المفاهيم والممارسات الفردية والمجتمعية عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين الراي ونشر

المعلومات والقضايا المختلفة ، وفي الوقت الذي اصبح فيه الاعلام العربي المعاصر جزءا اساسيا من حياة الشعوب والمجتمعات ، بفعل استجابته ومواكبته للتطورات والمستجدات الحاصلة في شتى المجالات الحياتية ، وقدرته على الوصول الى الجماهير ومخاطبتها والتأثير فيها ، فان هذا يتطلب ضرورة مراعاة ظروف كل مجتمع وبيئته الثقافية والقيمية والفكرية بشكل يضمن احترام هوية هذا المجتمع وخصوصيته. دون ان يعني ذلك تجاهل الآخر وعدم جواز التعرف على ثقافته وحضارته ، اذ لا بد من التواصل والتفاعل معه والاستفادة بما لديه من علوم ومعارف بعد ان اصبح العالم بفضل الثورة العلمية والتقنية والاتصالاتية اشبه ما يكون بقرية كونية صغيرة تتداخل فيها المصالح والاعتبارات بين دول العالم وشعوبه.

إن دراسة تأثير الإعلام العربي المعاصر المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي للتصدي لأوجه التطرف، له مبرراته في ظل ما يحصل على الساحة العربية والعالمية من أحداث ومجريات تتمثل أهمية الإعلام، ودوره في المجتمع. في الآثار التي تحدث في منظومة القيم، وأنماط التفكير، وأساليب الحياة. بسبب التعرض للرسائل الإعلامية، التي تعرضها وسائل الاعلام العربي المعاصر ، الحديث عن دور وسائل الإعلام في المجتمع، يتم التعبير عنه أحيانًا.. بغير (مفهوم التأثير)، فهناك حديث عن (وظائف) تقوم بها وسائل الإعلام العربي المعاصرة ، والحديث عنها.. بوصفها تأثيرات، تبقى مسألة نسبية، تحكمها معايير قيمية، ونظم ثقافية؛ لذلك لا بد من الاعتراف، أن هناك جدلاً طويلاً، بين العاملين في حقل الاعلام المعاصر حول حجم وكيفية تأثير الرسائل الإعلامية في المجتمع.

ثانيا: كيفية تعامل الإعلام العربي المعاصر مع التطرف وأشكاله

ما لا شك فيه أن حجم و مدة التغطية الإعلامية التي تحصل عليها قضية ما، سوف يؤثر على مدى اهتمام الجمهور بها، و هذا ما أكدناه عند حديثنا حول تأثير الإعلام المعاصر بالمجتمع، و عليه نؤكد أنه ينبغي لوسائل الإعلام العربي المعاصر أن تعطي قضايا المجتمع(التطرف) المساحة الزمنية و المكانية المناسبة بحيث تكون التغطية إخبارية (عرض الأخبار عن المجتمع و ما يهمهم من أنشطة و فعاليات مجتمعية)، و تكون التغطية توعوية (عرض برامج حوارية و نقاشية في وسائل الإعلام حول التطرف و الارهاب لكي تسهم بتوعية المجتمع بكل أفراده و مؤسساته بقضايا التطرف)، و تكون

التغطية صحيحة و كاملة .يمكن حصر دوافع الاهتمام الاعلام العربي المعاصر في قضية التطرف في الدوافع الآتية[٣١]:

١- تزايد حجم ظاهرة التطرف التي تعانى منها المنظمات والمؤسسات المختلفة في المجتمع العربي في السنوات الأخيرة.
٢- تزايد اهتمام وسائل الإعلام بتغطية أخبار التطرف والأخطار الصناعية والبيئية والسياسية المحدقة بالجماهير، واللجوء إلى تغطيتها بعمق من خلال تقارير تقصى الحقائق.
٣- التأثير العميق للتطرف على المجتمع العربي ومؤسساته وهيئاته.
٤- يحظى التطرف بتغطية واسعة من قبل وسائل الإعلام العربي المعاصر باعتبارها من الأخبار السلبية التي تحقق الانتشار لوسائل الإعلام العربي الجديد وتلبى حاجة الناس إلى المعرفة.
٥- يستقطب التطرف اهتمام السياسيين وجماعات المصالح الخاصة.
٦- تأثير التطرف لا يقف مردوده السلبى عند حد منظمة بعينها، بل قد يتجاوز إلى التأثير في قطاعات كاملة في المجتمع العربي.

ثالثاً: حجم الإعلام العربي المعاصر:

بالرغم من تركيز معظم اهتمام الإعلام المعاصر على سياسات الإنتاج وتصنيف أنواع الإعلام المختلفة، فقد ازداد اهتمام الجمهور بالإعلام المعاصر. أن طبيعة استخدام الجمهور للإعلام المعاصر.وكما يبنها الجدول (١)

جدول (١) استخدام الجمهور للإعلام المعاصر في العالم

- الإعلام البديل في جنوب إفريقيا
- الإعلام البديل (اليسار السياسي الأمريكي(
- الإعلام البديل (اليمين السياسي الأمريكي(
- إعلام المواطن
- تركز ملكية وسائل الإعلام
- راديو المجتمع
- الديمقراطية الآن!
- DigitalJournal.com
- مجلة فاير براند (The Firebrand Magazine)
- infowars.com
- الإعلام العرقي
- جيسي ماكبيث
- قائمة المحطات التلفزيونية المستقلة في الولايات المتحدة
- وسائل الإعلام
- النشاط الإعلامي
- الديمقراطية في الإعلام
- مشروع حرية الإعلام
- العدل في الإعلام
- مجلة نيو إنترناشيونالست (New Internationalist)
- مجلة نيو إنترناشيونالست الأسترالية (New Internationalist Australia)
- مجلة نيكسوز (Nexus)
- موقع أوهمي نيوز (OhmyNews)
- بيت فاغنر
- راديو القراصنة
- تلفزيون القراصنة
- صحيفة بوزيتيف نيوز (Positive News)
- prisonplanet.tv
- مشروع راديو بروميثوس
- التلفزيون الحكومي العام
- أخبار رينف(RINF)
- الصحافة السرية

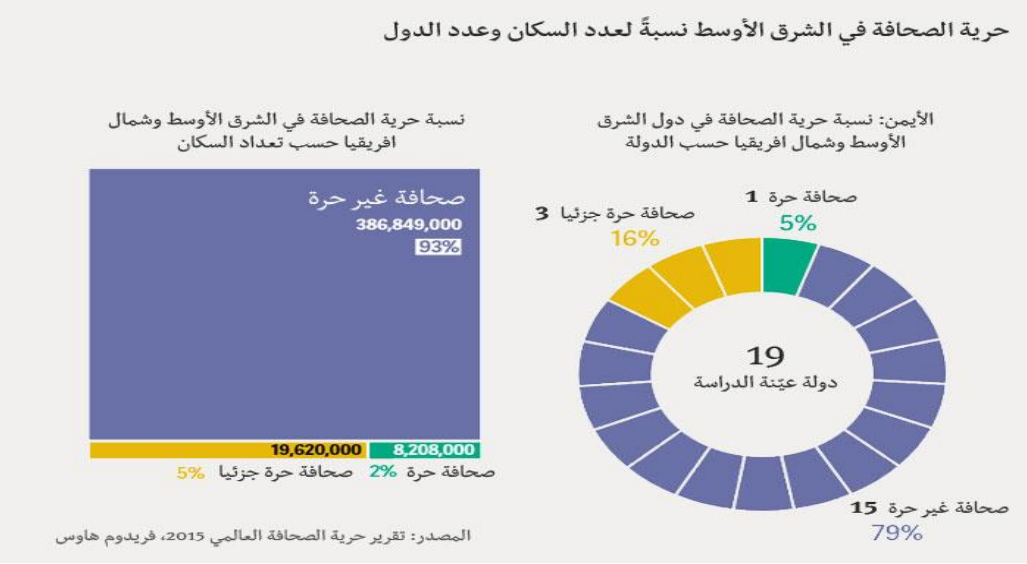
الباحثون في الإعلام البديل

- كريس آتون
- جوشوا أتكينسون
- رودني بينسون
- جين بورغيس
- جون دي إتش داونينغ
- ديفيد هيسموندالغ
- لورين كيسلر
- آسا فيترغن

١-مؤشر حرية الصحافة في الوطن العربي للعام ٢٠١٥

نحو ١٤% من سكان العالم فقط يتمتعون بصحافة حرة، أي فقط شخص واحد من أصل سبعة في العالم، يعيش في دولة تكون فيها الصحافة حرة في ما تنقله من أخبار، من دون أن يمارس عليها ضغط سياسي أو اقتصادي، وتكون فيها سلامة الصحافي مكفولة بالقانون[٣٢]، بحسب تقرير حرية الصحافة العالمي ، وفيه يتم تصنيف الدول إلى ٣ فئات حسب درجة حرية الصحافة فيها: دول حرة، دول حرة جزئياً، ودول غير حرة. كما أن منطقة الشرق الأوسط شهدت هبوطاً كبيراً في حرية الصحافة في السنوات الأخيرة، وانعكس ذلك على قيمة المؤشر العالمي العام، الذي انخفض عام ٢٠١٥ لأكبر قيمة له منذ ١٠ سنوات. من أصل ١٩ دولة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا ، ٢% فقط من شعوب المنطقة يتمتعون بصحافة حرة، ١٦% يتمتعون بصحافة حرة جزئياً، و٧٩% يعيشون في بلدان لا يوجد فيها حرية صحافية.

شكل (١) حرية الصحافة في الشرق الأوسط نسبةً لعدد السكان وعدد الدول٢٠١٤



جاءت في مقدمتها تونس ، باعتبارها الدولة التي تتمتع بأقصى درجة من حرية الصحافة في الوطن العربي، تلتها مصر وليبيا. الجدول (١) يعرض قيم المؤشر للدول العربية.

جدول(١) قيم مؤشر حرية الصحافة لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا٢٠١٥



مؤشر حرية الصحافة في الشرق الأوسط

الدولة	الترتيب الاقليمي	الوصف	مؤشر حرية الصحافة	الترتيب العالمي
تونس	2	حرة جزئياً	48	
لبنان	3	حرة جزئياً	55	
الكويت	4	حرة جزئياً	59	
الجزائر	5	غير حرة	61	135
الأردن	7	غير حرة	66	
المغرب	8	غير حرة	66	
قطر	9	غير حرة	67	
عمان	10	غير حرة	71	158
العراق	11	غير حرة	71	
مصر	12	غير حرة	73	161
ليبيا	13	غير حرة	73	
جيبوتي	14	غير حرة	75	
الإمارات	15	غير حرة	76	
اليمن	16	غير حرة	78	171
السودان	17	غير حرة	81	176
السعودية	18	غير حرة	83	
قطاع غزة	19	غير حرة	84	
البحرين	20	غير حرة	87	
سوريا	22	غير حرة	90	
إسرائيل	1	حرة	30	61
تركيا	6	غير حرة	65	
إيران	21	غير حرة	90	

المصدر: تقرير حرية الصحافة العالمي 2015، فريدوم هاوس

رصيف22

أ-**تونس:** حققت تونس منذ عام ٢٠١٠ قفزة كبيرة عالمياً في حرية الصحافة، فهي الدولة الوحيدة التي قفز فيها المؤشر ٣٧ نقطة، وهذا أفضل من التقدم الذي حققته جميع الدول العربية مجتمعةً في السنوات العشر الماضية. في العام ٢٠١٤ ارتفع المؤشر من ٥٣ إلى ٤٨ بسبب المصادقة على دستور عام ٢٠١٤، الذي ضمن حرية التعبير والصحافة، فضلاً عن تحسن ملحوظ في تخفيف الرقابة على الصحف، وحالات الاعتداء المادي والمعنوي على الصحافيين.

ب-**مصر:** شهدت مصر تطوراً ملحوظاً في حرية الصحافة عام ٢٠١١ ، لكنه لم يستمر، فبدأ المؤشر بالهبوط مجدداً عام ٢٠١٢، ليصل في ٢٠١٤ إلى ٧٣ نقطة، وهو الأسوا لمصر منذ ١١ عاماً. السبب يعود للعدد الكبير من الاعتقالات، والدعاوى القضائية التي شهدها عام ٢٠١٤ بحق الصحافيين والإعلاميين، أدت إلى عقوبات قاسية بحق الكثير منهم.

ت–ليبيا: انخفض درجة المؤشر في ليبيا من ٦٢ إلى٧٣، نظراً لاستمرار تدهور الوضع الأمني، الذي يمنع الصحافيين من الوصول إلى العديد من المناطق المتنازع عليها. كان العاملون في وسائل الإعلام في ليبيا عام ٢٠١٤ من أكثر العاملين عرضةً لعمليات الاختطاف والاغتيالات، وواجهوا النيابة العامة أيضاً بتهمة التشهير وتسريب معلومات عن الأمن القومي، وأخيراً تعرض الصحافيون أيضاً للضغط والابتزاز من الميليشيات المسلحة في المناطق التي يعملون فيها.

ث–سوريا العراق ولبنان: بسبب الحرب الأهلية في سوريا تأثرت حرية الصحافة في العراق سلباً، بسبب ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية، والاعتقالات والإعدامات العديدة التي نفذها في حق صحافيين محليين وأجانب بتهم مختلفة. وأثرت الحرب السورية سلباً على معدل حرية الصحافة في لبنان، الذي وصل إلى أدنى معدل له من ٥ سنوات (٥٥ نقطة)، بسبب كثرة قضايا التشهير التي رفعت ضد صحافيين عام ٢٠١٤، تنوعت عقوباتهم بين السجن والغرامات المالية الطائلة. في أحيان عديدة في لبنان، تم تسجيل حالات تحيز ضد وسائل الإعلام، وكان هناك تأثير سياسي على القرار. أما في سوريا فجميع الصحف مملوكة من النظام الحاكم، أو من رجال أعمال يعملون لصالح النظام، ولا يوجد طريقة معروفة للحصول على المعلومات. كما أن الحرب زادت من حالات الاعتداء والاعتقالات والإعدامات بحق صحافيين ونشطاء محليين وأجانب، ما جعل سوريا تقفز إلى المرتبة الثامنة عالمياً كأسوأ دولة في حرية الصحافة.

ح–قطر: صادقت الحكومة القطرية على قانون الجريمة الإلكترونية الجديد عام ٢٠١٤، الذي يتضمن عقوبات مرهقة ضد من يثبت أنه ينشر أخباراً كاذبة، أو ينشر أخباراً من شأنها أن تعرض الدول للخطر، والنفاذ إلى المعلومات الحكومية من دون إذن مسبق. في البحرين لا تزال وسائل الإعلام تعاني من الرقابة والاضطهاد، وتعرض الصحافيون المواطنون الذين تجرأوا على نقل أخبار الاحتجاجات إلى اعتقالات متنوعة من قبل الحكومة. أما الإمارات العربية المتحدة، فهي واحدة من أكثر البيئات الإعلامية قمعاً في المنطقة، وهو يتعارض مع صورتها التي تحاول التسويق لها دوماً بأنها واحة في صحراء من الأنظمة الاستبدادية المحافظة في المنطقة.

ج–قطاع غزة: تصنيف قطاع غزة نقص بمقدار نقطتين، ليصبح ٤٨ بسبب الحرب. السلطات الإسرائيلية والفلسطينية فرضت الكثير من العوائق على حركة الصحافيين في غزة والضفة.

خ–السعودية واليمن: هبط المؤشر في اليمن نقطتين بسبب استهداف القوات الحكومية والحوثيين للصحافيين، وواجهت وسائل الإعلام ضغوطاً مستمرة لخدمة مصالح سياسية لكلا الطرفين. وفي المملكة العربية السعودية، زاد من القيود المفروضة على الإعلام مع تمرير قانون مكافحة الإرهاب، الذي زاد الاعتقالات بحق الصحافيين والمدونين في المملكة.

هـ–الجزائر: انخفضت قيمة المؤشر في الجزائر من ٥٩ إلى ٦١، فتم تصنيفها غير حرة بعد أن كانت مصنفة حرة جزئياً، بسبب القيود التي فرضت على وسائل الإعلام خلال فترة الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٤. في العام نفسه تم فرض قانون لمراقبة محتوى القنوات التلفزيونية المملوكة للقطاع الخاص، وانسحبت الحكومة من جميع البرامج الإعلانية في القنوات، التي ساهمت بتغطية نشاطات الأحزاب المعارضة. وجرى منع الصحافيين من الحصول على تأشيرات دخول، وفرض الكثير من القيود على أولئك الذين منحوا الإذن بالدخول .

وشهد ترتيب معظم الدول العربية في مؤشر حرية الصحافة لعام ٢٠١٧ «انحدارًا» عن العام٢٠١٦ ، إذ تقلّص ترتيب ١٣ دولة عربية في مؤشر ٢٠١٧، عن مؤشر ٢٠١٦، وبلغ هذا الانحدار أقصاه لموريتانيا التي انخفضت سبع مراكز في العام ٢٠١٧عن العام ٢٠١٦؛ مما أفقدها صدارة ترتيب الدول العربية، فيما احتفظت ست دول عربية بنفس مراكزهم التي حصلو عليها في المؤشر العام ٢٠١٦[٣٣].

٢:مؤشر وسائل الاعلام العربي المعاصر[*]٢٠١٨ :

مقابل الانخفاض في التصنيف لحرية الصحافة في البلدان العربية تزايد بشكل كبير حجم وسائل الإعلام العربي المعاصر خلال السنوات الخمس الأخيرة وذلك على النحو التالي [٣٤]:

١–إذ بلغ عدد القنوات الفضائية العربية وفقاً لتقرير صادر عن اتحاد الإذاعات العربية نحو ١٣٢٠ قناة فضائية عربية في العام ٢٠١٧، وهو ما يمثل زيادة كبيرة مقارنة بعام ٢٠١١ إذ بلغ عددها آنذاك ٦٩٦ قناة فضائية

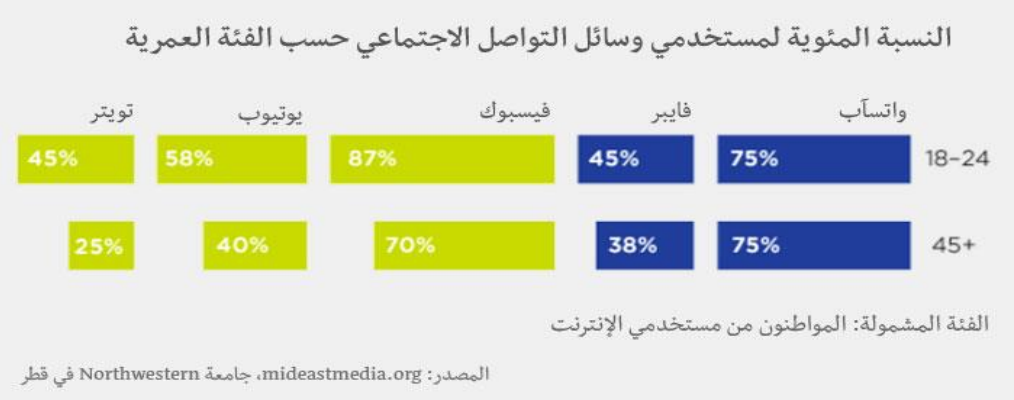
٢–بلغ عدد الصحف الالكترونية في الوطن العربي ٥٠٥٠ صحيفة منها حوالي ٣٠٠ صحيفة تصدر يومياً و٥٠٨ أسبوعياً و ٣٧٥٨ صحيفة ومجله تصدر شهرياً ودورياً[٣٥].

٣-بلغ عدد مواقع الانترنت الإعلامية في الدول العربية ٤ آلاف موقع منها ٢٧٠٠ موقعاً باللغة العربية و الباقي بالإنجليزية ولغات أخرى هذا بخلاف مواقع أخرى حكومية خدمية ومواقع تسويقية إعلانيه وغيرها من المواقع الالكترونية غير الإعلامية والتي وصل عددها إلى حوالي ٢٠٠ ألف موقع منها ٣٠٣٧٠ موقعاً بالسعودية و٢٨٩١٣ بمصر و١٩٧٨٤ موقعاً بالمغرب و١٥١٨٠ موقعاً بالإمارات[٣٦].

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي كـ (فيس بوك وتويتر وإنستجرام.. إلخ) من الوسائل المهمة في الوقت الراهن للجميع، إذ يتعاظم الدور الذي توديه يوماً بعد يوم، ويتزايد أثرها في حياة المجتمعات والأفراد، ورغم الفوائد والفرص الكبيرة التي باتت تمنحها تلك الوسائل لمستخدميها، في الوصول الى الاعلام الجديد والتعرف على الحدث[٣٧].

حوالي ٩٥% تقريباً من مستخدمي الانترنت، يستخدمون إحدى وسائل التواصل الاجتماعي. ٧٩% منهم يستخدمونها بشكل يومي ولمرة واحدة على الأقل[٣٨]. Facebook و Whatsapp الوسيلتان الأكثر انتشاراً بين العرب. يسيطر Facebook على النسبة الأكبر من المستخدمين في مصر وتونس، بينما Whatsapp هو المسيطر في لبنان والإمارات وقطر، وهو الوحيد الذي تستعمله شريحة عمرية واسعة، على عكس الوسائل الأخرى التي تختلف نسبة استخدامها بحسب الفئات العمرية. وكما يبنها الشكل التالي:

مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في الوطن العربي(%)



ينشط المستخدمون العرب في الأنشطة السياسية عبر الفيس بوك في الدول التي يتمتع فيها أفرادها بوعي سياسي.ويحافظ Facebook على صدارته بين وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، كوسيلة للتعبير عن الآراء السياسية، وجاء Twitter وViber في المرتبتين الأخيرتين.

يتضح من الجدول (٢) إن عدد مستخدمي فيسبوك في مصر بلغ اكثر من ٣٣ مليون مستخدم مع بداية ٢٠١٥، مقارنةً في العام ٢٠١٣، بما يقارب ضعف ما كان عليه قبل ثلاثة أعوام. وأن فيسبوك لا يزال هو الشبكة الأكثر استخداماً في المنطقة مقارنة بالشبكات الأخرى، وتتركز أعلى نسب الاستخدام بين السكان في دولتي الإمارات وقطر. وتصدر اللغة العربية ساحة الإعلام الاجتماعي لأول مرة في الوطن العربي.

جدول (٢) ترتيب الدول العربية من حيث أعداد مستخدمي الفيسبوك ٢٠١٧

ت	الدولة	مستخدم (مليون)	% من السكان
١	مصر	أكثر من ٣٣ مليون مستخدم	%٣٧
٢	السعودية	أكثر من ١٨ مليون مستخدم	%٥٨
٣	الجزائر	أكثر من ١٦ مليون مستخدم	%٤٠
٤	العراق	أكثر من ١٣ مليون مستخدم	%٤٣
٥	المغرب	أكثر من ١٢ مليون مستخدم	%٣٨
٦	الإمارات	أكثر من ٨ مليون مستخدم	%٩٤
٧	سوريا	أكثر من ٦ مليون مستخدم	%٣٧
٨	تونس	أكثر من ٥ مليون مستخدم	%٥٥
٩	الأردن	أكثر من ٤ مليون مستخدم	%٦٦
١٠	السودان	أكثر من ٣ مليون مستخدم	%٨
١١	ليبيا	أكثر من ٢ مليون مستخدم	%٤٩
١٢	الكويت	أكثر من ٢ مليون مستخدم	%٧١
١٣	لبنان	أكثر من ٢ مليون مستخدم	%٥٦
١٤	قطر	أكثر من ٢ مليون مستخدم	%٩٥

١٥	اليمن	أكثر من ٢ مليون مستخدم	%٨
١٦	عمان	أقل من مليون مستخدم	%٤١
١٧	فلسطين	أقل من مليون مستخدم.	%٣٤
١٨	البحرين	أقل من مليون مستخدم	%٧٣
١٩	جيبوتي	أقل من مليون مستخدم	%٢٠
٢٠	موريتانيا	أقل من مليون مستخدم	%١١
٢١	جزر القمر	أقل من مليون مستخدم	%٩
٢٢	الصومال	أقل من مليون مستخدم	%٨
٢٣	باقي الدول العربية		%.٤

http,/www.internetworldstats.com//:Internet World Stats

وتمثل نسبة التفاعلات باللغة العربية في المنطقة عبر شبكة فيسبوك ٥٥ %مرتفعةً من نسبة ٤٣ % ، أما في «تويتر» فقد بلغت نسبة التغريدات بالعربية ٧٢ % من مجمل التغريدات الصادرة من مستخدمين داخل المنطقة العربية [٣٩]، كما أن هنالك أكثر من ١٦,٦ مليون مستخدم لشبكة «لينكد إن» في الوطن العربي بزيادة بلغت ٢٢% مقارنة بالعام ٢٠١٣ إذ تحتل دولة الإمارات المرتبة الأولى في عدد المستخدمين وبنسبة تقارب ٢٠% من إجمالي المستخدمين في العالم العربي.

أما شبكة انستغرام، فيبلغ مجموع مستخدميها في العالم العربي ٧,١ ملايين مستخدم نشط عام ٢٠١٥، وأن عدد مستخدمي الشبكة في السعودية أعلى من باقي بلدان الوطن العربي، أما دولة الإمارات فتحتل المرتبة الأولى من إذ نسبة الناشطين على الشبكة من مجموع السكان بنسبة ١٣.% ، وأن اللغة العربية الأكثر استخداماً عبر منصات التواصل الاجتماعي للمرة الأولى في المنطقة [٤٠].

وان حوالي٦٢% يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار، فضلاً عن كونها وسيلة تواصل مع العائلة والأصدقاء. وكانت نسبة من يستخدمون هذه الوسائل للاطلاع على الأخبار أكبر في الفئات العمرية الأقل. نحو ٤٦% تتفق على عدم مصداقية وسائل التواصل الاجتماعي كوسيلة للأخبار، واعتقد الثلثان أن الأخبار المرئية هي الأكثر مصداقية بين وسائل الإعلام، والنصف تقريباً أظهروا ولاءهم للأخبار المقروءة كوسيلة ذات مصداقية[٤١].

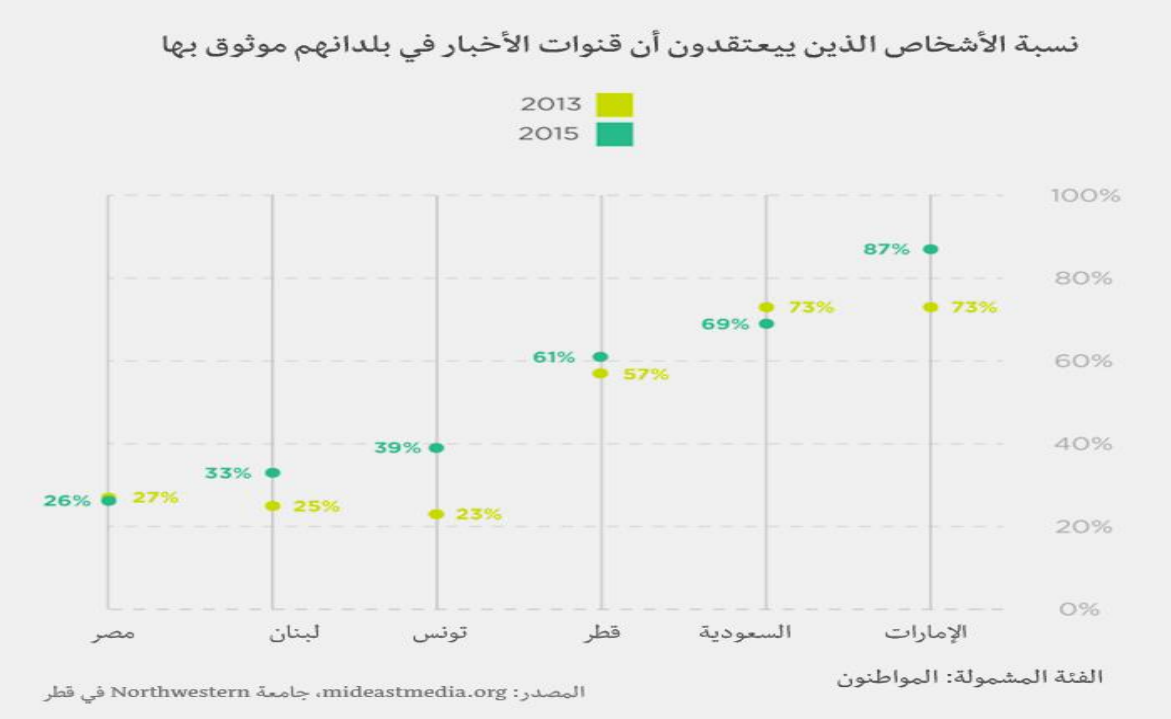
إن النسبة الأكبر من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي يقومون بالتعليق والتفاعل ومشاركة الأخبار مع الآخرين، ، أن هذه الوسائل تزيد من تواصلهم مع الأشخاص الذين يشاركونهم في الآراء السياسية، والنسبة الأكبر من هؤلاء كانت في السعودية .

زادت النسبة التي تدعم حرية التعبير على الانترنت وأثرها في التغيير السياسي منذ عام ٢٠١٣ في لبنان وقطر والإمارات ومصر. وزادت نسبة الداعمين لها بشكل طفيف في تونس والسعودية.

بالرغم من أن وسائل الإعلام في العالم العربي لا تتمتع بالاستقلالية، لكن حوالي (٧٨%) يثقون إجمالاً بالقنوات الإخبارية في بلدانهم، ويعتقدون أنها تحاول جاهدةً تحري الدقة والمصداقية في نقل الأخبار[٤٢].

اما فيما يخص جودة الأخبار ، فقد أظهر المواطنون في دول الخليج العربي عموماً رأياً إيجابياً حول القنوات الإخبارية، بأنها مصادر موثوق بها. أن الأشخاص الأكبر عمراً هم عموماً أكثر ثقةً في قنوات الأخبار من الشبان. وان الإماراتيون واللبنانيون يعتقدون أن وسائل الأخبار أصبحت أكثر مصداقية عام ٢٠١٥ مما كانت عليه عام ٢٠١٣، .

شكل (٢) نسبة الاشخاص الذين يعتقدون بمصداقية الاخبار



المصدر: تقرير التعامل مع وسائل الإعلام ٢٠١٥ هو التقرير الثالث الذي تجريه جامعة Northwestern في قطر.

إذ أن الغالبية يتابعون الأخبار الوطنية ويثقون بالقنوات المحلية بشكل أكبر من القنوات الإقليمية أو العالمية، وان ٤٣% منهم يتابعون قنوات أخباريه إقليميه، مقابل ٣٤% يتابعون قنوات أخبار عالمية.

النسبة الأعلى لمتابعي القنوات غير المحلية كانت في السعودية، والنسبة الأقل للمهتمين بالقنوات العالمية والإقليمية كانت في مصر. معظمهم يفضلون متابعة الأخبار عبر قنوات تملكها الحكومة، خصوصاً في الإمارات. بينما السعوديون واللبنانيون يفضلون القنوات الإخبارية الخاصة

ومن بين بلدان الوطن العربي، تتربع منطقة الخليج العربي على قمة الدول الأكثر استعمالاً لوسائل التواصل الاجتماعي، إذ استطاعت دول المجلس أن تحافظ على صدارتها في المراكز الخمسة الأولى من حيث نسبة المستخدمين من السكان.

المبحث الثالث: دور الإعلام الجديد في مواجهة التطرف في الوطن العربي(العراق انموذجا)

اولا: الدور الوقائي الإعلامي العربي المعاصر لمواجهة المخاطر الناجمة عن الفكر الإرهابي المتطرف في الوطن العربي بقيت المجتمعات العربية لأوقات طويلة تتعرض لمضامين (إعلام جماهيري) غير متكافئ، جسدته هيمنة القناة التلفزيونية الوطنية الواحدة، ويذهب باحثون إلى أن هذا(النموذج التواصلي التقليدي) بدأ في الانحلال تدريجياً بسبب المتغيرات المعاصرة، وفي مقدمتها ما أتاحته التقنيات الحديثة[٤٣].

لقد طورت عدد من الدول العربية منذ بداية عقد التسعينات الذي شهد متغيرات دولية مهمة، تشريعاتها الإعلامية ونظم الضبط والسيطرة التي تمارسها. فقد صدر في الأردن قانون نشر المطبوعات رقم ١٠ لسنة ١٩٩٣وأدخلت تعديلات عليه في ١٩٩٨ ، وفي تونس صدر القانون الأساسي رقم ٣٥ لسنة ١٩٩٣وصدر في الجزائر عام ١٩٩٠ ، وصدر في فلسطين قانون المطبوعات والنشر عام ١٩٩٥ – القانون ٧٠ وفي مصر صدر القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ لتنظيم الصحافة، وفي موريتانيا صدر قانون الصحافة عام ١٩٩١ ، وصدر في اليمن القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٩٠ بشأن الصحافة والمطبوعات، فيما تستمر بقية الدول العمل على وفق قوانينها القديمة للصحافة، عدا العراق الذي شهد بعد ٢٠٠٣ صدور عدد من القوانين والأوامر والتشريعات الصحافية، وهو بصدد تشريع قانون جديد ينظم عمل الصحافيين[٤٤].

ومع منتصف العقد التسعيني، بدأت أغلب الحكومات العربية بإطلاق قنواتها االفضائية الرسمية، إلا أنها حملت فيما يبدو تلك الأهداف التي سعت لتحقيقها في تأسيسها للوكالات الوطنية للأنباء(١٩٥٦-١٩٧٦) مع بدايات تحررها من الاستعمار، والتي لم تأت لظروف موضوعية، من وجهة نظر العديد من الباحثين العرب، وإنما لدوافع تتعلق باستكمال هيبة الدولة، بجعلها أداة للتعبئة الجماهيرية والتوظيف السياسي، على وفق أجندات الأنظمة السياسية الحاكمة.

كان الإعلام العربي لا يقدم في معظمه، صورة موضوعية عن الواقع وهو ما يجعله يفتقر إلى المصداقية والفعالية، كما انه لا يقيم وزناً كبيرًا للجمهور، الأمر الذي يزيد من عزلته، ولا يشكل ذلك مشكلة كبيرة له، لأنه معنى أساساً بإرضاء السلطة وليس الجمهور، ولان النظم السياسية كانت مشغولة أساساً في ترسيخ وجودها وضمان الاستمرار، فقد تحددت مهام ووظائف الإعلام العربي على هذا الأساس. ذاته[٤٥].

لقد نبهت احداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ ، وما أعقبتها من حملات إعلامية غربية مكثفة، هدفت إلى تقديم صورة مشوهة عن العرب والمسلمين، الحكومات العربية بضرورة تطوير القنوات الفضائية العربية، وتعزيز وظائفها الإعلامية المتعددة، في محاولة لاجتذاب المتلقين العرب، لاسيما من فئتي المراهقين والشباب، وادى الإعلام بصفة عامة والإعلام العربي المعاصر بصفة خاصة دوراً كبيراً في إشعال ضجة إعلامية لم تنته إلى غاية يومنا هذا عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها.

وبحثت الجامعة العربية في ندوة موسعة لها بالقاهرة أداء الفضائيات العربية على وفق ما أطلق عليه (بالحريات المسؤولة الراعية لقيمة المرآة والطفل والإنسانية في المجتمعات العربية وسط انفجار فضائي لا محدود)، وبالرغم من ان الندوة وجهت النقد إلى العديد من الفضائيات، إلا انها لم تتمكن من تحديد توصيات لتشريعات موحدة حول خروج عدد من القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية في عملها، وعدم الأخذ بالحريات المسؤولة، مع التأكيد على ضرورة اللاتوجه تلك التشريعات بالضد من مبدأ شيوع الحريات.

تزايد الدور الذي يقوم به الإعلام في تكوين الأنساق المعرفية والفكرية للمواطن العادي، على حساب دور المؤسسات التكوينية والتربوية التقليدية (البيت، والمدرسة.. وغير ذلك)، ونجم عنه ازدياد تلاصق

الإعلام برأس المال الضخم قابلته زيادة تلاحم الدولة الحديثة برأس المال، وهو ما أدى بالنتيجة إلى تحول المؤسسات الإعلامية الكبرى إلى مشاريع اقتصادية –إيديولوجية تنطلق من مواقع سياسية واقتصادية وثقافية حددتها القوى الاقتصادية التي تملكه، فالقوى المالكة والموجهة للوسيلة الإعلامية هي التي تحدد استراتيجيات وسياسات ومنطلقات وأهداف ووظائف هذه الوسيلة(٤٦).

وقد أدى التطور السريع في تكنولوجيا الاتصال وانتشار القنوات الفضائية، وقواعد البيانات، وشبكات المعلومات مثل شبكة الإنترنت بما تحققه من تدفق سريع للأخبار والمعلومات وما تنطوى عليه من معلومات دقيقة وغير دقيقة تنشرها وسائل الإعلام على نطاق واسع، إلى ضرورة حرص المنظمات على مراقبة هذه الوسائل الجديدة الواسعة الانتشار بأن تعمل على إقامة روابط إيجابية معها وإمدادها بالمعلومات الدقيقة أولاً بأول فيما يعرف باتصالات الأزمة(٤٧).

لذا فإن أهمية دور الاعلام المعاصر في مواجهة التطرف تنطلق من التطور الصناعي والتقني والاجتماعي والربط الإلكتروني للعالم من خلال شبكات المعلومات والفضائيات والإنترنت، وانتشار المدن الكبيرة والعشوائيات السكانية، مما جعل من الصعب على أجهزة الأمن الكلاسيكية تحقيق الأمن بأجهزة رسمية محدودة العدد والعتاد والأهداف في ظل ظروف أمنية عالمية وإقليمية متغيرة ومتعددة، كل تلك المتغيرات استدعت تحولا جذريا في مفهوم الأمن العام، تجاوز كثيراً معوقات الفكر التقليدي إلى آفاق بعيدة لا تقف عند حد.

وقد استفاد الإعلام كثيراً من الأدوات التي أتاحتها الثورة التكنولوجية الحديثة، الأمر الذي أدى إلى تعاظم أهمية تأثير وسائل الإعلام المعاصر في عصر الفضاء المفتوح في التوعية الأمنية ، وفي رفع مستوى الحس الأمني لدى المواطنين وتوجيههم توجيهاً صحيحاً ، والتأثير في توجهاتهم وانتماءاتهم بما يخدم مصلحة الوطن والمواطن ومن المعلوم إن الدور الإيجابي الذي يمارسه الإعلام في دراسة ومناقشة وتحليل الظواهر المستحدثة ومنها ظاهرة الإرهاب والتطرف وتفنيد مزاعمها وأباطيلها التي تنبع من الاستراتيجية الاتية(٤٨) :

١ – توعية المواطن العربي وجعله دائماً على اطلاع بما يدور حوله ويحاك ضده من أعمال إرهابية وترسيخ الوعي المجتمعي حيال النتائج الوخيمة لظاهرة التطرف

٢-تكثيف الأداء الإعلامي الموجه إلى خارج الوطن العربي للتعريف بالإسلام والحضارة العربية

٣-إعداد الإعلاميين العرب وتأهيلهم للتعامل مع ظاهرة الإرهاب والتطرف وفق مهنية عالية

٤-إنشاء قاعدة معلوماتية إعلامية حول ظاهرة التطرف والعمل على تحليل تلك المعلومات بما يضمن محاصرة المتطرفين إعلامياً وثقافياً

٥-تعزيز التبادل الإعلامي بين الدول العربية لتوفير منظور عربي مشترك حول الأحداث والقضايا الإرهابية

٦-تكثيف برامج التصحيح الفكري باستخدام مختلف وسائل الاعلام العربي المعاصر ، وخاصة الشبكة العنكبوتية العالمية والمنتديات الثقافية وغيرها

٧-تنظيم الدورات التدريبية الإعلامية والحلقات النقاشية وورش العمل الخاصة بمكافحة الإرهاب والتطرف

٨-تبني برامج إعلامية شاملة تهدف إلى تنمية الوعي الوطني العام وتكريس حب الوطن وأهمية الإنتماء إليه في أوساط المجتمع والتصدي لما يطرح عبر وسائل الإعلام العربي المعاصر من مغالطات وأفكار مغرضة للتأثير السلبي على الشباب.

إذ يجب أن ينطلق هذا الإعلام العربي المعاصر من مشروع نهضوي عام جامع يستهدف التنمية الشاملة وإبراز هوية الدولة الحضارية الإسلامية من خلال الفنون والثقافة والعلوم وكل مناحي الحياة، ولا يقتصر على الدفاع أو العويل على ما يجري للمسلمين من مؤامرات كما يوجهنا لذلك رب العزة – سبحانه وتعالى – بقوله الكريم :﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٩]. وتتمثل الخطوط العامة لهذا في الآتي:

١- **التكوين الثقافي للمواطن:** من خلال تكوين المواطن تكويناً واعياً، بحيث يكون أكثر قدرة على الفهم ومن ثم يصبح سلوكه معبراً عن عمق إيمانه بقيم الفضيلة في المجتمع وتعلقه بالمثل العليا ويؤكد بعض علماء علم الإجرام أن ارتفاع نسبة التعليم يقلل من نسبة الجريمة، ولذا يجب أن يهتم بالتكوين الثقافي للفرد بمفهومه الاشمل بحيث يشمل بناء المثل العليا والإحساس بالمسؤولية الأخلاقية وتعميق قيم الخير.

٢-**تنمية الوعي والسلوك الديني:** وهو علم هام في تكوين شخصية اجتماعية، مع تعزيز مكانة الفضيلة في السلوك، باعتبار أن النفس بطبيعتها تميل نحو الفضيلة ، ويمكن أن تسهم وسائل الإعلام بطريقة إيجابية من خلال تمجيد الفضيلة ونبذ كل أنواع الانحراف باعتباره وسيلة هامة للتوعية(٥٠).

٣-**احترام حقوق الإنسان:** إذ يعد احترام حقوق الإنسان من أهم وسائل الوقاية من الجريمة، فإذا شعر بالظلم اندفع بغير وعي للتعبير عن رفضه لذلك الظلم، وهو في اختياره للسلوك الإجرامي إنما يعبر عن حالة نفسية تجسد معاناته، ولا يجد وسيلة للتعبير عن تلك المعاناة سوى بالانحراف والاتجاه نحو الجريمة، ومن ثم كان احترام حقوق الإنسان من أهم الوسائل المفيدة التي يمكن أن تسهم في تطويق ظاهرة العنف (٥١).

٤-للاعلام العربي المعاصر دور كبير في توعية الشباب والافراد بصفة عامة خاصة وسائل الاعلام السمعية البصرية لان في زمن التكنولوجيا والتطور الحاصل أصبح سعي دائما للوصول السريع الى المعلومة ، و الاعلام سلاح ذو حدين، وقد يكون تأثير وسائل الاعلام في بعض الاحيان قوياً جداً وقادر على نشر نمط سلوكي وثقافي واجتماعي ينتهجه الفرد

٥-معرفة الأحداث تساعد وسائل الإعلام العربي المعاصر الناس على البقاء على اطلاع ومعرفة حول الأمور، والأخبار، والأحداث كافة التي تجري حول العالم، والأنشطة الاجتماعية في كل بلد، ونمط الحياة والترفيه المختلفة والمتنوعة، وبالرغم من وجود الحواجز الجغرافية والمسافات الطويلة فإنّ الفضل في معرفة الأحداث أولاً بأول وبدون أي عناء يعود إلى وسائل الإعلام العربي المعاصر (٥٢).

٦-قول الحقيقة نقلت وسائل الإعلام العربي المعاصر عبر التاريخ أسوأ حالات في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، فدورها بعد انتهاء الحرب مهم إلى حد كبير من حيث البحث عن الحقيقة والمصالحة، لذلك فإنها تواجه تحدياً كبيراً في نقل الحقيقة، وتؤثر على الأجيال الجديدة وآرائها حول أحداث الحرب، فعلى وسائل الإعلام العربي المعاصر أن تتحمل عبئاً ثقيلاً في تحضير تقارير صادقة عن صراعات الحرب، لتجنب نقل الأحداث غير الصحيحة من أي مصدر خاطئ(٥٣).

٧-التعليم أنّ استعمال وسائل الإعلام الاجتماعية في التعليم للطلاب يوفّر الحصول على المزيد من المعلومات المفيدة، والتواصل مع مجموعات التعلم والأنظمة التعليمية الأخرى التي تجعل التعليم ملائماً، وتوفر فرصاً متعددة لتحسين أساليب التعلم، ويمكن اكتساب معرفة قيمة من خلال وسائل

الإعلام الاجتماعية، مثل: التحليلات والأفكار حول مواضيع أو قضايا مختلفة لأغراض الدراسة، وهي تعتبر وسيلة يمكن للطلاب من خلالها إنشاء روابط مفيدة لمهنهم كمؤسسة تعليمية، وهذا يساعد على خلق استراتيجيات لتدريب الطلاب وتثقيفهم بشكل أفضل(٥٤).

٨- الإعلانات والترويج أصبحت وسائل الإعلام في الوقت الحالي من وسائل الإعلام الجماهرية، ‘إذ استخدمتها الشركات وسيلة للسماح لعدد كبير من الناس لمعرفة منتجاتهم، فهو يسمح بمشاركة الأفكار والمفاهيم المبتكرة مع الآخرين، ومع تقدم السنوات تطورت أساليب الإعلان وتقنياته، وتمّ خلق النزعة الاستهلاكية والاحتياجات التي لم تكن من قبل، ممّا أدّى إلى تحويل الرفاهيات إلى ضروريات، وهذا يُثير بعض القضايا والمخاوف(٥٥).

وقد ركزت وسائل الإعلام العربية على ظاهرة التطرف والتي تحظى باهتمام الشعوب والحكومات في شتى أنحاء العالم لما لها من آثار خطيرة على أمنها واستقرارها، بعد أن اتضح إننا أمام ظاهرة إجرامية خطيرة تهدف إلى خلق جو عام من الخوف والرعب والتهديد باستخدام العنف ضد الأفراد والممتلكات.

لقد حاولت وسائل الإعلام العربية المعاصرة تقديم الممارسات الإرهابية بحذر شديد والتقليل من حدتها لعدم إثارة الذعر بين المواطنين ، وتصوير من يقومون بمثل هذه الممارسات بشكل عام كمجرمين لضمان إثارة رأي عام مجابه لهذه الجماعات.

إن وسائل الإعلام تعد من المصادر الأساسية للمعلومة، والتي يبني عليها الفرد مواقفه، وتقوم عليها اتجاهات الجماعات حيال الأحداث الجارية، سواء بالقبول أو الرفض، إذ تتولى وسائل الإعلام الدور الملموس في تشكيل موقف الجمهور المتلقي من القضايا المطروحة على الساحة المحلية والدولية، ولا يتوقف تغيير الاتجاه والموقف على القضايا العامة أو الأحداث المثارة، بل يمتد إلى القيم وأنماط السلوك، فقد يحدث أن يتقبل المجتمع قيمًا كانت مرفوضة قبل أن تحملها الرسالة الإعلامية، أو يرفض قيمًا كانت سائدة ومقبولة مستبدلاً بها قيمًا جديدة.

وهناك في تجارب الدول العربية خلال مواجهتها موجات التطرف، خبرات تستحق الدراسة، لاسيما في السبعينات في بلد مثل مصر نشطت فيه جماعتا «الجهاد» و «الجماعة الإسلامية» الإرهابيتان. واستطاعت الحكومة المصرية أن تقيد حركة هذه الجماعات وتعتقل الألوف من أعضائها ممن ارتكبوا

أفعالاً إرهابية في السجون والمعتقلات، التي قام مارس قادة هذه الجماعات فيها «النقد الذاتي»، من خلال نشر مجموعة متنوعة من الكتب أطلق عليها «المراجعات»، اعترفوا فيها بأخطائهم الفادحة في التأويل المنحرف للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقدموا اعتذاراً عن جرائم القتل والاغتيال والترويع التي قاموا بها(٥٦).

كما ساهمت بعض الصحف المصرية المستقلة والمعارضة في تغطية الأوضاع الداخلية في الكنائس المصرية الأرثوذكسية، والكاثوليكية والإنجيلية. ولا شك أن نشر المعلومات، والأخبار والمتابعات للخلافات اللاهوتية والشخصية بين كبار الأساقفة، وبعض مراكز القوة عند قمة الأكليروس، والباب شنودة، إلى إعلام القراء بطبيعة المشكلات اللاهوتية والاجتماعية داخل المؤسسة الدينية الأرثوذكسية، وبين قادتها، وهو ما يمثل دوراً تبصيرياً للقراء بما يجرى داخل أحد المؤسسات الدينية الوطنية، مثلها تماماً مثل التعامل مع الظواهر والخلافات في الرؤى وتنوعها داخل الأزهر الشريف.

ويبقى الإعلام ووسائله من أهم عوامل نقل الحضارة، وإشاعة الثقافة الجادة، ودعم الفكر الصالح، وبث القيم الصحيحة في العادات والسلوك، وإصحاح البيئة الإنسانية والمجتمع البشري، وتحقيق التواصل الاجتماعي والثقافي بين الأفراد والجماعات والأمم.

لذلك يعد الإعلام العربي المعاصر على درجة كبيرة من الأهمية في ظل الاستراتيجيات الأمنية الحديثة، من خلال تبصير الأفراد والجماعات بحقيقية الفكر الارهابي المنحرف وكشف الأساليب الإجرامية، وفضح أهداف الخارجين على قيم المجتمع ومعاييره وتوضيح الأهداف الخبيثة لظاهرة الإرهاب والتطرف الأمر الذي بات يتطلب تحديد الاحتياجات التي يمكن من خلالها توظيف واستعمال الإعلام من أجل مواجهة المخاطر التي تهدد الأمن الوطني للدولة، وفي مقدمتها ظاهرة الإرهاب، ومن ثم كان لابد للإعلام أن يقوم بتوظيف وسائله بما يمكن الدولة والمجتمع من مواجهة التطرف من خلال ما يأتي:

١- العمل على تنمية المجتمع وتنظيم قدراته للمساهمة في مواجهة هذه الظاهرة وفي الوقت نفسه توعية الشعب وإثارة حماسه للتعاون مع أجهزة الأمن لإحباط مخططات هذه الظاهرة.

٢-الحصول على المعلومات اللازمة لإحباط المخطط الخارجي الداعم لعناصر للتطرف فالإعلام العربي المعاصر من خلال إسهامه في تحقيق الأمن ومواجهة الفكر الإرهابي والتطرف، يعد الركيزة

الأساسية، التي توفر الحماية وتمهد الطريق للنمو الاقتصادي والاجتماعي وحماية المال العام من الانحراف وكذا حماية الشباب من الانحراف أو الإقبال للانضمام إلى صفوف المنحرفين والإرهابيين ومن ثم كانت أهمية دور الاعلام في مواجهة التطرف من خلال.

٣-رصد ظاهرة التطرف من أجل التوصل إلى مصادر التمويل وأسلوب تجنيد الاتباع وبناء النظم والحصول على الأسلحة وتسلسل تمرير الأوامر

٤-استمالة الرأي العام للاتجاه المعاكس للتطرف، عن طريق تشجيع روح الاعتدال والوسطية والحوار الهادئ والمناقشة الموضوعية للآراء المخالفة، مع إتاحة الفرصة الكافية للتعبير عن مختلف الآراء، وتشجيع الحوار ومناقشة القضايا الهامة مع المسؤولين.

٥-إطلاع المواطنين على حجم المخاطر الناتجة عن ظاهرة التطرف ومدى التأثير على المجتمع بكافة أنشطته ونشر المعلومات الصحيحة عن ظاهرة التطرف، حتى يمكن توعية المواطن باتخاذ كافة التدابير الوقائية.

٦-قياس اتجاهات الرأي العام تجاه الجماعات المتطرفة وتأثيرها على المجتمع، وأسلوب مواجهتها، ومن ثم وقوف المواطنين إلى جانب أجهزة الأمن لمواجهة هذه الظاهرة والإبلاغ عن المشتبه فيهم.

٧-نشر الجهود الأمنية – من خلال وسائل الإعلام العربي المعاصر من شأنه أن يردع كل من تسول له نفسه القيام بمثل هذه الجرائم، لعلمه مقدما أن فرصة الإفلات من العقاب تبدو مستحيلة. كما يمكن من خلال الإعلام توضيح الأنظمة والقوانين والعقاب الذي سيواجه هؤلاء المنحرفين.

٨-السماح بانسياب وتدفق المعلومات الصحيحة للمواطنين وبأسرع وقت للحيلولة دون التأويلات والتكهنات ، كما يمكن إطلاعهم على حجم المخاطر التي تطرحها هذه التحديات.

٩-حث المواطنين على اتخاذ المواقف المتعاونة مع الأجهزة الأمنية ضد عناصر التطرف، الذين يشكلون خطراً على مسيرة المجتمع وأمنه، ومن ثم تعميق علاقة المواطن بالسلطة والمشاركة في الأحداث وصنع القرار.

ثانياً: الدور الوقائي الإعلامي العربي الجديد لمواجهة المخاطر الناجمة عن الفكر الإرهابي المتطرف في العراق:

من المعروف أنَّ ظاهرة التطرف تحظى باهتمام الإعلام العربي الجديد التي تودي دورًا مهمًا في توجيه الرأي العام، إذ يُعد الإعلام العربي الجديد سلاحًا عصريًا فاعلًا في تغطية هذه الظاهرة بكل فروعها وأشكالها، لما له من قدرات هائلة في الانتقال عبر القارات، واجتياز الحدود دون عقبات مهما كانت القوانين المانعة. وبإمكانه نشر الخبر أو الأخبار لأحداث عدة، والتأثير بدرجة كبيرة في الرأي العام العالمي، وإجراء تحولاتٍ في المسار السياسي العام.

مما لاشك فيه إن هنالك ارتباط كبير بين الإعلام العربي الجديد وكافة الأحداث التي تشهدها الساحة العراقية ومن الأمور التي يجب أن ننتبه إليها في عصرنا الإعلامي الحالي هو علاقة الإعلام العربي بالتطرف الذي يشهده العراق وقبل البدء بالحديث عن هذه العلاقة الفريدة لا بدلنا من الإشارة الى ان النصف الأول من التسعينيات شهد تحولاً هاماً لملف التطرف والإعلام العربي الجديد على حد سواء، إذ عرفت العديد من دول العالم سلسلة من العمليات الإرهابية انتقل على إثرها الإعلام بمختلف أنواعه "حكومي وخاص" إلى التعامل مع التطرف كظاهرة تحتاج إلى نسق متكامل من المواجهة الفكرية والإبداعية والإعلامية، وظهر ذلك واضحاً في تصدي مختلف الصحف للظاهرة التطرف، وفي الصحوة التلفزيونية التي تمثلت في تقديم برامج حوارية متنوعة، تُرسخ موضوعات التحدي للإرهاب والإرهابيين[٥٧].

عند مقارنة العمليات الإرهابية في العراق بباقي البلدان العربية فنجد بأنّه أكثر بلدان المنطقة العربية معاناة منها خلال المدة (١٩٩١-٢٠١٠) اذ بلغت نسبتها ٥٢ % من مجمل العمليات الإرهابية في البلدان العربية، وحصلت أغلب تلك العمليات الإرهابية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣وفي المرتبة الثانية بعد العراق نجد الجزائر والتي طالتها ١٩ % من العمليات الإرهابية، تليها فلسطين ١١%)، ثم الصومال (٦%)، ولبنان (٥%). أي ان الإرهاب يتركز بنسبة ٩٠ % في البلدان المذكورة من اجمالي العمليات الإرهابية في الوطن العربي، بينما نجد ما تبقى وهي نسبة ١٠ % فقط تتوزع على بقية البلدان العربية الأخرى[٥٨].

ويعد التلفزيون احسن وسيلة اعلامية لنقل الاخبار وان دوره لا مثيل له في تقديم المادة الاخبارية[٥٩]. ويتمتع التلفزيون كجهاز اعلامي بالفورية التي تزيد من واقعيته، اذ يبلغ ذروة الكفاءة الاعلامية عند تغطية الاحداث فور وقوعها، وبرزت اهمية استثنائية للتلفزيون كجهاز اعلامي من خلال الاحداث التي تمت مشاهدتها ومتابعتها عبر شاشات التلفزيون وبخاصة تلك التي رافقت العمليات العسكرية للتحالف الغربي ضد العراق عام ١٩٩١ ادت الفضائيات كوسيلة اخبارية دورا واضحا في وضع العالم باسره في اجواء الملف العراقي منذ عام ١٩٩٠-١٩٩١ ومن ثم الغزو المباشر للولايات المتحدة وحلفائها لاحتلا ل العراق اذار ٢٠٠٣، كانت اخبار العراق في حرب ١٩٩١-٢٠٠٣ تبث بالصورة والنص والصوت في لحظات قليلة[٦٠].

إذ تقديم الأخبار والأحداث السياسية بشكل مشاهد مصورة مع المؤثرات الصوتية للقنوات الفضائية العربية بعد أن جعل التلفزيون الأحداث المهمة متاحة للناس العاديين في أنحاء العالم، بفضل الكاميرات الصغيرة وأجهزة الإرسال المحمولة وشبكات الأقمار الصناعية، والتوفر التام –تقريباً– لأجهزة التلفزيون[٦١]. الأمر الذي مكنهم من الاطلاع الدائم على الأحداث السياسية المهمة والتعرف على العالم، ((وأعطى المشاهدين الشعور بأهم شهود عيان على التاريخ الذي يمر أمامهم من على الشاشة، وتملكهم الإحساس في المشاركة بالنيابة في الأحداث، وبالمعرفة الشخصية في الحياة العامة))[٦٢].

وقد توسعت بالفعل العديد من التفاعلات الحقيقية بين الشعوب إلى ما هو ابعد من الحدود السابقة بفضل التلفزيون[٦٣]، على خلاف ما كان عليه البشر في مدد زمنية سابقة، إذ يقدر العلماء إن الشخص المتوسط، الذي كان يعيش خلال العصور الوسطى، لم ير أكثر من مائة شخص طوال حياته. وان فرصة إن يكون المرء مشهوراً كانت متاحة فقط للملك والبابا، وبالطبع لقديس واحد أو أثنين، وفي فترات سبقت انتشار التلفزيون كان على الناس أن يروا واشنطن وجي فرسون –على سبيل المثال–شخصياً ليعرفوا كيف يبدوان.

على الرغم من أن الأعمال الإرهابية كانت مجازر مروعة فان استخدام الإعلام العربي الجديد في حرب الإرهاب على العراق جاء مفاجئ و بقوة لم تكن متوقعة حتى من قبل قادة الجيش الأمريكي. ولا نبالغ إذا قلنا أن الإعلام العربي قد أربك الجيش الأمريكي بشكل ليس له مثيل وسبب له خسارات كبيرة

سياسية وعسكرية. إذ وجد الاعلام العربي الجديد نفسه امام مسؤولية اثبات بطلان تبسيط العمليات العسكرية الجارية في العراق عام ٢٠٠٣ والتي كان يروج لها الاعلام الغربي وخاصه فيما يتعلق بعدم وجود قتلى او اسرى او سقوط طائرات لقوات التحالف في الايام الاولى للحرب حتى نشرت قناة الجزيرة صورا لخسائر الامريكان والبريطانيين في معارك العراق[٦٤].

ففي هذه الحرب وضعت قوات الاحتلال الامريكية والبريطانية قيودا مشددة على حركة الصحفيين وحريتهم في الحصول على الاخبار بهدف فرض الرقابة العسكرية على التغطية الصحفية والتعتيم المتعمد على الاحداث. وتم طرد بعض المراسلين من مواقع معينة وتم وضع قيود على اخبار محددة تراها القوات سرية وتوثر على سير العمليات وتعرض المراسلين لاطلاق نار المتعمد وتم اعتقال بعضهم بل تعمد قتلهم كما حدث في قصف قنوات الجزيرة وابو ظبي والعربية وفندق فلسطين في بغداد الذي كان مقر لمعظم المراسلين الاجانب[٦٥]. ورغم ذلك فالقناتين مازالتا تنقلان من خلال مراسليها اخبار العراق اول باول ، وان كانت العربية تملك التواجد على ارض العراق من خلال سبعه مكاتب منتشرة في محافظات رئيسة ، فرصا اكبر واقرب للحصول على تفاصيل وتقارير اخبارية اسرع بسبب عدم وجود مكتب لقناة الجزيرة في الوقت الحاضر[٦٦].

ونتيجة لذلك وضع الحاكم المدني الامريكي للعراق بول برايمر ما عرف بالامر رقم ١٤ بتاريخ ١٠- حزيران ٢٠٠٣ ، الذي حدد فيه الانشطة الاعلامية المحظورة وجزاءات من يخالفها ، وحظر بموجبه على المنظمات الاعلامية اذاعة او نشر مواد اصليه او معاديه او مذاعه او مطبوعة او منشورة[٦٧].

استمرت الصراعات الطائفية الممتدة من العام ٢٠٠٦ على خلفيه انفجار سامراء في شباط ٢٠٠٦ وتفعيل ما يسمى بالمصالحة الوطنية وتدفق النازحين والمهاجرين العراقيين الى خارج العراق وفي داخله وهي احداث وضعت اخبار العراق في مقدمة اخبار الاعلام العربي الجديد وحضيت بتغطيه اعلاميه منه اما النصف الثاني من العام ٢٠٠٧، شهد تحولا نوعيا في الاحداث إذ ظهرت خلاله تشكيلات مسلحة باتت تسمى بالصحوات حضيت بدعم الدولة والقوات المحتله ،فبعدما احتلت حرب العراق خلال العام ٢٠٠٧ معدل ٥١٥% من مجمل مضامين وسائل الاعلام العربية ، تراجعت هذه النسبة في الفصل الاخير من السنة الى ٩% لتنخفض بعدها الى الربع الاول من العام ٢٠٠٨ الى ٩٣% [٦٨].

ومن ثم أصبحت البيئة الأمنية الاستراتيجية في العراق تنطوي على تطورات جيوستراتيجية بالغة الخطورة على أمنه واستقراره ، وفي مقدمتها التوسع الجغرافي لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"[٦٩]، ومسّ دوائر أمنه الإقليمي والعربي بل والأكثر خطورة تبني هذا التنظيم المتطرف لعمليات إرهابية في العراق، كتفجيرات المساجد التي شهدها العراق مؤخرًا.

فمن جهة أولى، حقَّق تنظيم "داعش" توسعًا جغرافيًّا نوعيًّا جديدًا خلال الأسابيع الأخيرة، بسيطرته في وقت متزامن على مدينة الرمادي عاصمة الأنبار كبرى محافظات العراق، ومدينة تدمر ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لمستقبل توازن القوى في سوريا.ومن جهة ثانية، تمدد التنظيم المتطرف "داعش" في منطقة شمال إفريقيا، واقترب من منطقة الهلال النفطي في ليبيا بعد إحكام قبضته على مدينة سرت، وبما يجعله على أبواب حدود مصر الغربية.إن هذا التنظيم المتطرف أصبح يمثل خطرًا داهمًا على أمن العراق، على المستويين الجماعي والوطني معًا، وذلك على النحو التالي:

أ–بعد سيطرته على مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار، بات "داعش" مصدر تهديد مباشر للأمن الوطني لثلاث دول جوار تتشارك حدودًا طويلة مع العراق، هي: السعودية، والأردن، والكويت.

ب– مع الانهيار الكبير للجيش العراقي في الرمادي على نحو ما حدث في الموصل في صيف ٢٠١٤؛ فقد أشارت معلومات استخباراتية كردية إلى انهيار ٦ آلاف عنصر من القوات العراقية أمام ١٥٠ مقاتلًا من تنظيم "داعش" في الرمادي[٧٠]. وقد عكست ردود أفعال الجهات الرسمية والشعبية إزاء التفجيرات التي تبناها تنظيم "داعش" في العراق، درجة عالية من الوعي السياسي والمجتمعي بمخاطر هذا التنظيم على الوحدة الوطنية في مجتمعات العراق[٧١]."كما اعتبر كُتَّاب رأي عراقيون أن ما تعرضت له بلادهم من تفجير إرهابي على يد "داعش" يشبه إعلان الحرب على الدولة والمجتمع[٧٢].

وبالتالي، فقد حولت هذه التطورات الدراماتيكية المتسارعة "داعش" ليصبح خطرًا حقيقيًا وواقعيًا.فخلال أسابيع معدودة من منتصف شهر مايو/أيار ٢٠١٥ وحتى أواخر شهر يونيو/حزيران ٢٠١٥، تمدد تنظيم "داعش" جغرافيًّا في الشرق الأوسط، من العراق وسوريا في آسيا إلى ليبيا في شمال إفريقيا كما أعلن عن نفسه في باكستان مقتربًا من قلب القارة الآسيوية وفي مطلع يوليو/تموز ٢٠١٥، نفَّذ التنظيم المتطرف سلسلة هجمات متزامنة على أكثر من ١٥ موقعًا عسكريًّا في شبه جزيرة سيناء، في سابقة

هي الأولى من نوعها.كما أعلن تنظيم "داعش" عن وصوله إلى دول مجلس التعاون الخليجي، عبر تبنِّيه تفجيرين إرهابيين في المملكة العربية السعودية في جُمعتين داميتين متتاليتين في ٢٢ و٢٥ مايو/أيار ٢٠١٥، وكذلك تنفيذه تفجيرًا إرهابيًّا ثالثًا في جمعة دامية أخرى في دولة الكويت في ٢٦ من يونيو/حزيران ٢٠١٥

وفي الوقت ذاته، ومن باب التمويه الاستراتيجي يعلن التنظيم بين الحين والآخر عن نيته استهداف مواقع حيوية مثل السفارات الأجنبية، وهذا يعزز ما أعلنت عنه الأجهزة الأمنية السعودية في مايو/أيار ٢٠١٥ عن إحباط مخطط لتفجير انتحاري ضد السفارة الأميركية في الرياض(٧٣).

إذ أنه من الملاحَظ أن "داعش" –وخلافًا لتنظيم "القاعدة"– يرتكز إلى "أيديولوجية مذهبية" قوامها اللعب على وتر الانقسام وبثُّ الفتنة الطائفية؛ فالتنظيم أكَّد أن هدف أعمال العنف التي قام بها حتى الآن في بعض دول الخليج يتمثل في استهداف الشيعة في شبه جزيرة العرب. وقد بدا ذلك جليًّا من استهداف تفجيراته الإرهابية مساجد لأبناء المذهب الشيعي في كل من السعودية والكويت.

ومن منظور استراتيجي أوسع، يتعاظم تهديد التنظيم الإرهابي المتطرف، لأمن واستقرار العراق خصوصًا والدول العربية عمومًا، إذا أخذنا بعين الاعتبار تقاطع أيديولوجية التنظيم المذهبية مع ما يشير إليه العديد من التقارير والدراسات الغربية، وتؤكده الشواهد العملية على الأرض، من وجود مخططات لتفتيت المنطقة على أسس طائفية ومذهبية وإثنية. وتبدو من الأهمية بمكان في هذا السياق، الإشارة إلى مخطط تنظيم "داعش"، الذي يرمي إلى تقسيم السعودية إلى ٥ "ولايات(٧٤).

ولم يشكل الإعلام العراقي مثلًا في بداية التطرف القدرة الكافية على إقناع المواطنين بما يجري في الشارع، لضعف إمكانيات الإعلام العراقي، فضلا عن تجاهله للكثير من الأحداث، فهذا الإعلام يقول إن وسائل الإعلام "المحرضة والمضللة" تشكل (٩٠%) من الظاهرة التي يمر بها العراق، وفي ظل خيبة أمل المواطنين في العراق من إعلام السلطات الموجه غير الفاعل والقابل للإقناع الذي يعمل على (تجميل صورة الواقع) وتزيينه (ميتافيزيقيًا)، فإنّهم يتوجهون إلى متابعة الإعلام العربي الجديد العالي التصنيع والتقانة، والذي يبني خطته على أسس علمية واضحة مدروسة بواسطة خبراء ومتخصصين وأكاديميين ومستشارين يملكون الخبرات العلمية، ولهم باع في إنتاج الأزمات السياسية

وإرباك العدو، وإشغاله في البحث عن السبل والوسائل (مهما كانت) للخروج من هذه الأنفاق، ورغم وجود من يخطط من الخارج، إلاَّ أن الأسباب الداخلية هي الأرض الخصبة الجاذبة.

ولما كان الاعلام العربي الجديد يحتل مكانة هامة في المجتمع، فهو لديه حسب الباحثة "قوة يمكنه تغيير طبيعة المجتمع". لذا وصفت كاميرا التلفزيون بأنها عين الحقيقة، فالتلفزيون يسجل وينقل حقيقة الأحداث كما حدثت، لأنه مُطالب "بتقديم الحقيقة"، فهو بمثابة العين الفعلية للمشاهد، ونتيجة لكل هذه الصفات التي يتسم بها التلفزيون، دفعت بعض المختصين في الإعلام إلى القول أن التلفزيون قادر على القيام بعملية التهويل وتضخيم أحداث العنف. ولهذا يُعد التلفزيون سلاح مهم يخدم المجتمع العراقي، والعراقيين بدورهم إكتشفوا أهميته، لذا أصبح هدف الاعلام العربي الجديد هو السعي لإستعماله كمنبر لتمرير أفكاره وأهدافه. ويعد السلاح الأقوى بيد الإعلام هو كاميرا التلفزيون

١-**مستقبل الإعلام العربي المعاصر في العراق:** يرتبط مستقبل الإعلام العربي الجديد في العراق بتطورات ظاهرة التطرف خلال الفترة القادمة، ومصير الجهود الدولية الرامية إلى إيجاد حل سياسي، وعلى ذلك يمكن القول إن هناك سيناريوهين مختلفين لما سيكون عليه **الإعلام العربي الجديد في العراق** على المدى القريب، أو البعيد، هما:

أ-السيناريو المتشائم الناجم عن استمرار التطرف وتصاعد تداعياته السلبية سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. ففي ضل هذا الواقع، يتوقع أن يحافظ **الإعلام العربي الجديد في العراق** على وضعه الحالي مع إمكانية تراجع دوره ومكانته نتيجة لاعتبارات تتعلق بنقص التمويل وضعف الإمكانات البشرية والتكنولوجية، عدم القدرة على اتخاذ وتنفيذ قرارات إصلاحية جريئة، واستمرار سيطرة الحكومة على مؤسساته الرسمية وغياب أي مبادرات استثمارية للقطاع الخاص في هذا الميدان ، ويمكن أن تصبح الأمور أكثر تشاؤمًا فيما لو تطورت مجريات التطرف على نحو سلبي، واستمرت الحرب الدائرة على حالها من التدمير والتخريب. ففي مثل هذه الحالة سيكون الإعلام الجديد مجبرًا على التقوقع أكثر، وإعادة إنتاج الخطاب السابق الواحد.

ب-السيناريو المتفائل والقائم على نجاح الجهود المحلية والدولية في التوصل إلى حل سياسي لظاهرة التطرف، يلبي طموحات الشعب العراقي، ويفتح الباب أمام بناء العراق الديمقراطية الجديدة. ففي مثل هذا السيناريو سيكون الإعلام العربي الجديد في العراق على باب مرحلة جديدة، تقوم على حرية

التعبير والرأي والعمل، كما هي الحال في عدد من الدول المجاورة والمتقدمة، ويمكن تحديد أبرز الانعكاسات المتوقعة لهذا السيناريو على القطاع الإعلامي المحلي في البنود التالية:

-زيادة عدد وسائل الإعلام الخاصة وتنوع اختصاصاتها، وهذا من شأنه رفع قيمة الاستثمارات في قطاع الإعلام، واجتذاب الكفاءات والخبرات الوطنية، والأهم إغناء الساحة الإعلامية المحلية وخلق منافسة شريفة ومشروعة تحفز الإعلام العربي الجديد على التغيير والتطور.

-تطوير أداء المؤسسات الإعلامية العامة في إطار مشروع مرتقب لإصلاح البنية المؤسساتية للدولة، وذلك عبر معالجة مشاكلها المتراكمة بجدية وموضوعية وتوفير بيئة العمل المناسبة لها من خلال تحويلها إلى مؤسسات تابعة للدولة، لا للحكومة استنادًا لتجارب كثيرة.

-توسع هامش الحرية واضطرار وسائل الإعلام العربي الجديد إلى محاولة مجاراة ذلك الهامش سعيًا نحو تعزيز قدراتها التنافسية في مواجهة المنافسين الجدد في السوق.

-تنوع العمل الإعلامي وملكيته، وهذا من شأنه خلق حراك مهني وسياسي كبير، فإلى جانب الإعلام العربي الجديد ثمة توقعات بنشاط كبير للإعلام الخاص. فالإصلاحات السياسية التي سيجري الاتفاق عليها بين أطياف المجتمع العراقي، من إصدار قانون جديد للأحزاب السياسية، والسماح لكل حزب بإصدار صحيفة خاصة، خطوات من شأنها توسيع مساحة التأثير لوسائل الإعلام في الحياة العراقية خلال الفترة القادمة.

٢-**استراتيجيات الاعلام العربي المعاصر لمواجه التطرف مستقبلا** :تحدد السياسات الإعلامية للاعلام الجديد أهداف وآليات عمل الإعلام للتصدي للتطرف ، وهذه الاستراتيجيات تتحدد فيما يأتي:

أ-**استراتيجية التركيز:** ويقصد بها استخدام وسائل إعلامية متعددة لتوصيل رسائل إلى جماهير منتشرة في مناطق جغرافية بعيدة، وهى الاستراتيجية التي تستعمل في مواجهة التطرف.

ب-**الاستراتيجية الديناميكية - النفسية:** وتقترح هذه الاستراتيجية التركيز على عوامل إدراكية أو عاطفية للتأثير في الفرد والجماعة، باستخدام استعمالات عاطفية أو إثارة انفعالات ومخاوف، مع التركيز على أهمية المعتقدات والاتجاهات والنوايا السلوكية.

ج-**الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية:** تقترح هذه الاستراتيجية تقديم رسائل إعلامية مقنعة تحدد أو تعيد تحديد المتطلبات الثقافية وقواعد السلوك لدى الأفراد والجماعات داخل المجتمع، بحيث يؤدى ذلك إلى تعديل في السلوك الاجتماعي؛ فإقناع الفرد يأتي عبر إحداث تعديل في الضوابط الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع وإعادة صياغتها.

ح-**استراتيجية بناء المعاني:** تفترض هذه النظرية أن التأثير الإعلامي أو الإقناع يحدث عندما ينجح الإعلام العربي الجديد في تعديل المعاني والصور والرموز المحيطة بالإنسان، وإكسابها معانٍ جديدة.

خ-**استراتيجية الاتصال الوقائي:** كشفت أغلب الدراسات أن الاستراتيجيات الإعلامية المستخدمة لمواجهة التطرف تعمل بعد ظهور وتداول هذه الظاهرة، أى أن لها طابعًا دفاعيًا؛ ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تطوير استراتيجية وقائية تستعمل كافة وسائل الإعلام الجديد؛ من أجل توعية المواطنين بمفهوم الشائعات والظروف المرتبطة بنشأتها وتطورها والمخاطر الناجمة عنها، وكيفية تحليلها للكشف عما تتضمنه من أكاذيب ومغالطات، وتعتمد هذه الاستراتيجية على التعاون والتنسيق بين وسائل الإعلام الجديد والمؤسسات التعليمية والتربوية وأجهزة وإدارات الإعلام الأمني وفريق إدارة الظاهرة ولجان رصد ومتابعة الظواهر. وتسعى استراتيجية الاتصال الوقائي إلى تحقيق أهداف تربوية على المدى البعيد، مع إبقاء المجتمع ومؤسساته في حالة وعى ويقظة بمناخ الشائعات وأساليب ووسائل ترويجها.

هـ-استراتيجية الموقف المشكل: تقدم هذه الاستراتيجية طريقة منظمة لعمل وسائل الإعلام الجديد وتقييم مدى دقة المعلومات التي تقدمها حول الموقف المشكل، والفرضية الأولى التي تقوم عليها هى:

-دراسة التطرف ذاته.

-دراسة وظائف الإعلام الجديد في القضاء على التطرف.

أما الفرضية الثانية فتقترح مخططًا من ثلاث نقاط للتعامل الإعلامي مع الظاهرة يهتم بدراسة وعرض وتحليل الجوانب الثلاث الآتية:

-نتائج التطرف.

-أسباب التطرف.

الحلول المطروحة للتطرف

وهذه الاستراتيجيات الست تستعمل كلها أو بعضها لمواجهة الشائعات التي تظهر خلال المراحل المختلفة للتطرف

الاستنتاجات :

- من خلال اقامه المؤتمر فقد أكد مركز دراسات البصرة والحليج العربي أهمية الدور المحوري للإعلام ومساهمته الفاعلة في اجتثاث جذور الفكر المنحرف والترويج لخطاب الاعتدال وقيم التعايش والتسامح وقبول الآخر، وذلك على مختلف الأصعدة القطرية والإقليمية والدولية باستخدام أحدث تكنولوجيا التواصل والتنسيق والانسجام التام مع كل الجهات المعنية بمكافحة التطرف والإرهاب.

- تعرف الاعلام العربي الجديد بأنها "كافة الانشطة الاتصالية التي تمارس أثناء المراحل المختلفة للأزمة بغض النظر عن الوسائل والمضامين المستخدمة فيها، بما في ذلك أنشطة العلاقات العامة والأدوار الاتصالية التي تقوم بها المنظمات أثناء مراحل الظاهرة، وكذلك الأنشطة الاتصالية التي تقوم بها وسائل الإعلام".

- تمثل الاعلام العربي الجديد احد اهم المجالات للتأثير في الراي العام وبخاصة فيما يتعلق بالشأن العراقي ، وذلك لسببين متلازمين، اولهما هو ان الفضائيات تعد من اهم وسائل الاتصال الجماهيري على الاطلاق ، وخاصة بالنسبة للمنطقة العربية من خلال دورها المحوري في تشكيل الراي العام، لاسيما السياسي منه ، هذا فضلا عن دورها التثقيفي والتوعوي والحضاري، وثانيهما هو طبيعة المرحلة الحرجة والدقيقة للغاية التي يمر بها العراق منذ اكثر من سته عشر عام والمتمثلة بحالة الاحتلال الامريكي وما خلفه من تداعيات خطيرة شملت مختلف نواحي حياة العراقيين سواء السياسية او الاجتماعية او الثقافية او الحضارية او غيرها ليس في حاضرهم فحسب بل في خياراتهم المستقبلية ايضا.

- ادى الإعلام العربي الجديد دور كبير في توعية الرأي العام في العراق بضرورة مكافحة التطرف والتصدي له، فهي ساعدت على الفهم الكامل لظاهرة التطرف في العراق، وتبيان الأسباب والدوافع الحقيقية لنشوبها وتغلغلها داخل المجتمع'

- إن للإعلام الجديد دور كبير في تغطية ومعالجة قضايا التطرف في العراق بمهنية، إذ قامت بدور فعال في توجيه الممارسات المهنية لإقناع الجمهور بخطورة الأحداث الإرهابية، وما يجب اتخاذه للتعامل مع هذه الأحداث وتداعياتها. وتتطلب مواجهة ظاهرة التطرف وجود العديد من الوسائل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فضلا عن الوسائل الإعلامية التي ينبغي التركيز عليها، وذلك نظراً للتأثير الكبير الذي تمارسه على الجماهير بمختلف أنواعها من إذاعة وتلفزيون وصحافة مكتوبة

التوصيات: واكدت الدراسة اهمية قيام الاعلام العربي الجديد بما يلى تجاه قضية التطرف:

- ولما كان النشاط الإعلامي العربي الجديد على درجة كبيرة من الأهمية في ظل الستراتيجيات الأمنية الشاملة والحديثة، فان هذه الستراتيجيات لا تكتفي بملاحقة المنحرفين والإرهابيين الذين يعثون في الأرض فساداً ويرعون الناس، وإنما أصبحت تأخذ بعداً آخر يشتمل على الدراسة والتحليل لكافة المتغيرات الإقليمية والعالمية وأثرها على مستقبل الأمن الوطني، والتحرك من أجل مواجهة سلبياتها وتأثيرها على أمن الوطن والمواطن كما أن التركيز على الأمن ومواجهة قوى الإرهاب، أصبحت ضرورة حياة ووجود، لأن الأمن يجعل الإنسان مطمئن على نفسه وماله وعرضه، وهو الدرع الذي يوفر المناخ للإنتاج والإبداع الفكري.
- نشر قيم الاديان السماوية التي تنبذ التطرف وإيصال هذه الرسالة بكافة الوسائل خاصة غير المباشرة مثل البرامج الحوارية أو الأعمال الدرامية.
- تقديم برامج حوارية دائمة لمناقشة ظاهرة التطرف والارهاب من جوانبها كافة على أن يشارك في هذه البرامج خبراء اجتماع وعلم نفس وأمن وايضا رجال دين ورياضيين ، و مواطنين عاديين ، وغيرهم.. حتى تكون هناك مواجهة إعلامية دائمة للتطرف والإرهاب تشارك فيها كل فئات المجتمع.
- حث المواطنين على المساهمة في ضبط الارهابيين من خلال تقديم ما لديهم من معلومات قد تساعد أجهزة الأمن في الوصول إلى الجناة ، ويمكن أن تقدم أجهزة الإعلام رسوماً تقريبية لشكل

المجرمين الهاربين ومواصفاتهم والأماكن التي يحتمل أن يختبئوا بها .. وكذلك توعية الجمهور بأن تقديم أية معلومات ولو كانت بسيطة يمكن أن تفيد أجهزة الأمن في القبض على الإرهابيين .

- التقليل من جرعات المشاهد الدموية ومشاهد العنف والدمار والقتل عند تغطية الأحداث الإرهابية حتى لا يعتاد المشاهد على مثل هذه المناظر وحتى لا تخدم وسائل الإعلام الجماعات الإرهابية بشكل غير مباشر.

- مواكبة وسائل الإعلام العربي الجديد لأية مستجدات في الظاهرة المتطرفة وعلى سبيل المثال ضرورة توعية المواطنين بقضية استخدام الإرهابيين لشبكة الإنترنت .. وهى ظاهرة خطيرة متنامية

- كما يجب أن تتعاون أجهزة الأمن مع وسائل الإعلام في سبيل حث المواطنين على المساعدة في القبض على الإرهابيين وينبغي في هذه الحالة أن تقدم أجهزة الأمن أكبر قدر ممكن مما لديها من معلومات حتى يتحقق الهدف ويتم القبض على الإرهابيين أو يتم منع جرائم أخرى.

- وعلى اجهزة الامن ان تقوم بتقديم كافة التسهيلات لوسائل الإعلام خاصة في البرامج التي تعالج ظاهرة التطرف مثل مساعدة وسائل الإعلام الجديد في الوصول إلى أسر ضحايا الإرهاب .. وكذلك بث حوارات مع الإرهابيين التائبين

- كذلك سرعة إصدار البيانات أو التصريحات عند وقوع حوادث مرور عادية لسياح أجانب لأن بعض وسائل الإعلام الأجنبية تدعي أن هذه الحوادث إرهابية في حين أنها تكون حوادث مرور ولا شك أن عامل سرعة إصدار البيانات أو التصريحات أمر حيوي

- تصور حول آلية التعاون بين الأجهزة الأمنية و الإعلام العربي الجديد في مكافحة التطرف:

من الضروري وجود آلية دائمة للتعاون بين الأجهزة الأمنية و الإعلام العربي الجديد في مجال مكافحة التطرف بحيث يمكن أن تكون أجهزة الإعلام الرسمية والخاصة ممثلة في اللجان الوطنية لمكافحة الإرهاب التي تتكون أيضاً من ممثلين للعديد من الوزارات وأجهزة الدولة مثل وزارات : الداخلية ، العدل ، الأوقاف ، التربية والتعليم ، أساتذة جامعات وغيرهم ويمكن أن تكون هذه اللجان الوطنية هي التي تضع استراتيجية عامة للتعاون بين الطرفين في مكافحة التطرف.

- وفي نطاق التعاون المنشود فإنه على الأجهزة الأمنية تزويد وسائل الإعلام العربي الجديد بأخبار ومعلومات دقيقة وهامة حول التطرف خاصة في أوقات الأحداث الطارئة حتى لا تنتشر الشائعات التي تضر بأمن واستقرار وتنمية المجتمع في المقابل فإنه يجب على وسائل الإعلام العربي الجديدة ألا تعتبر التنظيمات الإرهابية مصدراً صادقاً للأخبار الخاصة بالأحداث الإرهابية حيث أن التنظيمات

الإرهابية يكون لديها الرغبة في إثارة جو من الفزع والبلبلة والرعب بين المواطنين لإظهار مدى قوة هذه الجماعات الإرهابية من ناحية والسعي لاحتواء أية آثار سلبية ممكن أن تنجم عن الحدث الإرهابي نتيجة سقوط ضحايا أبرياء من ناحية أخرى

- محاربة الجهل والأمية في صفوف الشباب، لأن الجهل والتخلف يتولد عنه أفكار متطرفة قد تدفع بالشباب والمجتمع إلى دوامة العنف والتطرف.

- نشر الوعي السياسي والثقافي بين جيل الشباب، الذي يمكنهم من الإلمام بأزمات ومشاكل مجتمعهم

- تعزيز حركة البحث العلمي في مجال الاعلام العربي الجديد والاستفادة من الخبرات الوطنية في هذا المجال، وتوعية المواطنين بواسطة وسائل الإعلام و المؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو النادي أو الجمعيات الخيرية والمراكز الثقافية

- ان لا تتوقف التغطية الاعلامية للأحداث المتطرفة على الجانب الاخباري بل لابد من تحليل هذه الاحداث من خلال متخصصين لكشف الارهابيين ومن يدعمونهم وخطورة تلك التنظيمات الارهابية على الامن القومي العربي.

- ضرورة تبنى مفهوم الأمن الشامل والمجتمعي ومن ثم اشراك منظمات المجتمع المدني وفي مقدمتها وسائل الاعلام الحكومية وغير الحكومية في محاربة استخدام الارهابيين لشبكة الانترنت خاصة أن لوسائل الاعلام غير الحكومية مصداقية كبيرة وفي أغلب الأحيان تفوق مصداقية وسائل الاعلام الحكومية

- نشر الوعي الديني والثقافة الشرعية بين عامة المسلمين وخاصتهم عن طريق الاعلام العربي الجديد كلها وربط المسلمين بدينهم، ولتحقيق التحصين الثقافي ضد الفكر المتطرف.

- التزام الحكومات العربية بتطبيق الدساتير وأنصاف شعوبها والقضاء على مسوغات اتخاذ العنف كوسيلة شعبية لاسترجاع حقوق او تنفيذ مطالب معينة ، فالحكومات التي تحتضن شعوبها وتشعرهم بكرامتهم وحرياتهم وتمنحهم الحقوق او تمنحهم فرصة التعبير عن آرائهم تكون اقل عرضة وتهديد لانتشار التطرف في داخلها

- تجريم الفكر المتطرف دستورياً من خلال قوانين تشرعها البرلمانات التشريعية في العالم ومنع ترويج اي بضاعة تهدد التعايش السلمي وتدعو للعنف.

- تجفيف منابع الارهاب الاعلامية وهي : قنوات وصحف واذاعات ومواقع انترنت وكل وسيلة اعلامية تدعو الى الارهاب (الشيعي او السني او المسيحي او اليهودي) ومنعها من ممارسة عملها منعاً قاطعاً، ومنها الصحف التي أساءت للخاتم الأمين محمد (ص)

- حصر السلاح بيد الدولة فقط وفقط ، ولا يجوز ولا يمكن ولا يتصور ان ندعو للقضاء على التطرف ونحن نرعى من يحمل السلاح بغير مسمى الدولة ويمارس الجريمة.

- إدراج دورات لتثقيف الجمهور العربي لتحصينه من رعب الأعمال الإرهابية، في المناهج الدراسية ووسائل الإعلام.

- إيجاد تعاون بين السلطات القضائية والشرطة لمنع نشر صور الإرهابيين والرسائل غير القانونية على شبكة الإنترنت .

- تعاون العاملين في وسائط الإعلام والمنظمات المهنية، مع بعضها البعض ومع اليونسكو وغيرها من المنظمات العاملة في المجال نفسه، لإعداد كتيّب للصحافيين للتعامل مع التقارير عن الإرهاب والتطرف .

- البدء في وضع بروتوكول إضافي لاتفاقية الجرائم الحاسوبية، التي تضع إطارا للتعاون بين الدول الأعضاء والمراقبين في مجال مكافحة الإرهاب الحاسوبي، والتي يمكن أن تتخذ شكل هجمات واسعة النطاق عن طريق النظم الحاسوبية وتهديد الأمن القومي للدولة، وللسلامة العامة، ولرفاهية البلاد .

- قيام منتدى إعلامي دولي يشارك فيه الدول العربية في التصدي للتطرف

- إن مكافحة التطرف ليست عسكرية بقدر ما هي اجتماعية وثقافية. ويجب إذن العمل على تعزيز حوار الثقافات والحضارات والأديان في قيم الاحترام المتبادل. وهنا يجب الإشارة إلى أن العرب ليسوا ضد اليهودية كديانة، وإنما ضد العنصرية الصهيونية الاستيطانية.

- إشراك المثقفين العرب والإفادة من خبراتهم وتجاربهم لوضع تصوّرات لمواجهة هذه الآفة

- ضرورة التركيز على ما تسببه الأعمال الإرهابية من أضرار فادحة للدولة والمجتمع.

- إبراز الأضرار المباشرة التي تقع على المواطنين جراء أعمال العنف والإرهاب، بحيث تصبح مسألة القضاء على الإرهاب قضية شخصية لكل مواطن.

- تدريب العاملين بوسائل الإعلام خاصة مقدمي البرامج التلفزيونية والقائمين على إعدادها على التعامل العلمي مع القضايا المتعلقة بالإرهاب والأمن القومي.

- الاستعانة بمتخصصين معروفين في مجال الجماعات الإرهابية في ندوات إعلامية في التلفزيون والإذاعة والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي (المعلوماتية، والنتية) لدحض الفكر المتطرف، مع استخدام الوسائل الإعلامية واسعة الإنتشار وذات المصداقية الإعلامية

- وهناك الكثير من الوسائل التي لجأت اليها دولاً كثيرة في العالم لضمان الاتصال والتفاهم بين الحكومات ووسائل الإعلام في استراتيجية واحدة لمقاومة الإرهاب

- تدريبات مشتركة بين ممثلي الحكومة وممثلي الإعلام العربي على كيفية التعامل مع الحوادث الإرهابية إعلاميا بما يضمن مصالح المجتمع، مثل التدريبات التي حدثت في جامعة جورج واشنطن بأميركا، وفي معهد التكنولوجيا في إسرائيل، فقد افتعلوا حادثاً إرهابياً، وأتوا بموظفين من الحكومة وممثلين عن وسائل الإعلام لمحاكاة الرد الحكومي على الحادث الإرهابي، وكيفية تغطية وسائل الإعلام للحدث، والتعليم والتدريب للوصول إلى أفضل استراتيجية تحقق مصالح الطرفين، الحكومات ووسائل الإعلام.

- إقامة مركز حكومي للمعلومات عن الإرهاب يستطيع أن يكون على اتصال دائم بوسائل الإعلام العربي الجديد من خلال خطوط الاتصال، بحيث يوفر السرعة وتسجيل ردود الفعل عند تغطية الحادث الإرهابي بتنسيق كامل بين الطرفين، وبذلك يتم التحكم في أي مادة متشنجة أو مبادرات دعائية للإرهاب تقدمها وسائل الإعلام في غفلة منها تحت وطأة المنافسة والحصول على سبق إعلامي.

- الاستمرار في توعية طلاب الجامعة والمغردين، وحثهم على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي وبروح وطنية واعية لمواجهة الفكر المتطرف، والحذر من الوقوع تحت تأثيره، والعمل على فضح المستخدمين المتطرفين وإيقاف طموحهم في الاستقطاب والتجنيد والتأثير، ومواجهة خططهم الدعائية بفكر ناضج ومقاوم للإرهاب والتطرف، عبر خطاب قوي موازي وقادر على تفنيد ودحض مقولات التطرف، وكشفه أمام الجمهور باعتباره سلوك منافي للإنسانية والحضارة والسلام والهوية الوطنية.

- زيادة مستوى الوعي العام بخطورة شبكات التواصل الاجتماعي، وإمكانية استعمالها لمنع تسلل الفكر المتطرف عبرها. ومنح المغردين ومستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي خبرات لمواجهة الفكر المتطرف.

- دراسة طرق وأساليب المتطرفين في نشر فكرهم الإرهابي عبر وسائل التواصل الاجتماعي واقتراح الأساليب العلمية للمواجهة للمواجهة الجذرية الصارمة.

- إيجاد فريق عمل متفرغ من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، تكون لديهم الخبرة الاحترافية للتعامل مع الحسابات المشبوهة للمتطرفين، بهدف وقاية المستخدمين الآخرين من سموم أصحاب تلك الحسابات والصفحات المروجة لفكر التطرف والإرهاب. إلى جانب إكساب المغردين خبرة تقنية من قبل مختصين في كيفية حجب حسابات المتطرفين.

- وضع استراتيجية شاملة لمحاربة التطرف في وسائط الميديا الحديثة.

- استثمار المغردين المعروفين في أوساط الجمهور، وإكسابهم خبرة في مواجهة المد الإرهابي المتطرف وفضح أساليبه عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وحرمان حسابات المتطرفين من المتابعين، وصولاً إلى استخدام تقنيات الحجب وإغلاق الحسابات المشبوهة.

- العمل على مشاركة خبراء في مجال الإعلام والتربية وعلم النفس والاجتماع والقانون والتاريخ حيث تتكامل جهودهم ورؤاهم في إعداد مواد إعلامية إيجابية يحقق نشرها وعرضها بالوسائل الإعلامية المختلفة آثارا إيجابية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

- تكثيف الجهود الرامية إلى ترسيخ ثقافة السلام والحوار، مع التركيز على تشجيع قيم التفاهم والاحترام المتبادل بين الثقافات والأمم، ومواجهة شتى أشكال خطاب التحريض المباشر وغير المباشر على الإرهاب والحيلولة دون تحول المتطرفين إلى إرهابيين.

- حث جميع الدول العربية على المصادقة على المواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بالإرهاب، وإعداد الاستراتيجيات وخطط العمل الوطنية والإقليمية في المجال، ومراجعتها وتحديثها بصفة دورية، وسن التشريعات القانونية والقضائية اللازمة، والحرص على مواءمة التدابير الهادفة إلى منع الإرهاب مع المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة، ومع التزامات هذه الدول في هذا المجال بموجب القانون الدولي والتشريعات المحلية.

الهوامش:

(١) د. حسن عادل، الإعلام العربي في العصر الحديث، (عمان، ١٩٩٢)، ص٢٤٩.

(٢) د فينان عبد الله الغامدي، التوافق والتنافر بين الإعلام التقليدي والإعلام الإلكتروني، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة الإعلام والأمن الإلكتروني، جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية ،٢٠١٢،ص١٢.

(٣) راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، . ٢٠٠٥)،ص١٧٨

(4)ARENE, Karbiniski. Facebook and the technology revolution, NEW YOURK: Spectrum Puplications ,2010,PP45

(٥)عادل عبد الغفار خليل، ابعاد المسؤولية الاجتماعية للقنوات الفضائية المصرية الخاصة،(القاهرة ، مكتبة الجميع،٢٠٠٤) ،ص٤٧

(٦)عادل عبد الغفار خليل، ابعاد المسؤولية الاجتماعية للقنوات الفضائية المصرية الخاصة،(القاهرة ، مكتبة الجميع،٢٠٠٤) ،ص٤٧

(٧) فرنك ايرفيه، الفضاء العربي، ترجمه مزدريك معتوق،(دمشق، دار فدمس، ٢٠٠٣)، ص٢٦

(٨)د. منى سعيد الحديدي و د. سلوى إمام علي، الإعلان – أسسه ووسائله وفنونه،ط٢(القاهرة، الدار المصرية اللبنانية)، ٢٠٠٨ ، ص ٢٥٤.

(٩) د. حميد جاعد الدليمي، الإدارة الإعلامية– التطور المفهوم المقومات النماذج، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة– وزارة الثقافة، ٢٠٠٨) ، ص ٦٣.

(١٠) اسماعيل علي سعد ،الراي العام والدعاية بين التجار ومتخذ القرار، (سلطنة عمان، جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٥)،ص٦٣.

(١١) منال طلعت محمود، مدخل الى على الاتصال، (مصر ، مكتبة الاسكندرية،٢٠٠٦)،ص٢٤.

(12)Robert.W.Mcchesney, The Political Economy of Media–Monthly Review Press– New YORK, – 2007,p42.

(١٣)د. حسن عماد مكاوي ومحمود علم الدين، مقدمة في الصحافة،(القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩) ص ٣١٢–٣١٣

(١٤)فاطمة القليني ومحمد شومان، الدعاية والإعلان بعد ١١ سبتمبر، (القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)،ص ١٩٦

(١٥)د. ماجد سالم تربان، الانترنت والصحافة الالكترونية – رؤية مستقبلية، الدار (القاهرة ،المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨،). ص ١٢٨ و ص ١٤٦

(١٦)محمد مسعود قيارط ، الارهاب.. دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته "مقاربة اعلامية" :جامعة نايف العربية للعلوم الامنية .الرياض ، ٢٠١١ ، ص ص ١٢٣-١٢٥

(17)د. امام حاسنين عطا الله،الارهاب البنيان القانوني للجريمة،(مصر ،دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤،ص٩٧.

(١٨)قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي ،القرار رقم ٢٥٦ (١٧/٣) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب، عمان ٢٨-٥-٢-٦-١٤٢٧هـ

(١٩) مركز معلومات النيابة ، القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ بإصدار قانون العقوبات – وفقاً لأخر التعديلات لعام ٢٠١٨ بالقانون رقم ٢١ لسنة ٢٠١٨ مركز معلومات النيابة، مارس ٢٠١٩ .

(20)لواء /محمد انور البصول ،الاتصال وأثره في عمليات الارهاب ، ندوة الارهاب والاعلام .مركز الدراسات والبحوث اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٢٧٦-٢٧٨

(٢١) لواء/عبد الرحمن رشدي الهوارى ،التعريف بالإرهاب واشكاله ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية :مركز الد راسات والبحوث .الرياض ، ٢٠٠٢ ،ص ص ٣٩-٤٧

(٢٢) التقرير العالمي ٢٠١٧،حول حقوق الانسان ، ٢٠١٧ الاتحاد الأوروبي

(٢٣) تقرير وزارات الداخلية العربية٢٠١٧، وزارات الداخلية العربية،٢٠١٧، تونس

(٢٤) فليب سيب ودانا جانبك، دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب –جيل ما بعد القاعدة، تشرين الثاني ٢٠١١ ، مركز الكاشف للمتابعة و الدراسات الاستراتيجيةalkashif.org :

(٢٥) صلاح الدين جوهر علم الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، مجالاته، (١٩٨٠،القاهرة، مكتبة عين شمس)، ص ٥.

(٢٦) صالح خليل ابو اصبع، الاتصال الجماهيري، (الأردن، دار الشروق، ١٩٩٩)، ص ص١٦١-١٧٣

(٢٧) د. منى الحديدي و د. سلوى إمام، الإعلام والمجتمع، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦)، ص ١٦٤

(٢٨) د. مي العبد الله سنو، الاتصال في عصر العولمة–الدور والتحديات الجديدة، (بيروت، الدار الجامعية، . ١٩٩٩)، ص ١٣٢

(٢٩)المصدر نفسه، ص٦٠

(٣٠) جابرييل إيه الموند وجي. بنجهام باويل، السياسة المقارنة في وقتنا الحاضر–نظرة عالمية، ترجمة: هشام عبد الله،(عمان، الدار الأهلية للنشر والترجمة، ١٩٩٩)،ص ص ٦٦-٦٧.

(٣١) محمد شومان، "الإعلام والأزمات، مدخل نظري وممارسات عملية"، الطبعة الثانية، (القاهرة دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص ص ٦٧-٨٩.

(٣٢) الامم المتحدة، تقرير حرية الصحافة العالمي لعام ٢٠١٥ منظمة (فريدوم هاوس) الدولية، الامم المتحدة،٢٠١٥

(٣٣) الامم المتحدة، تقرير حرية الصحافة العالمي لعام ٢٠١٥ منظمة (فريدوم هاوس) الدولية، الامم المتحدة،٢٠١٧

(*) تعد وسائل الاعلام العربي الجديد ساحة لممارسة نوع جديد من التنشئة السياسية يمكن اعتبارها تنشئة سياسية ذاتية أو غير موجهة، إذ لا تقود هذه العملية جهة أو مؤسسة ما سواء رسمية أو غير رسمية، فعلى الرغم من وجود مواقع للمؤسسات الرسمية والأحزاب السياسية بأنواعها على شبكة الانترنت ووجود صفحات لها على الشبكات الاجتماعية

الشهيرة، إلا أن تأثيرها يبدو محدودا لاسيما في ضوء حقيقة أن مستخدم الانترنت يملك في هذه الحالة مطلق الحرية في التعرض للمحتوى الذي تعرضه هذه الصفحات والمواقع، فضلا عن طبيعة الانترنت التي تسمح بالحوار والانتقاد المستمر للأفكار والرؤى المطروحة من جميع الأطراف

(٣٤)شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع. خالد علي، انتشار الفيس بوك، مجلة كومبيوتر ورلد، العدد(١٦)،٢٠١١ ،ص٢٤

(٣٥)منظمة اتحاد الإذاعات العربية، جامعة الدول العربية، الخرطوم ،٢٠١٨

(36)Internet World Stats//:www.internetworldstats.com/http,

(٣٧) المفكر المغربي الكبير محمد عابد الجابري الخطاب العربي.في كتابه "العقلانية والنهضة في مشروع الجابري ،مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠١٢ ، ص ١٩٤ .

(٣٨) تقرير الإعلام الاجتماعي العربي ٢٠١٧ ، دراسة «التواصل الاجتماعي، مجموعة «الابتكار وحكومة المستقبل» كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية،٢٠١٧ وعلى موقع سلسلة تقارير الإعلام الاجتماعي العربي www.arabsocialmediareport.com www.mbrsg.ac.ae

(٣٩) المصدر نفسه

(٤٠) المصدر نفسه

(٤١) تقرير التعامل مع وسائل الإعلام ٢٠١٥ ، التقرير الثالث جامعة Northwestern في قطر. ٢٠١٥

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) د. أديب خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الحادي والعشرين، ط ٢، (دمشق، المكتبة الإعلامية ٢٠٠٨)، ص٥٢

(٤٤) راسم محمد الجمال، الاتصال والاعلام في الوطن العربي في عصر العولمة، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦) ص٧٨

(٤٥) د. شريف درويش اللبان و د. هشام عطية مقصود، مقدمة في مناهج البحث الاعلامي، (القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨) ص١٤٦

(٤٦) د. بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام،(القاهرة، عالم الكتب،٢٠٠٨)،ص٦٢

(٤٧)حسن عماد، عادل عبد الغفار، "الإعلام والمجتمع في عالم متغير"، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، يناير٢٠٠٨)،ص٦٥

(٤٨) الاستراتيجية الإعلامية العربية المشتركة لمكافحة الإرهاب ، الامانة العامة لمجلس وزراء الإعلام العرب، القاهرة ١٩-١٢ -٢٠١٣

(٤٩)التوبة: ١٠٥

(٥٠) د.محمود احمد عبد الله ،السياسة الثقافية والارهاب – حالة مصر –تحليل نقدي وروى مستقبلية ، مجلة المستقبل العربي ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٤٣٦، حزيران ٢٠١٥ص٢٦

(٥١) د وسام فاضل ، د طالب عبد المجيد ، الاداء الاعلامي المرأة العراقية في القنوات الفضائية – العراقية والشرقية والسومرية ، مجلة التنوع الاجتماعي والتنمية ،العدد الاول، الجمهورية اليمنية ، مركز المرأة للبحوث وللتدريب ،جامعة عدن ، سبتمبر ٢٠٠٧ ،ص١٨٧ –١٩٣

(52)Mass Media Plays A Crucial Role In Influencing People's Mind" ،www.esolz.net ، Retrieved 19-10-2018. Edited

(53)The role of the media and its impact on society and individuals is huge, thus, media representatives must, by all means, accept the responsibility for everything they present to the public" ،www.fairpress.eu ،22-8-2016 ،Retrieved 18-10-2018. Edited

(54)Anup Shah (4-3-2012), "Media and Advertising" ،www.globalissues.org, Retrieved 20-10-2018. Edited.

(55)The Role of Social Media in Education ،www.lcibs.co.uk ،Retrieved 20-10-2018. Edited.

(٥٦)هويدا مصطفى، "الإعلام والأزمات المعاصرة"،(القاهرة، دار المحروسة للنشر، ٢٠١٠)، ص ٣٣.

(٥٧) د. أديب خضور، مصدر سابق، ص٥٢

(٥٨) د حسن لطيف الزبيدي والباحث صادق جبر فخري الارهاب واثاره في التنمية البشرية في العراق ،مجلة الغري للعلوم الاقتصادية ،السنة التاسعة العدد ٢٩، ٢٠١٣،ص٢٣٥

(٥٩)علي الشعيبي، دور وسائل الاعلام بين التثقيف والترفيه، (الكويت ، مكتبة الافق، ٢٠٠٤،)ص٢٣

(٦٠) اريك لوران، حرب ال بوش، ترجمه سلمان حمروش، (بيروت، دار الخيال، ٢٠٠٣) ص١٩٨

(٦١)لازر لاندستين، الانطولوجيا المشروطة للتلفزيون، ترجمة: د. أديب خضور، (دمشق، المكتبة الإعلامية، ٢٠٠٠) ص٨٤

(٦٢)المصدر نفسه، ص٣٧

(٦٣)مايكل أو نيل، طبيعة المعرفة التي يقدمها التلفزيون التشريح الجديد للمعرفة، دراسات تلفزيونية، ،ص٧٩

(٦٤)احمد الظن، دور التلفزيون في صناعة الراي، غزة ، مكتبة القدس،٢٠٠٢، ص٦٢

(٦٥)سهام محمد الماجد، اليات صناعة الاخبار بين وسائل الاعلام ومراسليها،(القاهرة، مكتبة امجد، ٢٠٠٨)ص٣٤

(66) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B5AE391F-6DD0-46AF-8F68-2250E0D50AC2 .htm

(٦٧)بول بريمر، عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو، ترجمه عمر الايوبي، بيروت، دار الكتاب العربي ،٢٠٠٦،ص٤٥

(68)http://www.icaws.org/site/index.ph/ http://people-press.org

(٦٩)وهو تنظيم إرهابي مسلَّح، انبثق داعش من تنظيم القاعدة في العراق الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٤، ليبدأ داعش في الانتشار تحت قيادة أبو بكر البغدادي في العديد من المناطق العراقية والسورية، إضافةً إلى وجوده في مناطق جنوب اليمن وليبيا وسيناء والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان.يُحارب التنظيم كل من يُخالف آراءه وتفسيراته من المدنيين والعسكريين ويصفهم بالرِّدة والشِّرك والنفاق ويستحل دماءهم، وارتكب داعش الكثير من انتهاكات حقوق الإنسان، كاضطهاد الأقليات الدينية والأثنية وتجنيد الأطفال، وسبي النساء وبيعهن وختانهن، والعبودية الجنسية، وقطع الرؤوس، والإعدام الجماعي، وتدمير المساجد الإسلامية والمعابد الدينية والآثار التاريخية.

(٧٠)خضيري، علي المستشار السابق في القيادة المركزية للجيش الأمريكي، شبكة "سي ان ان" الإخبارية، تاريخ النشر: ٢٠١٥/٥/٢٥، (تاريخ الدخول: ٢٠١٥/٦/٤ http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/05/25/intv-amanpour-ali-khedery-isis-ramadi-takeovercnn

(٧١) وكالة الأنباء الكويتية الرسمية "كونا"، ٢٠١٥/٧/١.

(٧٢) الصراف، أحمد ،" لجنة أجرانات الكويتية"، صحيفة "القبس" الكويتية، العدد (١٥١١٦)، ٢٠١٥/٦/٣٠

(٧٣) وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس"، ٢٠١٥/٥/٢٧.

(٧٤) صحيفة "القبس" الكويتية، العدد (١٥١١٤)، ٢٠١٥/٦/٢٨.

المصادر

السور القرآنية: سورة التوبة:

الكتب:

١-د. حسن عادل، الإعلام العربي في العصر الحديث، (عمان، ١٩٩٢)

٢-راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، . ٢٠٠٥)

٣-عادل عبد الغفار خليل، ابعاد المسؤولية الاجتماعية للقنوات الفضائية المصرية الخاصة،(القاهرة ، مكتبة الجميع،٢٠٠٤)

٤- عادل عبد الغفار خليل، ابعاد المسؤولية الاجتماعية للقنوات الفضائية المصرية الخاصة،(القاهرة ، مكتبة الجميع،٢٠٠٤)

٥- فرنك ايرفيه، الفضاء العربي، ترجمة مزدريك معتوق،(دمشق، دار فدمس، ٢٠٠٣)،

٦-د. منى سعيد الحديدي و د. سلوى إمام علي، الإعلان – أسسه ووسائله وفنونه،ط٢(القاهرة، الدار المصرية اللبنانية)، ٢٠٠٨

٧–د. حميد جاعد الدليمي، الإدارة الإعلامية– التطور المفهوم المقومات النماذج، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة– وزارة الثقافة، ٢٠٠٨)

٨–اسماعيل علي سعد ،الراي العام والدعاية بين التجار ومتخذ القرار، (سلطنة عمان، جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٥)

٩–منال طلعت محمود، مدخل الى على الاتصال، (مصر ، مكتبة الاسكندرية،٢٠٠٦)

١٠– د. حسن عماد مكاوي ومحمود علم الدين، مقدمة في الصحافة،(القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)

١١– فاطمة القليني ومحمد شومان، الدعاية والإعلان بعد ١١ سبتمبر، (القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)،ص ١٩٦

١٢–د. ماجد سالم تربان، الانترنت والصحافة الالكترونية – رؤية مستقبلية، الدار (القاهرة ،المصرية اللبنانية، ،٢٠٠٨).

١٣–د. امام حاسنين عطا الله، الارهاب البنيان القانوني للجريمة،(مصر ،دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤،

١٤–صلاح الدين جوهر علم الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، مجالاته، (١٩٨٠،القاهرة، مكتبة عين شمس)

١٥– صالح خليل ابو اصبع، الاتصال الجماهيري، (الأردن، دار الشروق، ١٩٩٩)،

١٦ د. منى الحديدي و د. سلوى إمام، الإعلام والمجتمع، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦)،

١٧– د. مي العبد الله سنو، الاتصال في عصر العولمة–الدور والتحديات الجديدة، (بيروت، الدار الجامعية، . ١٩٩٩)

١٨– جابرييل إيه الموند وجي. بنجهام باويل، السياسة المقارنة في وقتنا الحاضر–نظرة عالمية، ترجمة: هشام عبد الله،(عمان، الدار الأهلية للنشر والترجمة، ١٩٩٩)،

١٩–محمد شومان، "الإعلام والأزمات، مدخل نظري وممارسات عملية"، الطبعة الثانية، (القاهرة دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)

٢٠-المفكر المغربي الكبير محمد عابد الجابري الخطاب العربي.في كتابه "العقلانية والنهضة في مشروع الجابري ،مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠١٢ ،

٢١-د. بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام،(القاهرة، عالم الكتب،٢٠٠٨)

٢٢-حسن عماد، عادل عبد الغفار، "الإعلام والمجتمع في عالم متغير"، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، يناير ٢٠٠٨)

٢٣- د. أديب خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الحادي والعشرين، ط ٢، (دمشق، المكتبة الإعلامية ٢٠٠٨)

٢٤- راسم محمد الجمال، الاتصال والاعلام في الوطن العريفي عصر العولمة، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦)

٢٥- د. شريف درويش اللبان و د. هشام عطية مقصود، مقدمة في مناهج البحث الاعلامي، (القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)

٢٦-هويدا مصطفى، "الإعلام والأزمات المعاصرة"،(القاهرة، دار المحروسة للنشر، ٢٠١٠)

٢٧-بول بريمر، عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو، ترجمه عمر الايوبي،(٢٠٠٦،بيروت، دار الكتاب العربي)

٢٨ - احمد الظن، دور التلفزيون في صناعة الراي، (غزة ، مكتبة القدس،٢٠٠٢)

٢٩- سهام محمد الماجد، اليات صناعة الاخبار بين وسائل الاعلام ومراسليها، (القاهرة، مكتبة امجد٢٠٠٨)

٣٠-علي الشعيبي، دور وسائل الاعلام بين التثقيف والترفيه، الكويت ،(مكتبة الافق، ٢٠٠٤)

٣١ - اريك لوران، حرب ال بوش، ترجمه سلمان حمروش،(بيروت، دار الخيال، ٢٠٠٣)

٣٢- لازر لاندستين، الانطولوجيا المشروطة للتلفزيون، ترجمة: د. أديب خضور، (دمشق، المكتبة الإعلامية، ٢٠٠٠)

مجلات:

١- د.محمود احمد عبد الله ،السياسة الثقافية والارهاب – حالة مصر –تحليل نقدي وروى مستقبلية ، مجلة المستقبل العربي ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٤٣٦، حزيران ٢٠١٥

٢-د وسام فاضل ، د طالب عبد المجيد ، الاداء الاعلامي للمرأة العراقية في القنوات الفضائية – العراقية والشرقية والسومرية ، مجلة التنوع الاجتماعي والتنمية ،العدد الاول، الجمهورية اليمنية ، مركز المرأة للبحوث وللتدريب ،جامعة عدن ، سبتمبر ٢٠٠٧ ،

٣-د. حسن لطيف الزبيدي والباحث صادق جبر فخري الارهاب واثاره في التنمية البشرية في العراق ،مجلة الغري للعلوم الاقتصادية ،السنة التاسعة العدد ٢٩، ٢٠١٣،

٤- (شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع. خالد علي، انتشار الفيس بوك، مجلة كومبيوتر ورلد، العدد(١٦)،٢٠١١ ،

٥-صحيفة "القبس" الكويتية، العدد (١٥١١٤)، ٢٠١٥/٦/٢٨

٦-الصراف، أحمد ،" لجنة أجرانات الكويتية"، صحيفة "القبس" الكويتية، العدد (١٥١١٦)، ٢٠١٥/٦/٣٠

المؤتمرات:

١-د فينان عبد الله الغامدي، التوافق والتنافر بين الإعلام التقليدي والإعلام الإلكتروني، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة الإعلام والأمن الإلكتروني، جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية ،٢٠١٢،ص١٢.

٢- محمد مسعود قيراط ، الارهاب.. دراسة في البرامج الوطنية واسترتيجيات مكافحته "مقاربة اعلامية" :جامعة نايف العربية للعلوم الامنية .الرياض ، ٢٠١١ ،

٣- لواء /محمد انور البصول ،الاتصال وأثره في عمليات الارهاب ، ندوة الارهاب والاعلام .مركز الدراسات والبحوث اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ، ٢٠٠٢ ،

٤- لواء/عبد الرحمن رشدي الهوارى ،التعريف بالإرهاب واشكاله ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية: مركز الد راسات والبحوث .الرياض ، ٢٠٠٢.

التقارير:

-التقرير العالمي ٢٠١٧،حول حقوق الانسان ، ٢٠١٧ الاتحاد الأوروبي

- تقرير وزارات الداخلية العربية٢٠١٧، وزارات الداخلية العربية،٢٠١٧، تونس

-الامم المتحدة، تقرير حرية الصحافة العالمي لعام ٢٠١٥ منظمة (فريدوم هاوس) الدولية، الامم المتحدة،٢٠١٥

-قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي ،القرار رقم ٢٥٦ (١٧/٣) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب، عمان ٢٨-٥-٢-٦-١٤٢٧هـ

-تقرير الإعلام الاجتماعي العربي ٢٠١٧ ، دراسة «التواصل الاجتماعي، مجموعة «الابتكار وحكومة المستقبل» كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية،٢٠١٧ www.mbrsg.ac.aeوعلى موقع سلسلة تقارير ---الإعلام الاجتماعي العربيwww.arabsocialmediareport.com

-منظمة اتحاد الإذاعات العربية، جامعة الدول العربية، الخرطوم ،٢٠١٨

- تقرير التعامل مع وسائل الإعلام ٢٠١٥ ، التقرير الثالث جامعة Northwestern في قطر. ٢٠١٥

- وكالة الأنباء الكويتية الرسمية "كونا"، ٢٠١٥/٧/١.

-وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس"، ٢٠١٥/٥/٢٧.

مايكل أو نيل، طبيعة المعرفة التي يقدمها التلفزيون التشريح الجديد للمعرفة، دراسات تلفزيونية

-مركز معلومات النيابة ، القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ بإصدار قانون العقوبات – وفقاً لأخر التعديلات لعام ٢٠١٨ بالقانون رقم ٢١ لسنة ٢٠١٨ مركز معلومات النيابة، مارس ٢٠١٩ .

الانترنت:

http,/www.internetworldstats.com//:Internet World Stats

فليب سيب ودانا جانبك، دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب -جيل ما بعد القاعدة، تشرين الثاني ٢٠١١ ، مركز الكاشف للمتابعة و الدراسات الاستراتيجيةalkashif.org :

الإستراتيجية الإعلامية العربية المشتركة لمكافحة الإرهاب ، الامانة العامة لمجلس وزراء الإعلام العرب، القاهرة ١٩-١٢ -٢٠١٣

خضيري، علي المستشار السابق في القيادة المركزية للجيش الأمريكي، شبكة "سي ان ان" الإخبارية، تاريخ النشر: ٢٠١٥/٥/٢٥، (تاريخ الدخول:

http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/05/25/intv-amanpour-ali-٢٠١٥/٦/٤
khedery-isis-ramadi-takeovercnn

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B5AE391F-6DD0-46AF-8F68-2250E0D50AC2.htm

http://www.icaws.org/site/index.ph/ http://people-press.org

Mass Media Plays A Crucial Role In Influencing People's Mind" ، www.esolz.net ،Retrieved 19-10-2018. Edited

Anup Shah (4-3-2012), "Media and Advertising" ،www.globalissues.org, Retrieved 20-10-2018. Edited.

المصادر الاجنبية:

The Role of Social Media in Education www.lcibs.co.uk ،Retrieved 20-10-2018. Edited.

ARENE, Karbiniski. Facebook and the technology revolution, NEW YOURK: Spectrum Puplications ,2010.

Robert.W. Mcchesney, The Political Economy of Media-Monthly Review Press- New YORK, - 2007.

The role of the media and its impact on society and individuals is huge, thus, media representatives must, by all means, accept the responsibility for everything they present to the public" ،www.fairpress.eu ،22-8-2016 ، Retrieved 18-10-2018. Edited

ألفاظ الطبيعة في كتاب الحماسة البصريّة

باب المديح والتقريظ أنموذجاً

أ.م . نضال حسن جاتول

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

مخطط البحث:

مقدمة.

أولاً – التوظيف الفنيّ لألفاظ الطبيعة:

١ – التشخيص.

٢ – التشبيه.

٣ – المغالاة.

٤ – الكناية.

٥ – الترادف.

ثانياً: التوزع الكميّ لألفاظ الطبيعة:

١– ألفاظ الطبيعة الحيّة.

٢–ألفاظ الطبيعة الصامتة.

خاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

مقدمة:

إنّ الإنسان يطبع بطباع البيئة التي عاش فيها بشقيها الجغرافيّ والاجتماعيّ، ولأنّ الشعر وسيلته ليصوّر أفكارَه وأحاسيسَه عبر الكلمات، و آليّات تنضيدها في علاقات إسناديّة تكتنز طاقات خاصّة، كان لابدّ للبيئة ومكوناتها أن تظهرَ في تضاعيف الصور والتراكيب عفو الخاطر بعد أن تصاغَ في اللاوعي والوعي اللذين تركت فيهما الطبيعة المحيطة بصمتَها الخاصّة.

يتناول البحثُ ألفاظ الطبيعة في كتاب الحماسة البصريّة الذي هو مختارات شعريّة موزّعة على باب الحماسة، وباب المديح والقريظ، لمؤلّفه البصريّ « علي بن الفرج بن الحسن البصريّ صدر الدين أديب من آثاره الحماسة البصريّة، ألّفها برسم صلاح الدين الملك العزيز ابن الملك الظاهر سنة ٦٤٧هـ »[١].

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

دراسة ألفاظ الطبيعة في باب المديح والتقريظ عبر الوقوف على عملية التوظيف الفنيّ لهذه الألفاظ الواردة في هذا الباب. وبغية ذلك جرى تتبع أبرز ما استخدم منها في ألوان البيان؛ التشخيص، والتشبيه، والمغالاة، والكناية، والترادف التي وظّفت من خلالها ألفاظ الطبيعة في هذا الباب موضوع البحث. ثمّ إحصاء هذه الألفاظ بعد تتبع مواطن ورودها.

منهج البحث:

و بغية ذلك يتبع البحث المنهج الوصفي.

تمهيد:

الطبيعة لغة:

جاء في لسان العرب: الطبع والطبيعة الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، وطبعه الله على أمر : أي فطره، وطبع الله على قلبه: أي ختم، وطبع الله الخلق على الطبائع يطبعهم طبعاً أي خلقهم.[٢]

الطبيعة اصطلاحاً:

إن الطبيعة في الاستعمال الاصطلاحي هي نواميس الكون، وما طبعت عليه النفس الإنسانية وسواها من السجية والفطرة، والطبائع الأربعة عند القدامى هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.[٣]

لاريب أن للطبيعة التي تحيط بالإنسان عامة والأديب والفنان على وجه الخصوص أثرها عليه، وتعالق الطبيعة بإنتاج الأديب وملامحها البيّنة فيه هو مما لايختلف في أمره؛ فالطبيعة تترك بصمتها على" الأديب وأدبه في مادة صوره وانطلاق آفاقه في توجيه فكره وتعبئة آرائه في إذكاء قريحته وإيقاظ شعوره وتليين عبارته وتخشينها في التصريح أو التلميح في الإجمال أو التفصيل".[٤]

ولا أدل على ارتباط الطبيعة والأدب، وتعالقهما في وحدة يصعب فصم عراها من أثرها البين في الشاعر العربي على سبيل المثال؛ فالشاعر العربي القديم كان شاعر طبيعة، يسلي بها همه، ويطرد عندها أحزانه، افتتن بها فراح يصورها كما انعكست في مرآة نفسه، ولطالما حركت الأطلال شجونه، وسحر لبه حيوانها من الناقة، والبعير، والفرس، فكانت تستهويه الصحراء بكل تفاصيلها ومكوناتها ومشاهدها ؛ كثبانها الرملية، وآبارها، وواحتها، وسماؤها، ونجومها وبرقها، ورعدها، وسحابها ومطرها[٥].

وقد بلغ من أثر الطبيعة في الشعر العربي القديم حد ربط النقاد القدامى ضعف الشعر ولينه بابتعاد موضوعه عن الطبيعة البدوية، وكانوا يجدون أن: " سبيل الشعر هو وصف الحياة البدوية بطبيعتها وحيوانها، فإذا أخرج عن هذا الطريق لان وضعف".[٦]

كما تركت الطبيعة بصمتها على درجة التعقيد والتركيب والبساطة في الشعر؛ فإذا انتقل الإنسان" من حال البساطة البدوية إلى الحضارة ومركباتها، تطورت كذلك حالات الوجدان التي تطبع في نفسه عن

وحي الطبيعة المحيطة به من البساطة إلى التركيب ثم بقي مصدر الإلهام هو بعينه هذا الزواج بين انفس والطبيعة".[٧] فالأدب مجلى الطبيعة ومرآتها الأصدق التي تصور تمثلات الأديب للمحيط والطبيعة من حوله.

أولاً – التوظيف الفنيّ لألفاظ الطبيعة:

١- التشخيص:

إنّ التشخيص _كما نعلم_ هو أن نربط في علاقة إسناديّة كلمتين « إحداهما تشير إلى خاصيّة بشرية، والأخرى إلى جماد أو حيّ أو مجرّد »[٨].

ومن أمثلته في الحماسة موضوع بحثنا:

قال المثقّب العبديّ:

إذا ما قمتُ أحدجُها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرّجلِ الحزينِ [٩]

انظر معي قولَه (تأوّه آهةَ الرجل الحزين)، لقد نسبَ شاعرُنا إلى الناقة التأوّه والحزن، وأناطَ بها الإدراكَ البشريَّ الذي يقتضي التعبير عن حالاتِ النفس البشريّة من الحزن، والحسرة عبر التأوّه الذي هو خاصيّة بشريّة بالطبع.

مثال آخر قول عُبيد الله بن قيس الرّقيّات:

وأنكرَ الكلبُ أَهلهُ وعلا الشَّرُّ م وطاحَ المُروَّعُ الفَرقُ[١٠]

إذْ أسندَ فعل النكران، وهو خاصيّة بشريّة إلى حيوان (الكلب).

ومن مميزات التشخيص أنّه « فاعليّة فنيّة تمثّل منطلقات الشاعر وإدراكه للأشياء التي يتعامل معها وفهمه لها، فهو يحول المفهومات إلى أشياء مدركة ومحسوسة»[١١].

ومن التشخيص أو التجسيد ظاهرة الحوار مع الناقة إذ يستنبط منها كياناً بشريّاً يحادثه، ويبادره بالخطاب.

ومن ذلك قول ذي الرَّمَّة:

أقولُ لها، إذا شمّرَ السَّيرُ واستوت بها البيدُ واسْتنَّتْ عليها الحَرائرُ[١٢]

يفرغ الشاعر ما يثقل كاهله من أحاسيس ومشاعر عبر اشتقاق كيان من الناقة يحاوره، ويبثه شكواه وهمه.

أو لربّما شكره وامتنانه إذا بلغت به غايته. من ذلك ما قاله أبو نواس الحكمي:

أقولُ لناقتي إذا بلَّغَتْني لقد أصبحتِ عندي باليمين[١٣]

ومن أنسنة الناقة وحوارها قول الفرزدق:

أقولُ لناقتي لمّا ترامتْ بِنا بِيدٌ مُسَرْبلةُ القَتام[١٤]

حيث تحضر الناقة بوصفها ذاتاً تحتل منزلة المخاطب في عملية الاتصال، ويوجه إليه الخطاب وكأنها ذات عاقلة ستعي مضمونه،وتتخذ موقفاً ما حيال ذلك المضمون على الصعيد النفسي العاطفي وعلى الصعيد العملي وردات الفعل المطلوبة.

والأمر عينه في قول داود بن سلم :

نجوتِ من حلٍّ ومن رحلةٍ يا ناقَ إن قَريتني من قُثم[١٥]

حيث يوجه الشاعر خطابه إلى الناقة، وينياديها كأنها إنسان عاقل ستوقع منه تلبية النداء، والاستجابة إليه، وإصاخة السمع إلى مضمون الخطاب، وتلقيه، واتخاذ موقف معين أو رد فعل محدد إزاءه.

ومن التشخيص قول جُنادة بن مرداس العقيلي:

إليك اعْتسفنا بطنَ خَبْثٍ بأينُقٍ نوازعَ، لايبْغينَ غيركَ منزلا[١٦]

إذ جعل النوق عاقلاً يدرك ويبغي، ويحدد مراده ووجهته؛ وتمتلك زمام الأمور، و الإرادة، والقدرة على البت والقطع، والنهي، والقبول، فحضرت النوق في النص بوصفها ذاتاً عاقلة، تبتغي، وتقرر، وترفض، وتقبل، وتنزع، وتمتلك مشاعر وعواطف وأفكار، واختارت الممدوح دون غيره.

ومن هذا قول أَشْجَع السُّلميّ:

إليكَ أبا العبّاسِ سارت نجائبٌ لها همٌ تسرى إليك وتَنزعُ[١٧]

فالنجائب ذات همّة تنزعها الرغبة، وتوجهها، وتقودها، وتتحكم بسلوكياتها؛ والنجائب اختارت الممدوح، وقصدته،ونزعت إليه، وكابدت مشاق الرحلة طالبة لقاءه،وثابرت، وتكبدت عناء الارتحا بهمة عالية، وزم لايلين، يحثها رغبتها الجامحة في لقاء الممدوح.

قال مسلم بن يزيد الأنصاري :

قد عوّدَ الطّيرَ عاداتٍ وثقنَ بهِ فهُنَّ يتبعنه في كلِّ مرتحل[١٨]

أيضاً هنا الطيور باتت كما البشر تدرك و تتعوّد وتثق. وهذا من باب التشخيص والأنسنة، وإنزال الطير في منزلة الإنسان العاقل الذي يمتلك عادات، وأنماط سلوكية معين، **(عوّدَ الطّيرَ عاداتٍ)**، وهي تتبع الممدوح وملازمته في كل رحلة له.

٢ـ التشبيه:

إنّ التشبيه في اللغة هو التمثيل. وفي اصطلاح البلاغيين هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى أو أكثر بأداة ملفوظة أو مضمرة.[١٩]

مثال ذلك نوردُ الشواهدَ التالية:

قال الأعشى ميمون:

كالغيثِ إذا ما استمطروه جادَ وابلُه وفي الشدائدِ كالمُستسأدِ الضَّاري[٢٠]

وفي التشبيه المفصّل هنا يشبّه الشاعرُ ممدوحَه بالـ (الغيث)، يجود وابلُه عطاء في وقت السلم. و في التشبيه المجمل شبّهه في وقت الشدائد بالـ(المستسأد الضاري).

يصهر الشاعر المشبه (الممدوح) والمشبه به (الغيث – المستأسد) في أتون التشبيه، ليتحد الطرفان في تماه، وتناغم، تنزاح معه الصفات والخصال والميزات التي يتمتع به المشبه به نحو المشبه ليقاسمه إياها، ويترتب على هذه العملية انزياح دلالي، تتفتح معه حقول دلالية جديدة حول المشبه، وترتبط به معان لم يكن يعرفها قبل التشبيه.

وفي قول أبو دَهْبَل الجُمَحِيّ:

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدماءُ مُعْتَجِراً بالبُرْدِ كالبدرِ جلَّى ليلةَ الظُّلمِ[٢١]

هنا تشبيه مركّب تمثيليّ؛ إذ يشبّه الممدوح وهو ملتفّ بالبردِ فوق ناقته البيضاء بالبدر يلفّه ظلامُ الليل. التشبيه مستمد من عناصرِ الطبيعة، فالبدر الذي يأسر عين الناظر ترك أثرَه هاهنا في وعي الشاعر ولاوعيه، فأنتج هذا التشبيه.

والنبر هنا على حاسة البصر في تكوين صور بانورامية لما حولها، وذلك لمركزيّة هذه الحاسة و« نظراً لاعتماد الذاكرة الشعريّة عند الشعراء على العين الباصرة في التقاط الصور وتكوينها وتركيبها أكثر من اعتمادها على بقيّة الحواس كما أنّ حاسة البصر تأتي في مقدمة الحواس المقدّرة للجمال»[٢٢].

قال الممزَّق شأس بن نهار العَبدي:

وقد تَخِذَت رِجلي إلى جنبِ غَرْزِها نَسِيفاً كأُفحُوصِ القطاةِ المُطرِّقِ[٢٣]

تشبيه مجمل يشبّه الشاعر ما تتركه رجله من أثر على جنب البعير بمجثم القطاة التي حان وضعها للبيض.

وأما في قول الخنساء بنت الشَّريد:

وهما وقد برزا كأنَّهما صَقران قد حطّا إلى وكرِ[٢٤]

فالتشبيه مركّب تمثيلي؛ المخصوصان بالمديح يبرزان كما يحط صقران إلى وكر. تتفتح حول التشبيه حقول دلالية، تحفز معان ثرية يحملها ارتباط الطرفين أي المشبه والمشبه به فيما تحول أداة التشبيه (كأنهما) دون تطابقهما، وتلاحمهما التام في وحدة كلية.

تقوم الصورة البيانية على صور حسية بصرية في المقام الأول (المخصوصان بالمديح – الصقران – الوكر) وسمعية (صوت الصقرين، صوت احتكاك الأجنحة بالهواء أثناء الطيران، وصوت الريح)، لمسية (ملمس ريش الأجنحة، ملمس وكر الصقر)، يضاف إليها الدينامية (حركة الأجنحة أثناء الطيران– انتقال الصقرين من الحركة إلى السكون عند الهبوط إلى الوكر) الأمر الذي له بالغ الأثر في نفس المتلقي، وانفعاله بالصورة.

كما نلاحظ يكثر التشبيه التمثيليّ وشواهده في الحماسة كثيرة ومنها أيضاً:

قال مسلم بن يزيد الأنصاري :

ما كان جمعُهُم لمَّا لَقِيتَهُمُ إلّا كمثلِ جرادٍ ريعَ منجفلِ[٢٥]

يشبّه مشهد تحرّك الجمع بمشهد الجراد الذي أجفل.

من مزايا التشبيه الحركة، وهي « من بديع التشبيهات وجليلها لأنّ التقاطها، وهي جادة في حركتها، واضطرابها دليل المقدرة، والوعي، وقوة الملاحظة، ثم تصويرها وهي تتحرك، أعني المحافظة على هذه الحركيّة الحيّة الباعثة للنفس التي تنفي عنها ملل الجمود»[٢٦].

تجمع الصورة الفنية الفريدة مشهدين متباعدين في حقولهما الدلالية وتصهرهما في وحدة كلية أتونها التشبيه التمثيلي **(ما كان جمعُهُم لمَّا لَقِيتَهُمُ إلّا كمثلِ جرادٍ ريعَ منجفلِ)**

الذي جمع بين مشهد أول:

قوامه حال الأشخاص المعنيين بالخطاب (ما كان جمعُهُم لمَّا لَقِيتَهُمُ)

ومشهد ثان: قوامه الجراد عند إجفاله (كمثلِ جرادٍ ريعَ منجفلِ).

لقد اختير المشهد الذي يشكل المشبه به بعناية تصف بدقة حال القوم الذين أراد الشاعر وصفهم، ولماذا الجراد دون غيره؟

لما أراد الشاعر تصوير كثرة الجمع وحركتهم عندما لقيهم أثار مشهدهم في نفسه مشهد الجراد عند إجفاله، ذلك أن الجراد مقترن بدلالة الكثرة في المقام الأول، وحركته وهو مجفل قوامها الاضطراب، والتبعثر، والتشتت في اتجاهات مختلفة، وهذا المعنى بتفاصيله أراد إجماله الشاعر فاختصره في التشبيه التمثيلي.

هذه الحركة نلمسها أيضاً في التشبيه الذي عمدَ إليه الشاعر الحُطيئة جَرول بن أوس في قوله:

حصَانٌ لها في البيتِ زيٌّ وبَهجَةٌ وتَمْشي كما تمشي القَطاةُ قطوفُ[٢٧]

يقترن في أتون التشبيه التمثيلي: **(حصَانٌ لها في البيتِ زيٌّ وبَهجَةٌ وتَمْشي كما تمشي القَطاةُ قطوفُ)**:

مشهد أول: **(حصَانٌ لها في البيتِ زيٌّ وبَهجَةٌ وتَمْشي)**

ومشهد ثان:(**كما تمشي القَطاةُ قطوفُ)**

وقد جمع الشاعر في المشهد الكلي صورتين جزئيتين متباعدتين في حقولهما الدلالية، انصهرتا والتحمتا في مشهد كلي موحد، يثير في لحظة تلقيه الأولى إحساساً بالغرابة، واللطف، والدهشة، والرقة المرتبطة بالمخلوقين المعنيين في التشبيه (الحصان – القطاة).

وكذلك في التشبيه المركّب التمثيليّ في قول زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث:

يرْضَخْنَ صُمَّ الحصى في كلِّ هاجرةٍ كما تطايرَ عن مرضاخهِ العَجَمُ[٢٨]

تنهض الصورة الفنية على مشهدين جزئيين حركيين

الأول: يرْضَخْنَ صُمَّ الحصى في كلِّ هاجرةٍ

الثاني: كما تطايرَ عن مرضاخهِ العَجَمُ

وكلما ازدادت غرابة العلاقة بين الطرفين أي المشبه والمشبه به ازدادت جمالية الصورة الفنية كما هو الحال في هذه الصورة.

وفي نظيره في قول حسان بن ثابت الأنصاريّ:

بزجاجةٍ رَقصتْ بما في قعْرِها رقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مُسْتَعْجِلِ[٢٩]

إذ يشبّه صورة الزجاجة يرقص ما في قعرها بصورة الناقة تجري براكبها على عجل.

إنّ فاعليّة الصورة الشعريّة تأتي من قدرتها على الجمع بين الحقائق المتباعدة، واستحضار العلاقات الطريفة بين الأشياء، وبقدر طرافة هذه العلاقات تتحقّق فاعليّة الصورة.[٣٠]

ومن التشبيه التمثيليّ أيضاً قول ذي الرُّمّة:

قِياماً ينظرون إلى بلالٍ رِفاقُ الحجّ أَبصرتِ الهلالا[٣١]

فالقوم يناظرون الممدوح كما يناظر الحجّاج الهلال.

يجمع التشبيه التمثيلي بين:

مشهد أول: **قِياماً ينظرون إلى بلالٍ**

مشهد ثان: **رِفاقُ الحجِّ أَبصرتِ الهلالا**

والصورة الكلية قامت على ربقة من الصور الجزئية الحسية و الحسية الحركية في غالبيتها؛ والصور الحسية تنوعت بين بصرية (ينظرون – بلال – قياماً – رفاق – أبصرت – الهلال) وأخرى بصرية سمعية (الحج)، وحسية حركية (ينظرون – أبصرت – الحج) لتشكل معاً صورة واحدة كلية تثير انفعالات وأحاسيس معينة، وتنزاح معها دلالات وحالات شعورية قرينة المشبه به (**رِفاقُ الحجِّ أَبصرتِ الهلالا)** نحو المشبه (**قِياماً ينظرون إلى بلالٍ**).

«في الحقيقة لا مناص للشاعر من أن يحوّل الفكرة إلى إحساس؛ لأنَّ الشعر لا يتكلّم لغة حرفيّة، وهو بسبب ذلك يسلك مسالك الشعر لا مسالك النثر، ومن أهمّ هذه المسالك مسلك التصوير ».[٣٢]

وهذا ما لجأ إليه الحُطيئة جرول بن أوس العبسيّ في قوله:

ماذا تقولُ لأَفراخٍ بذي مرخٍ حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ [٣٣]

إذ عمد الشاعر بغية استعطاف الخليفة إلى التصوير، فنقل إحساسه، وأفكاره على هيئة تشبيه، يصوّر فيه أطفاله كفراخ صغيرة بلا ماء وبلا مأوى.

قال مسلم بن الوليد:

كأَنّهُ قمرٌ أو ضَيْغَمٌ هَصِرٌ أو حيّةٌ ذكرٌ أوعارضٌ هَطِلُ[٣٤]

في التشبيه يشكّل الممدوح الطرفَ الأول (المشبّه)، ويتعدد القطب الثاني(المشبه به) فهو قمر، وضيغم، وحيّة ذكر، وعارض هطل.

تتجمع الدلالات المنبثقة عن كل مشبه به في نقطة واحدة تتقاطع فيها جميعاً رغم تباعدها في الحقول الدلالية هي المشبه، بعد أن تنزاح الدلالات من كل مشبه به باتجاه المشبه وهو الممدوح.

كما نجد من التشابيه الاستعارة المكنيّة، مثالها قول سَلْم بن عمرو:

ولو ملَكْتُ عِنانَ الرّيحِ أَصرفُهُ في كلِّ ناحيةٍ ما فاتكَ الطَّلَبُ[٣٥]

حيث شبّه الريح بالخيل فحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو (عنان) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

تجمع الصورة بين متباعدين في حقولهما الدلالية، وتنزاح خواص الكائن الحي وهو هنا الخيل نحو عنصر من عناصر الطبيعة وهو الريح، وحيث أن الريح في الواع لايمكن ضبطها ولا توجيهها ولا امتطاؤها ولا وضع العنان عليها في إشارة إلى التحكم بها وهو مايمكن أن يحصل مع الخيل كانت فرادة الصورة وجماليتها بمنح ميزات الخيل إلى الريح بفضل الاستعارة التي منحت الريح حضوراً نصياً متميزاً تحيا معه الريح حياة لغوية جديدة.

ومن التشبيه التامّ الأركان قول المثقب العبديّ:

فسلِّ الهمّ عنك بذاتِ لوثٍ عُذافرةٍ كمطرقةِ القيونِ[٣٦]

فالناقة (المشبه) كمطرقة القيون (المشبه به) ووجه الشبه القوة والصلابة، وأداة التشبيه الكاف.

تنزاح صفات القوة والصلابة والقساوة وقريناتها من المشبه به وهو مطرقة القيون نحو المشبه وهو هنا الناقة (ذات لوث).

ومن التشبيه البليغ قول الحُطيئة جرول بن أوس:

قومٌ هم الأنفُ، والأذنابُ غيرُهُمُ ومن يُساوي بأنفِ النَّاقةِ الذَّنبا[٣٧]

ف هم (المشبه) الأنف (المشبه به)، وغيرهم (المشبه) الأذناب (المشبه به) فيما حذفت الأداة، ووجه الشبه.

ومنه قول الفرزدق همّام بن غالب:

همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ والأُسدُ أُسدُ الشَّرى والبأسُ محتدمُ[٣٨]

ف هم(المشبه) و الغيوث (المشبه به)، وهم (المشبه) و الأسود (المشبه به)،فيما حذفت الأداة ووجه الشبه.

تنزاح الصفات المنوطة بالمشبه به (الغيوث – الأسد) نحو المشبه (الممدوحين – هم) فالغيث ينضوي على دلالات الإغاثة والكرم والعطاء والمنح والجود وقريناته، فيما يقترن بالأسد معاني القوة والشدة والبأس والجبروت والسلطة وقريناتها، وهذه الصفات جميعاً تجتمع في الممدوحين، وتنقسم إلى كجموعتين الأولى تظهر في حالة الأزمات (إذا ما أزمةٌ أزمتْ) والثاني عندما يتطلب الأمر القوة والشجاعة في ساحات القتال (والبأسُ محتدمُ).

ومن التشبيه المجمل قول الفرزدق همّام بن غالب:

وأصبحَ مُبيضُّ الصّقيعِ كأنّه على سَرواتِ النِّيبِ قطنٌ مندَّفُ[٣٩]

مبيض الصقيع (المشبه)، قطن مندف (المشبه به)، و كأنّ (الأداة)، فيما حذف وجه الشبه.

والجدير بالذكر هنا أنّ التصوير ركن أساسيّ في الشعر، وهذا ما يفسّر كثرة التشابيه في الحماسة التي قوامها قصائد مختارة. وهذا بديهيّ فالشعر« ضرب من النسج وجنس من التصوير».[٤٠]

٣ـ المغالاة :

والمغالة أو الغلوّ ضرب من الزيادة عن الحد، والمبالغة كما هو معروف. ولها في الحماسة أمثلة كثيرة نذكر منها:

قال ذو الرُّمّة غيلان:

فتى السِّنِّ، كَهْلَ الحِلْمِ، تَسمَعُ قولَهُ يُوازنُ أَدناهُ الجبالَ الرَّواسيا[٤١]

فأدنى قولٍ للممدوح يوازن الجبال الرواسي؛ يذهب شاعرنا بعيداً في مديحه، فيصيب هذا القدر من المبالغة.

وكذلك في وقول ذي الرمة:

سَمِعْتُ، النّاسَ يَنتجعونَ غَيْثاً فقلتُ لِصيدحَ: انتَجِعي بِلالا[٤٢]

فالناس يطلبون المطر فيشير إليهم شاعرنا أن ينتجعوا الممدوح.

إن رفع الممدوح، وهو من البشر، منزلة فوق البشري، وإلصاق الخوارق والعجائب به في المديح هو من باب المغالاة، والشطط عن الواقع؛ فليس للمدوح أياً كان شأنه أن ينوب مناب الغيث على وجه الحقيقة، بل هذا من باب المغالاة الشعرية التي يراد منها التعبير عن مكانة الممدوح وتميزه في صورة بلاغية طريفة.

وكذلك في ما قاله أبو نواس:

قرَّبَتْنا من خيرِ من وطئ الحصى فلها علينا حرمةٌ وذِمامُ[٤٣]

مغالاة ومبالغة غايتها إطلاق حكم قيمة يعمّم، ويجعل الممدوح خير من وطئ الحصى.

والحق أن الممدوح ليس خير من طئ الحصى البتة، وإن كان لإنسان أن يكون كذلك فماذا ترك الشاعر للأنبياء والرسل والصالحين؟. وهذا إن دل على شيء فيدل على أن الشاعر لايقصد المعنى على وجه الحقيقة، بل جاء قوله هذا من باب المغالاة.

يتكرر المعنى في قول جندب بن خارجة بن سعد الطائيّ:

فمَا وطئ الحصى مِثلُ ابن سُعدى ولا لبس النِّعالَ ولا احتذاها[٤٤]

يجعل الشاعر من الممدوح شخصاً متفرداً لاضد له، ويرفعه إلى منزلة هي ليست له على وجه الحقيقة بل من باب المغالاة.

وأيضاً نجد مبالغة ومغالاة في قول الفرزدق همّام بن غالب:

لنا العِزّةُ العَلْياءُ والعددُ الذي عليه إذا عُدَّ الحَصَى يَتَخَلَّفُ[٤٥]

أراد الشاعر أن يعبر عن كثرة قومه وقوتهم فلجأ إلى المغالاة، وليس المعنى هنا من باب نقل الحقائق والوصف الواقعي الحرفي، بل من باب التعبير عن العزة والقوة والهيبة.

أما في قول الأخطل غيّاث بن غوث:

الخائِضِ الغَمرِ، والميمونِ طائرُهُ أغرُّ أبلجُ يُستسقى بهِ المطرُ[٤٦]

فتقلب الآية، ويستسقى المطر بالممدوح. وهذا غلوّ غريب من نوعه لطيف الوقع مثير للدهشة.

تكمن جمالية هذه المغالاة في هز أفق التوقع لدى القارئ، وزيادة المسافة التي تفصله عن القبض على الدلالة ومعها زيادة في المتعة الجمالية المتحققة من ربط الدوال بمدلولاتها، وإدراك الانزياح الحاصل في الدلالة.

٤ـ الكناية:

والكناية كما نعلم هي من أساليب البيان؛ لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي وإنّما معنى ملازم له. ومن أمثلتها:

كناية عن صفة في قول النابغة الذّبيانيّ:

كِلِيني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ[٤٧]

بطيء الكواكب كناية عن طول الليل وثقله.

إن ليل الشاعر طال بفعل الهم الذي يثقل كاهله،والأرق الذي طرد منه النوم، فبات يحسّ بطول الليل وبطء سير الوقت ؛ فجاء تعبيره اللطيف الغريب الذي مثل كناية، أحالت إلى طول الليل وثقل الهم **(وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ)**.

ومن أمثلة الكناية عن صفة قول أميّة بن أبي الصلت:

يباري الرِّيحَ مَكْرُمَةً وجوداً إذا ما الكلبُ أَحجرَهُ الشّتاءُ[٤٨]

إذا ما الكلب أحجره الشتاء. كناية عن شدة البرد وكرم الممدوح أيضاً.

ومنها كناية عن نسبة كما في قول بشّار بن برد:

تسقُطُ الطّيرُ حيثُ يُلْتَقَطُ الحَبُّ وتُغشى مَنازِلُ الكُرَماءِ[٤٩]

تسقط الطير حيث يلتقط الحب. كناية عن نسبة العطاء والجود والكرم للممدوح.

ومثلها كناية عن نسبة في قول النابغة الذّبيانيّ:

إذا ما غزوا بالجيش حلّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ[٥٠]

عصائبُ طير تهتدي بعصائب. كناية عن نسبة النصر بوصفه حالة دائمة للممدوح؛ فعصائب الطير ترافقه لعلمها بأن ثمّة جثث كثيرة، ووجبة دسمة في انتظارها.

وللكناية جماليّتها التي تكمن في « تنبيه الملكات واستثارة الأذواق من خال اللمحة والإشارة والتعريض والرمز والإيحاء والمبالغة ووضع المعنويات في صور المحسوسات »[٥١].

ومن الكناية عن نسبة قول القاسم بن أميّة:

الأكثرين الأطيبين أُرُومةً أهل التّراء وطيّبيّ الأعطان[٥٢]

(الأطيبين أرومة) كناية عن نسبة النسب العريق الأصيل.

كما نجد الكناية عن موصوف. مثال ذلك قول الفرزدق:

وكيف ترجون تغميضاً وأهلُكُمُ بِحيثُ تَلْحَسُ عن أولادها البقرُ[٥٣]

بحيث تلحس عن أولادها البقر: كناية عن مكان قحط مجدب لا ماء فيه ولا نبات.

أراد الشاعر وصف حال أهل المخاطبين، ومعاناتهم فتجنب التعبير المباشر، ولجأ إلى الكناية التي استمد عناصرها من بيئته الطبيعية.

٥ـ الترادف:

الترادف « إنّ الترادف عند أهل العربيّة، والأصول تعني توارد لفظتين أو أكثر في الدلالة على الانفراد أو حسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة».[٥٤]

والمترادفات هي « ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أيّ سياق»[٥٥].

من أمثلة ذلك تعدد الألفاظ الدالّة على الصحراء نذكر منها:

موماة

قال الأعشى ميمون:

وإنَّ أمرَءاً أسرى إليك ودونَهُ من الأرضِ مومأةٌ وجرداءُ سملقُ[٥٦]

سباسب

قال سواد بن قارب:

فشَمّرْتُ عن ذيلِ الرِّداءِ ووسَّطَت بي الذِّعْلِبُ بين السَّباسبِ[٥٧]

مهامه

قال أبونواس:

قطعوا إليك نياط كلّ تنوفةٍ ومهامه مُلْسِ المتون عِراضِ[٥٨]

المفاوز

قال الأعشى ميمون:

بسيرِ من يقطع المفاوزَ والـ ـبُعدَ إلى من يثيبه الإبلا [٥٩]

البيد:

أقول لها، إذا شمّرَ السَّيرُ واستوت بها البيد واستنّت عليها الحرائر [٦٠]

إنّ الألفاظ التي تحيل إلى الصحراء أدّت وظائف دلالية متنوعة تتجاوز محض الإحالة إلى المدلول؛ فالموماة، والسباسب، والمهامه، والمفاوز، والبيد التي هي الصحراء تولد في نفس المتلقي حقولاً من المعاني، والانفعالات المنوطة بتلك الحقول.

والثابت أن وظيفة الكلمة في اللغة تتحدد في تحقيق استجابات محتلفة، ومتنوعة توازي أثر الأشياء التي تحيل إليها الكلمات، وتمثل بدائل لفظية عنها [٦١]

إن الحضور النصي للصحراء والمساحة القرائية الواسعة التي تحتلها من الشعر في الحماسة وتنوع الألفاظ التي تحيل إليها إنما تعكس حقيقة حضورها الواقعي الجغرافي، من جهة، وحضورها النفسي في دواخل قاطنيها، من جهة أخرى؛ فكما امتدت الصحاري متنوعة في تشكيلاتها الجغرافية المتفاوتة القساوة واللين في بعض الواحات، وحضور شيء من الغطاء النباتي وغيابه التام، امتدت في نفس الإنسان العربي والشاعر العربي الذي تمثلها، ووظفها في شعره ليعبر عن حقيقة المسافات التي قطعها، من جهة، ووعورة درب الرحلة وقساوتها الطبيعية والنفسية، من جهة أخرى.

الألفاظ الدالة على الإبل:

ناجية

قال إبراهيم بن هرمة القرشيّ:

وناجية صادقٍ وَخدها رميتُ بها حدَّ إزعاجها [٦٢]

القلوص

قال حسان بن ثابت الأنصاريّ:

بزجاجةٍ رَقصتْ بما في قعْرِها رقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مُسْتَعْجِلِ[٦٣]

الإبل

قال الأعشى ميمون:

بسيرِ من يقطعُ المفاوزَ والـ بُعدَ إلى من يُثبيهُ الإبلا[٦٤]

الذّعلب

قال سواد بن قارب:

فَشَمَّرَتْ عن ذَيلِ الرِّداءِ ووَسَّطَت بي الذِّعلبُ الوَجناءُ بين السباسبِ[٦٥]

ناقة

وقول داود بن سلم :

نجوتِ منحلٍ ومن رحلةٍ ياناقَ إن قَريتني من قُثم[٦٦]

العيس:

قال الأعشى ميمون:

وإنّ عتاقَ العيسِ سوفَ يزوركم ثناء على أعجزاهنّ معلّق[٦٧]

النجائب

قال أشجع السلمي:

إليك أبا العباس سارت نجائب لها همم تسري إليك وتنزع [٦٨]

وجناء

قال الحطيئة العبسي بن أوس:

فما زالت الوجناء تجري ضفورها لإليك ابن شمّاس تروح وتغتدي[٦٩]

نجاء

قال الأعشى ميمون بن قيس بن جندل:

أجدَّت برجليها نجاءً وراجعتْ يداها خِنافاً ليّناً غير أحرَدا[٧٠]

إن سائر الألفاظ السابقة تحيل إلى مدلول واحد هو كائن الإبل، بيد أن ثمة دلالات تنبثق حول كل لفظ دون غيره:

الناجية: هي الناقة السريعة تنجو بمن ركبها[٧١].

القلوص: الناقة الطويلة القوائم.[٧٢]

الذعلب: الناقة السريعة شبهت بالنعامة وهي النعامة لسرعتها.[٧٣]

ناقة: الناقة الأنثى من الإبل، وتسمى كذلك إذا أجذعت.[٧٤]

العيس: الإبل تضرب إلى الصفرة، وهي الإبل البيض مع شقرة يسيرة.[٧٥]

النجائب: النجيب من الإبل الخفيف السريع، والنجائب من الإبل عتاقها التي يسابق عليها.[٧٦]

وجناء: ناقة وجناء : أي تامة الخلق، غليظة لحم الوجنة، صلبة شديدة مشتقة من الوجين وهي الأرض الصلبة أو الحجارة، و الأوجن من الجمال والوجناء: ذات الوجنة الضخمة، شبهت بالوجين العارض من الأرض.[٧٧]

في الواقع إن الدلالة اللغوية تضيء على جانب من جوانب عبقرية اللغة، و مدى الإتقان والدقة في سياسة المعنى فيها[٧٨]، واستراتيجيات الدلالة وتشكيلاتها التي تنتظم في خرائط لغوية – إن صح التعبير– شديدة الدقة، تصل بين الدال والمدلول، وتوضح التفرعات في الطريق الذي يربط الدال بمدلوله، والدلالات الجانبية أو الهامشية أو الإضافية التي تؤدي إليها تلك التفرعات، وهذا يعكس قوة اللغة، قدراتها الخلاقة في إنتاج المعاني.

ثانياً: التوزع الكميّ لألفاظ الطبيعة:

١– ألفاظ الطبيعة الحيّة:

نلاحظ غلبة ألفاظ الناقة، والخيل، والأسد، فيما يكاد النبات يغيب عن الحضور الشعريّ كما الواقعيّ. نورد بعد الأمثلة:

قال الأعشى ميمون :

وإنَّ امرءاً أسرى إليك ودونه من الأرضِ موماة وجرداء سملق[٧٩]

قال آخر:

فصِرتُ مثل جَوادٍ بذَّ حَلْبَتَهُ بذَّ الجِيادِ، له في الأرض تَخديدُ[٨٠]

إن الحضور النصي للجواد حمل معه دلالة نفسية تضاف إلى دلالاته الأخرى؛ والدلالة النفسية يقصد بها " تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد، وتجاربهم، وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم".[٨١]

فالجواد بصفاته المنوطة به في البيت من القوة والسرعة والمضي والغلبة كانت ظلالاً نفسية ألقى بها الشاعر على أجواء النص، منبعها حالته الشعورية التي يصور بها بدقة كيف استحال مثل ذلك الجواد الذي (بذَّ حَلْبَتَهُ بذَّ الجِيادِ، له في الأرض تَخديدُ) فالجواد هنا هو معادل موضوعي للشاعر عينه.

قال زياد بن حمل بن عميرة سعد بن بن حريث:

ياليتَ شعري متى أغدوا تعارضُني جرداءُ سابحةٌ أو سابحٌ قُدُمُ[٨٢]

الأسد:

قال مروان بن أبي حفصة:

فدعوا الأسودَ خوادراً في غِيلِها لا تولِغَنَّ دِماءَكمْ أشْبالها[٨٣]

قال عبيد الله بن قيس الرُّقيَّات:

إن جلسوا لم تضقْ مجالسهم والأسدُ أُسدُ العرين إن ركبوا[٨٤]

إن لفظ الأسد يحيل إلى حيوان موجود في الطبيعة له صورة ذهنية محددة تنبثق في ذهن المتلقي لحظة تلقيه، وذلك وفقاً لآلية إنتاج الدلالة، وارتباط الدال بالمدلول التي توضحها الدراسات في علم الدلالة:

الدال: لفظ الأسد

المدلول: الصورة الذهنية لحيوان الأسد.

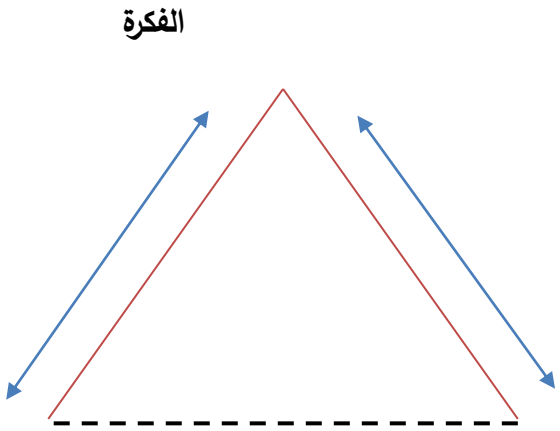
الدلالة: القوة– الافتراس، السيطرة، السلطة، الهيبة،السطوة،ومرادفات القوة.

إن الأسد في حضوره النصي لم يكن الأسد الحيوان على وجه الحقيقة بل كان محض انزياح لغوي استعان بتقنية لغوية بلاغية هي التشبيه، انزاحت بواسطتها صفات المشبه وهو الأسد (الحيوان الحقيقي) نحو المشبه به، وألبسته صفاته، وألصقت به الدلالة المنوطة به من القوة ومرادفاتها.

فالدلالة هنا كانت وسيلة تحيلنا إلى المعنى المراد إرساخه في ذهن المتلقي، وهذا دأب الدلالة عامة؛ إذ يحيل كل من الدلالة والمعنى إلى الآخر في دينامية حركية مستمرة تشي باتحادهما، وهذه الإحالة المستمرة بين الطرفين هي ما يؤكد حقيقة كون البحث الدلالي عملية ذهنية[٨٥].

وهذا بدوره يحيلنا إلى ذهنية العلاقة بين الدال والمدلول علاقة[٨٦]، أي أنها علاقة غير مباشرة،إذ تعمل الإشارة اللغوية على توحيد الدال (اللفظ)، والمدلول (الفكرة)[٨٧]، وذلك بواسطة عملية استرجاع للعلاقة الذهنية التي يناط بهما كل منهما بالآخر ذهنياً و نفسياً[٨٨].

ويوضح ما يعرف بمثلث أوجدن طبيعة هذه العلاقة:



حيث يسيطر الترابط النفسي على الظاهرة اللغوية في كل مراحل تشكلها النشأة والسلوك[٨٩]، والتعبير، وصولاً إلى انتقاء عناصر الأداء[٩٠].

وإنتاج الدلالة وإن نهض على أسس وقوانين لغوية بيد أن له حيوات أخرى يخلقها له السياق النصي والانزياحات اللغوية ذات الطابع البلاغي.

النبات:

الأرطى:

قال الشمّاخ بن ضِوار الذّبيانيّ:

إذا الأرطى توسّد أبرديهِ خُدودُ جوازئ بالرّملِ عينِ[٩١]

فيما يلي جدول يبيّن التوزع الكميّ لألفاظ الطبيعة الحيّة عبر إحصاء عدد مرّات ورود كل منها:

ألفاظ الطبيعة الحيّة:

الحيوان	٩٧
الخيل	٢٣
الناقة	٣٢
الأسد والضواري	٢٦
الحيّة	٢
الطيور	٢٢
الحشرات	٣
البقر	٨
الأرنب	١
الحرباء	١
الكلب	٥
الجراد	١
النبات	١٣
أُرُومة	٢

النخل	٢
الأرطى	١
المسك	١
النبع	٢
الغَرب	١
الأكم	١
الكرم	١
نبت	٢
الزهر	١
الروض	١

٢- ألفاظ الطبيعة الصامتة:

نلاحظ غلبة ألفاظ الصحراء، والقمر، والحصى والصخر، والليل، والريح.

نورد بعض الأمثلة:

الحصى:

قال أبو الشِّيمي محمد بن عبد الله الخُزاعي:

شدّوا بأكوار الرِّحالِ مطيّهم من كلّ أهوجَ للحصى رضّاضِ[٩٢]

قال إبراهيم بن هرمة القرشي:

وكلّفتها طامساتِ الصوى بتهجيرها ثم إدلاجها[٩٣]

تحضر الحصى بوصفها صورة حسية بصرية في المقام الأول، تدخل بفضل علاقات الإسناد والتجاور في النصوص المتنوعة مستوى حسي آخر سمعي في بعض الأحيان (من كلّ أهوجَ للحصى رضّاضِ)، لمسي تارة (وكلّفتها طامساتِ الصوى) تكتمل معه ملامح الصورة الشعرية، ويضيف جاذبية خاصة للمشهد الكليّ تكمن في مداعبة حواس المتلقي، وتحفيز خياله، واستثارة انفعالاته.

الليل:

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همّهِ تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ[٩٤]

قال الفرزدق همّام بن غالب:

وأوقدتِ الشِّعريَّ مع الليل نارها وأمست مُحُولا جلدُها يتوسّفُ[٩٥]

لا يخفى ما لليل من إرث دلالي خاص في ميدان الشعر؛ فدال الليل اقترن بجملة معان ودلالات نفسية، تكرر استعمالها في الشعر، وذلك مرده إلى الارتباط الذهني الذي أنيط بواسطته الليل بتلك الدلالات.

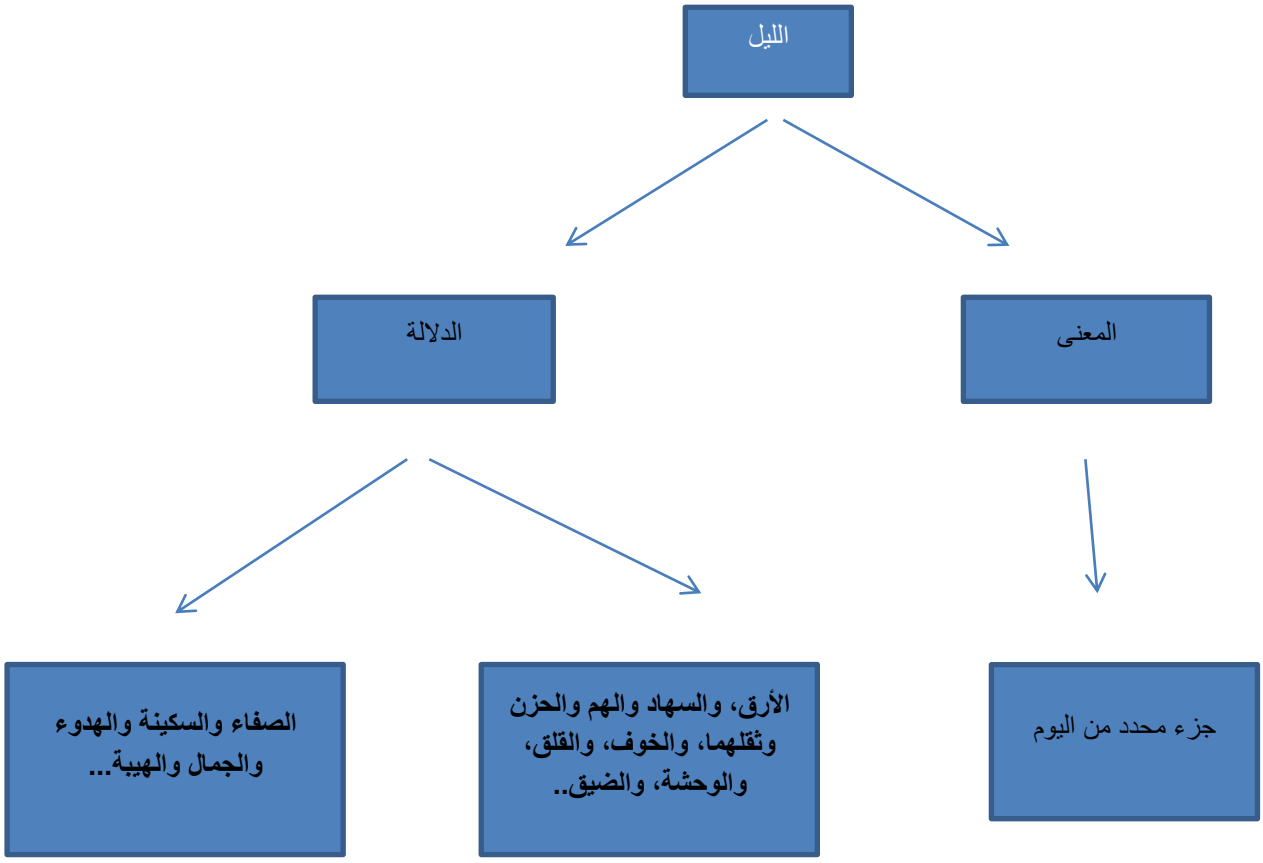
إن الربط الذهني غالباً يتضمن نغمة الإحساس[٩٦] و الانفعالات[٩٧] و هواجس الذات ؛ فالكمة لها "سيكولوجيّةً خاصّةً تجعل اللفظَ بديلاً عن الشيء المقصودِ، واللفظ بهذا المفهوم لا يعبّر عن الشيءِ بل يعني جميع صفاته وخصائصه وأبعاده النفسيّة".[٩٨]

فالليل هنا يحيل إلى جملة معاني الأرق، والسهاد والهم والحزن وثقلهما، والخوف، والقلق، والوحشة، والضيق، والحصار وجملة مشاعر ممضة يقاسيها من أرقته الهموم، وتركته في مواجهة الليل الطويل.

ذلك مرده إلى حقيقة كون الدلالة ليست هي المعنى عينه؛ فالدلالة أكثر شمولية واتساعاً، و علاقة الدلالة والمعنى علاقة العموم والخصوص، ولانجانب الصواب إن قلنا إن كل دلالة معنى وليس كل معنى دلالة [٩٩].

ففي حين يحيل لفظ الليل إلى معنى فترة من اليوم تلي الغروب وتسبق الفجر، يحيل الليل على مستوى جلالية إلى ربقة حقول دلالية أكثر اتساعاً، يغرف منها الشاعر ماشاء للتعبير عن حالته ودفقاته الشعورية بين الخوف والقلق ومرادفاته، وبين الهدوء والسكينة، ومرادفاتها.

ويمكننا تمثيل ذلك كما يلي:



السماء :

قال الفرزدق همّام بن غالب:

أخذنا بآفاق السّماءِ عليكمُ لنا قمَراها والنّجومُ الطّوالعُ[١٠٠]

إن كثيراً من الكلمات لها ثقلها النفسيّ أو بتعبير آخر تمتاز بوقعها في النفس عند تلقيها يمنحها خصوصية لا تتوفر لأي كلمة أخرى يمكن أن تحل محلها في السياق، وهذا ما يعرف بمجال الانفعالات النفسية[١٠١] الذي تمتلكه الكلمة، وتحدثه في نفس المتلقي.

ومن تلك الكلمات السماء :

الدال السماء

المدلول: الصورة الذهنية للسماء

الدلالة: السماء تحيل إلى السعة والعلو والسمو والرفعة والقدسية والاتساع واللامحدودية والانطلاق والحرية..

والشاعر في النص لما أخذ بآفاق السماء على المخاطبين أخذ ربقة الدلالات المنوطة بالسماء وليس السماء وحدها وفق المعنى المباشر للسماء.

الريح:

قال إبراهيم بن هرمة القُرشي:

ولكنْ سَقْطَةٌ كُتِبَتْ عَلينا وبعضُ القولِ يذهبُ بالرِّياحِ[١٠٢]

قال الأعشى بن عبد الرحمن الهمداني:

وهَبَّت الريحُ شآميّةً فانْحَجَرَ القابسُ والنَّابحُ[١٠٣]

وفيما يلي جدول يبيّن التوزع الكميّ لألفاظ الطبيعة الصامتة عبر إحصاء عدد مرات ورودها:

ألفاظ الطبيعة الصامتة:

الصحراء	١٦
الليل	١٩
النهار والضوء	١٠
الطريق	٤
الماء	٤٠
القمر	٢١
الثرى	٨
سهل	١
وادي	٢
التل	٢
الحصى والصخر	١٧
الريح	١٦
السماء	٨

السحاب	٨
البرق	١
الرعد	١
الجبل	٣
النجوم والكواكب	٤٩

خاتمة:

على ضوء ما سبق توصل البحث إلى نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

١- تركت الطبيعة أثرها في الشعراء؛ في وعيهم و لاوعيهم الذي انسكب في قصائدهم، واختيارهم للتراكيب والألفاظ، وطريقة تنضيد علاقات الكلمات، وخلق الصور.

٢- غلبة التشبيه وخاصة التمثيليّ الذي يستند على حاسة البصر، وبراعتها في التقاط الحركة من حولها بشكل رئيسيّ.

٣- إن الأدب مجلى الطبيعة، ومرآتها الأصدق التي تصور تمثلات الأديب للمحيط، والطبيعة من حوله.

٤- يلفتنا كثافة حضور الألفاظ الدالّة على الناقة والصحراء وهما مكونان رئيسان لبيئة البداوة وهي بيئة أغلب الشعراء المختارين.وهذا يفسّر كثرة المترادفات الدالّة عليهما.

٥- إن الحضور النصي للصحراء والمساحة القرائية الواسعة التي تحتلها من الشعر في الحماسة وتنوع الألفاظ التي تحيل إليها إنما تعكس حقيقة حضورها الواقعي الجغرافي، من جهة، وحضورها النفسي في دواخل قاطنيها، من جهة أخرى؛ فكما امتدت الصحاري متنوعة في تشكيلاتها الجغرافية المتفاوتة القساوة واللين في بعض الواحات، وحضور شيء من الغطاء النباتي وغيابه التام، امتدت في نفس الإنسان العربي والشاعر العربي الذي تمثلها، ووظفها في شعره ليعبر عن حقيقة المسافات التي قطعها، من جهة، ووعورة درب الرحلة وقساوتها الطبيعية والنفسية، من جهة أخرى.

٦- تعكس الدلالة اللغوية في اللغة العربية استراتيجيات الدلالة وتشكيلاتها التي تنتظم في خرائط لغوية – إن صح التعبير- شديدة الدقة، تصل بين الدال والمدلول، وتوضح التفرعات في الطريق الذي يربط الدال بمدلوله، والدلالات الجانبية أو الهامشية أو الإضافية التي تؤدي إليها تلك التفرعات، وهذا يعكس قوة اللغة، قدراتها الخلاقة في إنتاج المعاني.

٧- تكاد تغيب ألفاظ النبات في هذا الباب وكأنها تحاكي غياب النبات في البيئة الصحراوية، فتوازي ندرة حضورها في العالم الشعري ندرتها في العالم الواقعي.

٨- في ألفاظ الطبيعة الصامتة يلفتنا حضور الليل والسماء والنجوم. و هذا حقيقة جلّ ما يراه البدويّ في الصحراء. تتسع بقعة الحضور الشعري لهذه العناصر تماما كما في موازيه الواقعي.

٩- وإنتاج الدلالة وإن نهض على أسس وقوانين لغوية بيد أن له حيوات أخرى يخلقها له السياق النصي والانزياحات اللغوية ذات الطابع البلاغي.

١٠- تحضر بعض ألفاظ الطبيعة بوصفها صوراً حسية بصرية في المقام الأول، تدخل بفضل علاقات الإسناد والتجاور في النصوص المتنوعة مستوى حسي آخر سمعي في بعض الأحيان ولمسي تارة، تكتمل معه ملامح الصورة الشعرية، ويضيف جاذبية خاصة للمشهد الكليّ تكمن في مداعبة حواس المتلقي، وتحفيز خياله، واستثارة انفعالاته.

١١- يمتلك الليل إرثاً دلالياً خاصاً في ميدان الشعر؛ فدال الليل اقترن بجملة معان ودلالات نفسية، تكرر استعمالها في الشعر، وذلك مرده إلى الارتباط الذهني الذي أنيط بواسطته الليل بتلك الدلال.

الهوامش

[١] : معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت،١٤١٤هـ – ١٩٩٣م،ط٢،١/٤٨٥.

[٢] : ينظر لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الرويفعي الأفريقي،دار صادر، بيروت، ١١١/٨،مادة طبع.

[٣] : ينظر المعجم العربي الحديث، خليل الجر لاروس، أسهم في تحرير القسم اللغوي منه: محمد خليل الباشا وهاني أبو مصلح، مكتبة لاريس، باريس،١٩٧٣،ص ٧٨٢.

[٤] : تاريخ الأدب في المغرب العربي، حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٩٧– ١٤١٧هـ، ص١٦.

[٥] : ينظر سيد نوفل، ص ٢٤.

[٦] : شعر الطبيعة في الأدب العربي، سيد نوفل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ط٢، ص٣١.

[٧] : سيد نوفل، ص٨.

[٨] : في النص الأدبي–دراسات أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م،ط٣،ص١٩٠.

[٩] : الحماسة البصرية، تأليف العلامة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، ص٣٩٠.

[١٠] : الحماسة، ص ٤٣٧.

[١١] : تشكيل الخطاب الشعري– دراسات في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٥،ط٢،ص١١٦.

[١٢] : الحماسة، ص٣٨٥.

[١٣] : الحماسة، ص٣٨١.

[١٤] : الحماسة، ص٣٨٢.

[١٥] : الحماسة، ص٣٨٧.

[١٦] : الحماسة، ص٣٩٢.

[١٧] : الحماسة، ص٥٥٢.

[١٨] : الحماسة، ص٥٣١.

[١٩]: ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٣م، ط٣،٦/٣.

[٢٠]: الحماسة، ص٤٣٢.

[٢١] : الحماسة، ص٥٧٢.

[٢٢] : التصوير البياني في حماسة أبي تمام – دراسة بلاغية تحليلية موازنة، عيسى بن صلاح الرحبي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية،ص٧٢.

[٢٣] : الحماسة، ص٣٩٧.

[٢٤] : الحماسة، ص٥٥٥.

[٢٥] : الحماسة، ص٥٣١.

[٢٦] : التصوير البياني– دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة،٢٠٠٢م، ط٦،ص٦٦.

[٢٧] : الحماسة، ص٤٤١.

[٢٨] : الحماسة، ص٥٢٠.

[٢٩] : الحماسة، ص٤٢٩.

[٣٠] : ينظر الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، د.وجدان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٣م، د.ط،ص٢٧.

[٣١] : الحماسة، ص٣٨٩.

[٣٢] : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي،١٩٧٨م،ط ٣،ص٣٠٨.

[٣٣] : الحماسة، ص٤٣٠.

[٣٤] : الحماسة، ص٤٦٤.

[٣٥] : الحماسة،٦٠٧.

[٣٦] : الحماسة، ص٣٩٠.

[٣٧] : الحماسة، ص٥٩٨.

[٣٨] : الحماسة، ص٤١٣.

[٣٩] : الحماسة، ص٥٩١.

[٤٠] : الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٦٩ م،ط٣،١٣٢/٣.

[٤١] : الحماسة، ص٥٩٧.

[٤٢] : الحماسة، ص٣٨٨.

[٤٣] : الحماسة، ص٣٨٣.

[٤٤] : الحماسة، ص٣٧٨.

[٤٥] : الحماسة، ص٥٩٢.

[٤٦] : الحماسة، ص٤٤٢.

[٤٧] : الحماسة، ص٣٧٠.

[٤٨] : الحماسة، ص٤٢٢.

[٤٩] : الحماسة، ص٤٥٥.

[٥٠] : الحماسة، ص٣٧١.

[٥١] : الصورة الفنية معياراً نقدياً، د.عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٧م،د.ط،ص٣٧٣.

[٥٢] : الحماسة، ص٤٣٣.

[٥٣] : الحماسة، ص ٤٠٠.

[٥٤] : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،العلامة محمد علي التهانوي، ت رفيق العجم–علي دحروج، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٦م،ط١، ص٦٦.

[٥٥] : دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفي، ترجمة كمال بشر،١٩٦٢م، ط٢،ص٩٨.

[٥٦] : الحماسة، ص٥٥٧.

[٥٧] : الجماسة،ص٣٦١.

[٥٨] : الحماسة، ص٣٩٤.

[٥٩] : الحماسة، ص٥٨٨.

[٦٠] : الحماسة، ص٣٨٥.

[٦١]: ينظر جون لا ينز، علم الدلالة ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٦،ص ٦٤ – ٦٥.

[٦٢] : الحماسة، ص٥٩٩.

[٦٣] : الحماسة، ص٤٢٩.

[٦٤] : الحماسة، ص٥٨٨.

[٦٥] : الحماسة، ص٣٦١.

[٦٦] : الحماسة، ص٣٨٧.

[٦٧] : الحماسة، ص٥٧٧.

[٦٨] : الحماسة، ص٥٥٢.

[٦٩] : الحماسة، ص٥١٣.

[٧٠] : الحماسة، ص٣٦٦.

[٧١] : لسان العرب،١٤/ ٢٠٥.

[٧٢] : لسان العرب، ١٧٦/١٢.

[٧٣] : www.almaany.com .

[٧٤] : لسان العرب، ١٤/ ٣٨٨.

[٧٥] : لسان العرب، ١٠/ ٣٢٥.

[٧٦] : لسان العرب،١٩١/١٤.

[٧٧] : لسان العرب:١٦١/١٥.

[٧٨] : ينظر محمد جعفر محيسن،الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم،ص ٢٦.

[٧٩] : الحماسة، ص٥٥٧.

[٨٠] : الحماسة، ص٥٣٧.

[٨١] : إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة،١٩٨٤، ص ١٠٧.

[٨٢] : الحماسة، ص٥١٩.

[٨٣] : الحماسة، ص٦٠٩.

[٨٤] : الحماسة، ص٥٤٩.

[٨٥] : ينظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ٢٠١٩،ص ١٦٨.

[٨٦]: ينظر ستيفن اولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ص ٦٢ –٦٣.

[٨٧]: ينظر بسام بركة، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية، الفكر الغربي المعاصر،ع ١٨–١٩، ١٩٨٢، ص ٦٧.

[٨٨]: ينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، كلية الآداب، جامعة الكويت، ص ١٧٩.

[٨٩]:ينظر محمود السعران، علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٣٨.

٦: ينظر داود عبدة، دراسات في علم اللغة النفسي، جامعة الكويت،١٩٨٤،ص ٤١-٤٤.

[٩١] : الحماسة، ص ٣٨٠.

[٩٢] : الحماسة، ص ٣٩٤.

[٩٣] : الحماسة، ص٥٩٩.

[٩٤] : الحماسة، ص٣٧١.

[٩٥] : الحماسة، ص٥٩١.

٨: ينظر مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانكلومصرية، تمام حسان، ١٩٩٠، ص٢٧٦.

٩: ينظر، علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر،ص ٥٤.

[٩٨] : الإبلاغيّة في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت ،باريس، ١٩٩١م، ط١، ص١٣.

[٩٩] : ينظر نوال زرزور، ابن جني وعلم الدلالة، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨،ص ٥٢.

[١٠٠] : الحماسة، ص٥٤٧.

[١٠١]: ينظر محمد حسين علي الصغير،الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية،ص ٢٣٧.

[١٠٢] : الحماسة، ص٦٠٠.

[١٠٣] : الحماسة، ص٦٠٣.

المصادر والمراجع:

١- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٣م، ط٣.

٢- تشكيل الخطاب الشعري- دراسات في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٥،ط٢.

٣- التصوير البياني- دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة،٢٠٠٢م، ط٦.

٤- الحماسة البصرية، تأليف العلامة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٥- الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٦٩ م،ط٣.

٦- دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفي، ترجمة كمال بشر،١٩٦٢م، ط٢.

٧- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي،١٩٧٨م،ط٣.

٨- الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، د.وجدان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٣م، د.ط.

٩- الصورة الفنية معياراً نقدياً، د.عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٧م،د.ط.

١٠- في النص الأدبي-دراسات أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م،ط٣.

١١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،العلامة محمد علي التهانوي، ت رفيق العجم-علي دحروج، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٦م،ط١.

١٢. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ط١.

الأطاريح:

- التصوير البياني في حماسة أبي تمام - دراسة بلاغية تحليلية موازنة، عيسى بن صلاح الرحبي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.

التأصيل اللغوي لبنية (مفعال) في القرآن الكريم

مقاربة صوتية – صرفية دلالية

م.د. زينب هاشم حسين

جامعة بغداد/ كلية التربية للعلوم الإنسانية –ابن رشد

zainab.hashim@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص

إن اسم الآلة من الموضوعات القديمة الجديدة ، التي ما أغلق البحث فيها ، ولم يزل الباحثون والدارسون يشتقون لها أوزاناً جديدة ، ويضعون لها أسماءً محدّثة لا ضابط لها ولا أصل لها ، وذلك لتعالق هذا الاسم مع متغيرات العصر وما ينتابه من حداثة وتطور سريعين بفعل تطور الصناعة وتعدد الآلات التي تعكس حالة من رفاهية المجتمع وتمدنه ، ولكننا نجد أن القرآن الكريم مليئاً بأسماء الآلات المعروفة والمستعملة حتى الآن : كالميزان والمفتاح والمصباح ، وغيره أو قليلة مهملة في الوقت الحاضر كالمِنسأة ، والصواع ، وغيره ، وفيه ما جاء على القياس ، ومما أقره المحدثون ، ومما كان جامداً لا أصل له ولا ضابط كالتابوت والعصا .

وهذه الدراسة تتناول وزنًا من أوزان اسم الآلة تناولاً مغايراً لما سبقها ، فهي تتعامل معه من جذره اللغوي ، وأصواته وعلاقتها بالمعنى ، ثم تنتقل للأبنية الصرفية لتسلط الضوء منها على بناء الآلة خصوصا ، وما يتعالق معه في الاستعمال القرآني ، وقد وصلت هذه الدراسة إلى عدّة معطيات وإشارات مهمة لا بد من تسليط الضوء عليها بالتفصيل في ثنايا البحث ، وإيجازها بخلاصة واضحة في ختام البحث ، علماً أن الدراسة لم تستوعب أوزان (مفعال) الوارد في القرآن فهدف الدراسة لم يكن إحصائياً ، بل تأصيلياً في أغلب جوانبه.

ونظر البحث في سياق السورة الكامل حين تابع مقولات المفسرين ، ولذلك نجده يفضل سياق السورة أحياناً على إجماع المفسرين كما في صيغة (مِحراب) في سورة سبأ ، هي اسم آلة لما يُحارب به ، أي نوع من السلاح ، وليس كما ذهب الأغلب بأنها غرف أو خلوات ، لأن سياق السورة وخصوصيات الآيات الواردة – كما فصّلنا في البحث – تؤكد أن المراد بـ (المِحراب) هو نوع من الأسلحة.

ومن دقة الاستعمال القرآني التي وضحها البحث أن يأتي بلفظين يبدوان مترادفين لكن القرآن أورد كلٌّ منهما لهدف مقصود ، كما في (المكيال والميزان) فقد وردا معاً لأنه أراد شمول كافة ما يوزن بالمكيال أو بالميزان ، تقريراً للإيفاء بكل ما يُوزن أو يُكال ، وعدم بخس شيء منهما ، وليس في الكلام تكريراً غرضه التوكيد ، بل هما مقصودان بذاتهما.

وأخيرا كان البحث مهتماً بالأصل الحقيقي للألفاظ ٠التي جاءت على زنة (مفعال)، وقد تمكن من النصّ على أن بعضها لم يكن عربي الأصل بل تنوعت الأصول بين الحبشية والسريالية والعبرية ، وقد كان الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ متعالقاً أحياناً مع خصوصيات مقامية أشار لها البحث بالتفصيل.

اسم الآلة ، تعريفه ، وأوزانه [١]

ذكره سيبويه في باب " ما عالجت به " ، وذكره صاحب المفصل بقوله : اسم ما يُعالج به ، **فاسم الآلة هو** : ما يُعالج به الفاعل المفعول به لوصول الأثر إليه – إي إلى المفعول ، مثل المنحت : يُعالج به النجار لوصول الأثر إلى الخشب .

وعرّفه المحدثون تعريفاً اشتقاقياً : بأنه اسم مصوغ من مصدر ثلاثي ، لما وقع الفعل بواسطته .

وله أوزان قياسية ، هي : ثلاثة (مِفْعال ، ، ومِفعل ، ومِفعلة) بكسر الميم فيها ، والتي ورد في القرآن منها أمثلة عدّة : كالمِفتاح ، والمِصباح ، والمِكيال ، والمِرفق ، والمِنسأة ، وغيره.

وهناك صيغٌ أخرى أقرها المحدثون لكثرة الاستعمال والحاجة لها ، مثل فاعلة كساقية ، وفاعول كساطور ، وفعّالة كثلّاجة ، ومنه ما جاء في القرآن ، مثل : ناقور .

وقد خرج عن القياس ألفاظ منها : مُسعُط ، ومُنخُل ، ومُنصُل ، وغيرها . بضم الميم والعين .

وقد أتى جامداً غير مشتق من أفعال على أوزان شتى لا ضابط لها كالفاس ، والقَدوم ، والسكين ، وهلم جرّا

وقد ورد منه أمثلة في القرآن : مثل العصا ، التابوت ، الصواع .

أولاً : ما جاء على زِنة (مفعال)[٢] ، ومنه :

إن مِفعال ، ومِفعل ، ومِفعلة يدلّ على الأداة من دون قيد آخر أو زيادة في المعنى [٣].

بناء (مفعال) في القرآن ، الأمثلة ، والتأصيل :

١- **(مثقال) :**

مثقال : من الجذر الثلاثي (ثقل) .

المعنى المعجمي (المركزي) وهوامشه الدلالية :

(ثُقُل) الشيء ثِقَلاً كعِنَب ، والثقل نقيض الخفة ، فهما متقابلان فكلُّ ما يترجح على ما يوزن به أو يُقدّر به هو ثقيل ، وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني ، نحو أثقله الغرم ، والوزر . وقد أثقله الحمل بالألف : أجهده ، وثقّل الشيء : جعله ثقيلاً ، يقولون : أثقلت المرأة فهي مثقل ، أي : ثقل حملها في بطنها ، والثَّقَلُ : المتاع ، والثقل : الذنب ، وصف بذلك لثقل حمله ، ومنه في التنزيل قوله تعالى : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[٤]، يعني أوزارهم وأوزار من أضلوا ، وهي : الآثام ، والأمر الثقيل : العظيم ، ومنه في التنزيل : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[٥] ، يعني الوحي الذي أنزله الله عليه (ص) جعله ثقلاً من جهة عظم قدره وجلال قدره وأنه ليس بسفساف الكلام الذي يُستخف به. والثَّقلان : الجن والإنس[٦].

إن **المعنى الحقيقي (المركزي)** لهذه المادة (ث ق ل) هو واحد ، وهو خلاف الخفة ، وتبرز مركزية هذا المعنى في انجذاب الشيء المحمول إلى الأرض أو إلى الأسفل بقدر وزن مادته ، وهو مفهوم كلي شامل لكل ما يثْقُل ، وتتبيَّن معانيه الهامشية في : الثقل الظاهري (المادي المعتاد)، أو المعنوي ، أو العرفي ، أو النسبي . وقد استعملت مفردات هذا البنية في القرآن في أغلب هذه المعاني ،

فالظاهري المادي في قوله تعالى : ﴿وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾[٧] ، والمعنوي كثقل الذنب – كما مثلنا سابقاً – ، والعرفي كثقل الأمر أي صعوبته ومنه ما جاء في التنزيل : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾[٨] ، أي شديداً صعباً ، والنسبي في قوله : " ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾[٩] ، والثقلان : الجن والأنس سميا بذلك لعظم شأنهما مقارنة مع غيرهما مما في الأرض ، وذلك بسبب التكليف[١٠].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الثاء لنفاذ دِقاق بكثافة – أي حدوث حفيف أو احتكاك مسموع بسبب تضييق مجرى الهواء عند النطق ، والقاف للتعبير عن التعقد في العمق – أي : حبس النفس في موضع ما من آلة النطق فينضغط الهواء خلف ذلك الموضع ثم ينطلق النفس المضغوط عند انفصال عضوي النطق سريعا ، والفصل من (الثاء والقاف وما يثلثهما) يُعبر عن خروج شيء غليظ أو كثيف من العمق ، واللام معهما تعبر عن إمساك واستقلال ، (فالنفس لا ينحصر وإنما يجري مع قيام عائق في طريق النفس عند النطق به ، فيعبر التركيب معها (اللام) عن إمساك الجرم بغليظ في جوفه فيثقل ، فهذا هو الثقل (ضد الخفة) [١١].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

الثِّقَل : مصدر الثقيل ، كالصِّغر والكِبَر ، ثقل الشيء ثقلاً وثقالة فهو ثقيل ، والجمع أثقال أو ثقال ، وثُقُل الحملُ عليه ، وأثقله الحملَ ، واستثقله رآه ثقيلاً ، وإثّاقلتم إلى الأرض من التفاعل وأصل تثاقلتم ، وتدل الصيغة على حصول الاستمرار ، والثُّقَل كـ حَسَن : صفة مشبهة وهي لكل شيء رزين أو خطير أو نفيس.

والمِثقال – مِفعال : صيغة للآلة أي ما يوزن به الشيء ، والمِثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع الدرهم وكل سبعة مثاقيل عشرة دراهم ، قال الفارابي : مِثقال الشيء ميزانه من مثله ، ويقال : أعطه ثِقلَهُ وِزان حِملٍ أي وزنه ، ومعنى الآلة في الأفعال اللازمة يرجع إلى خصوصية أو صفة في نفس الشيء ، وما يَثقل به الشيء عبارة عن الثِّقل الذي فيه [١٢].

الاستعمال القرآني لاسم الآلة (مثقال) :

وقد وردت لفظة (مِثقال) في القرآن الكريم في المواضع الآتية[١٣] :

١. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١٤]

٢. ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١٥]

٣. ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[١٦]

٤. ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[١٧]

٥. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١٨]

٦. ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[١٩].

٧. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٢٠].

فالمثقال : ما يُعرف به ثِقَل الشيء ، وهو ما يُقَدَّر به الوزن ، وهو كميزان زنةً ومعنًى .

والذرة : النملة الصغيرة في ابتداء حياتها ، ومثقال ذرة : مثل في أقل القلة[٢١].

٢- (مِحراب) أو (مِحرب): من (حرب)

المعنى المعجمي (المركزي) وهوامشه الدلالية :

محراب جذره الثلاثي (حرب) ، ولهذا الأصول عِدة معاني ، هي: السلب ، والدويّبة المعروفة ، وبعض المجالس ، والحَربة بالفتح : الآلة دون الرمح ، وهي آلة الحرب وأصله الحَربة كفَعلة من الحَرْب أو من الحِراب ، وسِنان مُحَرّب أي محدد مؤلل ، فالحرب : بمعنى السلّب ، وهي مشتقة من الحَرَب ، يُقال حربته ماله ، وحُرِبَ ماله ، أي سُلِب في الحرب.

أمّا الدُّويّبة : فهي الحرباء ، يُقال أرض مُحربة إذا كثر حِرباؤها ، والمحِراب : صدر المجالس ، والجمع محاريب ، ويقولون : المِحراب الغرفة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي

آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢٢].

وسُميت الحرب حرباً نسبةً إلى معنى السلب ، فقد كان السلب أهم أهدافها ، وهي مشتقة من الحَرَب ، أو من الحَرْب ، ففيها تسلب الأرواح والأموال بحدّة وشدّة[٢٣] ، قال تعالى :﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٢٤].

فالمعنى المركزي لهذه المادة هو : السلّب بحدة وشدّة ، أي سلّب الشيء أو سحبه بقوة وحدّة ، كسن الحرْبة ، فيكون محدداً كرأس المثلث بعدما كان عريضاً ، وهذا يحتاج إلى أن يُستدق شيئاً بعد شيء بالقطع والسلب ، والحِرباء سميت بذلك لأنها مُسَنَّمة الظهر والرأس وهذا المفهوم إن استدام واستمر يعبّر عنه بالمحاربة ، فإهلاك النفس منظوراً أساسياً ومقصوداً في مقام المحاربة ، وهو يحتاج إلى عمل كثير ومقابلة مستديمة شديدة ، ينتج عنها إتلاف المال وسلبه وإهلاك الأرواح وإرهاق الدماء.

ويؤيد سائر مشتقات المادّة من التحارب والاحتراب والمِحرب والتحريب وغيرها ، فالمحراب سُمي محراباً لأنه فيه يُحارب الإنسان الشيطان أو يُحارب نفسه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢٥] ، وقيل سمي بذلك لأنه من أشرف المجالس ومقدمة القصور التي يُحارب من أجلها وإبقاءً لشرفها[٢٦].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الحاء للاحتكاك بجفاف وعرض ؛ فهو مهموس رخو ينتج عند النطق به تضييق لمجرى الهواء فينشأ حدوث حفيف واحتكاك مسموع بعَرض جاف وقوة ، والراء للاسترسال فالصوت يخرج منه بلا انفجار أو احتكاك عند المخرج فهو صوتٌ مسترسل مائع ، لكن التكرر والتردد في نطق الراء يؤدي إلى إنتاجه بقوة تنسجم مع قوة احتكاك الحاء ، والفصل منهما يُعبر عن خلوص الشيء وسلبه من الغليظ بكشفه وإزاحته بعيداً (كما في حرّ الأرض وخلوص الخيط من الحرير الغليظ ، وهذا الخلوص لا يكون إلا بحدة أو شدة ، ولا ريب أن مجاورتهما لصوت الباء المجهور يجعله مقارباً للجهر فالباء صوت شديد مجهور يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، فإضافة الباء للحاء والراء للتعبير عن ضمّ أو تضام بعد ما أُخذ أو خرج من الشيء كشكل الحربة[٢٧] .

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

حَرِبَ حرباً من باب تَعِب : أخذ جميع ماله ، فهو حريب ، وحُرب بالبناء للمجهول فهو محروب ، والحَرب : المقاتلة والمنازلة ، وحرَّبت السنان إذا حددته ، وحَرِب الرجل ، إذا اشتد غضبه ، وحرّبته : أغضبته ، والحَربة : آلة الحرب سوى الرمح ، والحارب : المشلح الغاصب الذي يسلب الناس أموالهم ، فقد حَرِب الرجل يحربه : أخذ ماله وتركه بلا شيء، وحريبة الرجل : ماله الذي يعيش به ، ورجل محراب : شجاع قؤوم بأمر الحرب ، وكذلك الرجل الحَرب ، ورجلٌ محرِب أي صاحب حروب ، وهو محرَب ومحراب : إذا كان صاحب حرب يسعرها ، والمحراب : صدر البيت وأشرف موضع فيه ، وقيل الغرفة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[٢٨] ، والمحراب من الأصل : عُنق الدابة – يمتد من الجسم مستدِق الأعلى ، وكذلك المحراب : مأوى الأسد تكون في قمة الجبل ، فالمحراب – على الأصل – خلوة مرتفعة ينفرد فيها الإنسان ، وقد فسّر المحراب بالقصر ، أو المسجد ، ويصح إطلاقه على المكان الذي يُخصص لكبير القوم بكونه مرتفعاً أو في الصدر ، ومثله محراب المسجد للأمام .

والمحرِاب : (مفعال) ، ذكر صاحب تاج العروس في مادة (شقأ) " شقأ رأسه : شقه أو فرقه أي الرأس بالمشقأ كمحراب ... والمشقأ كمنبر والمشقأ مثل محراب والمشقأة مثل مكنسة " [٢٩]

إن كلام الزبيديّ في هذه المادة يُوحي أنه المشقأ وزناً واشتقاقاً مثل محراب ، أي وزنهما (مفعال) وصيغتهما اسم آلة ، وهذا ما ذهب إليه العلامة مصطفوي بقوله : " ثم إن المحراب مِفعال ومعناه ما يُحرب به ، أي ما يتحقق به الحدَّة عملاً وهذه الوسيلة في مقام المحاربة والتحديد مع العدّو عبارة عن الأسلحة وفي مقام المجاهدة مع النفس ومحاربة الهوى والحدّة في العبادة عن محلّ يستعد للعبادة ، من مسجد أو غرفة خالية "[٣٠] – ألا ترى أن زكريا قد اجتهد في العبادة لطلب عظيم ، وتحقيقه صعب أو مستحيل ، فاتخذ المحراب مكاناً لهذه العبادة الشديدة والتي كانت موضعاً أيضاً لشكر النعمة التي كانت شديدة أيضاً بترك الكثير من الملذات والانقطاع عن الناس والحياة وترك الكلام وسائر ما يمكن أن يلهيه عن عبادته وشكر نعمائه[٣١] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن

لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [٣٢]، وقال أيضاً في سورة مريم : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٣٣] .

فمِحراب حسب ما تقدم سمّي بذلك لسببين : أولهما لأنه مما يُحارب فيه أو يُحارب عنه ، وهو بذلك يُراد به المبالغة وتكرار الفعل في ذلك الموضع جعله اسماً للمكان ، أو كان التعبير باسم الآلة " إشارة إلى التوجه وبالمحاربة والمجاهدة والحدّة في العبادة والتوسل ، فإن القيام في مكان الحرب لا يدل على العمل بخلاف التوسل بآلة الحرب"[٣٤].

الاستعمال القرآني لاسم الآلة (محراب) :

إن صيغة (محراب) التي جاءت بمعنى اسم الآلة لم تأتِ إلا في موضع واحد ، وبصورة جمع التكسير (محاريب) ، لأن ما جاء في القرآن من صيغ (محراب) كانت تحمل دلالة اسم المكان بأجمعها ، لما فيه من معنى صدر المجالس أو أشرفها ، أو الغرفة المرتفعة ، وأخيراً بفعل سياقات استعمالها أصبحت في الغالب تطلق على الموضع الذي ينقطع فيه الإنسان إلى ربه بالعبادة والتسبيح والصلاة والذكر وحتى الصيام وعدم مكالمة الناس أو الاختلاط بهم .

ولفظة (محاريب) التي جاءت في قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور ﴾[٣٥] ، فقد أجمعت أغلب كتب التفاسير بتفسيرها بأن الجنّ كانوا يبنون لسليمان (ع) غُرفاً أو خَلَوات ، أو قصوراً ، ولعل هذا التفسير بعيدٌ عن سياق السورة ، وخصوصيات الآية وما ورد فيها من قرائن ينبغي لنا الالتفات لها ، لعل أولها أن القرآن استعمل الفعل (يعملون) ولم يقي يبنون أو يشيدون مما يناسب معنى الغُرف أو القصور وسائر الأبنية ، والذي يتناسب مع ما جاء معطوفاً على محاريب وهو مما يُعمل ويُصنع لا مما يبنى ويشيد ، كالتماثيل ، والجفان ، والقدور ، بل أنه يناسب سياق السورة العام الذي ينصب على الصنع والعمل ، وهذا ما نتدبره في الآيات السابقة لهذه الآية في سورة سبأ في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٣٦] ، نلحظ من الآيات السابقة أنها تتناول الصناعة من المعادن ونحوها كالحديد ، والقطر (النحاس المذاب) فالآلات المذكورة في الآية كانت مصنوعة من هذه المعادن ، فالسابغات الدروع الحديدية التي تُستعمل في الحرب ، والتماثيل هي صور موهومة للملائكة وللحيوان مثل الأسود ، وقيل أن سليمان كان له كرسي محفوفا بتماثيل أسود مصنوعة من نحاس مصقول ، والجفان جمع جفنة ، وهي آنية الماء الواسعة ، والقدور قدور الأطعمة ، وهي كلها أدوات مصنوعة من النحاس[٣٧] .

وهنا يحق لنا التساؤل : لماذا استعمل القرآن لفظة (محراب) ، وهو مما يُشيد ويبنى – على معنى الغُرفة أو الخلوة – مع ما يُصنع من أدوات من المعادن المنصوص على ذكرها وتحديد ماهيتها في السورة ، ولماذا استعملها جمعاً بصيغة منتهى الجموع (محاريب) في هذا الموضع فقط ، فهل كانت الخلوات والغُرف التي صُنعت لسليمان كثيرة ومتعددة إلى هذا الحدّ ؟؟؟

إن الأقرب لسياق الآية ، وما فيها من الآلات عديدة مصنوعة ، واستعمال الفعل (يعملون) دون غيره ، واستعمال صيغة منتهى الجموع يناسبها ما ذهب إليه العلامة مصطفوي من أن معنى

(محاريب) وهي جمع (محراب) السلاح ، أي آلة الحرب[٣٨] ، وهذا ما جوزه بعضهم[٣٩].

٣- (مِصباح)

المعنى المعجمي (المركزي) وهوامشه الدلالية :

صبح : الصبح : الفجر ، والصباح : أول النهار ، قال تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ، وهو وقت ما أحمرّ الأفق بحاجب الشمس ، فهو لون من الألوان أصله الحمرة ، قالوا صبحاً لحمرته ، وسمي المصباح مصباحاً لحمرته ، والصباح خلاف النهار ، والأصبح من الشَّعر : الذي يخالطه بياض بحمرة ، والصَبَح : بريق الحديد ونحوه [٤٠].

أي أن **المعنى الحقيقي (المركزي)** لهذه المادة (ص ب ح) هو اللون ، وتحول من الظلمة إلى النور ، فهو ضوء أو بياض ينتشر بقوة فيكشف الظلمة مادّية – (كالشعر الأبيض بين غيره) كانت أو معنوية (كالتبيّن في الخبر) ، فيُغلب ما يصادفه من ظلام أو بريق بحصول تنوّر ظاهري أو باطني.

ومن تحول السوّاد إلى بياض ، والظلمة إلى النور جاء معنى التحول والصيرورة ؛ فالإصباح نفسه تحول عن ظلام الليل ، فقيل: (أصبح) بمعنى (صار) [٤١]، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٤٢].

وقد استعمل هذا اللفظ (صبح) بمعناه الأصلي أو ببعض التنوعات الهامشية للمعنى [٤٣]، مثل : صبّح الرجل أبله أي سقاها ، ويوم الصباح : يوم الغارة باعتبار وقوع السقيّ والغارة أول طلوع الفجر ، واستعماله في معنى التحول والصيرورة لما كان الإصباح يأتي بعد ظلام الليل الذي يغشي الكون ؛ فيأتي الصباح ليحول الظلمة إلى نور والسواد إلى بياض ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٤٤] ، وقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾[٤٥] ؛ فدلالة الآيات الكريمة انحصرت بمجرد التحول من حالة إلى حالة ، كما أن الإصباح قد يكون في مادياً متجلياً ، كقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[٤٦] ، أو معنوياً خفياً كقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤٧].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الصاد صوت رخو مهموس مطبق ، ويحدث فيها بعض الجهر لمقاربتها الزاي في اللفظ ، فالصوت ينطلق بامتداد قوي يحدث صفيراً بسبب نسبة الاحتكاك العالية عند النطق بحرف الصاد ، فلا يتذبذب الوتران عند النطق به حين يكون مهموساً تماما ، ويقارب الجهر إذا تذبذب الوتران عند نطقه ، ولا ريب أن مجاورته لصوت الباء المجهور يجعله مقارباً للجهر فالباء صوت شديد مجهور يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، وامتداد الهواء بصوت الصاد وشدته بصوت الباء مع تقاربهما يُعبر عن امتداد متدرج بقوة ، والحاء الذي يثلثهما صوت مهموس رخو ينتج عند النطق به تضييق لمجرى الهواء فينشأ حدوث حفيف واحتكاك مسموع بعَرض جاف وقوة مع صوتي الصاد والباء

فيُعبر التركيب عن وضوح عريض يعروه كثيفاً مجتمعاً (الظلمة أو السواد) كما يعرو ضوء الصبح ظلام الليل الكثيف ، وكالشعر الأبيض والأحمر في الأسود[٤٨].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

تعددت أبنية (صبح) وتمايزت بمعاني دلالية عديدة ، فمنه الصّبحُ وهو اسم مصدر جُعل اسماً لزمان الصباح ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[٤٩] ، والإصباح مصدر أصبح ، قال تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[٥٠]، والمُصبح ضد الممسى ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٥١]، وصبحتُ القوم صَبْحاً : أغرت عليهم صباحاً ، قال تعالى : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾[٥٢] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾[٥٣] ، وصبحتُ صبوحاً سقيتك صبوحاً بالصباح ، واصطبح شرب صبوحاً ، والصَّبحَان المصطبح ، وصبّحه بالخير : دعا له ، وصبحتُ المصباح : أوقدته أو أسرجته ، وأصبحتُ عن الخبر : بينته ، وأصبح الصبحُ : ظهر ، وأصبحنا دخلنا في الصباح – وهذا إذا كان (أصبح) تاماً ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾[٥٤] ؛ فإن كان ناقصاً صار بمعنى التحويل والصيرورة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[٥٥]، والصبوح ما شُرب أو أُكل صبحاً ، والصُّبحة نومة الغداة ، أو وقت الضحى، وتصبّح الرجل نام بالغداة ، والرجل صابح إذا سقى إبله بَكِراً ، والصَّبَح ضوء النار ، والصُّبحة لون بياض فيه حمرة كَدِرة ، ورجلٌ صبيح بيّن الصباحة جميلاً ، وصبُح الشيء أي جَمُل ، وقيل : صَبُحَ فلانٌ أي وَضُؤ ، والمَصْبَح : موضع الإصباح ، وصبيحة اليوم أوله ، واستصبحتُ بالمصباح : نوّرتُ به ، والمِصْبح : بالكسر : المِسرجة ، والمِصباح : السراج وهو آلة الإضاءة ، والصَّباحُ نفس السراج ، فهو مما يكون به التنور وانكشاف الظلام [٥٦].

الاستعمال القرآني للاسم الآلة (مصباح) :

استعمل القرآن اسم الآلة (مصباح) في ثلاثة مواضع ، اثنان في سورة النور في قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٥٧]

والآخر في سورة الملك في قوله تعالى :

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [٥٨].

استعمل القرآن المصباح بمعنيين الجامع بينهما التنور وانكشاف الظلمة ، المعنى الأول في سورة النور فالله سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض وهو" حقيقة ظهور الوجود الفائض المتجلِّي ... ، وهذا النور هو المصباح المتجلي في الزجاجة الفانية فيه، فكأنه سراج ضخم ثاقب ، فلا يُرى في الزجاجة ولا في المشكوة إلا النور ، وهذا في طبقات التكوين من عالم العقول الفانية الصرفة ، ثم سائر المكوّنات" [٥٩]، والمشكاة : هي الكوّة بلسان أهل الحبشة – فهي ليست عربية مشتقة على زنة (مفعلة كمكنسة ومرماة من شكو الدال على الشكاية لعدم تناسب المعنى المعجمي الأصلي لجذر المادة (ش ك و) ومعنى المصباح في الآية ، فالمشكاة : كل كوة – غير نافذة هي مشكاة ، وهي فجوة محدودة الحجم في جدار أو نحوه ، والمشكاة في الآية هي عوالم السماوات والأرض ، ونور الله متجليّ منبسط فيهما ، وقالوا إن المشكاة في الآية هي قلب المؤمن.

قال ابن عاشور في تفسير الآية : " والمصباح اسم للإناء الذي يوقد فيه الزيت للإنارة ، وهو من صيغ أسماء الآلات مثل المفتاح ، وهو مشتق من اسم الصبح ، أي ابتداء ضوء النهار ، فالمصباح آلة الإصباح أي الإضاءة . وإذا كان المشكاة اسما للقُصيبة التي توضع في جوف القنديل كان المصباح مرادا به الفتيلة التي توضع في تلك القُصيبة" [٦٠]، ولا ريب أن الاستعمال القرآني أراد بلفظة المصباح آلة الإصباح والتنوير وانكشاف الظُلَم[٦١] .

أما قوله تعالى " وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" فهو أيضاً بمعنى التنور وانكشاف الظلمة ، لكنه في السماء الدنيا المادية وهي عبارة عن الشمس وشموس أُخر ، فمصابيح النجوم أعلام الكواكب الثابتة المنيرة ما حولها، وسميت مصابيح لإضاءتها ، ولكنها مصابيح لا توازيها مصابيح الدنيا إضاءة[٦٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[٦٣].

٤- **مِعراج** ، جذره الثلاثي : (عرج)

المعنى المعجمي (المركزي) وهوامشه الدلالية :

العرج : من معانيه الدلالة على ميل إذا كان من علّة لازمة أو عارضة ، فاللازمة من عرِج يعرَج فهو أعرج – عرجاء ، فيقال للغراب أعرج لأنه إذا مشي خجل ، والعارضة من عرَج يعرُج من باب قتل ، إذا لم من شيء أصابه حتى غمز في مشيه ، فهو عارج ، والعِرْج من الإبل : القطيع الضخم أقله سبعون وأكثره ألف ، والعروج : الارتقاء والصعود [٦٤].

فالمعنى المركزي للفظ (عرج) الخروج عن الاستواء إما بعلو وارتفاع أو بنشوز وميل إلى جانب ، كما يبدو في مشي الأعرج وما فيه من صعود وارتفاع في البدن ظاهر في أحد جوانبه ، وانعراج الطريق والوادي إلى جانب غير الجانب المستوي ، والعروج خروج عن الاستواء بعلو ورفعة ، ومنه الحد العالي من عدد الإبل إذا اجتمع في مورد واحد[٦٥].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

تعبر العين عن التحام وعمق في رقة مع حدّة ما ، فالعين من الأصوات المتوسطة التي تقع بين الشدّة والرخاوة فالنفس عند النطق بها لا ينحصر انحصاراً شديداً إنما يجد له منفذاً يجري فيه برقة ، وفي العين تردد يشبه تردد الحاء وهذا ينسجم مع الراء وما فيها من تردد وتكرار والراء للاسترسال فالصوت يخرج منه بلا انفجار أو احتكاك عند المخرج فهو صوتٌ مسترسل مائع ، والفصل منهما يُعبر عن حدة في الأثناء ينفذ أثرها إلى الظاهر تجرداً أو بروزاً ، والجيم في (عرج) تعبر عن جرم كبير غير شديد ، ففي بداية النطق بالجيم صوت (وقفة) ينحبس الهواء عندها ثم يعقبه مرور بطيء للهواء يصدر احتكاكاً مسموعاً انفجارياً ، ويُعبر التركيب عن نشوز عن الاطراد (الاستواء) – أي انثناء عنه – والانثناء من صور التجمع ومنه المثنى – كما في انعراج الشيء ميله ، ومشية الأعرج[٦٦].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

عرِج الرجلُ يعرَج إذا كان أعرجاً وكان عرجه لازماً ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٦٧] ، وعرَج يعرُج إذا عرض له شيء أصابه فغمز في مشيه فهو عارج ، وفلان يتعارج إذا مشى مشية تحاكي مشية الأعرج ، والعرّجاء : الضبع وذلك خلقة فيها ، والغراب أعرج لأنه إذا مشى حجل ، والأعرج : حيّة صماء لا تقبل الرُّقية فتطفر ، الجمع في الحيوان (عُرج) ، أما جمع الأعرج من الناس العُرجان ، وانعرج الطريق إذا مال ، ومنعرج الوادي : ميله يميناً ويساراً ، وعرج يعرُج عروجاً ومعرجاً إذا ارتقى وصعد ، ألا ترى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾[٦٨] ، وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾[٦٩] فجعل يعرج مقابلاً لينزل لأنه بمعنى يصعد ، فالمعرَج : المصعد ، والمِعراج : شبه السلم أو درجة يُعرج عليه ، وجمع المِعرج المعارج ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[٧٠] ، والمِعراج يجمع على معارج ومعاريج .

فالمِعرَج أسم مكان ، والمِعراج اسم الآلة : بمعنى ما فيه يتحقق العروج إي الصعود [٧١].

الاستعمال القرآني لاسم الآلة (معراج) :

استعمل التعبير القرآني لفظ (المعراج) ، بوصفه صيغة لاسم الآلة مجموعاً جمع تكسيرٍ على زنة (مفاعل) وهي (معارج) في عدّة مواضع من القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[٧٢] ، وقوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾[٧٣].

ومعارج في الآيتين المباركتين جمع لمِعراج ، أو مِعرج ، وهو الدرج أو السلم الذي يُعرج به إلى العلالي ، وهو اسم آلة بمعنى ما فيه أو به يتحقق العُروج أي انتهاء الصعود ، والمعارج في الآية الأولى معارج مادية مجعولة على بيوتهم ، ألا ترى أنه قال (عليها يظهرون) أي يصعدون أو يتسورون ، أما في الآية الثانية فالمعارج روحية معنوية فقد أجرى وصف (ذي المعارج) على اسم الجلالة لاستحضار عظمته وإشارة إلى مقام الكبرياء له تعالى ، وللإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه ، وهذه المعارج هي عبارة عن حقائق ومبادئ المعارف الروحانية ، والمقامات النورانيّة ، فمعرفة كل واحد منها بحر من العلم بالله عزوجل وبأنبيائه وأولياءه وخلقه ، وهذه هي الرتب الرفيعة والمقامات المتعالية التي يعرج عليها السالك إلى الله وإلى لقاءه ، إلا تراه قال بعد الآية المباركة : ﴿

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٧٤] ، ففيها بيان أن المعارج من الرفعة الاعتبارية التي بها ترتقي الملائكة ، مما دلّ على قرب منازل التشريف ، فالله يُعرج إليه بإذنه ، وبذلك وصف نفسه (بذي المعارج) أي : أنه صاحبها وجاعلها ، وهو يناظر قوله (ذو العرش)[٧٥].

٥- مِفتح (مِفعل) ، الجذر اللغوي له (فتح)

المعنى المعجمي المركزي وهوامشه الدلالية :

الفتح نقيض الإغلاق ، وباب فُتْح : أي واسع مفتح ، وقارورة فتح واسعة الرأس بلا صمام ولا غلاف ، والفتح : الماء المفتح إلى الأرض ليُسقى به ، والفَتح : افتتاح باب الحرب.

فالفتح إزالة الإغلاق والإشكال ، وهو خلاف الإغلاق ، يُقال : فتحت الباب وغيره ، ثمّ يحمل على هذا سائر ما اشتق من هذا البناء.

والفتح على ضربين ، ما يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾[٧٦] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾[٧٧] ، وما يُدرك بالبصيرة كفتح الهم وإزالته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٧٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[٧٩] ، والفتح : النصر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٠] ، والفتح : القضاء والحكم [٨١]، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[٨٢].

فالمعنى المركزي لهذه المادة : هو ما يُقابل الإغلاق ، والحُجب ، والسدّ ، وهو معنى وارد في الأمور المعنوية والمادية ، والفتح : فُرجة تتيح النفاذ إلى محيط الشيء بقوة واتساع ، فما يفتح المغلق هو أشدّ نفاذاً ؛ لأن الغلق أخر مرتبة من الردم والسدّ والحجر والمنع[٨٣].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الفاء صوتٌ رخوٌ احتكاكي وهو ينتج من تقارب شديد بين عضوين من أعضاء النطق مما يؤدي إلى تضييق مجرى الهواء وحدوث حفيف واحتكاك مسموع ؛ لذلك نجد أن الفاء تُعبر عن إبعاد ونفي أو إنفراج ينسجم مع ما يتلوه من صوت التاء الإنفجاري الشديد الذي ينتج بعد حبس النفس حبسا

تاما في موضع النطق ثم إطلاق النفس سريعا فيحدث صوتاً انفجارياً واضحاً ؛ لذلك فإن التاء يُعبر عن ضغط بدقة ، والفصل منهما – أي الفاء والتاء ، يُعبر عن تكسير أو تقطيع لما هو هش دقيق التماسك بضغطه كما في تفتيت الخبز ، ويُضاف لهما الحاء وهو صوت مهموس رخو ينتج عند النطق به تضييق لمجرى الهواء فينشأ حدوث حفيف واحتكاك مسموع بعَرض جاف وقوة ؛ فيُعبر التركيب عن فرجة في الشيء قوية نافذة يبرز منها ما في الجوف [٨٤].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

فتحت الباب فانفتح : فرجته فانفرج ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾[٨٥] ، وكل ما انكشف عن شيء انفتح عنه ، وباب مفتوح ، وفتحت القناة فَتْحاً : فجّرتها ، وتفتحت الأكمة عن النور ، وفَتَحَ الحاكم : قضى – وهو القضاء الحق في مورد جهل ولبس وخفاء ، قال تعالى :﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨٦] ، فهو فاتحٌ ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[٨٧] ، وفتّاح (مبالغةٌ) ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[٨٨] ، وفَتَح البلاد ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ ﴾[٨٩] ، واستفتحت : استنصرت ، قال تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ ﴾[٩٠] ، وفاتحة الكتاب لأنه يُفتتح بها القراءة ، والفُتحةُ : الفُرجة والجمع فُتَحٌ كغُرفٌ ، وفُتِح على فلان : أقبلت عليه الدنيا بخيرها، وباب فُتُح أي مفتوح ، وناقة فَتُوح : أي واسعة الأحاليل .

والمفتاح : ما يُفتح به ، وهو الذي يُفتح به المغلاق ، و(المُفتح) مثله ، ومنه بمعنى الكنز ، وكأنه مقصورٌ من مفتاح ، وجمع (مفتاح) مفاتيح ، وجمع (مِفتح) أو (مُفتح) مفاتح .

الاستعمال القرآني لاسم الآلة (مِفتح) :

لم يستعمل القرآن هذا اللفظ إلا مجموعاً بصيغة (مفاتح)[٩١] وهو جمع لـ (مِفتح) أو(مُفتح) كما بينّا ، وذلك في ثلاث مواضع : الأول كان في المعنويات ، وهو في قوله تعالى :

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٩٢]

فقوله: " (مفاتح الغيب) هنا استعارة تخييلية تنبني على مكنية بأن شُبِّهت الأمور المغيّبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلاّ الذي بيده مفاتحها ، ... والقرينة هي إضافة المفاتح إلى الغيب ، فقوله " وعنده مفاتح الغيب" بمنزلة أن يقول : عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره ، ومفاتح الغيب جمع مضاف يعمّ كل المغيبات ، لأن علمها كلها خاص به تعالى ... وقيل المفاتح جمع مَفتَح – بفتح الميم – وهو البيت أو المخزن الذي من شأنه أن يُغلق على ما فيه ثم يُفتح عند الحاجة إلى ما فيه ... فيكون استعارة مصرّحة والمشبَّه هو العلم بالغيب شبّه في إحاطته وحَجبه المغيّبات ببيت الخزن تشبيه معقول بمحسوس " [٩٣]

والثاني : في الماديات ، وهو مما يُدرك بالبصر :

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٩٤] ؛ فتملك المفتاح يعني أن يكون مسلطاً على البيت من عند مالكه ،أي أُريد به حفظها بقرينة إضافته إلى المفاتيح دون الدور أو الحوائط ، فيكون الفتح اختياره ، والمفاتح ، جمع (مُفْتح) وهو اسم آلة الفتح[٩٥] .

والثالث : في الفتح ، من موارد فُتح على فلان : أقبلت عليه الدنيا بكل خيرها ، وذلك في وصف قارون في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[٩٦] ، فقد استعمل القرآن الكنوز بلفظ الجمع ، فلم يكن كنزاً واحداً ، وهو يُراد به مختزن المال من صندوق أو خزانة ، وتقّدم في سورة هود قوله تعالى "لولا انزل عليه كنز" ، ومقداره خزانة أو صندوق يسعه ، ولكل صندوق أو خزانه مفتاحه ، فكثرة المفاتيح في الآية كناية عن كثرة الخزائن ، بدليل قوله (تنوء) ، والفاعل (العصبة) الذين يقدّر عددهم من عشرة إلى خمسة عشر ، وكله كناية عن وفرة المال[٩٧].

٦- مِكيال ، من (كيل) :

المعنى المعجمي المركزي وهوامشه الدلالية :

الكيل : كيل الطعام ، كال الطعام : البرُّ ونحوه باع ، كال الزَّند يكيل : إذا كبا ولم يُخرج ناراً فشبّه مؤخر صُفوف الحرب به ، لأنه من كان في لا يكاد يقاتل ، والكيل : ما يتناثر من الزند ، والفرس يكايل الفرس في الجري إذا عارضه وباراه ، كأنه يكيل له من جَريه مثل ما يكيل له الآخر ، ويُقال : كلتُ فلان بفلان إذا قِسته به ، والكيُّول : ما أشرف من الأرض تقوم فوقه حال اشتباك القتال بالسيوف ونحوها ، فتنظر ما يصنع غيرك[٩٨].

فالمعنى المركزي لهذه المادة (كيل) هو : ضبط الشيء ما فيه – أي إمساكه ما فيه لا يُخرجه . كما يُمسك الزند الكابي ناره لا يخرجها ، وكما يضبط المكيال الحب في جوفه حتى يستوي قدْراً معيناً ، والواقف في الكيّول يختزن جهده لا يبذله .

فالأصل الواحد فيه تعيين مقدار الشيء وكميته بآلة معدّة لذلك .

وهذه الآلة تطلق أيضاً في غير موارد الكيل والوزن كموارد المقايسة والمعارضة ، **واللغة مأخوذة من السريانية والعبريّة** ، كِيّل ، كيلا ، كَيل : قياس ، معايرة ، مقياس[٩٩].

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الكاف صوتٌ طبقي مجهور أو مهموس ، إلا أنه لمجاورته الياء (في كيل) يُرقق ويكون أقرب إلى الهمس من الجهر ، وتعبر الكاف عن ضغط غُئوري دقيق ، واللام صوتٌ متوسط بين الجهر والهمس ولكنه مرقق دائماً والترقيق يجعله أقرب للهمس منه للجهر ، وهو مائع لذلك يُعبر عن امتداد واستقلال ، ويُعبر الفصلُ منهما عن تجمع الشيء على ذاته بضغط أطرافه وردِّها كما في الكُلْكل القصير الغليظ والكل قفا السيف ، وفي كيل ، الياء شبه صامت أو شبه حركة لا يمتد الصوت بها ولا ينطلق الهواء كما في الياء الصائتة تماماً ، لذلك فهي ليست مجهورة تماماً بل متوسطة مائعة ، وفي التركيب (كيل) تتوسط الياء بمعنى الاتصال ، ويعبر التركيب عن اتصال الجمع مرة بعد أخرى كما كَيْل مرة بعد أخرى كما في كَيْل الحب ونحوه[١٠٠].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

كِلتُ زيداً الطعام (كيلاً) من باب باع يتعدى إلى مفعولين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١٠١] ، وتدخل اللام على المفعول الأول فيقال : كِلتُ له الطعام ، والاسم : الكِيلة بالكسر ، واكتلت منه وعليه – إذا أخذت وتوليت الكيل بنفسك ، ويقال : (كال) الدافعُ ، و(اكتال) الآخذ ، وكلا المعينين في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[١٠٢] . وكيل البرّ ، وبرٌّ مَكيل ويجوز في القياس مَكيول ، ولغة بني أسد مَكول ، ولغة رديئة مُكال . والمِكْيل والمِكْيال والمِكْيلة : ما كيل به ، ويجمع مِكيال على (مكاييل) ، والمكيال : ما يُكال به حديداً أو خشباً ، و(الكَيْل) مثله ، والكَيْل مصدرٌ كالبيع ولكنه أُشرب فيه معنى المكيال ، وقد يُستعمل في المكيال أيضاً مبالغةً.

الاستعمال القرآني لاسم الآلة من (كال) :

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[١٠٣]

نلاحظ أنه في الآيتين استعمل لفظتي (المكيال والميزان) مع ما لهما من معنى يبدو متقارباً ، وهذا ما سأبينه عند الحديث على لفظة الميزان في الصفحات القابلة .

أما المكيال في الآيتين من سورة هــود فلم يرد إلا فيهما ، فقد آمر الباري قوم شعيب بثلاثة أمور ، هي : إصلاح الاعتقاد ، وإصلاح الأعمال ، وإصلاح التصرفات ، فابتدأ بالتوحيد ، ثم أعقبه بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم ، وهي خيانة المكيال والميزان ، فمعنى إيفاء المكيال والميزان أن تكون آلة الكيل وآلة الوزن بمقدار ما يُقدّر بها من الأشياء المقدرة ، وخصّا بالنهي والأمر المذكورين في الآية لشيوعهما عند مدين ، ولأن المعاملات المالية تنحصر فيهما ، فالتعاملات بينهم كانت منحصرة في المبادلات بأعيان الأشياء عرضاً وطلباً[١٠٤].

الكيل والمكيال:

جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١٠٥].

فالكيل : مصدر يشرب فيه معني المكيال ، وقد يُستعمل في المكيال أيضاً مبالغة ، والفرق بين الكيل والمكيال ، أن الكيل يُنظر فيه أولاً إلى المعنى المصدري أما المكيال فينظر إلى ما فيه من معنى الآلة ، وبهذا تتبين دقة التعبير في كل منهما ، فالكيل مصدر وقد يطلق على ما يُكال به كما في الآية لمقابلته الميزان[١٠٦].

٧- مِيزان ، من (وزن):

المعنى المعجمي المركزي وهوامشه الدلالية :

الوَزْن : الفِدرَة من التمر لا يكاد الرجل يرفعها بيديه تكون ثلث الجُلّةِ من جِلال هَجَر أو نصفها ، والفِدْرة : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة . فالمراد هنا كتلة كبيرة من التمر ، وتسمى الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المُسواة من الحجارة والحديد : الموازين واحدها ميزان ، والوزين : الحنظل المعجون وكان يُتخذ طعاماً (وهو شاذ) ، والوَزْنَة : المرأة القصيرة ، وَزَن الشيء : رَجَح ، ويُقال قام ميزان النهار : إذا انتصف ، وهذا يوازن ذلك ، أي هو يحاذيه ، ووَزين الرأي : معتدله ، وهو راجح الوزن : إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل[١٠٧].

فالمعنى المركزي لهذه المادة : هو ثقل الشيء مع عدم انتشار أبعاده ، وتؤول حقيقته إلى بيان مقدار ثقل الشيء وخفته وتعيين مقداره ماديّاً أو معنوياً.

ويُقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان ، وهو **مأخوذ من اللغة العبرية** بتغيير مختصر.

التأصيل الصوتي للفظ وعلاقته بالمعنى :

الواو شفوي مزدوج أنفي ، مائع ، مجهور ، يتحيز مخرجه أحياناً فيصبح رخواً ، وهو شبه صامت أو شبه حركة لا يمتد الصوت به ولا ينطلق الهواء كما في الواو الصائت تماماً ، لذلك فهي ليست مجهورة تماماً بل متوسطة مائعة ومع الزاي تعبر عن الاكتناز والازدحام ، والزاي : لثوي احتكاكي رخو مجهور. ففي بداية النطق بالجيم صوت (وقفة) ينحبس الهواء عندها ثم يعقبه مرور بطيء للهواء يصدر احتكاكاً صفيرياً انفجارياً ، والنون عن الامتداد في باطن الشيء أو منه مع اللطف ، والفصل منهما يُعبر عن ازدحام باطن بمادة ما [١٠٨].

أبنيته الصرفية ومعانيه الاشتقاقية :

وزنت الشيء وزناً : إذا قدّرته، والزِّنة : قدرُ وزن الشيء والأصل وَزنة ، ووزَنت الشيء فاتزن ، ووزن الشيء نفسه : ثقُل ، فهو وازن ، وقد وزنَ وزانةً إذا كـــان متثبتاً ، وفلان أوزن بني فلان : أي أرجحهم ، ووزن ثمر النخل إذا خرصه ، وجارية موزونة : قصيرة عاقلة ، وهذا وزان ذاك : أي معادله ، ووازنت بين الشيئين موازنةً ووِزاناً ، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء الميزان ، والميزان : مذكر وأصله من الواو ، وجمعه موازين[١٠٩] .

الفرق بين المكيال والميزان :

روي عن النبي (ص) : " المِكيال : مِكيال أهل المدينة ، والمِيزان ميزان أهل مكة.

والكيل : تعيين مقدار الشيء من جهة الحجم.

والوزن : تعيين مقدار الشيء من جهة الثقل.

وقد ورد المكيال والميزان في مواضع عدّة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١١٠]

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١١١]

وقد سبق أن بينا موارد المكيال في القرآن والتي لاحظنا أنها لم تأت إلا مقرونة بالميزان وبصيغة المصدر (الكيل) ، المقابل لاسم الآلة (الميزان) ، أو بصيغة اسم الآلة (المكيال) ، ولم يستعمل المكيال والميزان معاً إلا في الأمور المادية ، كما أن الكيل جاء مقدماً على الوزن في كل هذه الآيات ، مع أن الوزن هو الأصل والكيل مركب عليه ، وكلاهما للتقدير ، لكن الباري سبحانه وضع الميزان لمعرفة مقادير الأشياء بأثقالها إذ يعلمها بلا واسطة ولا مقدّر ، والكيل يأتي على الميزان بالعرف روي عن النبي (ص) : " المِكيال : مِكيال أهل المدينة ، والمِيزان ميزان أهل مكة"[١١٢].

والتعبير القرآني قصد الإتيان بهما (المكيال والميزان) معاً لأنه أراد شمول كافة ما يوزن المكيال أو بالميزان ، تقريراً للإيفاء بكل ما يوزن أو يكال ، وعدم بخس شيء منهما ، وليس في الآية تكريراً غرضه التوكيد ، بل هما مقصودان بذاتهما ومما دلّ على عدم إرادة التكرار وجود الواو بينهما [١١٣].

الاستعمال القرآني لاسم الآلة (الميزان) :

أُستعمل اسم الآلة (الميزان) في القرآن بمعنيين :

أولهما: ما كان مقابلاً للمكيال ، يُراد به الوزن المادي ، وهو ما سبق من المواضع المذكورة والتي جاءت مقترنة بالمكيال ، أما في النوع الثاني وهو الوزن المعنوي لم يتقابل الميزان بالمكيال في أي موضع من المواضع.

أما المعنى الثاني : فقد أُستعمل (الميزان) بالوزن المعنوي .

الوزن هو تقدير ثقل الشيء أو خفته وتعيين مقداره ، وفي الماديات يتعيين ذلك الوزن بما يناسبه كالحجر والحديد وغيرهما ، وفي غير المادي توزن بما يجانسها من الاجسام اللطيفة أو الظاهر من مراتب الحق وتطبيقها على الأعمال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[١١٤].

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[١١٥]

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ ﴾[١١٦]

والآيات تشتمل الموازين الروحية المعنوية التي لا بد أن تكون مما توزن به الموضوعات الروحية والعقلية ، أما قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾[١١٧] .

لقد اجتمعت للإنسان في هذه الآية ثلاثة أوزان : المادية والروحية والبرزخية ، إثباتاً أو نفياً[١١٨].

الخاتمة

١ . إن الجذر اللغوي لكل المواد المدروسة في البحث يحمل المعنى المعجمي المركزي الذي يتشعب إلى عدد من المعاني الهامشية ، وهذه المعاني – المركزية والهامشية – تؤدى في الغالب بأصوات تلائم مضامينها العامة ، وبنية (مفعال) من كل الجذور اللغوية المذكورة يتعالق مع المعنى المركزي المعجمي غالبا.

٢. إن لفظ (مِحراب) بصيغة اسم الآلة لم يأت إلا مجموعاً على زنة (محاريب) في سورة سبأ ، وباقي ما ورد من هذه اللفظة في القرآن هي من صيغة اسم المكان.

٣. إن صيغة (مِحراب) اسم الآلة الواردة في سورة سبأ ، هي اسم آلة لما يُحارب به ، أي نوع من السلاح ، وليس كما ذهب الأغلب بأنها غرف أو خلوات ، لأن سياق السورة وخصوصيات الآيات الواردة – كما فصّلنا في البحث – تؤكد أن المراد بـ (المِحراب) هو نوع من الأسلحة.

٤. استعمل القرآن المصباح بمعنيين الجامع بينهما التنور وانكشاف الظلمة..

٦. المِعرَج أسم مكان ، والمِعراج اسم الآلة : بمعنى ما فيه يتحقق العروج إي الصعود ، ويُجمع على معارج أو معاريج ، وجاء في القرآن على معنيين : المعارج المادية (السلم) ، والمعارج الروحية (المعارف والحقائق الروحية).

٧. لم يستعمل القرآن لفظ (مِفتاح) إلا مجموعاً بصيغة (مفاتح) وهو جمع لـ (مِفتح) أو(مُفتح) كما بينّا ، وذلك في ثلاثة معان : الأول كان في المعنويات ، والثاني في الماديات ، والثالث في الفتح وإقبال الدنيا.

٨. مكيال : ليست عربية خالصة إنما مأخوذة من السريانية والعبريّة (كِيّل ، كيلا ، كَيل : قياس ، معايرة ، مقياس) ، وهذه الآلة تطلق أيضاً في غير موارد الكيل والوزن كموارد المقايسة والمعارضة .

٩. يُقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان ، وهو مأخوذ من اللغة العبرية بتغيير مختصر.

١٠. إن موارد المكيال في القرآن لم تأت إلا مقرونة بالميزان وبصيغة المصدر (الكيل) ، المقابل لاسم الآلة (الميزان) ، أو بصيغة اسم الآلة (المكيال) ، ولم يستعمل المكيال والميزان معاً إلا في الأمور المادية ، والكيل جاء مقدماً على الوزن في كل هذه الآيات ، مع أن الوزن هو الأصل والكيل مركب

عليه ، وكلاهما للتقدير ، لكن الباري سبحانه وضع الميزان لمعرفة مقادير الأشياء بأثقالها إذ يعلمها بلا واسطة ولا مقدّر ، والكيل يأتي على الميزان بالعرف .

١١. التعبير القرآني قصد الإتيان بـ (المكيال والميزان) معاً لأنه أراد شمول كافة ما يوزن بالمكيال أو بالميزان ، تقريراً للإيفاء بكل ما يُوزن أو يُكال ، وعدم بخس شيء منهما ، وليس في الآية تكريراً غرضه التوكيد ، بل هما مقصودان بذاتهما.

١٢. أُستعمل اسم الآلة (الميزان) في القرآن بمعنيين ، أولهما: ما كان مقابلاً للمكيال ، يُراد به الوزن المادي ، أما في النوع الثاني وهو الوزن المعنوي لم يتقابل الميزان بالمكيال في أي موضع من المواضع.

الهوامش

[١] لما كان البحث مختصًا بوزن من أوزان اسم الآلة ، وجب أن يوطأ متنه بهذه الصيغة الصرفية بإيجاز. يُنظر : الكتاب ٩٤/٤ ، شرح الشافية ١٨٦/١-١٨٨ وهامش١٨٩، ومجمع البحرين ٥٩٣/٤-٥٩٤ ، وشذا العرف ٨٩-٩٠ ، والتطبيق الصرفي ٧٦.

[٢] وهو موضوع البحث ومبلغ عنايته.

[٣] معاني الأبنية : ١٢٦.

[٤] العنكبوت ١٣.

[٥] المزمل ٥.

[٦] يُنظر : لسان العرب ٨٥/١١-٨٦ ، والمصباح المنير ٨٣/١ ، والمفردات ٨٤.

[٧] النحل ٧.

[٨] الإنسان ٢٧.

[٩] الرحمن ٣١.

[١٠] يُنظر:التحقيق في كلمات القرآن ٢٤/٢-٢٥، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٢٤٥/١-٢٤٧.

[١١] يُنظر:المدخل إلى علم أصوات العربية١١٠-١١٥، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١/هامش ٢٤٢.

[١٢] يُنظر : المصباح المنير ٨٣/١ ، والمفردات ٨٥ ، والتحقيق في كلمات القرآن ٢/ ٢٥.

[١٣] يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص ١٩٥-١٩٦.

[١٤] النساء ٤٠.

[١٥] يونس ٦١.

[١٦] الأنبياء٤٧.

[١٧] لقمان١٦.

[١٨] سبأ ٣ .

[١٩] سبأ٢٢.

[٢٠] الزلزلة ٧-٨.

[٢١] يُنظر : معاني القرآن للنحاس ٨٧/٢ ، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٩٤.

[٢٢] مريم ١١.

[٢٣] يُنظر : العين ٢١٣/٣-٢١٥ ، والمفردات١١٧ ، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٤/٢-٢١٥ .

[٢٤] الأنفال ٥٧.

[٢٥] آل عمران ٣٩

[٢٦] يُنظر : لسان العرب ٣٠٥/١-٣٠٧ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٤٠٢/١-٤٠٣.

[٢٧] يُنظر : مدخل إلى علم أصوات العربية ،١١٢-١١٣ ، وعلم الأصوات (مالمبرج) ،٩٦ ، ١١٣، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ، هامش ٣٩٥.

[٢٨] ص ٢١.

[٢٩] تاج العروس ١/ ١٨٠-١٨١.

[٣٠] التحقيق في كلمات القرآن : ٢/ ٢١٦.

[٣١] يُنظر: تفسير الميزان ١٨٠/٣-١٨١.

[٣٢] آل عمران ٣٧-٣٩.

[٣٣] مريم ١١

[٣٤] التحقيق في كلمات القرآن ٢١٧/٢.

[٣٥] سبأ ١٣.

[٣٦] سبأ ١٠- ١٣.

[٣٧] يُنظر : التحرير والتنوير ٢٢/ ١٥٧ ، ١٦٢-١٦٣.

[٣٨] يُنظر : التحقيق في كلمات القرآن ٢١٧/٢ .

[٣٩] يُنظر : تفسير الآلوسي ١١٨/٢٢.

[٤٠] يُنظر : لسان العرب ٥٠٢/٢ ، والمصباح المنير ٣٣١/١ ، المفردات ٢٨٣ ، التحقيق في كلمات القرآن ٢١٦/٦-٢١٧.

[٤١] يُنظر : التحقيق في كلمات القرآن ٢١٧/٦ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم٣/ ١١٨٩.

[٤٢] المائدة ٣٠.

[٤٣] يُنظر : لسان العرب ٥٠٢/٢ ، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٧/٦ ، ٢١٩.

[٤٤] فصلت ٢٣.

[٤٥] الملك ٣٠.

[٤٦] الروم ١٧

[٤٧] القصص ١٠.

[٤٨] يُنظر : الدراسات الصوتية عند علماء العربية٥٦، ٩١ ، ١١٠، ١١٣ ، ومدخل إلى علم أصوات العربية ،١١٢-١١٣ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ، ٣/ هامش الصحيفة ١١٨٣.

[٤٩] هود ٨١.

[٥٠] الأنعام ٩٦.

[٥١] الصافات ١٣٧ .

[٥٢] العاديات ٣.

[٥٣] القمر ٣٨.

[٥٤] القلم ١٧ – ٢١

[٥٥] آل عمران ١٠٣

[٥٦] يُنظر : المصباح المنير ١/ ٣٣١ ، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٦/٦-٢١٧.

[٥٧] النور ٣٥

[٥٨] فصلت ١٢

[٥٩] التحقيق في كلمات القرآن ٢١٨/٦.

[٦٠] التحرير والتنوير : ٢٣٦/١٨ .

[٦١] يُنظر : الكشاف ٦٧/٦ ، التبيان ٤٣٧/٧ ، والتحقيق في كلمات القرآن ١٣٣/٦-١٣٤ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١١٦١/٢.

[٦٢] يُنظر : الكشاف ١٣٥/٤ ، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٨/٦.

[٦٣] الصافات ٦.

[٦٤] يُنظر : لسان العرب ٣٢٠/٢-٣٢٢ ، والصحاح ٣٢٨/١.

[٦٥] يُنظر : التحقيق في كلمات القرآن ٨/ ٩١-٩٢ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١٤٤٢/٣.

[٦٦] يُنظر : علم الأصوات (لكمال بشر) ، ٣١١ ، والمدخل لعلم الأصوات ١١٤-١١٥، وعلم الأصوات (مالمبرج) ،٩٦ ، ١١٣، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٣/ هامش ١٤٣٢.

[٦٧] الفتح ١٧.

[٦٨] الحجر ١٤

[٦٩] سبأ ٢.

[٧٠] الزخرف ٣٣.

[٧١] يُنظر : لسان العرب ٣٢١/٢-٣٢٢ ، والمصباح المنير ٤٠١/٢ .

[٧٢] الزخرف ٣٣.

[٧٣] المعارج ١- ٣.

[٧٤] المعارج ٤.

[٧٥] يُنظر : التحرير والتنوير ٢٠٦/٢٥ ، و٢٩ / ١٥٦-١٥٧ ، وتفسير غريب القرآن (للطريحي) ١٥٦-١٥٧ ، و والتحقيق في كلمات القرآن ٩٢/٨-٩٣.

[٧٦] يوسف ٦٥.

[٧٧] الزمر ٧١.

[٧٨] الفتح ١.

[٧٩] الأنعام ٤٤.

[٨٠] الصف ١٣.

[٨١] يُنظر : لسان العرب ٥٣٦/٢ - ٥٣٩ ، المفردات ٣٨٥.

[٨٢] الأعراف ٨٩.

[٨٣] يُنظر : التحقيق في كلمات القرآن ١٥/٩ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١٦٢٣/٣.

[٨٤] يُنظر : الدراسات الصوتية عند علماء العربية٥٦، ٩١ ، ١١٠، ١١٣ ، ومدخل إلى علم أصوات العربية ،١١٠- ١١٢ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ، ٣/ هامش الصحيفة ١٦١٩.

[٨٥] الحجر ١٤

[٨٦٨٦] الشعراء ١٨.

[٨٧] الأعراف ٨٩.

[٨٨] سبأ ٢٦.

[٨٩] الحديد ١٠.

[٩٠] الأنفال ١٩.

[٩١] يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٦٢٢.

[٩٢] الأنعام ٥٩.

[٩٣] التحرير والتنوير : ٧/ ٢٧٠-٢٧١.

[٩٤] النور ٦١.

[٩٥] يُنظر : التحرير والتنوير ٣٠٢/١٨ ، والتحقيق في كلمات القرآن ١٦/٩.

[٩٦] القصص ٧٦.

[٩٧] يُنظر : التحرير والتنوير ٢٠/ ١٧٧

[٩٨] يُنظر : العين ٤٠٦/٥ ، ومقاييس اللغة ١٥٠/٥.

[٩٩] يُنظر التحقيق في كلمات القرآن ١٠/ ١٦٦ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١٩١٧/٤.

[١٠٠] يُنظر : علم الأصوات (مالمبرج) ،١٢٣-١٢٤، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٤/ هامش ١٩١٢.

[١٠١] الأسراء ٣٥.

[١٠٢] المطففين ٢.

[١٠٣] سورة هود ٨٤-٨٥.

[١٠٤] يُنظر : التحرير والتنوير ٢٤٤/٨ ، و١٣٦/١٢.

[١٠٥] سورة الأعراف ٨٥.

[١٠٦] يُنظر : التحرير والتنوير :٢٤٤/٨ ، والتحقيق في كلمات القرآن ١٦٧/١٠.

[١٠٧] يُنظر : مقاييس اللغة ١٠٧/٦ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٢٣٦٢/٤.

[١٠٨] يُنظر : المدخل إلى علم الأصوات ١٠٢-١٠٣ ، وعلم الأصوات (مالمبرج) ١٢٢-١٢٥ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٩٢٢/٤.

[١٠٩] يُنظر : العين ٣٨٦/٧ ، ومقاييس اللغة ١٠٧/٦ ، والمصباح المنير ٦٥٨/٢.

[١١٠] الأنعام ١٥٢.

[١١١] الأعراف ٨٥.

[١١٢١١٢] يُنظر : احكام القرآن (ابن العربي) : ٣٤٦/٤.

[١١٣] ينظر : تفسير الآلوسي : ١١٥/٢

[١١٤] الأعراف ٨- ٩

[١١٥] الشورى ١٧.

[١١٦] الحديد ٢٥.

[١١٧] الرحمن ٧-٩.

[١١٨] يُنظر : تفسير الرازي : ٤٠/١٨-٤١. ، والتحقيق في كلمات القرآن ١٠٦/١٠-١٠٧.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. أحكام القرآن – (لابن العربي ت ٥٤٣ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر – لبنان ، د.ط .

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، المؤلف : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٤. ، دار الفكر – لبنان ، ط٢.
٥. تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) تحقيق : علي شيري ، ١٤١٤ – ١٩٩٤م ، دار الفكر – بيروت
٦. تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين – بيروت ، ١٩٨٧م.
٧. التبيان ، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، دار إحياء التراث العربي
٨. التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، ط١ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.
٩. التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، المحقق المفسر العلامة المصطفوي (١٢٩٧ هـ) ، ط١ ، ١٣٨٥هـ ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي – إيران.
١٠. التطبيق الصرفي ، د.عبدُه الراجحي ، ط١ ، ١٩٩٩م ، مكتبة المعارف – السعودية.
١١. تفسير الالوسي ، العلامة الآلوسي (ت١٢٧٠ هـ) ، ط١ ، دار الفكر – لبنان.
١٢. تفسير الرازي ، للمفسر الرازي (٦٠٦ هـ) ، ط٣ ، دار الفكر – لبنان.
١٣. تفسير غريب القرآن ، المؤلف : فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) ، تحقيق وتعليق : محمد كاظم الطريح ، ط١ ، دار الفكر – لبنان .
١٤. تفسير القرطبي ، القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان
١٥. الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، عبد الحميد الهادي إبراهيم الأصيبعي ، ط١ ، ١٩٩٢م ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس.
١٦. شذا العرف في فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملاوي ، ط١ .
١٧. شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق وضبط وشرح : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان
١٨. علم الأصوات ، د.كمال بشر ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، دار غريب – مصر.
١٩. علم الأصوات ، برتيل مالمبرج ، ترجمة وتعريب د. عبد الصبور شاهين ، ط١ ، مكتبة الشباب – مصر .

٢٠.العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ، د.إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، مؤسسة دار الهجرة – إيران.
٢١.الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، كتاب سيبويه ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، ط١ ، الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة ، ١٩٧٥م.
٢٢.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م ، الطبعة الأخيرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
٢٣. لسان العرب ، : لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١) ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، قم – إيران.
٢٤.مجمع البحرين ، المؤلف : الشيخ الطريحي، (ت١٠٨٥) ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة وما بعده على طريقة المعاجم العصرية : محمود عادل
٢٥.الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ، مكتب النشر الثقافة الإسلامية
٢٦.المدخل إلى علم الأصوات، د.غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العملي العراقي ، ٢٠٠٢م
٢٧.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقريّ الفيومي (ت٧٧٠هـ ، تحقيق : عبد العظيم الشناوي ، ط٢ ، دار المعارف – مصر.
٢٨.معاني الأبنية في العربية ، د.فاضل السامرائي ، ط١ ، ١٩٨١م ، جامعة بغداد.
٢٩.معاني القرآن ، أبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني
٣٠. ، ط١ ، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية
٣١.٢٦. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ، أ.د . محمد حسن حسن جبل ، ط١ ، مكتبة الآداب – مصر ، ٢٠١٠م.
٣٢.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبدا الباقي ، دار الحديث – القاهرة ، ٢٠٠٧، (د.ط).
٣٣.المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ضبطه : هيثم طعيمي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان .
٣٤.مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي – قم.
٣٥.الميزان، المؤلف: السيد الطباطبائ ، (ت١٤١٢هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي–بيروت، ١٩٧٥م.

تقييم فاعلية دورات سلامة اللغة العربية الافتراضية في ضوء اللسانيات الحاسوبية

(جامعة البصرة/ مركز التطوير والتعليم المستمر انموذجاً)

م.د. عباس عبدالعزيز صيهود م.د. علي عواد ميزر الزبيدي

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي جامعة المثنى / كلية التربية الأساسية

الملخص :

يحاول الباحثان في هذا البحث تسليط الضوء على فاعلية دورات سلامة اللغة العربية الافتراضية في ضوء اللسانيات الحاسوبية التي يقيمها مركز التطوير والتعليم المستمر في جامعة في ضل جائحة كورونا ؛ وذلك من أجل الوقوف على مواطن القوة وتطويرها، ومواطن الضعف وايجاد الحلول المناسبة للحد منها، وذلك فيما يخص مدى فاعلية المشتركين لهذه الدورات، والخروج بأهم المقترحات والتوصيات التي تتضمن مختلف جوانب العملية التعليمية لإقامة دورات سلامة اللغة العربية .

Abstract

In this research, the two researchers try to shed light on the effectiveness of the default Arabic language safety courses that are being held by the Continuing Education Center at a university in the shadow of the Corona pandemic. This is in order to identify and develop strengths, weaknesses and find appropriate solutions to reduce them, with regard to the effectiveness of the participants for these courses, and to come up with the most important proposals and recommendations that include various aspects of the educational process to establish Arabic language safety courses.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلغة الضاد نبينا محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين أما بعد :

فقد انماز مركز التطوير والتعليم المستمر في العام ٢٠١٩ – ٢٠٢٠ بمسيرة حافلة من العطاء وبذل قصارى الجهود من أجل تحقيق أهدافه ورسالته السامية على الرغم من التحديات الكبيرة التي شهدها في هذا العام إذ لوحظ من خلال البحث أنه سعى إلى تحقيق الريادة في مجال التطوير العلمي ووضع الخطط للأعمال والدورات العلمية من أجل إعداد أفراد مؤهلين علميا لخدمة المؤسسات التعليمية في وطننا الحبيب.

لذا جاء هذا البحث من أجل معرفة مدى فاعلية دورات سلامة اللغة العربية التي تقام في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة والكشف عن جهودهم في ضوء منصات التعليم الإلكتروني عن طريق بيان كيفية استعمالهم للمنصات الالكترونية ومدى ملائمتها في توصيل مادة اللغة العربية من خلال الدورات الخاصة بسلامة اللغة العربية فضلا عن كيفية تحقيق الأهداف العامة لهذه الدورات في ظل جائحة كورونا ، ومن ثم بيان أهم التوصيات التي تساعد في تطوير الدورات وإيصال المادة للمشتركين بها بكل سهولة ويسر .

أهمية البحث :

بما أن التعليم العالي يعد قمة التخصص العلمي الذي يحافظ على ديمومة اللغة العربية وإحياء تراثها الخالد ومواكبة التطور التكنولوجي من خلال المؤسسات العلمية التي تهدف إلى إعداد الفرد وتزويده بأصول المعرفة لتلبية متطلبات تنمية المجتمع، فإن البحث يستمد أهميته مما يأتي :

١) للتقييم أهمية بالغة في تحسين جودة أداء العملية التعليمية وتطويرها .

٢) يساعدنا التقييم على معرفة مواطن القوة ، وجوانب الضعف ، واتخذ الإجراءات المناسبة لها.

٣) التأكيد على سلامة اللغة العربية والمحافظة على أصالتها والإلمام بمبادئها .

٤) بيان مواكبة اللغة العربية لحركة التطور التكنولوجي التي يشهدها العصر .

٥) الوقوف على إيجابيات منصات التعليم الإلكتروني ؛ للاستفادة منها في تطوير إقامة الدورات.

٦) بيان مدى ملائمة دورات سلامة اللغة العربية مع منصات التعليم الإلكتروني .

٧) إظهار العلاقة بين منصات التعليم الالكتروني ودورات سلامة اللغة العربية من ناحية جذب المشتركين إلى الدورات التي يقيمها مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة .

مشكلة البحث :

انطلاقا من إن سلامة اللغة العربية أصبحت من الأمور الشاقة التي تكاد تكون مبعث مشكلة عامة في المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بشكل عام ، والمراحل التعليمية بشكل خاص ، وأن هذه المشكلة العامة لابد من وجود وسائل وطرائق تعليمية ناجحة تؤدي إلى تقويمها والوصول بها إلى ما يواكب حركة تطور العصر الثقافي والتقدم العلمي من خلال تنمية القدرات اللغوية لدى المتعلم وتطويرها وتزويده بالمعارف والمهارات اللغوية التي توسع من مداركه في مواجهة الغزو الثقافي الذي تتعرض له لغتنا العربية .

وبعد أن أطلع الباحثان على دورات سلامة اللغة العربية التي أقامها مركز التطوير والتعليم المستمر في جامعة البصرة في ضل جائحة كورونا خلال العام الدراسي

(٢٠١٩ – ٢٠٢٠) وبلغ عدد الدورات خلال هذه المدة خمس دورات ، وبلغ عدد المشتركين فيها (٣٠٠) مشتركاً ، وقد قام الباحثان بإقامة أحد هذه الدورات من خلال إلقاء المحاضرات على المشتركين الذين بلغ عددهم (٨١) مشتركاً من أصل

(٣٠٠) من المجموع الكلي لعدد المشتركين في الدورات ، وبعد أن قام الباحثان بإجراء اختبار تجريبي لهم قبل نهاية الدورة اكتشف الباحثان هناك أخطاء نحوية وصرفية ولغوية فضلا عن الأخطاء في رسم الهمزة على الحروف ، وعدم التمييز بين التاء الأخرية والهاء ، وبين الضاد والظاء ، وبعد اكمال الدورة واجراء نفس الاختبار ، وجدت الباحثان أن هناك تحسن بنسبة ٩٠% ، إذ قلت الأخطاء النحوية والصرفية واللغوية وكذلك قلت الأخطاء في رسم الهمزة على الحروف وقلت الأخطاء في التمييز بين الهاء والتاء وبين الضاد والظاء ، وهذا دليل واضح على فاعلية دورات سلامة اللغة العربية التي يقيمها مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة .

حدود البحث :

وتتضمن ما يأتي :

١) دورات سلامة اللغة العربية في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة .

٢) المشاركين في هذه الدورات من داخل جامعة البصرة ومن خارجها .

هدفا البحث :

١) تقييم دورات سلامة اللغة العربية في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة من خلال تشخيص مدى فاعلية هذه الدورات في ضوء منصات التعليم الإلكتروني .

٢) التعرف على أهم المقترحات والتوصيات التي تساعد في تطوير دورات سلامة اللغة العربية في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة ، وجعلها ترتقي بالمستوى المطلوب من التقدم العلمي والثقافي .

تحديد مصطلحات البحث :

١) التقييم :

تتعدد تعاريف التقييم ؛ وذلك بحسب المقاربات والاهداف والكفايات ، ولكنه يعرف بصفة عامة على انه يتضمن مجموعة من العمليات التي تؤدي الى اصدار الاحكام الموضوعية على عملية التعليم والتعلم من مختلف الجوانب والمراحل ك من حيث المنهاج المقرر ، والكتاب المدرسي، والتعلم والتعليم ، وغيرها، وذلك من أجل ضمان أفضل العمليات التعليمية [١] .

ويعرف تقييم الطالب على إنه الجمع المنظم للمعلومات بقصد معرفة مدى حدوث بعض التغييرات المقصودة لدى الطلبة التي تتضمن الاهداف ومراقبة مستواها لدى كل طالب ومن ثم اصدار الحكم الملائم واتخاذ القرارات المناسبة[٢] .

وعليه فإن التقييم هو وإعطاء قيمة لشيء معين وإصدار الاحكام ومدى صلاحيتها ، ووسائل تطبيقها وتقدير أثرها [٣] .

٢) اللغة :

أ _ تعريف اللغة لغةً :

إن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت [٤] ، واللغة أصلها لغى أو لغو جمعها لغى ولغات [٥] ، واللغو ما لا يقتدى به من الكلام[٦] .

ب _ تعريف اللغة اصطلاحا :

اللغة : هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[٧] ، وهي ما يتواضع القوم عليه من الكلام[٨] ، وهي عبارة عن نظام من العلاقات والروابط المعنوية التي تتكون من المفردات والالفاظ اللغوية يسند بعضها إلى بعض ويعلق بعضها ببعض ضمن تركيب لغوي يقوم على اساس الاشياء[٩] .

٣) العربية :

أ _ تعريف العربية لغةً :

لفظ العربية مشتق من عرب يعرب عرباً : أي فصح بعد لُكنة ، ويقال : عرُب لسانه ، وأعرب فلان : إذا كان فصيحاً في العربية وإن لم يكن من العرب[١٠] ، والأعراب من العرب : الذين يسكنون البادية ، والواحد منهم : أعرابي ، أما الإعراب : فهو تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفه ونصب وجر وجزم على وفق قواعد النحو العربي ، والتعريب : هو صبغ الكلمة الأجنبية بصبغة عربية ، وذلك عندما نقل بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية[١١] .

ب _ تعريف العربية اصطلاحا :

تعد اللغة العربية إحدى اللغات القديمة التي تنتمي إلى اللغات السامية التي لم يبقى منها سوى بعض الآثار المنحوتة على الصخور هنا وهناك[١٢] ، في حين استطاعت اللغة العربية أن تبقى ، وتمتاز بظواهر لغوية عدة منها ما تحتويه هذه اللغة من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات ، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وصيغ جموع التكسير وغيرها من الظواهر اللغوية التي امتازت بها اللغة العربية[١٣] .

٤) سلامة اللغة العربية :

يعرفها الباحثان إجرائياً : بأنها خلو الكلمات من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والإملائية والبلاغية التي تلحق بها ، والحفاظ على الكلمات بهيئتها الصحيحة السليمة بعيداً عن أي ضرر يؤدي إلى خلل في فصاحتها .

٥) التعليم المستمر :

يعرف التعليم المستمر بأنه قدرة الإنسان على التعلم وذلك على مدى حياته من دون أن يتقيد بزمان أو مكان تعلمه ، معتمداً في ذلك على ذاته من أجل مواصلة تعليمه خارج أسوار المدرسة والجامعة ، وأن يكون تعليمه استجابة لحاجاته الفعلية في مجال أدائه المهني ، والتنوع في معارفه ومهاراته واتجاهاته مراعياً في ذلك عدم اقتصاره على تعليم الكبار فحسب ، وانما يشمل مراحل التعليم من عام وعال ، أو نظامي ، وغير نظامي[١٤] .

منهج البحث :

اتبع الباحثان منهج البحث الوصفي لتحقيق هدفا البحث .

مجتمع البحث :

يتكون مجتمع البحث من مجموع المشتركين في عدد الدورات التي اقامها مركز التعليم المستمر في ضل جائحة كورونا خلال العام الدراسي (٢٠١٩ _ ٢٠٢٠) والبالغ عددها خمس دورات التي بلغ عدد المشاركين فيها (٣٠٠) مشتركاً .

عينة البحث :

تتضمن عينة البحث مجموع المشتركين الذين اشتركوا في الدورة التي قام بها الباحثان البالغ عددهم (٨١) مشتركاً من مجموع عدد الدورات التي اقامها مركز التطوير والتعليم المستمر في جامعة البصرة .

أداة البحث :

استعمل الباحثان الاختبار الإلكتروني عبر منصة التعليم الإلكتروني (كلاس روم) ، ولإعداد أداة البحث أتبع الباحثان الخطوات الآتية :

١) اجرى الباحثان اختبار تجريبي قبل نهاية الدورة ، وقد تضمن اسئلة متعددة الاختيارات في الاجوبة حول الاجابات الصحيحة التي تخص الاخطار النحوية والصرفية واللغوية فضلاً عن الاخطار في رسم الهمزة على الحروف ، وكذلك الاخطاء في التمييز بين الهاء والتاء الأخرية ، والضاد والطاء .

٢) قام الباحثان بأجراء نفس الاختبار في نهاية الدورة ، وبعد إكمال جمع الاجوبة في الاختبار الإلكتروني ، قام الباحثان بتبويب إجابة الاستبيانات للعينتين ، ورتبهما في ضوء أفراد العينة وإجاباتهم ، وقد اتضح من خلال المقارنة بين الاختباريين قلة الاخطاء التي وقع بها المشتركين في الاختبار التجريبي ، وكان التحسن عندهم بواقع ٩٠% .

عرض نتائج البحث وتفسيرها :

عرض الباحثان فقرات الاختبار التي تتضمن جوانب القوة والفقرات التي تتضمن جوانب الضعف في دورات سلامة اللغة العربية في ضوء اجابات افراد عينة البحث ، ومناقشتها وتفسيرها كل حسب مجالها .

التوصيات والمقترحات :

في ضوء نتائج الاختبارات كلٌ حسب مجالها التي تضمنت أهم جوانب القوة والضعف في دورات سلامة اللغة العربية في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة ، انطلاقا من اجابات المشتركين في عينة البحث ، توصل الباحثان إلى أهم التوصيات والمقترحات الآتية :

أولاً: التوصيات :

١) مجال الأهداف :

أ_ ينبغي أن تكون صياغة الأهداف أكثر وضوحاً

ب _ إن من الضروري قيام المحاضرين بخلق دافعية لدى المشتركين في الدورة نحو الأهداف التربوية من سلامة اللغة العربية العامة .

٢) مجال مفردات منهاج الدورة :

أ – إن من الضروري الموازنة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في تدريس منهاج الدورة .

ب _ زيادة عدد الساعات المخصصة لتدريس مفردات منهاج الدورة .

٣) مجال الأفراد المشاركين في الدورات :

أ _ يجب مراعاة الفروق الفردية بين الافراد المشاركين في الدورات من حيث المستوى العلمي والمهني .

ب _ تشجيع المشاركين في الدورات على تطوير مهاراتهم اللغوية بغية الاستفادة منها فيما يخص النطق الصحيح لمخارج الحروف ، والكلمات ، والعبارات .

٤) مجال طرائق التدريس :

أ _ العمل على مواكبة حركة التطور واتباع الطرائق التربوية الحديثة في التدريس .

ب _ ضرورة انشاء منصة تعليم إلكتروني خاصة بإقامة الدورات في مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة بما يتوافق مع ما يشهده دول العالم في ضل جائحة كورونا .

٥) مجال أساليب التقويم والاختبارات :

أ _ استعمال اساليب عديدة لتقويم الافراد المشاركين ، كالاختبارات الإلكترونية التي تتضمن اختيارات متعددة للأجوبة الصحيحة .

ب _ ينبغي أن تكون أسئلة الاختبارات شاملة لكل مفردات تدريس منهاج الدورة .

ثانياً : المقترحات :

١) اجراء دراسة مماثلة على الدراسة الحالية في متغير الدورات التي يقيمها مركز التعليم المستمر في جامعة البصرة .

٢) اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية تشمل مراكز التعليم المستمر في جامعات العراق كافة .

الهوامش

١ _ ينظر: مدخل إلى الديداكتيك العامة ، أحمد شبشوب ، سلسلة علم التدريس ع٤

٢ _ ينظر : الكفايات في التعليم _ من أجل تأسيس علمي للمنهاج المدمج ، محمد الدريج ، ص ٢٢ .

٣ _ ينظر : المعجم الموسوعي لعلوم التربية ، أحمد أوزي ، ص ٣٥ .

٤ _ ينظر: لسان العرب، باب لغا، ج١، ص٢٥٢ .

٥ _ ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٦٩٧ .

٦ _ ينظر: القاموس المحيط، مادة لغوي، أبو طاهر الفيروزي٨٧٣ .

٧ _ ينظر الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ج١، ص٣٤ .

٨ _ ينظر : سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، ج١ ، ص٣٣.

٩ _ ينظر : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٢٣ .

١٠ _ ينظر: المعجم الوسيط، باب العين، ج٢، ص٩٥، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار.

١١_ ينظر المصدر نفسه .

١٢ _ ينظر: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، د. عارم السيد غنيم، ص١٠ .

١٣ _ ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص٣٣ .

١٤ _ ينظر: تفريد التعليم والتعليم المستمر، محمد جاسم العبيدي، ٢٤٤_٢٤٦ .

المصادر والمراجع

١) مدخل إلى الديداكتيك العامة ، أحمد شبشوب ، سلسلة علم التدريس ع٤، منشورات دمسيس، الرباط، ط١، ١٩٩٧ .

٢) الكفايات في التعليم _ من أجل تأسيس علمي للمنهاج المدمج ، محمد الدريج ، منشورات سلسلة المعرفة للجميع، ٢٠٠٣ .

٣) المعجم الموسوعي لعلوم التربية ، أحمد أوزي ، مطبعة النجاح، ٢٠٠٦

٤) لسان العرب، باب لغا، ج١، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط٣، (د.ت)

٥) الكليات، أبو البقاء بن موسى الحسني الكفوي ، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، (د.ت) .

٦) القاموس المحيط، مادة لغوي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت) .

٧) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، (د.ت) .

٨) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي، القاهرة (د.ط) (د.ت) .

٩) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار الأمان ،الرباط .

١٠) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار،(د.ط)(د.ت).

١١) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، د. عارم السيد غنيم، مكتبة سيناء للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة .

١٢) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة .

١٣) تفريد التعليم والتعليم المستمر، محمد جاسم العبيدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩ .

دور اللغة في التنمية والتطوير

(اللغة العربية إنموذجاً)

م.د. هند علي حنون– كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية الجامعة /أقسام واسط

ahmedalbadri2020phd@gmail.com

الملخص

تلعب اللغة العربية دوراً كبيراً وبارزاً في مختلف مجالات التنمية والتطوير، فهي وعاء ووسيلة الحركة الإنسانية، إذ عرفت بأنها مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فلا يمكن تحقيق اغراض التنمية والتطوير دون وجود لغة وهي المحرك الأساس لها.

نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على أهمية اللغة العربية في تحقيق التنمية والتطوير في مختلف المجالات، كما تتطرق إلى بيان سبل الحفاظ على اللغة العربية واستدامتها للأجيال، فهي صرح الأمم، ويتجسد فيها التحقيق النفسي للذات الإنسانية كونها الأساس في هوية الإنسان.

وفي ذات الوقت ومع مرور الزمن تزداد التحديات أمام اللغة العربية الفصحى في إثبات وجودها ومقاومة التهميش والتجاهل اللذين يلاحقانها، لذا ستسلط هذه الدراسة الضوء على دور التنمية المستدامة ايضا في الحفاظ على اللغة من خلال دراسة العوامل والاليات التي ساعدت على احياء اللغة العربية واستدامتها على مر العصور وللمستقبل القادم ، إلى أن تصل الدراسة إلى اثبات فرضيتها القائمة على أساس أن اللغة بشكل عام، واللغة العربية على وجه الخصوص لها دورا كبيرا ومميزا في التنمية والتطوير في العراق وغيره م البلدان العربية الاخرى.

Abstract

The Arabic language plays a large and prominent role in the various areas of development and development, as it is the vessel and means of human movement, as it is known as a group of voices that every people expresses for their purposes, so development and development goals cannot be achieved without the presence of a language, which is the main engine for it.

In this study, we try to shed light on the importance of the Arabic language in achieving development and development in various fields, as well as explaining ways to preserve the Arabic language and its sustainability for generations.

At the same time, with the passage of time, the challenges facing the classical Arabic language increase in proving its existence and resisting the marginalization and neglect that follow it, so this study will shed light on the role of sustainable development also in preserving the language by studying the factors and mechanisms that helped revive and sustain the Arabic language throughout the ages. And for the coming future, until the study reaches a proof of its hypothesis based on the premise that the language in general, and the Arabic language in particular, has a great and distinctive role in the development and development of Iraq and other Arab countries.

المقدمة

تلعب اللغة العربية دوراً كبيراً وبارزاً في مختلف مجالات التنمية والتطوير، فهي في بداية الأمر "اللغة الأم التي وحدت بين العرب في ماضي الحقب عن طريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابط لغةً موحَّدةً وموحِّدةً "[١]، فنزل القران الكريم بتلك اللغة التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية، قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[٢]، فهي الوسيلة لفهم كتاب الله وما يحتويه من أمور دينية ودنيوية، إذ إن الكثير من قضايا الحياة تتوقف على فهم النصوص الشرعية فهماً صحيحاً دقيقاً؛ ولذلك عني علماء الشريعة بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها، وبحثوا في العام والخاص والحقيقة والمجاز، والمشترك والمترادف، مع أنها من مسائل علم اللغة؛ لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد فهم المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها.[٣]

كما إن اللغة زادت من أواصر الترابط الوشيج بين العرب آنذاك، ومن مفهوم اوسع هي وعاء ووسيلة الحركة الإنسانية، إذ عرفت بأنها مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فلا يمكن تحقيق اغراض التنمية والتطوير دون وجود لغة، فهي المحرك الأساس لها.

سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على أهمية اللغة العربية في تحقيق التنمية والتطوير في مختلف المجالات، كما تتطرق إلى بيان سبل الحفاظ على اللغة العربية واستدامتها للأجيال، فهي صرح الأمم، ويتجسد فيها التحقيق النفسي للذات الإنسانية كونها الأساس في هوية الإنسان ووجوده، فهي أداة التخاطب ووسيلة التفاهم بين الناس في المجتمع، فلا يمكننا فهم الاشياء دون وجود اللغة فهي الوعاء الذي يحتوي المجتمع والذي يلبي حاجاته المختلفة، وتختلف هذه اللغة من مكان إلى آخر، وبالرغم من اختلافها إلا إنها تؤدي وظيفة واحدة في مختلف الأماكن، إلا وهي التعبير عن الحاجات، فهي أداة التعبير عن التفكير لدى الانسان، ولها صلة كبيرة في ذلك

فمن حيث صلتها بالتفكير تكونه وتبرزه، ولها به صلة أخرى بعد الإيجاد والبروز، هي أنها تسهم في كيفيته فتجعله تفكيراً ذكياً، فيكتسب الفكر عن طريقها مَلكة الذكاء. والذكاء هو سرعة الفهم والاستنتاج ودقة القياس وسلامة النتائج ، ويذكر لنا الدكتور (عبد العظيم ابراهيم) في خصائص التعبير القرآني قولاً (لتشارلز سنكر) يوضح العلاقة بين اللغة والذكاء فقال: "من المتفق عليه بين علماء اللغة عامة وجود عامل ارتباط إيجابي مهم بين نتائج قياس الذكاء والقدرة اللغوية. ذلك لأن

جزءاً كبيراً من مقاييس الذكاء المستعملة في العادة لغوي، وعلى هذا فيجوز أن يكون هذا العامل نتيجة اللغة، لأن بعض اختبارات الذكاء هي أيضاً لغوي، على أن ثمة أمراً واضحاً يستفاد من وجود هذا الأمر هو أن الإجابات اللغوية نوع هام من سلوك الإنسان الذي يمكن أن يوصف بالذكاء وعدمه".[٤]

ومع أهميتها البالغة لدى الإنسان في مختلف العصور، نجد هناك تحديات تمر بها اللغة العربية، وتزداد التحديات أمام اللغة العربية الفصحى في إثبات وجودها ومقاومة التهميش والتجاهل اللذين يلاحقانها، لذا ستسلط هذه الدراسة الضوء على دور التنمية المستدامة أيضاً في الحفاظ على اللغة من خلال دراسة العوامل والآليات التي ساعدت على احياء اللغة العربية واستدامتها على مر العصور وللمستقبل القادم، إلى أن تصل الدراسة إلى اثبات فرضيتها القائمة على أساس أن اللغة بشكل عام، واللغة العربية على وجه الخصوص لها دوراً كبيراً ومميزاً في التنمية والتطوير في العراق وغيره من البلدان العربية الأخرى.

وعلى أساس ما تقدم ستقسم هذه الدراسة على مبحثين، إذ سنخصص المبحث الأول لدراسة دور اللغة في التنمية والتطوير السياسي والقانوني والاقتصادي، والذي سيقسم بدوره إلى مطلبين، يخصص المطلب الأول منه لدراسة دور اللغة في التنمية والتطوير السياسي والقانوني، بينما يخصص المطلب الثاني لدراسة دور اللغة في التنمية والتطوير الاقتصادي. أما المبحث الثاني فسنبحث فيه بوسائل النهوض باللغة من خلال التنمية المستدامة، وسيقسم هذا المبحث إلى مطلبين أيضاً، إذ سنبحث في المطلب الأول منه في التنمية المستدامة وعلاقتها باللغة، أما المطلب الثاني فسيكون مخصص للبحث في وسائل إستدامة اللغة والحفاظ عليها. وتنتهي الدراسة بأبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

المبحث الأول

دور اللغة في التنمية والتطوير السياسي و القانوني والاقتصادي

أهم مجالات اللغة العربية في السياسية والقانون والاقتصاد

تبقى اللغة محط إهتمام العلماء في مختلف الميادين، خاصة في المجال السياسي، والقانوني والاقتصادي، إذ عليها تقوم المفاوضات وتبنى الأحكام وتفسر النصوص، وينمو الاقتصاد. ولهذا سنخصص دراستنا في هذا المبحث لدور اللغة العربية في التنمية والتطوير السياسي والقانوني والاقتصادي، وذلك من خلال مطلبين نخصص الأول لدور اللغة في التنمية والتطوير السياسي و القانوني، بينما سيكون المطلب الثاني مخصص لدراسة دور اللغة في التنمية والتطوير الاقتصادي.

المطلب الأول

دور اللغة في التنمية والتطوير السياسي والقانوني

مجالات اللغة العربية في السياسة والقانون

يتميز الخطاب السياسي بأنه خطاب يقوم على عملية الإقناع للجهة الموجه لها الخطاب، ليوصل المخاطب إلى القبول والتسليم بالمصداقية والإيمان بالشرعية، من خلال العديد من الوسائل والطرق المدعمة بالحجج والبراهين، ويجب أن يوظف الخطاب السياسي الوسائل اللغوية والمنطقية الصحيحة، وجمل تعبيرية تتناسب مع طريقة التواصل مع الأفراد، مع مراعاة أن تتناسب مع الموقف والمقام الذي يتم إلقاء الخطاب السياسي على أساسه، ويتم اللجوء له من قبل القوى السياسية لإكتساب السلطة.[٥]

لذا فأن اللغة تشكل دوراً مهماً في مجال التنمية والتطوير السياسي، فمن خلال اللغة تستطيع السياسية أن تنمو وتتطور داخل الدولة، إذ يستطيع النظام السياسي لدولة ما من خلال خطابه المتزن أن يعزز ثقة الجمهور فيه ويحافظ على وجوده وديمومته، وتتجلّى خطورة اللغة بكونها الأداة التي تستطيع بها السلطة أن توجّه الجماهير وتغيّر الرأي العام حول أي قضية ما، على سبيل المثال إستطاع الرئيس التركي رجب طيب اوردغان من إفشال محاولة الإنقلاب التي حدثت في تركيا في ١٥ تموز عام ٢٠١٦ من خلال بيان مقتضب في اتصال فيديوي، إذ إستعمل في بيانه لغة استطاع من

خلالها أن يقنع الشعب التركي من النزول الى الشارع والتصدي لمحاولة الانقلاب، وهو بذلك انتصر من خلال اللغة التي تضمنها خطابه.

أما في مجال السياسة الخارجية أو الدولية فتلعب اللغة دوراً مهماً في عملية التنمية والتطوير أيضاً، إذ تعد اللغة نقطة انطلاق العلاقات الدولية فمن خلالها تدور المفاوضات وتوقع الإتفاقيات، وتنمو وتتطور العلاقات الدولية، هذا الأمر الذي دفع منظمة الأمم المتحدة إلى اعتماد اللغة العربية إحدى اللغات الخمس المعتمدة رسمياً فيها، إذ اصدرت الجمعية العامة قراراً جاء فيه "ان الجمعية العامة تدرك ما للغة العربية من دور هام في نشر حضارة الإنسان وثقافته، واذ تدرك أيضاً أن اللغة العربية هي لغة تسعة عشر عضوا من أعضاء الأمم المتحدة، وهي لغة عمل مقررة في وكالات متخصصة مثل وكالة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة....، وإذ تدرك ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقاً وتعزيز الوئام في أعمال الدول وفقا لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة، تقرر ادخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل، المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية".[٦]

فمن خلال هذا القرار ساهمت اللغة العربية في التنمية والتطوير في مجال السياسة الخارجية، إذ اصبحت الدول العربية ومنها العراق تلقي خطاباتها وتقدم طلباتها وتناقش قضاياها داخل منظمة الامم المتحدة في اللغة العربية، ومن جهة أخرى فأن صدور هذا القرار حتم على منظمة الامم المتحدة أن تقوم بإصدار كافة الوثائق باللغة العربية (فضلاً عن اصدارها باللغات المعتمدة الاخرى)، مما ساعد على تحقيق اهداف التنمية التي تتبناها المنظمة من قبل الدول العربية. على سبيل المثال تبنت الامم المتحدة (١٧) هدفاً للتنمية المستدامة عام ٢٠١٥، وأصدرت تبعاً لذلك آلاف الوثائق التي تحدد آليات تحقيق تلك الاهداف، ولكون أن هذه الوثائق قد صدرت في اللغة العربية، فقد كان للغة هنا دوراً كبيراً في تحقيق التنمية في الدول العربية، لأن آليات تحقيق تلك الأهداف قدمت لهم بلغتهم، لذا فلم لم يجدوا صعوبة في تحقيقها.[٧]

أما في مجال دور اللغة في التنمية والتطوير القانوني، فتلعب الصياغة القانونية دوراً هاماً في التشريع وسن القوانين، لكونها أداة لتحويل المادة الأولية التي تتكون منها القاعدة القانونية إلى قواعد عملية صالحة للتطبيق الفعلي على نحو يحقق غاية هذه القاعدة أو غاية المشرع، فلابد من التأكد من وجود التناسق الداخلي والخارجي للنص المقترح لضمان سلامة وسهولة فهم وقراءة القاعدة القانونية والحفاظ على بنية النص وتماسكه، ولابد للصياغة التي يصاغ بها النص القانوني أن تكون لغة

واضحة دقيقة التي تأتي عن طريق حسن إنتقاء المصطلحات الدالة على المعاني المطلوبة من خلال بعض الصيغ والعبارات المقيدة للأحكام والمفاهيم والتي تفيد تقييد نطاق الحكم القانوني وذلك لجعل هذا النص نصا متماسكاً.[٨]

فالصياغة القانونية من الوسائل الفنية اللازمة لإنشاء القواعد القانونية وتطبيقها وتفسيرها، وطرق الصياغة القانونية عديدة منها، اللغة والمصطلحات، ومنها المظاهر الخارجية للقاعدة القانونية كالعمومية والتجريد والمرونة والجمود، ومنها وسائل اثبات الحقوق، ومنها الشكلية بمعناها الضيق ومنها الحيل والقرائن القانونية.[٩]

ولابد من التمييز بين الصائغ الملم بعملية ضبط الأفكار في عبارات محكمة وموجزة وسليمة وقابلة للتنفيذ، وبين المشرع المعني بصنع القرار، لذا فإن الصياغة التشريعية في عالم اليوم خطت أشواطا بفضل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية التي تضطلع بمهام تقديم التقارير الدورية عن حالة التشريعات، فضلا عن الإسهام في الصياغة التشريعية.[١٠]

وبناء على ما تقدم، فإننا نجد أن للغة دورا فعال في التنمية والتطوير القانوني في مسألة صياغة التشريعات، إذ من خلال اللغة تستطيع التشريعات ان تحافظ على ديمومتها، وتتطور لتكون قابلة للتطبيق على المستجدات التي لم يكن المشرع يعلم بها وقت صدور التشريع، وذلك من خلال اختيار مصطلحات في الصياغة التشريعية يمكن أن تستوعب الحالات الموجودة وقت التشريع، والحالات التي تستجد في المستقبل.

وفي جانب آخر من جوانب دور اللغة في التنمية والتطوير القانوني، نجد إن للغة دور كبير في مسألة تحقيق العدالة في القرارات القضائية. ولما كانت الأحكام القضائية عنواناً للحقيقة، ولأن اللغة هي وسيلة الإيصال والاتصال، فإن العناية باللغة في الأحكام القضائية تغدو مهمة أهمية الحقيقة نفسها، لأن الحقيقة في الأحكام يُعبَّر عنها باللغة، إذ تأتي الأحكام القضائية مفسرة للنصوص القانونية، بل إن المنطق يشكل في معظم الأحيان وسيلة إقناع واقتناع في مضمون الحكم القضائي، هذا المنطق إذا لم تكن وسيلته اللغة سليمة فإنه لن يؤدي مهمته.[١١]

فاللغة وسيلة التعبير عن آراء المشرع والقاضي، وهذه الآراء تظهرُ من خلال مفردات اللغة وتعابيرها، إذ إن أول ما يجب أن يتبادر للذهن عند محاولة فهم النص وتَفسيرِه هو فهمُ المعنى اللغوي

ثم الاصطلاحي لألفاظ النص وعباراته، أي المعنى الذي تؤديه مباشرة ألفاظ اللغة وتعابيرُها سواء كانت هذه المعاني حقيقية أم مجازية.[١٢]

فبقدر تضلُّع القاضي في معرفة اللغة العربية تظهر قدرته على فهم النصوص وإدراكِ معانيها القريبة والبعيدة، بحيث يملك القدرُ اللازم لفهم النصوص التشريعية فهماً سليماً يمكنه من معرفة المرادِ منها ولا يأول النصوص القانونية تأويلات متعددة، وهذا يحصل عندما يكون النص القانوني صيغته ضعيفة، أو أن القاضي ليس له الإدراك الكامل باللغة العربية.[١٣]

وعليه فإن صياغة القرارات القضائية بلغة عربية سليمة وتفسير هذه القوانين من خلال الفهم اللغوي العلمي لقواعد النحو والصرف يتوقف عليه التطبيق العادل لمضمون هذه القوانين، ولا يكثر تفسير وتأويل النصوص القانونية، وينعكس بدوره على التزام المؤسسة القضائية برمتها بواحد من أهم مبادئها وبركن أساسي من أركان عملها والمتمثل بتطبيق قوانين الدولة ضمن مفهوم العدالة الاجتماعية، ومن هنا نجد أن للغة دوراً مهماً في مجال التطوير والتنمية القضائي، فمن خلال اللغة تتطور الاحكام القضائية وتصبح انعكاساً حقيقياً للعدالة.

المطلب الثاني

دور اللغة في التنمية والتطوير الاقتصادي

مجالات اللغة العربية في الاقتصاد

لما كانت اللغة وعاء يلبي حاجات الإنسان ومتطلباته، فمن الطبيعي أن نجد هناك علاقة كبيرة بين اللغة والاقتصاد، ليس هذا فقط بل لها دوراً كبيراً في تنميته وتطويره، إذ نجد دورها منذ قيام الأسواق في البلاد الإسلامية قديماً وكيف كانت هي لغة التفاهم بين الباعة، وأداة التفاهم في المقايضة وغيرها من الأمور التي تجعل الحياة دائمة ومستمرة إلى يومنا هذا، وبتطور الأيام واللغة تطور الاقتصاد، إذ إن "اللغة في حد ذاتها شرط أساسي للحياة الاجتماعية، وكل لغة هي نتاج للحياة الاجتماعية، وبما أن كل اللغات تستعمل استعمالاً غائياً بوصفها وسائل لغايات معينة فكل لغة يمكن أن تقيم بالنظر لمزاياها في إنجاز هذه الغايات، وبالتالي تكون خاضعة لتحليل اقتصادي من النوع الذي ينتمي كما سماه أحد الاقتصاديين إلى الفرع المعياري لاقتصاديات الاتصال، أي البحث عن أنظمة الاتصال الأكثر مناسبة لسلم قيم معين".[١٤]

كذلك يرى التحليل الاقتصادي إن اللغة هي "أداة في الاقتصاد وفي عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول والأمم، إذ يعدّ استعمال اللغة بمردود جيد وكفاية عالية أساساً لتحقيق الاقتصاد المعرفي، ومن ثم النمو الاقتصادي ككل، كما يعتبر ضرورياً في عملية التنمية".[١٥]

فاللغة هي أداة المعرفة الاقتصادية التي نمو ويتطور بواسطتها الاقتصاد ويصل بالبلد الى الرقي والسمو فلا يمكن يتحقق ذلك دون وجود ثقافة لغوية كبيرة تمكنهم من ذلك، ويجب ان تستعمل تلك الأداة المعرفية الاقتصادية استعمالاً جيداً ينمو من خلالها الاقتصاد إذ "يُعدّ استعمال اللغة بمردود جيد وكفاءة عالية أساسياً لتحقيق النمو، وضرورياً في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك لعدة أسباب منها: أولاً تُوفِّر اللغةُ تبادلَ ونقلَ المعرفة والخبرة بين أفراد المجتمع ومؤسساته، وهي وسيلة التواصل بين أجزاء منظومة العلم والتقانيا أو مركبات النظام الوطني للإبداع، فهي كالمال؛ إذا توفَّر تحقَّق تبادُل السلع من وجهة النظر الاقتصادية. ثانياً: يحقِّقَ إتقانُ القوى العاملة للغة العلمية والتقانية نقْلَ التقانيا للمجتمع من منابعها العالمية ثالثاً: إن العمل المشترك المنتِج والفعّال في المكتب والمصنع والحقل يحتاج إلى لغة علمية وتقانية حيّة. وإن العمل المشترك والتعاون ضمن الأمة يؤدي إلى زيادة دخل الجميع، وهذا لا يتحقق إلا باستعمال اللغة الأم. رابعاً: إن تعلم العلم والتقانيا والتدرب عليهما، وتحويل هذه المعرفة إلى خبرات وإلى أفعال ومنتجات وخدمات، يحتاج إلى لغة. خامساً: إن استخدام التقانيا استخداماً فعّالاً من قبل القوى العاملة ومن قبل كامل المجتمع، وخاصة استخدام تقانة المعلومات والاتصالات، يحتاج إلى انتشار هذه التقانات بلغة الأم، للوصول إلى ما يسمى بمجتمع المعلومات، الذي لا يمكن أن يكون بلغة أجنبية".[١٦]

كما أن رفع مستوى المعرفة لدى الأفراد في أي دولة ومنها المعرفة اللغوية له الدور الكبير في تحقيق التنمية الإقتصادية، حتى أنه يفوق على بقية العوامل في تحقيق التنمية "ففي دراسةٍ أجراها البنك الدولي ضمّت عيّنتها أكثر من ستين دولة بالإضافة لأكثر من ستين ألف جهة مختلفة، خلصت إلى أن حاجة الدول النامية إلى تحقيق النمو الاقتصادي تكمن في رفع مستوى المعرفة لأفراد المجتمع لا في مساعدات إنسانية، وهذا ما لا يتمّ الحصول عليه إلا من خلال اللغة الأم. وقد بينت أيضاً، أن للمجتمعات رصيداً أو ثروة نقديّة، ولها أيضاً رصيد أو ثروة لغويّة، وكلّ من العملة واللغة تصك، ويعتنى بتنظيم صكها، ولا تترك من دون تحكم ومتابعة من الدولة، وتأتي قيمة النقد وكذلك قيمة اللغة

من تداولها، فإذا أهملت الدولة التداول بعملتها أو بلغتها (التعليم بغير اللغة الوطنية) فإن لهذا آثاراً اقتصادية هائلة".[١٧]

وهذا ما أشار له علماء العرب أيضاً في أهمية اللغة إذ عدت" أخطر الظواهر الاجتماعية والإنسانية على الإطلاق، وكل تقدم اجتماعي كتب له الكمال إنما تم لوجود اللغة، تصور طائفة من الناس مجتمعة على عمل معين، لا يتم إلا بالتعاون بين أفراد هذه الطائفة؛ فذا التعاون يقتضي توزيعاً للعمل بحيث يكون لكل فرد دوره الخاص الذي يقوم به، وبحيث يكون بعض الأفراد موجهاً، ورئيساً وبعضهم موجهاً ومرؤوساً، وبحيث يلزم أن يتم اتصال من نوع معين بين الرئيس، والمرؤوس لصالح العمل، ثم ابحث في خيالك وسوف لا تجد وسيلة للاتصال أنجح في هذا الباب من اللغة، وخير مثال لذلك الانسجام المطلق في العمل بين عمال المصانع، والتنظيم الدقيق للجهاز الحكومي؛ فكل أولئك أمثلة تتجلى فيها أهمية اللغة، كوسيلة من وسائل الاجتماع، وكأداة من أدوات تنسيق الجهود الفردية، ومزجها في مجهود جمعي عام".[١٨]

فاللغة أداة قبل كل شيء "فهي ليست قيمة وانما تنطوي على قيمة. وامتلاك لغة مثل امتلاك نقود ينطوي على إمكان توسيع مجال الفعل لدى الأفراد ومن ثم ينطوي على إمكان إغنائهم. ومع ذلك فإن التحقق من معايير التي تحدد قيمة لغة ما ليس مهمة سهلة" ذلك اصبح من الواجب الحفاظ عليها بل تطويرها والمداومة على استدامتها كونها اداة تنمي وتطور اقتصاد البلاد من هنا اصبح الاداة المهمة والرئيسة في الانتعاش الاقتصادي للدول".[١٩]

وهكذا نجد إن الكتابة بوصفها وسيلة لإبقاء اللغة، تجسِّد أول ثورة اتصال في التاريخ الإنساني، فالإنسان منذ أقدم العصور لم يستغن عن هذه الوسيلة القيمة، والمرحلة المبكرة للمجتمع المتعلم لا تزال مفيدة من أجل فهم صحيح للجوانب الاقتصادية للاتصال اللغوي، ومنذ البداية كانت الصلة بين الاقتصاد واللغة المكتوبة صلة ذات تأثيرات متبادلة، وحتى على المستوى الاجتماعي وُجدت اللغة المكتوبة وانتشرت استجابة للاحتياجات الاتصالية المتأصلة في الاحتياجات الاقتصادية، وبفضل تجاوزها لحيزي المكان والزمان فهي تمكِّن الفرد والمجتمعات الاجتماعية من مدّ مجال الاتصال إلى ما وراء المحيط المشترك للمتعاملين الموجودين معاً، إذ علم اللغة لا يكون معقولاً بشكل موضوعي من دون مفاهيم اقتصادية، ومن هنا تبرز الأهمية الاقتصادية للغات وتأثير العوامل الاقتصادية في

التطور اللغوي، مما يستدعي مزيد من اهتمام علماء اللغة وعلماء الاقتصاد والمخططين اللغويين في البلدان النامية، بغية قيام اللغة بتحقيق التنمية الاقتصادية المنشودة.[٢٠]

المبحث الثاني

وسائل عوامل النهوض باللغة من خلال التنمية المستدامة

تعد التنمية المستدامة واحدة من الأولويات الرئيسة التي تسعى جميع الدول لتحقيقها في الوقت الحاضر، فهي إلتزام متعدد الجوانب والأبعاد لتحقيق حياة أرقى لجميع البشر، فهي تستند في فلسفتها على إستمرار كينونة الحياة للإنسان والنبات والحيوان على حد سواء، وذلك من خلال ديناميكية تعتمد التوازن في هذا الكون، وإذ تعد اللغة اداة من أدوات تحقيق الرقي لمختلف الأمم والمجتمعات، فقد كان للتنمية المستدامة وسائل عده للنهوض باللغة، ومن هنا سنناقش في هذا المبحث وسائل نهوض اللغة من خلال التنمية المستدامة من خلال مطلبين، نخصص الأول للتنمية المستدامة وعلاقتها باللغة، بينما سيكون المطلب الثاني مخصص للبحث في وسائل استدامة اللغة والحفاظ عليها.

المطلب الأول

التنمية المستدامة وعـلاقتها باللغة

على الرغم من وجود تعريفات كثيرة للتنمية المستدامة إلى أن أدقها يشير إلى إنها "التنمية التي تلبي إحتياجات الجيل الحالي، دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجاتهم" .[٢١] والتنمية في اللغة هي أسم الحدث الدال على تغير الشي في ذاته أو في موضوعه نحو الزيادة أو الارتقاء، ومن ثم يمكن القول أن التنمية المستدامة تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية تعامل مع الطبيعة بطريقة عقلانية.[٢٢]

وللتنمية المستدامة بعد اجتماعي، إذ تسعى عملية التنمية المستدامة لتحقيق تنمية بشرية، تهدف إلى تحسين مستوى الإنسان اجتماعيا وأدبياً، وفق ما تؤكد أدبيات التعريفات بأن مرتكزها الأساسي ينطلق من خلال مشاركة الناس في صنع القرارات التنموية التي تؤثر في حياتهم، ويشكل الإنسان محور هذه التعريفات المقدمة بخصوص التنمية المستدامة، والعنصر المهم الذي تشير إليه تعريفات التنمية المستدامة المتمثل بالعدالة والإنصاف والمساواة.[٢٣]

أما بشأن علاقة التنمية المستدامة باللغة، فقد استقطب أمر علاقة اللغة بإحداث التنمية في بلادها اهتمام العلماء والباحثين في العقود الأخيرة، وإن استغرب كثيرون أمر هذه العلاقة لاعتقادهم أنّ التنمية لا يؤدي إليها إلاّ العناصر المادية المتمثلة في رؤوس الأموال ووجود الشركات والمصانع والمواد والمعدنية، فهل توجد فعلاً علاقة ما بين اللغة والتنمية؟ وكيف تتمظهر هذه العلاقة؟.

إننا نجد الإجابة على هذه التساؤلات في آراء علماء شغلت بالهم الظاهرة اللغوية ومسألة التنمية، وعندما نطلع على هذه الآراء والبحوث والتقارير في مؤلفاتهم، وفي تقارير التنمية، ودراسة الحالات لنماذج معينة لدول حققت التنمية المنشودة، فإننا نجدها تدلل على وجود هذه العلاقة من خلال أمرين حاسمين وهما:

الأمر الأول: وهو كون اللغة الأم هي المحرك الأساسي لكل إبداع وابتكار، وأن لا نهضة قامت على وجه الأرض وكانت بعيدة عن اللغة الأم، أو أنها قامت بلغة أجنبية عن هذه الأمة.

الأمر الثاني: وهو أنه في مفهوم التنمية المعاصرة التي ترتبط بتكوين مجتمع المعرفة فإنّ اللغة الأم تلعب دورا حاسما في تشكيل هذا المجتمع الذي يؤدي حتماً على تنمية مستدامة وشاملة.[٢٤]

ومن هذين الأمرين يتضح لنا نوع العلاقة التي تربط اللغة بالتنمية المستدامة، إذ لا يمكن للتنمية المستدامة أن تتحقق بلغة غير اللغة الأم، ومن هنا تبرز اهمية علاقة اللغة بالتنمية.

المطلب الثاني

وسائل عوامل استدامة اللغة العربية والحفاظ عليها

إن اللغة العربية لغة حية تنمو وتتطور بتطور الزمن ومادامت هي الوعاء الذي يحتوي المجتمع، فتتطور بتطور ذلك المجتمع، وليس ذلك فقط بل تساعد في تنميته وتقدمه، لأن اللغة كائن له علاقة كبيرة بالإنسان لاسيما اللغة العربية فهي تشمل في طبيعة تكوينها عناصر نموها وحيويتها، فهناك القياس والإبدال والقلب والنحت والتعريب والاشتقاق وغيرها. ويعتبر هذا الأخير ظاهرة لغوية سامية، ووسيلة هامة لنمو اللغة لاسيما من حيث الألفاظ والصيغ الدالة على المعاني الجديدة، يقول الدكتور ابراهيم انيس: " ولعل أوضح وسيلة من وسائل نمو اللغة، وأكثرها عناية ورعاية لدى القدماء من

العلماء هو ما سموه بالقياس اللغوي"[٢٥]. وسنفصل القول في تلك العوامل التي جعلت اللغة العربية مستدامة لهذا اليوم.

أولاً: الإشتقاق

وهو إشتقاق كلمة من أخرى وهذا ما جعل العربية تنمو لهذا اليوم، ويعرف بأنه "توليد الألفاظ من بعض والرجوع بها لأصل واحد"[٢٦]، وكذلك يعرف بأنه "وسيلة إستخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى"[٢٧]، وهذا ما يجعل اللغة العربية تنمو وتتكاثر مفرداتها بصورة كبيرة ودائمة وتتطور بتطور الحياة الإنسانية "فالإشتقاق عملية خلق وإبداع في اللغة، وهو رافد هام لها يرفدها بكل ما تحتاج إليه من المفردات والصيغ، إنه عامل من عوامل نمو اللغات وتطورها، ووسيلة رائعة من وسائل إثرائها بالمفردات لتتمكن من التعبير عن مستجدات الحياة من الأفكار والعلوم والفنون"[٢٨]. من هنا نرى أن الإشتقاق ظاهرة مهمة في حياة اللغة العربية فهو يمدها بالألفاظ الجديدة التي تجعلها دائمة ومتجددة ومواكبة لتطورات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...الخ، وهو عنصر فعال في استدامة وبقاء اللغة العربية الى يومنا هذا.

ثانياً: القياس

من الطرق الطرائق أو العوامل الأخرى التي ساعدت في نمو وتطور اللغة العربية هو القياس، إذ يعد "لدى القدماء الأساس الذي نبني عليه كل ما نستنبطه من قواعد في اللغة، أو صيغ في كلماتها، أو دلالات في بعض ألفاظها. فالقيام بمثابة المكيال أو الميزان الذي يبين لنا الصحيح من الزائف ، وما يقبل وما يرفض ، فعلماء القرن الثاني الهجري بعد أن وردت لهم تلك الذخيرة اللغوية العظيمة، وبعد أن ورثوا من الأساليب الأدبية القدر الكبير، جعلوا كل هذا الذي جاءهم عن العرب الفصحاء أساسا يبنون عليه ما قد يعن لهم، أو نورا يهتدون على ضوئه، رغبة منهم في الاحتفاظ للعربية بطابعها، والإبقاء على خصائصها، لأنها ليست لغة للأدب العربي حسب؛ بل هي قبل كل شيء لغة الدين ولغة القرآن الكريم. وليس القياس إلا استنباط مجهول من معلوم، فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى، سمي عمله هذا قياساً. فالقياس اللغوي هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال بإستعمال، رغبة في التوسع اللغوي، وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية".[٢٩]

إذن نجد أن القياس من الظواهر الفطرية الجلية لدى الإنسان التي ساعدت في بناء وتنمية اللغة العربية لسد الحاجات والرغبات الانسانية في الحياة.

رابعاً: الإعراب

وهو ظاهرة مميزة في اللغة العربية الفصيحة، وأصبح الإعراب من أبرز العوامل التي ساعدت في نمو اللغة العربية والحفاظ عليها، وهو الأساس الذي بني عليه علم النحو قديماً، "والإعراب هو أول خاصية تحتل مرتبة الشرف ونعني به تلك العلامات التي في أواخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه"[٣٠]، وهو أيضاً "الفارق في المعاني المتكافئة في اللفظ"[٣١]، من خلال ذلك نجد أن للإعراب أهمية كبيرة في فهم وكشف المعاني والتمييز بينها وإعطاء كل معنى خاصيته التي تميزه عن غيره وخاصة المعاني التي يعتريها اللبس، وبهذا نراه يميز اللغة العربية الفصحى عن غيرها من اللغات ويجعلها تنمو وتتطور مع تطور الحياة.

وهناك عوامل أخرى ساعدت على نمو واستدامة اللغة العربية إلى يومنا هذا، كالنحت والقلب والإبدال والإرتجال والإقتراض....الخ من العوامل الأخرى التي ساهمت في خلق كل ما هو مستحدث وجديد للغة العربية وميزتها عن سائر اللغات الأخرى، وهذا ما جعل اللغة العربية فعالة في تنمية وتطوير الشعوب على مختلف الاصعدة وعلى مر العصور، من هنا لابد من إيجاد طرق وعوامل تساعد على استدامة اللغة العربية والحفاظ عليها تطويرها لأنها "في ظل هذا الوضع الراهن تواجه تحديات اكتساح اللغة الأجنبية لمناطق نفوذها وتحدي اتساع العامية في منابر كانت للعربية، مما أدى إلى تهميشها ونعتها بالتخلف والركود، وتعالت صيحات تنادي بإبعادها عن حالات التنمية وإحلال اللغة الأجنبية محلها، إلا أننا نحن العرب لا ينبغي أن نسلم ونقبل بهذا الوضع، ولا نهون من شأنه، لأنه يتعلق باللغة العربية التي هي عنوان هويتنا، وتأريخ شخصيتنا، ومستودع حضارتنا ومعارفنا وتراثا، وهي فوق كل ذلك لغة ديننا وحاملة قرآننا، لذلك فأن كل جهد يؤدي إلى التمكين للعربية وتبوئها المكانة اللائقة بها في وطنا العربي غدا جهاد لا يستغنى عنه، ولا يمكن التقليل من شأنه.، إذ إنه لا سبيل إلا أن تكون العربية هي لغة التعلم والعلوم واكتساب المعارف ولغة الصناعة والتكنولوجيا وتقنيات المعلومات والاتصال، وتلك هي مجالات التنمية المستدامة والشاملة.

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا في موضوع **دور اللغة في التنمية والتطوير (اللغة العربية إنموذجاً)**، توصلنا إلى عدد من التوصيات، نتمنى أن تسهم في ما يطمح المؤتمر إلى تحقيقه من أهداف.

النتائج:

١. للغة العربية دوراً كبيراً وبارزاً في مختلف مجالات التنمية والتطوير، ومنها المجالات السياسية والقانونية، ففي مجال السياسة وجدنا أن للغة دور مهم في تنمية السياسة الداخلية والخارجية للدولة.

٢. تلعب الصياغة اللغوية للقوانين دوراً هاماً في تنمية وتطوير التشريع، إذ من خلال اللغة تستطيع التشريعات ان تحافظ على ديمومتها، وتتطور لتكون قابلة للتطبيق على المستجدات، وذلك من خلال اختيار مصطلحات في الصياغة التشريعية يمكن أن تستوعب الحالات الموجودة وقت التشريع، والحالات التي تستجد في المستقبل.

٣. إن للغة دوراً مهماً في مجال التنمية والتطوير القضائي، فمن خلال اللغة تتطور الاحكام القضائية، فكلما كان القاضي ملماً باللغة كانت قراراته القضائية انعكاساً حقيقياً للعدالة.

٤. تلعب اللغة دوراً بارزاً ومؤثراً في مجال التنمية الاقتصادية، إذ وجدنا أنه لا يمكن قيام تنمية اقتصادية شاملة ما لم تكن اللغة الأم للدولة هي الرائدة في صناعة تلك التنمية، كما إن علم اللغة لا يكون معقولاً بشكل موضوعي من دون مفاهيم اقتصادية، ومن هنا تبرز الأهمية الاقتصادية للغات وتأثير العوامل الاقتصادية في التطور اللغوي.

٥. تعد التنمية المستدامة واحدة من الأولويات الرئيسة التي تسعى جميع الدول لتحقيقها في الوقت الحاضر، فهي إلتزام متعدد الجوانب والأبعاد لتحقيق حياة أرقى لجميع البشر، كما تعبر التنمية المستدامة بشكل عام عن مجموعة من العمليات المتكاملة التي يقوم بها مجتمع من المجتمعات، بهدف الإنتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، تستهدف غالباً تحسين الأوضاع الإقتصادية، والإجتماعية لذلك المجتمع.

٦. إن العلاقة بين التنمية المستدامة واللغة تتجسد في كون اللغة الأم هي المحرك الأساسي لكل إبداع وابتكار، وأن لا نهضة قامت على وجه الأرض وكانت بعيدة عن اللغة الأم، كما أن في

مفهوم التنمية المعاصرة التي ترتبط بتكوين مجتمع المعرفة فإنّ اللغة الأم تلعب دورا حاسما في تشكيل هذا المجتمع الذي يؤدي حتماً على تنمية مستدامة.

٧. في مجال استدامة اللغة والحفاظ عليها وجدنا إن اللغة العربية في ظل هذا الوضع الراهن تواجه تحديات اكتساح اللغة الأجنبية لمناطق نفوذها وتحدي اتساع العامية ، مما أدى إلى تهميشها ونعتها بالتخلف والركود، لذلك فأن كل جهد يؤدي إلى التمكين للعربية وتبوئها المكانة اللائقة بها في وطنا العربي غدا جهاد لا يستغنى عنه، إذ إنه لا سبيل إلا أن تكون العربية هي لغة التعلم والعلوم واكتساب المعارف ولغة الصناعة والتكنولوجيا وتقنيات المعلومات والاتصال، وتلك هي مجالات التنمية المستدامة.

التوصيات:

١. ضرورة قيام الجهة التشريعية بالاهتمام في الصياغات التشريعية، وإستعمال لغة واضحة دون الاعتماد على أي مصطلحات غير العربية.
٢. نوصي السلطة القضائية بضرورة زج القضاة في دورات لغوية لتعزز قدراتهم اللغوية عند صياغة القرارات القضائية، لتكن رصينة من حيث لغتها.
٣. يجب على ممثلي الدولة بمختلف هيئاتها إستعمال اللغة العربية الفصحى في كافة المخاطبات والمؤتمرات والمحافل الداخلية والدولية حتى وإن كان هناك طرف غير عربي في تلك المحافل.
٤. الحث على إقامة البرامج الاقتصادية بمختلف اشكالها باللغة العربية الفصحى، والابتعاد عن المصطلحات الاجنبية الاخرى.
٥. ضرورة قيام الدولة بدعم جهود المؤلفين ودور النشر التي تهتم بمؤلفات اللغة العربية، لتكن اللغة العربية من خلال ذلك التأليف والنشر في استدامة وتطور دائم، فكلما كانت اللغة العربية مدار بحث ودراسة دائمة لمستجداتها تصبح لغة حية مستدامة.

الهوامش:

[١] محمد بلاسي. نحو النهوض بالعربية، مقالة منشورة في صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة العدد٦٣/٦٤، الرباط، ٢٠٠٩، ص٣٢٦.

[٢] الزخرف/٣

[٣] خالد بن حامد الحازمي. الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ص٤٥٠.

[٤] عبد العظيم ابراهيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢، ٥١/١.

[٥] الحفيرة يوسف . دور اللغة في الخطاب السياسي. مقال منشور في موقع هس بريس على شبكة الانترنيت، على الموقع: www.hespress.com .

[٦] قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المتخذ في الجلسة العامة رقم (٢٢٠٦) في ١٩٧٣/١٢/١٨، وقد سمي هذا اليوم لاحقاً بيوم اللغة العربية وأصبح يحتفى به بشكل سنوي.

[٧] جميع المعلومات والوثائق منشورة في موقع الأمم المتحدة على شبكة الأنترنيت: www.un.org/ar.

[٨] بوفوس ياسين. دور اللغة في الصياغة القانونية، مقالة علمية منشورة في موقع منار الاسلام على شبكة الانترنيت، على الموقع :www. islamanar.com .

[٩] عبد القادر الشيخلي. فن الصياغة القانونية، مكتبة دار الثقافة للنشر، عمان،١٩٩٥، ص١٤-١٥.

[١٠] احمد عبيس الفتلاوي. التشريع السليم، منشورات زين الحقوقية، بيروت ،٢٠١٥، ص٣٠-٣١.

[١١] فهد أبو العثم. اللغة العربية ودورها في التشريع والقضاء، مقالة منشورة في موقع (منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية) على شبكة الانترنيت، على الموقع www.m-a-arabia.com.

[١٢] خليفة بن يحيى بن سعيد الجابري. اللغة العربية وأهميتها في عمل القاضي، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الخامس و العشرين لمديري المعاهد القضائية ورؤساء إدارات الأطر القضائية في الدول العربية، سلطنة عمان، ٢٠١٧، ص٢.

[١٣] فهد أبو العثم. مصدر سابق.

[١٤] فلوريان كولماس. اللغة والاقتصاد، ترجمة احمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص٢٦٥.

[15] Organization for Economic cooperation and developpement (OECD), The Knowledge Based Economy ;1996 . نقلا عن: نوال حمادوش. في العلاقة بين اللغة/ (ت) بالاقتصاد -مقاربة سوسيو اقتصادية، بحث منشور في موقع (عبر) مجلة الإنترنت للدراسات الثقافية، المانيا، TRANS.٢٠٢٠.

[١٦] محمد مراياتي. تأثير اللغة في النمو الاقتصادي و الاجتماعي في الدول العربية، مقالة منشورة في صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة على شبكة الانترنيت، على الموقع::www.arabiclanguageic.org.

[١٧] تقرير منشور على موقع البنك الدولي على شبكة الانترنيت: www.albankaldawli.org .

[١٨] تمام حسان. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص١.

[١٩] فلوريان كولماس. مصدر سابق، ص٦٩.

[٢٠] ينظر: نوال حمادوش. مصدر سابق.

[٢١] عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنط. التنمية المستدامة "فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها"، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠، ص٢٥.

[٢٢] أحمد حميد البدري. الحماية الدولية للمناخ في إطار التنمية المستدامة، دار انكي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٢١، ص١٨.

[٢٣] أحمد عبد الفتاح ناجي. التنمية المستدامة في المجتمع النامي في ضوء المتغيرات العالمية والمحلية الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، مصر،٢٠١٣، ص٧٨-٧٩.

[٢٤] عبد القادر بوشيبة. اللغة العربية والتنمية المستدامة (جدلية العلاقة وسبل النهوض)، بحث منشور في شبكة الانترنيت على الرابط: abgadi.com › pdfs › rvjpwwx، ص٣١٩.

[٢٥] إبراهيم انيس. من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦، ص١.

[٢٦] صبحي صالح. دراسات في فقه اللغة ، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٠، ص١٧٤.

[٢٧] إبراهيم أنيس. مصدر سابق، ص٤٦.

[٢٨] محمد اسماعيل بن عبدالسلام. دور الإشتقاق في تنمية الألفاظ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، ص٤٠.

[٢٩] إبراهيم أنيس. مصدر سابق، ص٩.

[٣٠] صالح بلعيد. فقه اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٨، ص٦.

[٣١] السيوطي. المزهر، المكتبة العصرية، ط ٣، بيروت، ١٩٨٦، ١/٣٢١.

المصادر

- **القرآن الكريم**

١. إبراهيم انيس. من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.

٢. أحمد عبد الفتاح ناجي. التنمية المستدامة في المجتمع النامي في ضوء المتغيرات العالمية والمحلية الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، مصر،٢٠١٣.

٣. احمد عبيس الفتلاوي. التشريع السليم، منشورات زين الحقوقية، بيروت ،٢٠١٥.

٤. بوفوس ياسين. دور اللغة في الصياغة القانونية، مقالة علمية منشورة في موقع منار الاسلام على شبكة الانترنيت، على الموقع: www. islamanar.com .

٥. تقرير منشور على موقع البنك الدولي على شبكة الانترنيت: www.albankaldawli.org.

٦. تمام حسان. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
٧. الحفيرة يوسف . دور اللغة في الخطاب السياسي. مقال منشور في موقع هس بريس على شبكة الانترنيت، على الموقع: www.hespress.com .
٨. خالد بن حامد الحازمي. الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
٩. خليفة بن يحيى بن سعيد الجابري. اللغة العربية وأهميتها في عمل القاضي، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الخامس و العشرين لمديري المعاهد القضائية ورؤساء إدارات الأطر القضائية في الدول العربية، سلطنة عمان، ٢٠١٧.
١٠. السيوطي. المزهر، المكتبة العصرية، ط ٣، بيروت، ١٩٨٦.
١١. صالح بلعيد. فقه اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٨.
١٢. صبحي صالح. دراسات في فقه اللغة ، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٠.
١٣. عبد العظيم ابراهيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢.
١٤. عبد القادر الشيخلي. فن الصياغة القانونية، مكتبة دار الثقافة للنشر، عمان،١٩٩٥.
١٥. عبد القادر بوشيبة. اللغة العربية والتنمية المستدامة (جدلية العلاقة وسبل النهوض)، بحث منشور في شبكة الانترنيت على الرابط: abgadi.com › pdfs › rvjpwwx.
١٦. عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنط. التنمية المستدامة "فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها"، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠.
١٧. فلوريان كولماس. اللغة والاقتصاد، ترجمة احمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.
١٨. فهد أبو العثم. اللغة العربية ودورها في التشريع والقضاء، مقالة منشورة في موقع (منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية) على شبكة الانترنيت، على الموقع www.m-a-arabia.com.
١٩. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المتخذ في الجلسة العامة رقم (٢٢٠٦) في ١٩٧٣/١٢/١٨.

٢٠. محمد اسماعيل بن عبدالسلام. دور الإشتقاق في تنمية الألفاظ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد.

٢١. محمد بلاسي. نحو النهوض بالعربية، مقالة منشورة في صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة العدد٦٣/٦٤، الرباط، ٢٠٠٩.

٢٢. محمد مراياتي. تأثير اللغة في النمو الاقتصادي و الاجتماعي في الدول العربية، مقالة منشورة في صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة على شبكة الانترنيت، على الموقع::www.arabiclanguageic.org.

٢٣. نوال حمادوش. في العلاقة بين اللغة/ (ت) بالاقتصاد –مقاربة سوسيو اقتصادية، بحث منشور في موقع (عبر) مجلة الإنترنت TRANS للدراسات الثقافية، المانيا، ٢٠٢٠.

24. Organization for Economic cooperation and developpement (OECD), The Knowledge Based Economy ;1996.

آلية التدافع والاسترجاع في شعر البريكان

م.د وجدان صادق صدام

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

التمهيد

يعدّ محمود البريكان أحد أعلام الشعر العراقي الحديث ، بوصفه شاعراً مجدداً اختط لنفسه طريقاً ابتعد فيه عن أدلجة القصيدة وعن أسطرتها ، وخلق صوته المتفرد والخاص في حالة متميزة من الصمت الوجودي الذي أراد له أن يقول ما لايقال ، وأن يتعرّف ما لا يباح ويتقصى حدود العوالم ، ويوصل ما كان يصبو إليه الشاعر ، ليحفر في صخرة الشعر رمز انتصاراته .

ولا يمكن النظر إلى شعر البريكان إلّا ضمن سياق الحداثة التي ينتمي إليها الشاعر في ذاكرة الشعر العراقي وخارطته ، وهي حداثة فرضت نفسها على الساحة الأدبية وخلقت أسماء شعرية لامعة في سماء العراق ، كان البريكان في مقدمتها .

لقد مثّل البركان روح التطلع الحداثوي المستند على مظاهر التمدن في الثقافة العراقية ، وقد انعكس هذا الامر على شخصه قبل نتاجه الشعري . ولم يكن ذلك السلوك المتحضر وليد الصدفة ، بل هو تجسيدٌ لفلسفة الشاعر في الوجود والحياة ، وهي فلسفة كان صداها يتردد في قصائده التي حملت لغة خاصة أردا منها شاعرنا أن تنقله إلى بر الأمان عبر متاهة شعرية ملغومة بالعوالم السديمية والأسرار الكونية الملغّزة .

وفي سبيل تحقيق مشروعه الشعري ، سعى البريكان إلى خلق ارادته الحرة بعيداً عن التزويق والتطبيل ، متحصناً بعزلته الخلاقة ، تلك العزلة التي يحتاجها المبدعون بنسب متفاوتة ، كانت نسبة البريكان منها كبيرة إلى درجة الابتعاد عن المجموع ، وإيثار الصمت على الضجيج ؛ وكأنه أراد أن يعتصم بعزلته ليرى . ولعلنا لا نأتي جديداً حين نقرر أن البريكان كان قليل النشر لأعماله الشعرية

ولكتاباته النثرية ، وهو أمر أفضى إلى عرقلة وصول قصائده إلى أكبر عدد من القراء ، ومن ثمّ ضاقت المساحة الحقيقية التي كان يجب أن يشغلها شعر البريكان على الساحة الأدبية .

لم يعد الحديث عن انطلاقات البريكان إلى فضاءات الحداثة الشعرية الإنسانية ، لم يعد ذلك الحديث جديداً على متلقي ومنظري ونقاد الشعر العراقي الحديث ، فهو أمر مثبت في أكثر من دراسة(١) ، ولكن الحديث عن أسرار وأعراض وكيفيات ذلك الانطلاق ومنابع الإبداع ومواضع المغايرة والخصوصية في تفاصيل عمل الشاعر ، وفك شفرات ذلك اللغز الشعري الذي ما يزال يشكّل هالة من الغموض والدهشة في داخل أبنية وصور النص الشعري البريكاني ، هو ما ينبغي الحديث عنه وصولاً إلى التعرف على ملامح الاتجاه الشعري للبريكان بوصفه شاعراً تفرد بخصوصيته الفنية والفكرية .

آلية الإسترجاع

أن تناول نص من نصوص البريكان ليس بالسهل .. كما أنه ليس بالمستحيل ، فمثلما تأتي نصوصه مشحونة بالمزايلات والمتغايرات وجامعة بين الحسي والمعنوي ، وموافقة بين نار العاطفة وماء اللغة ، فإن الوقوف عليها – أيضاً– يحتاج إلى قدرة واسعة على اقتحام العوالم الرؤيوية والتحليق في فضاءات الدلالة ، وذلك يحتاج إلى امتلاك العديد من ملكات القراءة ، والاستناد إلى مرجعيات فكرية وحاسة ذوقية للكشف عن العلاقات والدوال والمسوغات ، وصولاً إلى حدود المرامي الدلالية وأبعاد الرؤية .

يقول حاتم الصكر : ((أن كلّ عودة إلى شعر البريكان لم تكن إلّا أشبه بوقفة تذكارية واسترجاع لشعر ، كفٌّ عن أداء الفاعلية بطارئ الصمت الذي يلي النصوص))(٢)؛ ومن هنا فإن قراءة شعر البريكان تضعنا أمام حياة كاملة لشاعر عاصر سبعة عقود من تاريخ العراق بما فيها من تحولات سياسية واقتصادية وثقافية ، لم يكن فيها البريكان إلّا مراقباً لهذا العالم ، محاولاً أن ينتزع منه الصورة الحقيقية للشاعر وللإنسان .

عندما نقرأ قصيدة (البرق) تتكشف لنا صعوبة الكشف عن صور الفناء والعدم التي تتمظهر في الأشياء العاقلة وغير العاقلة ، يقول البريكان(٣):

البرق ١

أطلق البرق شحنته في عروق السماء

كشف البرق هاوية الكون ،

رسم في الليل وجه العدم

يخلف ظلاً من الخوف أزرق ..

منتشراً كصدى ..

البرق ٢

قبة الليل في لحظة تتفطر

الأرض بحر من الزرقة الساطعة .

البيوت

فجأة تستحيل شواهد من مدن دارسة .

ثمّ تستأنف الكائنات تنفسها

وتواصل في العتمة القارسة

نبضها

فعلى الرغم من أن الرؤية الحسية لها أثرها في استقبال ما يدور حول الإنسان وطريقة وكيفية تفسير الظواهر وخلق العلاقات أو ادراكها وفقاً لذلك ، فإن مخرجات قصيدة البريكان تنشأ وفق رؤية عدمية تفصح عن الخوف الجمعي من هذه الظاهرة ؛ فهذا البرق الذي يحدث أمام أعيننا مراراً دون أن نلتفت إليه ، يرصده البريكان بوصفه لحظة عدمية تحمل معاني الفناء والزوال ، وهي حالة ملازمة في المخيال الشعبي لكثير من حوادث الطبيعة وكوارثها ، فالشاعر ينقل الفكرة بعيدا عن التعبير الاعتيادي المتعارف عليه ، وحضور الفكر الشعري الفعال لديه يمثل التعبير الشعري بأسره مع قدرة بارعة في الأداء تتحاشى غالبا اللجوء الى المؤثرات الشعرية المطروقة .

إن البريكان ينتزع هذه التجربة الشعورية الحقيقية التي عايشناها جميعاً من لحظتها الواقعية التي أثارت فينا الخوف والفزع إلى لحظة كونية تُسترجع فيها معاني التأمل الميتافيزيقي ، وهي معاني

تتعدى حدود الواقعة في محاولة للكشف عن دلالاتها النفسية والوجودية ، والبعد الرمزي العدمي للبرق الذي تشترك فيه الكائنات .

ويمكن القول إن شعر البريكان هو شعر ذو مضامين فلسفية ورؤى فكرية شاملة وعميقة للوجود والبحث الدائم عن مصائر الاشياء والكائنات وتلمس الحدث على حواف الزمن وامتداداته والتأمل في اسرار الوجود والعدم ، وهذه الموضوعات ذات خاصية ماسية لا تتلف او تفقد فاعليتها سواء ظهرت في حينها او بعد عقود من كتابتها ؛ فـ(الشعر العظيم يحتوي دوماً على إحساسٍ بالتصميم الذي ينطلق من حالة قُدّمت بصورة محددة ؛ إن الشعر العظيم يحتوي دوماً على احتكام إلى خلفية من الخبرة الإنسانية التي تكون موجودة على حدّ سواء في الوقت الذي لا يجري فيه تسميتها أو تعيينها أو حتى مناشدتها))(٤)

آلية التدافع

في قصيدة بعنوان (احتفاء بالأشياء الزائلة) تتدافع المعاني في احتضان الكائن الإنساني ، والاحتفاء بمجده ومجد الأرض التي يقيم عليها(٥):

أربعُ أيدٍ

تمتدُّ إلى دفء النار معاً

وعيونٌ أربع

تتأمل طفلاً في مهده

مائدةٌ

من زاد الفقراء

وحديثٌ هادئ

الليلُ ، وفلمُ السهرة

أنسامُ الفجر تزفُّ رفيف جناح فراشة

العشبُ الليّن بعد الغيث

يبدو منتعشاً ونظيفاً

الموسيقى تتموج في الغرفة

عنوانُ كتابٍ ممتع

كأسُ الماء لظمآن

نعاسُ المتعبِ

لعبُ الأطفال وضجّتُهم

الذكرى تمرق في لحظة

خطةُ يومٍ قادم

نورُ الشمس

مجرّد نور الشمس

أجملُ ما في العالم

مشهدُه العابر

ومباهجُه الصغرى .

طوبى لك

إن كنتَ بسيط القلب

فستفهم مجد الأرض

سحرَ الأشياء المألوفة

إيقاعَ الدأبَ اليومي

وجمالَ أواصر لا تبقى

وسعادة ما هو زائل .

هذه المناجاة العاطفية المعبرة عن الصوت المرهق بالتساؤلات ذات البعد الميتافيزيقي ، فوراء كلّ مشهد أرضي مشهدٌ آخر غير أرضي ، يتخفى في ظلاله وينطوي على معنى عميق بالعدم والزوال ؛ فحينما تتقنع ذات البريكان في متراس قصائده يلتبس على متلقيه وقرّائه ما نصيب الحقيقة في شعره وما نصيب التخييل ! إنها مهارة في تقمص الذات تمكنه من الابتعاد عن البوح المفضوح الذي يتطلبه الحوار وكتابة السيرة ، بالرهان على قصائده وحدها لكي لا يمسك اي من متلقيه وقرائه ببعض حقائقه ، على نصاعة ما يملك من حقائق ؛ وهكذا يتحول كل بيت شعري لدى (البريكان) إلى علامة تضيف دالاً إلى المشهد ، الذي يشير بما فيه الكفاية إلى ظاهرة دلالية– سيمائية .

تميز شعر البريكان بالاستحواذ على مناطق التدافع والاسترجاع من خلال الصور المبثوثة في أشعاره بأسلوب سردي يصوّر به خفايا عالمه الخاص ؛ فقد حاول الشاعر أن يصنع من الواقع عالماً مغايراً ، محولاَ إياه إلى حدث تجريبي وخيالي عبر حرصه المستمر على مقاربة شخوص قصائده من مواقع عدة ، مع التركيز على موقعها من حيث الفعل والحركة ، فهو الذي يحدد ظهورها وغيابها على وفق نسق المثول والحركة ، وكأنه يحاول أن يرينا صورة بصرية مشحونة بالتأملات ، يقول البريكان(٦):

إلى عالم الأسرار تهفو سرائري ويسري على صوت الصبابة خاطري

فتُسكرني الذكرى وتسكب وحيها على وتري الضمآن فيض مشـاعرِ

ويـرسم وجهي صـورة عبقريـــة أرى في محـانيها ملامح غــابر

ولو تأملنا هذه القصيدة بأكملها سنجدنا أمام سلسلة متواصلة من المعاني التي تتوالد لتحيلنا إلى معان أخرى وكأننا أمام جمهرة من المعاني يحاول الشاعر أن يخرجها لنا من باب هذه القصيدة دون أن تتشابك فيما بينها .

لقد كان البريكان يروّج في قصائده – بطريقة ذكية وواعية – لما ينبغي أن تكون عليه الحياة ، لأن ما يراه على أرض الواقع بعيد جداً عما هي عليه الحياة المنشودة ، إنه يشير بطرف خفي ناعياً ما وصل إليه الضمير المجتمعي ؛ يقول في قصيدة بعنوان (إنسان المدينة الحجرية)(٧):

في العالم المطمور تحت الأرض ، في متاهْ

قدّ من الحديد والاسمنت والحجرْ

حيث يمد عنكبوت الخوف والضجرْ

خيوطه في طرق الصمت، ولا مفرْ ...

في لابرنث الموت، حيث يهلك البشرْ

شوقاً الي الحياة

حيث يضيع الصوت، حيث يفقد الأثرْ

أنت هنا تدورْ

كأنما تلهث في لهاثك العصورْ

أنت هنا ... ماذا تغني أنت للقبور؟

ماذا تقول للظلام الفظ والصقيع ؟

وما الذي تسر للوحدةْ ؟

تدور ! في عينيك شئ ما عن الربيعْ

وعن سماء لم يمر العدم المريعْ

بأفقها، وعن مكان ضاحك وديع

يغسله الفجر، ويرويه السنى وحده !

انت هنا في سجنك الصخري، في دروب

تلتف، تلتقي، وتلتف، ولا يؤوب

أسيرها، تحلم بالعالم، بالهروب

من السكون الوحش، من خيالك المتعبِ

من صوتك الأبح، من وقع الخطى الأشهبِ

من الرؤى يدركها الذبول والجفافْ

كالزهر، كالعنقود بعد موسم القطافْ

تحلم بالعالم، بالشمس التي تضيء

تلون الأرض، ورقص الزهر البريء

تحلم : أبعاد، وآفاق وأغنياتْ

وأعين ضاحكة، رائعة اللغاتْ

شواطئ مديدة، ليس لها مدى

جزائر مفعمة بالعطور والندى

مدائن غريبة، تموج بالحياة

عواصم مخيفة الهدير والصدى

ملامح تطبع في النفس، مصادفاتْ

عجيبة، دموع أحزان، وقهقهات ....

تحلم بالعالم حيث ترسخ الجذورْ

وتلعب الرياح

حيث يكون الليل حلماً فرحاً جسورْ

بمشرق الصباحْ .

كم ساعة قضيت من أمسية حزنى

تنظر في البحر الذي ليست له حدودْ

ماذا تقول أنت للموج الذي يعودْ

بعد ارتطام بالصخور الخضر (الخلودْ

للصخر .... للصخر الذي ليس له معنى ...)

ماذا تقول أنت للطير التي تحومْ

على اشتعال الماء ؟ والقش الذي يعومْ

خلاله (لعله من منبت سحيقْ

جاء ونحو شاطئ محتجب عتيقْ

سينتهي !) وما الذي تقول للشراعْ

الأبيض الخفاق، والريح التي تهيم

في مرح كبهجة الأطفال واندفاعْ !

ماذا تقول أنت في هدوئك الأليم

للأفق المدور المغلق ؟ والشعاع؟

ألم تكن يوماً

طفلاً جميل السر لا يحاكم البشرْ ؟

ألم تكن يوماً

تهرع للشمس وتشتاق الى القمر؟

من أين جاءت هذه الوحشة في قلبك ؟

كيف تلاشي الدهر عن رؤيا بلا ألوان ؟

وأين ترجو أن تلاقي أيها الانسان

ما ضاع من حبّك؟

هذه القصيدة ، التي ذكرناها كاملة ، يسترجع فيها البريكان معاني الحيرة ومشاهد السراب متكأً على عنوان مستلهم من حكايات ألف ليلة وليلة ، ومفارقاً صاحب الحكاية بأن بطله هو إنسان هذه المدينة المتحضرة التي سحقت إنسانيته وجعلته منبوذاً ، إذ يقف البريكان على علامات فاضحة لشيء ما ، وشاهدة على زمن ما ، وعلى ما يعتمل داخل المستراب ، ليؤكد الصدمة والحيرة التي تسبق البحث عن الحقيقة ، وهنا كان اختياره للفظة (متاه) ، وما فيها من قراءات لكلّ أواصر الانزياح السياسي والاجتماعي والثقافي ، كبؤرة انطلاق لفكرة راسخة في ذهنه مؤداها تهالك المصير البشري ؛ ومما لا شك فيه وثوق العلاقة الأكيدة بين التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية في المجتمع ، والتطورات الأدبية والفنية في هذا المجتمع ، (وعلى الرغم من وثوق هذه العلاقة ، بين التطور الاجتماعي والتطور الأدبي الفني ، فإنها ليست علاقة مرآوية ميكانيكية تطابقية ، كما كان يرى بعض علماء الجمال الماركسيين ، فيما سبق ، بل هي علاقة جدلية مرنة)(٨).

ومن هنا ، يمكن أن نعدّ رؤية البريكان لواقع مجتمعه ومكانة الأنسان فيه ، ردة فعل لما هو سائد في ذلك المجتمع من تغيرات سياسية واجتماعية وفكرية لم تترك أثراً جيداً في نفس الشاعر ؛ لذلك راح البريكان يبحث في الواقع والتاريخ عن الوجه المغيب لعظمة هذا الكائن الإنساني .

الهوامش

١- ينظر- على سبيل المثال - : محمود البركان دراسة ومختارات ، عبد الرحمن طهمازي ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩م ، والإبلاغ الشعري المحكم – قراءة في شعر البريكان - ، فهد محسن فرحان ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١م ، والطرق على آنية الصمت ، أسامة الشحماني ، ط١ ، منشورات بابل (المركز الثقافي العربي السويسري) ، زيورخ- بغداد ، ٢٠٠٦م .

٢- كتابة الذات ، دراسات في وقائعية الشعر ، حاتم الصكر ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤م :٢٣١ .

٣- متاهة الفراشة ، محمود البريكان ، جمع وتبويب : باسم المرعبي ، ط١ ، نيبور للنشر ، ٢٠٠٣م .

٤- سبعة ألوان من الغموض ، وليم امبسون ، ترجمة : صبري محمد حسن عبد النبي ، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق فريد ، المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة - ، القاهرة ، ٢٠٠٠م : ١٤ .

٥- متاهة الفراشة :

٦- المصدر نفسه :

٧- المصدر نفسه :

٨- ندوة الشعر العربي الحديث ، مجموعة باحثين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٥م : ١/ ٩ .

المصادر والمراجع

- الإبلاغ الشعري المحكم – قراءة في شعر البريكان - ، فهد محسن فرحان ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١م .
- سبعة ألوان من الغموض ، وليم امبسون ، ترجمة : صبري محمد حسن عبد النبي ، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق فريد ، المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة - ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- الطرق على آنية الصمت ، أسامة الشحماني ، ط١ ، منشورات بابل (المركز الثقافي العربي السويسري) ، زيورخ- بغداد ، ٢٠٠٦م .
- كتابة الذات ، دراسات في وقائعية الشعر ، حاتم الصكر ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤م .
- متاهة الفراشة ، محمود البريكان ، جمع وتبويب : باسم المرعبي ، ط١ ، نيبور للنشر ، ٢٠٠٣م .

- محمود البركان دراسة ومختارات ، عبد الرحمن طهمازي ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩م .
- ندوة الشعر العربي الحديث ، مجموعة باحثين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٥م .

بين النص الحاضر والنص الغائب قراءة في

قصة المملكة السوداء لمحمد خضير

م .د هالة فتحي كاظم السعد

جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

يقصد بالنص الغائب تلك الرموز والدلالات والمراجع والإشارات التي يتضمنها النص الحاضر دون الإشارة إليها بشكل صريح او مباشر . ويعني النص الغائب أيضا كل الأبعاد التي لم تقلها اللغة حرفيا ولكنها توحي بها وتثيرها ، كما انه يعني ما لم يقله النص ولكنه يدل عليه .

النص الغائب بالتالي هي دراسة ما وراء النص الحاضر من اجل استيعابه وفهمه استيعابا عميقا وفهما شاملا ومن ثم كشف خفاياه وأبعاده . فهي تفيد في عملية تحويل القارئ إلى منتج للنص (١) ، كما يرى بارت ، وهي عملية تثري النص إثراء دائما باجتلاب دلالات لا تحصى إليه ، وتفيد في ايجاد قراء ايجابيين يشعرون بأن القراءة عمل ابداعي (٢) ، ولهذا فعلى القارئ أن يقيم الجسور فيما بين عناصر الحضور وعناصر الغياب (٣) ، للوصول إلى قراءة فاعلة وواعية .

إن العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب تظل علاقة ضرورية وربما تكون هي المحور الرئيسي في عملية الصياغة اللغوية والأدبية في الخطاب الأدبي ، ويشير جاكبسون إلى هذه العلاقة قائلا " فالأسلوب يتحدد بأنه توافق بين العمليتين ، اي تطابق جدول الاختيار على جدول التوزيع مما يفرز تآلفا بين العلاقات الاستبدالية التي هي علاقات غيابية يتحدد الحاضر منها بالغائب ، والعلاقات الركنية وهـــي علاقات حضورية تمثل تواصل سلسلة الخطاب حسب أنماط بعيدة عن العفوية والاعتباط " (٤) .

وعليه فان الحضور والغياب هذه الثنائية الجدلية ظاهرة جديرة بتناولها في النصوص الأدبية التي تنحو باتجاه العمق في الدلالة ، فهي تستحث ذهن

القارئ على السعي الجاد في الغوص الى أعماق النص والكشف عن مغاليقه والدلالات المتخفية وراء كلمات النص الأدبي وعلاماته. إذ ان

دلالات الغياب المتخفية في النص تحتاج إلى ما يجعلها تتجلى من خلال متلقي النص الذي يستند في قراءته إلى دلالات الحضور التي تبدو في ظاهرها متعارضة مع دلالات الغياب ، إلاّ انه في حقيقة الأمر تتصارع دلالات الحضور والغياب متخذة من الجدلية القائمة بينهما في متن

النص وسيلة للتبادل الدلالي . أي إن دلالة الحضور قد تستحيل إلى غياب ، ودلالة الغياب قد تستحيل إلى الحضور وهكذا.. فمثلاً إن " غياب الموضوع أو الفكرة الرئيسة من النص ، يعني حضور أبرز أسباب الغياب الدلالي فيه ، كما يعني في الوقت نفسه غياب أهم إضاءة يستعين بها مستقبل النص على كشف أبعاده الدلالية. والمتلقي في هذه الحالة يجهل ما تحيل إليه لغة النص. ولغة النص نفسها تبدو معزولة عن السياق الموضوعي فلا يبقى أمام هذا المتلقي سوى الاجتهاد في تأول المعنى ، وفق آليات منهجية أو غير منهجية ، بعد ان غاب الغرض أو الموضوع الشعري ، ذلك أن غياب الموضوع يعني غياب الحقل الدلالي الأكبر(٥) الذي يمثل مفتاح الولوج إلى أغوار النص الأدبي ، إلاّ أن غياب الموضوع في النص لا يشكّل خللاً في بنية النص الدلالية ، بل يشير هذا الغياب في الموضوع إلى حضور وافر يقع عليه متلقي النص في دلالات النص المتخفية التي تشير بشكل أو بآخر إلى المسكوت عنه الذي لو أن صاحب النص الأدبي صرّح به لانتفت الجمالية الأدبية والفنية عن النص. وفي ضوء ذلك يشير بير ماشيري إلى " أن الدراسة الحقيقية لا تبقى في حدود ما يقال وإنما تبحث عما يقوله النص دون ان ينطق به ، والغياب – في نظره – هو الخاصية الحقيقية التي تحقق كينونة العمل الأدبي " (٦) ، ومن ثمة فإن الأديب إذا ما أراد أن يبقى نتاجه في حدود الديمومة أو الخلود فلابد له من أن يبتعد عن التقريرية المباشرة في الكشف عن تجاربه داخل النص الأدبي ، بل عليه أن يغيّب جوانب معينة من تجربته الشعورية في إطار شعريته النصية بما يتيح للقارئ بذل الجهد قصد الكشف عما غاب ظاهريا في النص ، وأقول هنا ظاهريا ، لأن النصوص العميقة تكتفي بإيراد إشارات معينة تقود بعد انعام النظر إلى كشف المستور الغائب الحاضر في جدلية جمالية بعيدة عن الترهل والرتابة المقيتة ؛ إذ إن " الكتابة مرتبطة بالتأجيل، بالإرجاء ، بالغياب ، على عكس القول الذي يستلزم القرب والحضور والمواجهة. فعندما يتعذر الاتصال المباشر ، عندما تكون هناك مسافة (مكانية أو زمنية) تفصل المخاطَب عن المخاطِب ، فإن الكتابة تنوب عن القول " (٧)، إذن ، فإن موضوعاً

مثل الحضور والغياب في النص الأدبي يحتم علينا أن نتخذ القراءة والتأويل منهجاً لمعالجة هذا الموضوع ، ذلك أن دلالة الغياب في أي نص تدعو إلى استثار القارئ بآليات التأويل بوصفها عناصر اشتغال تعمل على كشف خفايا النص وسبر أغواره ، ذلك أن " القارئ باعتباره نقطة من المنظور يتحرك خلال الموضوعات ، إنه يمثل نقطة رؤية متحركة داخل ما يجب عليه تأويله وهذا ما يحدد فهم الموضوعات الجمالية في النصوص الأدبية " (٨) ، فالقارئ بما يمتلكه من ثقافة يعمل جاهداً على التفاعل ذاتيا وموضوعيا مع محددات النص الأدبي قصد الوصول إلى الدلالات الغائبة التي تتأتى من قراءة دلالات الحضور من خلال الجدلية القائمة بين طرفي المعادلة (الحضور / الغياب) ، فالحضور في النص الأدبي يثير أسئلة أمام القارئ تحتم عليه تقديم إجابات تتناسب مع معطيات النص الأدبي ، والغياب الذي هو نتاج فعل القراءة يمثل إجابات على تلك الأسئلة التي أثارها النص ، ومن هنا فإن " العلاقة بين المحذوف والمثبت علاقة جدلية. كلّ سؤال ينطوي على جواب وكلّ تقرير ينطوي على سؤال. كلّ ما نثبته فهو استجابة معينة لسؤال. ولذلك لا غرابة في أن نزعم مراراً أن النص يتحرك في أفق سؤال ليس أقل أهمية من أية إجابات مفترضة أو مقدمة. المهم أن الحوار لبّ النص. الحوار بين محذوف ومذكور "(٩) ، بين القارئ والمبدع ذلك الحوار الذي يشكّل محور عملية القراءة الناضجة التي تقّرب وجهات النظر بين قراءة المتلقي ، وبين مقصدية المبدع ، الأمر الذي يولّد انسجاماً بين طرفي المعادلة الأساسية في تأويل النصوص (القارئ والمبدع).

النص الغائب في المملكة السوداء

إن النص الغائب هو ما لم يقله النص مباشرة ولكن يوحي به ، هو ما لم يذكره النص ، ولكنه يتضمنه وهو كذلك ما لم يصرح به ولكنه يثيره. والبحث في النص الغائب يرتكز على البحث فيما وراء النص الحاضر بشكل أساسي ، وهو استحضار الرموز والدلالات والإشارات التي تستنبط من النص الحاضر لإعادة بنائه وترتيبه وتركيبه وبالتالي فهمه على أفضل شكل ممكن " (١٠)

لابد لنا ان نحدد مفهوم النص الغائب . وذلك لتداخل مفهوم النص الغائب مع ما يطرحه المفهوم الحداثي المعروف بالتناص ، والتقاء كل منهما في بوتقة تحليلية واحدة ، باعتبار ان كلا المصطلحين (غياب، تناص) يحاولان تحقيق غاية واحدة ألا وهي تفكيك الشفرات والتداخلات

النصية وتقاطعات النص مع كل الإرث الحضاري الانساني و التاريخي والثقافي التي تشكل نواة النص وهذا ما يذهب اليه ريفاتير حينما يعرف التناص بقوله "هو حضور النصوص الغائبة في ذهن القارئ،التي يحيل عليها النص الحاضر" (١١) اما جوليا كريستيفا فهي الأخرى تلمح الى أن التناص ما هو الا مجموعة من تقاطعات النصوص الأخرى (الغائبة) التي تقيم دعائم النص الحاضر، فالنص كما تشير "لا يقوم بذاته، وانما هو مجموعة نصوص من تقاطعات نصوص اخرى يقوم بامتصاصها فتنخرط في بنيته، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر" (١٢) ويشمل هذا التعريف المصطلحين معا، فأي نص جديد هو تشكيل من النصوص السابقة أو المعاصرة التي وردت في الذاكرة . بحيث يغدو النص الحاضر خلاصة لعدد من النصوص التي انمحّت الحدود بينها ، فيعاد تشكيلها وانتاجها بحيث لا يبقى سوي الدلالات والاشارات التي تقود للنصوص المغيبة ، ان النص الغائب يلقي الضوء على النص الحاضر لفهمه وتأويله وعليه فان النص يفسر النص . ومن هنا عرف "جيرار جينيت" النص طرس يسمح بالكتابة على الكتابة ولكن بطريقة لا تخفي تماما النص الاول الذي يظل مرئيا ومقروءا من خلال النص الجديد ، وهذا يعني ان النص يكون في باطن النص . وان الخطاب الجديد يخبئ خطابا اخر وفي هذا السياق يرى جينيت ان الاعمال الادبية نصوص اشتقت من نصوص سابقة بعملية التحويل كما في المحاكاة ، ويرى ان النص هو كل ما يضع محتواه في علاقة صريحة او مخفية مع مدونات اخرى.(١٣) ويمكننا ان نتوقف هنا ايضا . عند هذين المصطلحين لنقول ان الطرس والنص الجامع اسمان اخران لمصطلح تناص او هما قريبان منه كل القرب، وهما يتضمنان النص الحاضر الذي يخفي تحته خطابات غائبة تناصيا ، ومما لاشك فيه فان كل نص يحتاج الى الترميز والتكثيف ولذلك فان النصوص الغائبة تستطيع بوساطتها الولوج الى النص الحاضر والامساك بالرؤية التي نعالجها .وبناء على ما سبق نستنتج ان الغياب سمة تمليها ضرورات الحداثة النصية بما يسمح بالانتاج واعادة الانتاج والتحرر من قيود المغلق الى رحابة الانفتاح على الاخر ، وتفعيلا للحوارية والمثاقفة والمزاوجة تشكيلا لعلاقات جديدة " فهجرة النص اساسا لكل فاعلية نصية ومن هنا يمكن ان نجزم ان الصلة بين التناص والنص الغائب هي صلة الحضور بالغياب في التناص وغياب الحضور في النص الذي يكون مستنبطا من الحاضر ، وهو يمثل صورة من صور استلهام التراث وتوظيفه اذا كان النص الغائب قديما ويمثل صورة من صور المثاقفة اذا كان هذا الغائب معاصرا " (١٤) وعليه فان في كل قراءة لابد من ان نصطدم بهذا النص الغائب في مداه الشاسع تاريخيا ومعرفيا

الذي يمثل سلما صعبا ، يجب ارتقاؤه بغية استجلاء غموض الدلالة . التي يزيد من تباين اساليب حضور هذا النص تبعا للوعي الفكري والجمالي للمؤلف .

سنبدأ بتحليل النص مستعينين بالعنوان ، لان العنوان كعتبة نصية قائمة بذاتها تشكل قيمة فنية ، فالعنوان بوصفه نصا موازيا حسب تعبير " جيرارجنيت "فهو لا يقل أهمية عن النص نفسه باعتباره ملفوظا مختزلا يمارس الهواية عبر التكثيف ، الايحاء والترميز , والتلخيص والذي قد يشكل حضورا اوليا ، او يمارس غيابا يستوجب حضور النص فيه يرسم منهجا دلاليا يوجه القارئ ، نحو كل الاحتمالات ، ومفتاحا اجرائيا يحيل الى النص بكل تشعباته وتوجهاته فيمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في اغواره وتشعباته الوعرة باعتباره بنية مكثفة ومختزلة لبنائية الحكاية يدشنه ويعمل كأداة وصل وتعديل القراءة " (١٥)

ان العنوان عبارة عن علامة لسانية وسيميولوجية تكون في بداية النص لها وظيفة تعيينية ومدلولية ,ووظيفية تأشيرية أثناء تلقي النص ، والتلذذ به تقبلا وتفاعلا . فهو الذي يوجه قراءة النص ويعتني بدوره بمعاني جديدة بمقدار ما تتوضح دلالتها .

(المملكة السوداء) هي إحالة صريحة تقود القاريء لعوالم الأساطير بكل جنسياتها ومختلف مجتمعاتها ، فالمملكة السوداء او العالم السفلي او (كور) كما يطلق عليه في الميثلوجيا السومرية ، هو عالم الموتى الذي تستقر فيه الارواح وهو عالم كالح اسود مليء برائحة الرطوبة والعفونة والموت كل شئ باهت ويدعو للخوف عالم مليء بالدهاليز والممرات المظلمة ، هذه أبسط صفات هذا العالم التي تتماشى مع محتوى النص .

نقتبس النص التالي من قصة (المملكة السوداء) لمحمد خضير وهو النص الذي تبدأ به القصة ، وذلك لمحاولة دراسة النصوص الغائبة فيه ، ثم لننطلق بعد ذلك الى الاشارة الى النصوص الغائبة في بقية أجزاء القصة ، وتبدأ القصة كما يلي : " **ذلك الباب الثقيل بالمسامير العريضة وزخارف المطرقة البرونزية ، وبالخشب المتصلب الأسود المنحوت الحواف ، لم يكن مرتجا دخل (علي) من الباب القديم الذي حفرت في خشب اطاره تواريخ هجرية ، وعبارات الشكر لله على فضله في بناء هذا البيت السامق ، ووسط هذه الفوضى اللغوية المثلمة المطموسة بالتراب ونهش الأنياب التاريخية قرأ (علي) عبارة "أيها الداخل للحوش اقرأ السلام** " (١٦)

النص الحاضر الصورة الواقعية ، المشهد الذي يجري امام الراوي ويسجله او يصوره كما يراه دخول علي لبيت قديم بني بطابع خاص ومواصفات محددة يستعرضها لنا الراوي ، النص الغائب ونعني به المستوى الثاني للحدث او المعادل الرمزي للواقع الموصوف هو في اعتقادنا ولوج الانسان في العالم الآخر ، عالم الأموات ، عالم الذكريات الغائبة ، وقد ورد في الميثلوجيا اليونانية والأساطير القديمة تسمية العالم الآخر بالمملكة السوداء او مملكة الظلام ، وقد ركزت الكثير من النصوص الأسطورية على وصف بوابة ذلك العالم الذي لابد من اجتيازها لدخوله ، لذا نجد الكاتب قد ركز على وصف الباب الذي اجتازه علي للدخول الى البيت القديم ، والذي يمثل بوابة المملكة السوداء.

وفي المقطع الآتي الذي يلي مقطع البداية نجد تعضيدا لهذه الدلالة :

" ثم انغمس في عتمة الدهليز المبلط بطابوق محفور الجوانب ، ونفذ للحوش الواسع الذي تتوسطه شجرة السدر "(١٧)

وشجرة السدر في الميثلوجيا والفلكلور الشعبي من مقترنات الموت ، لأنها تستخدم في تغسيل الموتى ، ولذا كان وجودها في ذلك الدار مناسبا للموضوع وفيه تعضيد كبير للنص الغائب .

بعد ذلك يحاول الكاتب أن يقدم للقارئ صورة يدمج فيها الواقع الخارجي المرئي وما يقابلها من الواقع المغيب المرموز له وعلى النحو الآتي :

" كانت هناك شمس الصباح ، ورسوم الفحم الهائلة المنتشرة على كل الجدران ، ففتش (علي) في تلك الأشكال السوداء المتشاجرة على الطابوق المتفتت عن ضالته فلم يجدها . كانت الرسوم تملأ ساحة الدار أيضا بخيول ذات أرجل دقيقة عديدة كأرجل العناكب ، وفتيات ذات شعور طويلة ، وجرار منبعجة ناقصة العرى وتصور (علي) عمته تجري بين تلك الجرار من دون أن يراها وهي تنفذ من فتحة لفتحة أخرى وسط الخيول التي حفرت سنابكها طابوق الفناء ، وأجبر صهيلها العصافير على الهرب من شجرة السدر ، ولقد استدل (علي) على حياة هذه الطيور من الذروق التي تغطى الطابوق أسفل الشجرة القاتمة الخضرة ، مع الأوراق اليابسة ، وعبثا كان القفص الخالي من غصن في الشجرة يشير إلى حياة باقية في الدور الأسفل من المنزل تخلفت عن الحياة المهاجرة إزاء هجوم الخيول المفترسة ذات الأرجل الدقيقة المتعددة المتنقلة في خبب صامت على الطابوق المثلم (١٨)

لقد بدأ الكاتب النص بمفارقة كبيرة (شمس الصباح ورسوم الفحم الهائلة) اي النور والظلمة ، الابيض والأسود ، وهنا يكون الازدواج بين الواقع والمتخيل ، بين الحاضر والغائب ، لكن النص الغائب في هذا المقطع كان هو المهيمن ، فالأجواء أسطورية بحتة (اشكال سوداء متشاجرة ، طابوق مفتت ، خيول ذات أرجل دقيقة وعديدة كأرجل العناكب ، فتيات ذات شعور طويلة ، جرار منبعجة ناقصة العرى) وكل هذه الصور تسهم في خلق اجواء العوالم السفلى التي ذكرتها الأساطير اليونانية إذ كانت مليئة بالأشباح والمسوخ وصور الأرواح التي تسكن ذلك العالم . ثم نجد ذلك التصور الذي ينقله لنا البطل عن عمته فيقدمها لنا كأنها إلهة العالم السفلي التي تحيط بكل زوايا عالمها وتتداخل فيه ، فتنبعث روحها في تلك الأشكال الصامتة حتى يكون للخيول صهيل يجبر العصافير على الهرب من شجرة السدر ، وهنا صورة لصراع الموت والحياة ، ففي المملكة السوداء تكون الغلبة للموت والعتمة ، والكاتب يبدد شك القارئ بوجود الحياة هناك والتي تمثلها الطيور من خلال تقديم استدلال يلتمسه بطل القصة (علي) وهي الذروق التي تغطي الطابوق أسفل الشجرة ، فهي دلالة على وجود الحياة ودورتها بالنسبة للكائن الحي ، فطرح الفضلات تعني تناول الطعام وشرب الماء ، ولولا هذا التلميح لتداخلت الصور الواقعية بالخيالية التي يقدمها الكاتب فيحيلنا بها على النص الغائب ، ومع تقديم الكاتب لصورة تدل على الحياة وتحيل على الواقع ، يعود بنا مرة أخرى لأجواء الموت والفناء (الخضرة القاتمة ، الاوراق اليابسة ، القفص الخالي ، الحياة المهاجرة ، هجوم الخيول المفترسة ذات الارجل الدقيقة المتعددة والمتنقلة في خبب صامت على الطابوق المثلم) كل هذه الصور تخص الدور الأسفل من البيت ، اي الطبقة الأولى من المملكة السوداء ومن عالم الأموات .

بعد ذلك ينطلق بنا الكاتب إلى الدور الأعلى للمنزل ، الطبقة العليا للملكة السوداء ، ويكون ذلك الانتقال عبر المرور بدهليز ، وهو كثيرا ما يذكر في الأساطير الخاصة بالعالم السفلي (الممر أو الدهليز) لكن في النصوص الأسطورية يكون عادة مملوء بالماء ، بينما في القصة التي بين أيدينا هو عبارة عن سلم متكون من درجات حجرية ، وهي صورة من الواقع ، فالكاتب يستخدم المكان الواقعي ويظهره لنا على السطح ، فيحين يغيب المكان الخيالي ، ويعطينا الدلالات التي تدلنا عليه ، كما في النص الآتي :

" عاد (علي) إلى الدهليز وصعد السلم الذي يحتويه للدور الأعلى . وهناك على جدران السلم صورت الايدي الماهرة الخفية مملكة حيوانية متفحمة من الاسماك الخالية من الزعانف والأفاعي الملتهبة

الأفواه والطيور الهائلة الأجنحة والطويلة المناقير ، حتى إذا اجتاز (علي) طرف المملكة المشوهة بالكتابات والأرقام وانتهى من الدرجة الأخيرة في السلم ، سار في ممر الحجرات العليا المحتوي على النوافذ المغلقة ذات الزجاج الملون " (١٩)

نجد المقطع مشحونا بالعديد من الإشارات التي ترسم لنا أبعاد وأجزاء المملكة السوداء بما ينسجم والنصوص الاسطورية المروية عنها (الأيدي الخفية ، المملكة الحيوانية المتفحمة ، الأسماك الخالية من الزعانف ، الأفاعي الملتهبة الأفواه ، الطيور الهائلة الأجنحة والطويلة المناقير) وهي صور تتردد كثيرا في وصف العالم السفلي في الأساطير اليونانية ، ولاسيما الأفاعي لأنها من أكثر الكائنات التي تضج بها عوالم الأموات ، وبعد عبور البطل للدهليز الذي يضج بالصور التابعة للعالم الأسطوري ، المكان الغائب ، يعود بنا إلى أحضان الواقع والمكان الحاضر فنجد بعد الدرجة الاخيرة من السلم ممرا عاديا فيه حجرات تحتوي على نوافذ مغلقة ذات زجاج ملون شأنها شأن كل البيوت القديمة التي تعرف بالشناشيل وهي كانت موجودة بكثرة في البصرة وتعد من التراث القديم للأجيال الماضية ، إذ أنها لم تعد موجودة في أيامنا هذه ، لقد كان اختيار الكاتب لثيمة المكان اختيارا موفقا ، فهو مكان فلكلوري قديم يرمز لتاريخ البصرة العريق على مستوى المكان الحقيقي والدلالة الحضورية ، واستطاع الكاتب أن يسقط عليه اسقاطاته الخاصة بالمكان الغائب الذي أراد الإشارة إليه وهو المملكة السوداء أو عالم الاموات .

وفي النص الآتي نجد بروز للشخصية الأخرى في القصة ، وهي شخصية العمة ، صاحبة البيت ، صاحبة المملكة السوداء ، التي تقابل الهة الموت والديجور (اريشكيجال) في الأساطير اليونانية :

" وبين الابواب المغلقة شرع باب ملطخ بالرسوم ، ومتوج بقوس زجاج ملون ، فنفذ منه (علي) للداخل ، وكانت دفقة الشمس البكر تخترق القوس الزجاجي وتطلق الأصباغ فيه سيلا لونيا يسقط على أرض الغرفة ، ثم يعتلي السرير ذا الرمانات النحاسية الأربع ، والغطاء الأصفر ، حتى يصل الرأس الأشيب الهامد في طرف الغطاء ، فيحيطه بهالة شاحبة ، فكأن الرأس يغطس في سائل اصطبغ بقطرات الشعاع الحمر والزرق الغامقة ، يفيض من حوله ويملأ الغرفة باتقاد لوني حر ، بدا كأنه يطلق رائحة غير حقيقية ، أشبه برائحة البخور أو الشعور المحترقة " (٢٠)

نجد في النص لوحة مليئة بكل ما يدل على الذبول ورائحة الموت والخفوت (الغطاء الاصفر) واللون الاصفر لون الموت والمرض والذبول ، (الرأس الأشيب الهامد المحاط بالهالة الشاحبة) فالشيب والشحوب من الدلالات الأخرى على قرب الموت ونهاية الحياة ، (الرأس يغطس في سائل اصطبغ بقطرات الشعاع الحمر والزرق الغامقة) واللون الأحمر والأزرق الغامق من ألوان الموت والدماء والاختناق والظلمة ، والكاتب لا يكتفي برسم صورة بصرية لأجواء الموت والذبول في المملكة السوداء ، بل نجده يقرنها بصورية حسية شمية ، إذ يصور لنا مدى سطوة اللون الباعث على الموت حتى كأنه يبدأ باطلاق روائح تشبه البخور او رائحة الشعر المحترق وهو يعلم بانها روائح غير حقيقية ، إلا انه يريد إخبارنا بأن الأجواء في تلك الغرفة بالذات ، في عرين إلهة الموت ومركز المملكة السوداء تخرج عن كل ما هو مألوف ومتوقع ، ويفرض الموت سيطرته على كل الحواس .

فالنص في الظاهر يبدو وصفا لغرفة في بيت قديم فيها سرير تنام عليه امرأة عجوز طاعنة في السن ، لكن النص الغائب مع ما في الصور التي يقدمها الكاتب من دلالات ، تحيلنا إلى رموز وأبعاد اسطورية ترتبط بالمملكة السوداء التي ذكرتها النصوص اليونانية ، فنجد على سبيل المثال هذا التركيز على شكل السرير الذي يقابل عرش الهة العالم السفلي في النص الغائب :

" **يعتلي السرير ذا الرمانات النحاسية الاربع** " **(٢١)**

" **الغرفة جرداء بغير السرير الضخم المحروس برؤوس النحاس المفرطحة** " **(٢٢)**

فالسرير الضخم يقابل العرش الضخم ، والرمانات النحاسية المفرطحة التي تحيط بالسرير تقابل في النص الغائب إلاهات الانتقام اللواتي يحرسن عرش الالهة " في أعماق العالم السفلي يقوم قصر هاديس مكفهرا ، وهناك في القصر يجلس رب العالم السفلي على عرش ذهبي تحيط به إلاهات الانتقام الهيرينيس حاملات بأيديهن السياط والثعابين ، فيلسعن كل ذا ضمير خبيث ويلدغنه " (٢٣) فانتصاب الأعمدة المحيطة بالسرير والرمانات التي تعلوها تشبه إلى حد بعيد هيأة الثعابين المنتصبة بيد آلهة الانتقام ، واللسعات التي توجه إلى كل ذي ضمير خبيث ، يصورها لنا الكاتب بهيأة برق يخرج من تلك الرؤوس :

" **لم يجب الرأس الملون ، وبرقت رؤوس النحاس على أعمدة السرير** " **(٢٤)**

فالبطل يكلم العمة (أأنت نائمة يا عمتي ؟) لكن العمة لا تجيب وبدلا من ذلك تبرق الرؤوس النحاسية على أعمدة السرير ، وكأن بريقها أشبه بلسعات الثعابين الأسطورية في النص الغائب ، ولكن الاسطورة تذكر ان تلك اللسعات توجه إلى كل ذي ضمير خبيث ، وعندما نقرأ رد العمة على (علي) نجد الآتي :

" ماذا جئت تفعل هنا أيها اللص الماكر؟ أأنت طامع آخر بخشب هذا المنزل الزائل ؟ " (٢٥)

وهو رد ملئ بالتشكيك بالنوايا التي يضمرها البطل ، فهي نوايا خبيثة بالنسبة لها ، ومن هنا كانت صورة برق الرمانات النحاسية في النص الحاضر لها ما يناظرها في النص الغائب وهي لسعات الثعابين بيد الالهة الحارسة للعرش .

في الجزء الآتي من القصة ، ومن خلال الحوار الذي يدور بين الشخصيتين الرئيسيتين سنتمكن من التعرف على الدافع الذي جاء بالبطل للمملكة السوداء ، عالم الأموات ، عالم المجهول ، عالم النسيان ، ومدى التوافق بين ما هو مصرح به وما هو مغيب في النص :

" ـ جئت لأرى حاجات أبي يا عمتي .

ـ من أنت لأكون عمتك ؟ ألست من أولئك الذين يعبثون في أرجاء البيت كل يوم ويملأون الجدران بخطوطهم ؟ اقترب (علي)

من رأس عمته : ـ إنك

عمتي حقا وأنا ابن أخيك . ـ

لا تتكلم عن أخي أيها الولد . لقد انمحى تماما ولن يكون هنا ثانية لا تمس الموتى بسوء .

كانت رائحة الأب تنطلق من مكان ما في الغرفة العارية : خليطا من الغبار والثياب المحفوظة لزمن طويل في السلال والصناديق . ـ ولكنه أبي يا

عمتي . وأنا من امرأته الثانية . ـ آه تلك

ألامرأة تلك ألامرأة السقيمة ...لا تذكرها أمامي يا ابليس خذ روحي ودعني أرقد باطمئنان ايها الشيطان ـ يا عمتي ، لست

الشيطان ... ولكني لم أعلم بأن لي أبا كان يعيش طيلة تلك السنين التي كبرت فيها حتى أخبرتني امي أنه قد تركها وسكن معك هذا المنزل ومات فيه .

ـ تلك الساحرة .. احتفظت به أياما ولكنها لم تقدر أن تستبقيه لها . كما علمت بموته ولكنها لم تأت لتغلق عينيه . ـ ذلك دون جدوى

. ولكني هنا لأرى ما تركه لي . أنا متأكد أنه ترك أشياء لي يا عمتي . فدعيني أراها

رق الصوت الهرم :

ـ لم يترك غير صندوق أحفظه تحت السرير . لم يترك اللصوص العابثون شيئا . " (٢٦)

النص يوضح أن البطل دخل المملكة السوداء بحثا عن ذكريات قديمة وأشياء محفوظة قد تعيد إليه صورة الأب المتوفى (روحه المغادرة) لعالم الأحياء ، إذا هو جاء باحثا عن أبيه ، وهذا ما يبينه النص المعلن ، في حين أن النص الغائب يمثل حكاية نزول أنانا أو عشتار للعالم السفلي بحثا عن زوجها تموز ، فكلا البطلين في حكاية محمد خضير وفي الحكاية الأسطورية يأتون المملكة السوداء بحثا عن شخص من أقرباءهم وهو مهم بالنسبة لهم ويودون استعادته أو استعادة ما يشعرهم بوجوده ذلك لان المعتقدات الدينية مختلفة عند البطلين ، وفي كلا النصين الأسطورة والقصة هناك صراع بين امرأتين والنتيجة أن الهة العالم السفلي تنتزع زوج الهة العالم العلوي وتحتفظ به لديها.

وتستمر الاشارات للعالم السفلي عالم الاموات ونجد المزيد منها في هذا النص : " **انحنى (علي) وسحب بجهد صندوقا أسود مرصعا بمسامير فضية ، تتدلى من غطائه قطعة رتاج برونزية مزخرفة الحافة ،داكنة الصفرة ، تستقر في حلقة مثبتة للصندوق .**

قالت العمة الملونة :

–لم يفتح صندوقه منذ تسع سنوات أو عشر

سحب (علي) قطعة الرتاج ، وأصدر غطاء الصندوق حين رفعه عواء ، كأنه عواء أسنان الأب الذي تصور انه سيجده ممددا في الداخل ، في قاع الصندوق ، يفتح فمه ويشبك يديه على سدارته فوق صدره ، بعينين مفتوحتين بكامل ملابسه وهو ما يزال يضع في قدميه حذاءه المهتريء الذي جاب به الزوايا والظلمات . ولم يكن قد أسند الغطاء إلى الجدار تماما حين غمرته رائحة باردة ارتجفت في مسار نفاذها فخذاه " (٢٧)

إن وصف الكاتب لمشهد سحب الصندوق وشكل الصندوق وإخبارنا بخلجات البطل النفسية وتصوراته كلها امور زادت من هيمنة العالم المغيب في النص إذ تحول ذلك الصندوق للحظة إلى تابوت فيه جثة الأب الممددة بكل تفاصيلها الدالة على شخصيته وتلك البرودة التي سرت في أعضائه فزادت من عمق التصور ، وكأن الأب هو تموز الذي أسرته ملكة الظلام منذ سنوات ، وهي محتفظة به بذلك الصندوق ، لكن تموز اله الخصب والنماء وامتداد الحياة لا يمكن أن يستسلم للموت ، فجاء من هو جزء منه وامتداد له ليفك أسره ويخرجه من عالم الموتى ويحرر قواه وتلك الصورة القديمة المندرسة الملامح للأب التي وجدها (علي) في الصندوق في دفتر حسابات قديم ولو تساءلنا لماذا دفتر حسابات قديم ، لكانت الاجابة أن ما حدث لتموز في الأسطورة وما كان السبب في حبسه بعالم الأموات هو تصفية حسابات بين الأختين عشتار واريشكيجال من أجل السيطرة واثبات السلطة لكل منهما ، المهم أنه الان تحرر من سجنه :

" دس (علي) الصورة في جيبه ، وأعاد غطاء الصندوق ورتجه ، ثم نهض " (٢٨)

ثم ينتقل الكاتب لوصف محتويات الصندوق وهي أشياء صغيرة وقديمة ورخيصة ، فهي عبارة عن ذكريات وبقايا لأشخاص موتى (الأب ، زوجة الأب الأولى) ، وكأن ذلك الصندوق عبارة عن مقبرة صغيرة لذكريات بالية ، لكن تلك المقبرة في الوقت ذاته كانت تضم بين طياتها روح حبيسة لشخص حي ، وأفكار طالما كانت تتصارع ، وتوق امتد لسنوات ، نعم لقد شعر البطل بأنه قد تحرر هو بذاته من ذلك الصندوق :

" ثم نهض ، كان يسري في عروق ساقيه دم عتيق ، بعد أن أطلق تلك الأنفاس الحبيسة منذ سنين عديدة " (٢٩)

ثم يغادر (علي) المملكة السوداء وبمغادرته يتغير كل شئ من حوله :

" خرج (علي) إلى النور ، وانفتح أمامه الزقاق ، الذي يحد سطوح بيوته المرتفعة المتقابلة خطان ينحدران منخفضان إلى الأمام دون انتهاء والذي احتله النهار الجديد المستلقي فوق الأسطح المرتفعة العارية من الأسيجة ، متدليا من المزاريب الجافة الصدئة . كان (علي) والمزاريب المنقصمة الظلال ظامئين " (٣٠)

كل الدلالات في النص تشير الى التجدد والحياة (الخروج للنور ، الانفتاح ، النهار الجديد) ، وهناك دلالات اكثر عمقا وقربا من شخصية تموز وهي (المزاريب الجافة والصدئة ، وظمأ المزاريب وعلي) والمزاريب تجف وتظمأ عند انقطاع المطر ، وهذا بالفعل ماكان يحدث في الأشهر التي يغيب فيها تموز في العالم السفلي بحسب الأسطورة ، إذ ينقطع المطر وتجف الحقول والسواقي ويتحول الخصب لجدب وأراض قاحلة .

من خلال النصوص التطبيقية امكننا التوصل إلى إن النص الأدبي توفرت فيه كل عناصر النص الغائب في النص الحاضر ، وأهمها غياب الزمان ، فلم يتم تحديد حقبة زمنية في النص ، إذ غاب عنا زمن الأحداث عن قصد ، وغياب الزمان في النص يستدعي قراءة دقيقة للنص الحاضر ترصد الاشارات والدلالات والرموز التي يقدمها الكاتب لنستنتج منها الزمن الذي يتحدث عنه والوقت الذي تدور فيه أحداث نصه الأدبي ووقائعه . وبهذا يعد الزمان عنصرا غائبا عن هذا النص الحاضر ولكنه يستحضر عند التحليل والقراءة على أساس أنه جزء مهم من عملية فهم النص الحاضر وإدراك فحواه .

بالإضافة إلى غياب الزمان نجد غياب المكان أيضا ، إذ نلحظ عدم تحديد للمكان الذي تدور فيه الأحداث والوقائع ، أو تطرح فيه الموضوعات والآراء في النص الحاضر . ويتضح هذا الغياب في عدم معرفة المكان الذي يقع فيه البيت الذي زاره البطل على وجه الدقة .

وهناك غياب الموضوع الذي نعني به عدم التصريح المباشر بالموضوع الذي يطرحه الكاتب أو يجسده في النص الحاضر . ولكن المؤلف في أغلب الأحيان يرمز إلى هذا الموضوع المقصود بموضوع آخر ، ويغيب الموضوع الحقيقي أو الواقعي في معظم الكتابات الأدبية ويستبدل به موضوع آخر في النص الفني أو يشار إليه بطرق وأساليب مختلفة ، وعند التحليل يستحضر الموضوع الغائب أو المرموز له أو المشار إليه على أساس أنه نص غائب دل عليه النص الحاضر وقريب من هذه المسألة حديث ت.س. اليوت عن المعادل الموضوعي حيث يكون الموضوع الذي يقصد الكاتب إلى طرحه أو عرضه غائبا ويستبدل به موضوع آخر في نصه الحاضر ، يشير إلى موضوعه الأصلي أو يحيل اليه.

ومسألة غياب المؤلف في النص الأدبي عامل رئيسي من عوامل انقسام النقاد المعاصرين واختلاف وجهات نظرهم في هذا الموضوع ، فغياب المؤلف هو المسلمة التي ينطلق منها بعض النقاد في

التعامل مع النص ، إذ تتطلب استقراء النص دون النظر لصاحبه ، وفي النص موضوع البحث نجد أن غياب المؤلف يعد غيابا فنيا أو ستراتيجيا ، يعني أنه قد لا يطل برأسه كثيرا من بين ثنايا النص ولكنه يظل المحرك الخفي والمنظم المستتر وراء كلماته ونصوصه وابداعاته . وحين يغيب المؤلف عن نصه فلابد من استحضاره عند الدراسة والتحليل . فغياب المؤلف يعد جزءا من النص بحيث يؤثر غيابه على الموضوع نفسه الذي يطرحه في كتابته كما يؤثر حضوره أو استحضاره على هذا الموضوع أيضا . وجدلية حضور المؤلف وغيابه في النص الأدبي مهمة في توجيه العملية النقدية لدى دراسة النص .

ومن عناصر الغياب الأخرى غياب الموقف والرؤية والهدف ، وغياب هذه العناصر والعناصر السابقة أيضا في النص الأدبي يكون في الغالب نتيجة تغييب مقصود ، يلجأ اليه المؤلف لأسباب فنية وموضوعية مختلفة ، ومحاولة الكاتب تغييب رؤيته أو هدفه من النص الذي يقدمه شائع في كتابات اليوم ، وهو بذلك يعطي مساحة اكبر للقارئ ليفكر ويتأمل بما يحدث ثم يحكم ويستنتج بنفسه دون إلزامه بموقف معين أو فهم محدد يفرضه عليه المؤلف والكاتب في معظم الأحيان ، يعرض موضوعه ويدير صراعاته ويصوغ حواراته في نصه الأدبي وعلى القارئ أو الناقد أن يستبطن الفكرة المقصودة ويستحضر الموقف الغائب أو وجهة نظر المؤلف المحجوبة وراء حوارات النص وأحداثه وصراعاته وإشاراته .

والمؤلف في العادة لا يقول لنا أن موقفي هو هكذا بشكل مباشر ولكنه قد يضمنه كلام شخصياته أو قد يضعه على لسان راويته أو ربما يستنتج هذا الموقف من خلال سير الأحداث نفسها وما يرافق ذلك من تعاطف أو تشدد ، ومن عمله على اخفاق الأفكار أو انجاحها ، أو يستنتجه كذلك من خلال اندحار رموز الشر أو الخير في نصه الحاضر او انتصارها ، هذه المواقف المستترة الغائبة تستحضر إلى النص عند التحليل لتصبح جزءا من النص وعنصرا من عناصره المتعددة.

الهوامش

١ـ في أصول الخطاب النقدي الجديد / أحمد المديني / ص ٦٥ .

٢- الخطيئة والتكفير / عبد الله الغذامي / ص ٨٢ .

٣ـ المصدر نفسه / ص ١٠٥ .

٤ـ الأسلوبية والأسلوب / عبد السلام المسدي / ص٩٦

٥- الابهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل \ د. عبد الرحمن محمد القعود \ ص ١٧٩ .

٦- المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي \ محمد خرماش \ حوليات الجامعة التونسية ، تونس ، ع٣٨ ، ١٩٩٥م \ ص ١٠٤ .

٧- الغائب دراسة في مقامة للحريري \ عبد الفتاح كيليطو \ ص٦٦ .

٨- في النقد الأدبي دراسة \ د. صلاح فضل \ ص٨٦ .

٩- نظرية التأويل \ د. مصطفى ناصف \ ص ١٧١ .

١٠- النص الغائب – نظرياً وتطبيقاً – \ د. احمد الزعبي \ ص ٥ .

11-التناص الاسطوري في شعر محمد ابراهيم، عبد العاطي كيوان ، ص٩

12- ،التناص الواعي شكوكه واشكالاته، فاروق عبد الحكيم دربالة ، ص٣٠٦.

13- قراءات في الشعر الحديث والمعاصر خليل موسى ، ص٥٢

١٤ – حداثة السؤال ، بنسين محمد ، ص٩٨

١٥- المملكة السوداء / محمد خضير / ص ٧٥ .

١٦- المصدر نفسه / ص ٧٥ .

١٧- المصدر نفسه / ص ٧٥ ـ ٧٦ .

١٨-. المصدر نفسه \ ص ٧٦

١٩- المصدر نفسه / ص ٧٦ ـ ٧٧ .

٢٠- المصدر نفسه / ص ٧٧ .

٢١- المصدر نفسه / ص ٧٧ .

٢٢- المصدر نفسه \ ص ٧٧.

٢٣ – سحر الأساطير / م.ف.البيديل / ترجمة : د.حسان ميخائيل اسحاق / ص ١٤.

٢٤ – المصدر نفسه \ ص ٧٧ .

٢٥ – المصدر نفسه \ ص ٧٨-٧٧

٢٦ – المملكة السوداء / ص ٧٨ .

٢٤- المصدر نفسه / ص ٧٨.

٢٥- المصدر نفسه / ص ٧٨ .

٢٦ – المصدر نفسه \ ص ٧٩ .

٢٧ – المصدر نفسه \ ص ٧٩ .

٢٨ – المصدر نفسه \ ص ٧٩ .

٢٩ – المصدر نفسه \ ص ٨٠ .

٣٠ – المصدر نفسه \ ص ٨١ .

المصادر

١. الأسلوبية والأسلوب / عبد السلام المسدي / الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٢ .

٢. التناص الاسطوري في شعر محمد ابراهيم، عبد العاطي كيوان ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،مصر ،ط١.

٣- التناص الواعي شكوكه واشكالاته، فاروق عبد الحكيم دربالة ، مجلة النقد الادبي،"فصول"،القاهرة،العدد٣٦،٢٠٠٤

٤- حداثة السؤال، بنسين محمد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ – ١٩٩٨.

٦- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية / عبد الله الغذامي / جدة ، النادي الأدبي الثقافي ، ١٩٨٥.

٧. سحر الأساطير / م.ف.البيديل / ترجمة : د.حسان ميخائيل اسحاق / دار العرب ، تونس ، ١٩٨٨.

٨. في أصول الخطاب النقدي الجديد / أحمد المديني /دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧.

٩. قراءات في الشعر الحديث والمعاصر، خليل موسى ، منشورات اتحاد العرب ،دمشق،سوريا، ٢٠٠٠

١٠- المملكة السوداء / محمد خضير / دار الواسطي ، بغداد ، ١٩٨٩.

اللغة العربية

تحـــديات الواقـــع وأســـرار البـــقاء

الدكتور خالد حوير الشمس

جامعة ذي قار/ كلية الآداب

الملخص

يشتغل هذا البحث على اربعة مفاصل الاول، قيمة اللغة في فكر علماء العربية القدماء، والمحدثين، ومنهم ابن فارس، وابن جني، وعباس محمود العقاد، ومجد الباكير. والمفصل الثاني التحديات التي تواجه العربية، وهي: العامية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والازدواج اللغوي، والعولمة، ووسائل الإعلام، وشعبوية التعليم ، والانحراف الديني الحاصل في المجتمع.

والمفصل الثالث أسرار قوة العربية، ومواجهتها للتحديات، وهي: رصانة الشعر التي كتب بها، وجود القرآن وارتباطه بها، وارتباطها بالعلوم الجليلة ، وتمتعها بشجاعة لم تمتع بها أي من اللغات الأخر، ووجود مقاييس لغوية عربية ، وتمتعها بمؤهلات الثراء، والانفتاح، تمتعها بنظام قواعدي .

والمفصل الرابع وهو الخاتمة وتبيان علاقة اللغة بالهوية، فمتى ما فرطت العربية ببعض اسرارها تم التفريط بهوية الفرد والمجتمع.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى أهل الدين كلهم...

تدعونا عبقرية العربية، ومكانتها الفضلى، ومزيتها على نظيراتها أن نكرمها، أو نحاول الإنضمام إلى من يتحدث عن خصالها، وأسرارها، ويناقش ما تمر به من مسالك، وظروف، تكون على هيئة تحديات تعيق جوهر العربية، لتخلق هويات تتنافس مع هوية الإنسان العربية الحقيقية التي ترتبط ارتباطا شديدا بتلك اللغة، ولاشك أن النصرة للعربية؛ لأنها تمتلك مقومات أراها أسبابا تصنع البقاء، والرفعة لها.

الفكرة التي أناقشها : ثمة خطوات تسمح بترهل اللسان العربي، وتشكل عبئا على العربية، ووجودها، وفي ضفة أخرى تتوافر على العربية أسرار تسهم في استمرار قيمتها العليا، ووتصديرها شريفة، لطيفة، عالية.

لذا جاء تقسيم المادة على أربعة أقسام، الأول: مقولات العلماء بشرف العربية، والثاني: التحديات التي تواجه العربية، والثالث: أسرار صمود العربية، والرابع علاقة اللغة بالهوية.

القسم الأول : قيمة العربية في منظور العلماء

قبل البدء بأقوال العلماء، أدرج الأقوال القرآنية بحق لغتنا الغراء؛ إذ يقول تعالى: ((وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك، لتكون من المذرين، بلسان عربي مبين))، إذ جعل الإبانة من أهم سمات العربية، وقد خص الإنسان باللسان الواضح والمتسم بالبيان، فقال تعالى: ((خلق الانسان علمه البيان)) يقول الصاحب عن هذه الاية : ((فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه))[١].

وقد نعتها ابن جني ت ٣٩٢هـ في باب نشأة اللغة، بنعوت كثيرة، تدلل على تعلقه بها، وعلو منزلتها، إذ وصفها بالشرف، واللطف، والحكمة، والدقة، والرهافة، والرقة: ((...وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف، والرقة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر))[٢].

وقد ذكر ابن فارس صفة لها مهمة، وهي اتساع دائرتها، وبعد حدودها، وسعة مكوناتها، ومفرداتها: ((قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط بها إلا نبي، وهذا كلام حري أن يكون صحيحا، وما بلغنا أن أحدا ممن مضى ادّعى حفظ اللغة كلها))[٣]

ترتبط اللغة ارتباطا بيّا بمساجلات الحياة، وظروفها، إذ يقول مجد محمد الباكير عن علاقتها بالحياة: ((اللغة في شكليها الملفوظ والمكتوب عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية راقية كانت أم ابتدائية وهي أشبه بالرموز الرياضية والاقتصادية، فهي وسيلة للنمو والرقي والارتقاء وهي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر))[٤].

ويقول العبقري العقاد عباس محمود عنها بانها لغة شاعرة ((وليس في اللغات التي نعرفها، أو نعرف شيئًا كافيًا عن أدبها، لغة واحدة توصف بأنها لغة شاعرة غير لغة الضاد، أو لغة الأعراب، أو اللغة العربية.

وتقدم أننا لا نعني باللغة الشاعرة ما يوصف أحيانًا باللغة الشعرية، فإن الكلمة قد تكون شعرية صالحة للنظم في موقعها من السمع، ولكنها لا تكون مع ذلك جارية مجرى الشعر في نشأتها ووزنها واشتقاقها، بل تكون كأنها الطعام الذي يصلح لتركيب البنية، ولكنه هو في ذاته ليس بالبنية الحية، وليس باللحم والدم الذي يتركب منه أجسام الأحياء.))[٥].

القسم الثاني : التحديات التي واجهت العربية

وأقصد بالتحديات الرهانات التي تمر بها العربية، وتشكل خطرا على حضورها، وطريقة أدائها، من جهة القاعدة النحوية، وفصاحة المفردة، ووضوح المعنى، ومراعاة السياق، واحتواء اللغة للثقافة، فمتى ما فُقِدت تلك المعايير أو إحداها دخلت اللغة في بوتقة الففشل التواصلي أو التداولي، الذييعني عدم تحقيق التواصل وعراه في أركان العملية الخطابية، من جهة المتكلم، والسامع، والنص.

١- العامية: وما يستعمله العامة من لغة دارجة، ومحكية، يمثل صعوبة في سياق العربية، والأصعب من ذلك تفرع العامية نفسها إلى عاميات متعددة، فعامية الجنوب غير عامية غرب العراق مثلا.

٢- التواصل الاجتماعي: نحن أمام لغة جديدة خلقتها طبيعة التواصل الاجتماعي القائمة على السرعة، سميت لغة الانترنت، تقوم على الرموز والمختصرات، والإشارات.

٣- الازدواج اللغوي: ومن مخرجات الحداثة الازدواج اللغوي، إذ تسعى الحداثة، أو تخلف لغات رديفة الى جانب العربية، إذ تؤسَّس المشاريع في العالم على أساس الانكليزية مثلا، وتكون اغلب الجامعات باللغة الانكليزية، ولاسيما في دراسة العلوم الطبية والعلوم الطبيعية، وبالتالي نكون أمام منعرج اللغة الثانية، وهذا بحد ذاته خطر، ويدخل هذا اللون في مبحث صراع اللغات، على وفق ثنائية الأثر والتأثير، ويكون بسبب الغزو الفكري، والثقافي،والاحتلالات، والهجرة، والتفيهق في التواصل.

٤- العولمة: ومن أهداف العولمة الحط من شأن اللغة، يقول الدكتور هادي نهر عن ذلك: ((إن أول العولمات، وأقدمها في تاريخ الحضارات هي عولمة اللغة، لكونها نقطة النهاية في طبيعة الحياة الإنسانية القائمة على صراع الافكار، والمصالح... فتصادم الحضارات أو حوار الحضارات عبر التاريخ لم يكن دائما بدوافع اقتصادية، أو دينية، أو قومية، وإنما كانت اللغة بوصفها كالدين روح الأمة الناطقة بها، وهويتها، ومكمن تاريخها، وحضارتها، وثقافتها، ومبادئها، وأفكارها، وقيمها أساسا حاسما في الصراع، أو الحوار بين البشر....))[٦].

٥- وسائل الإعلام: تضطرب وسائل الإعلام العربية في استعمالاتها التعبيرية، فينعكس هذا الاضطراب على العقل العربي، ولسانه، فيكون بعيدا نوعا ما عن الاستعمال الفصيح، فيكون منسلخ الهوية .

٦- **شعبوية التعليم** : يلجأ المعلمون، والمدرسون، والأستاذ الجامعي إلى الاستعمال الهابط من اللغة في التعليم، وهذا لا يؤسس لمدرج السمو في عقلية التلميذ، والطالب، فيبقى رهين الإنغلاق في التفكير ، ومن ثم انسلاخ الهوية من حيث لا يشعر. وقد يكون التأسيس لاستعمال اللغة الشعبية والمحلية في المدارس خارج نطاق المعلم، والمدرس، بل بفعل السلطة المسؤولة عن واقع التعليم، وهناك تجارب كثيرة، يشهدها التاريخ تتضمن الدعوة الى استعمال العامية في التعليم، ومنها الخطوة التي اتخذها الاستعمار البريطاني تجاه التعليم في السودان: ((فقد اختارت الادارة البريطانية ست لغات محلية وسيلة للتعليم في الصفوف الاولى والثانية من الدراسة الابتدائية في جنوب السودان...))[٧].

وقد اتخذت بريطانيا الخطوة نفسها في مصر على صعيد التواصل الادبي واليومي وليس على صعيد التعليم فقط، يقول المحقق المرحوم هلال ناجي((هذه الدعوة لالغاء اللغة الفصحى

واستبدال العامية بها في الكتابة، والنشر، ووسائل الإعلام كافة قادها في مصر قبطي ثبت بوثائق السفارة البريطانية التي اعتاد الانكليز رفع السرية عنها كل نصف قرن))[٨].

وقد تزعم الدعوة الى العاميات أساتذة كبار مشهورين في المجال اللغوي، ومنهم سلامة موسى، وأنيس فريحة، وعندهم حجج، تكاد لا تصمد أمام الدليل ، يقول عنها الدكتور سامي عبد الله الجميلي: ((يدفعم الى ذلك دعاوى خبيثة وحجج واهية، زاعمين أن اللغة العربية الفصحى لغة جامدة، وصعبة، وعاجزة عن مجاراة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي المعاصر))[٩]

٧- **الانحراف الديني الحاصل في المجتمع:** إذ ابتعاد المجتمع عن دائرة الدين الإسلامي يولد ابتعادا عن اللغة، فلا يكون الدين إلا عبر اللغة الرسمية، الفصيحة، الملتزمة بقواعد العربية، وفي هذه الحال تزال قدسية العربية من قبل العامة، وتبقى رهينة الخاصة، وقد لا يكفي ذلك.

القسم الثالث : أسرار صمود العربية وخلودها

بقيت العربية تواجه التحديات التي يصنعها الواقع، وما جاءت تلك المواجهة، إلا بحسب طبيعتها، وتكوينها، والتأييد الإلهي لها، فصارت العربية في مقام القوة، والأنا التي تواجه اللآخر.

١-رصانة الشعر التي كتب بها، كتب الشعراء قبل الاسلام مجهودا شعريا جما، تدل على أهميته تسميته، اذ سميت (المعلقات) لتعلقها في القلب او الذهن او في جدار الكعبة، او في جدار بيوت الشعراء حتى يدور عليها الحول، فعلى الرغم من العصر الذي دونت فيه الأشعار، وإشكالية اتهامه بأنه عصر الجهل والتخلف، فقد وردتنا أشعار تنتمي إليه تدلل على عبقرية شعرائها، وعبقرية الثقافة وقتها، وقد تركت هذه الأشعار صداها على المتلقي العربي وغير العربي، وصارت علامة بارزة في تاريخ العربية ولها أثرها الإيجابي الذي يشير إلى عمق العربية، وعبقها.

٢- وجود القرآن: يعد وجود القرآن مصدر قوة للثقافة العربية، والتوجه الإنساني بصورة عامة، ثم للعربية بوجه خاص، بوصفه المصدر الأساس للقاعدة العربية، والمنبع الأساس لمقاييس قواعدها.

٣- ارتباطها بالعلوم الجليلة نحو الفقه، والحديث، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، والعروض، والأصوات، اذ لا تفهم تلك العلوم إلا بضبط موازين العربية، وقواعدها، وأصولها، ومفرداتها، وسمات

الفصاحة منها، وهذه الممارسة السابقة على العلوم، ومباحثها تجري في الدول العربية وغير العربية، مما يعزز من شأن العربية، ويسهم في بقائها.

٤- تمتعها بشجاعة لم تمتع بها أي من اللغات الأخر، وهذا ما ذكره ابن جني في باب شجاعة العربية، فقال: ((باب في شجاعة العربية، اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف))[١٠].

ولغرض التوضيح أذكر خصلة الحذف، وبعضا من أمثلتها، كي تكون الصورة مقتربة في ذهن المتلقي، واربطها بكيفية الشجاعة للعربية، والحذف من سمات التراكيب، ويعني إسقاط بعض وحدات الجملة أو النص لقرينة توجد في النص أو في الجملة مع اتضاح المعنى، فنكون أمام حذف الجملة، وحذف المفرد، وحذف الحرف، وحذف الحركة[١١]، ومنه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، من جهة انه يأخذ اعرابه، ويبقى المعنى كما يريده المنتج للنص، ومثال ذلك قوله تعالى ((واسأل القريةَ)) والتقدير واسأل أهلَ القريةِ. فقد حذف المضاف وأخذ المضاف إليه النصب بيما كان استحقاقه الجر، وبحسب راي ابن جني ان الشجاعة تكون في خرق القاعدة والإبقاء على المعنى، والذي شجع على ذلك القرينة العقلية التي تؤيد عدم سؤال القرية لأنها جماد لا يُسأل، فالسؤال يكون لأهلها.

ومثله وجوب التقديم في قوله تعالى ((اياك نعبد وإياك نستعين)) فعلى الرغم من تقديم المفعول به لم يتخلخل المعنى، ومثله التحريف في قلب الثاء فاء في قولهم جاء محمد ثم سعد، فيقال فُم سعد، فالتحريف لم يؤثر على المعنى.

٥- وجود مقاييس لغوية عربية ، معنى المقاييس هنا، أنها حينما تم تأصيلها، وتسجيل علومها، وتقعيد قواعدها اعتمد العرب على منهج رصين، يكون على شكل مقاييس تحكم بناء العربية، اذ من تلك المقاييس اخذ اللغة عن العرب الموثوق بهم ((فقد اقتصر أخذهم اللغة على عرب البادية، وعلى فصائحهم بشكل خاص، وكثيرا ما كان سيبويه يشير الى تشدده في تصويب الاستعمال اللغوي برده إلى العرب اللذين تُرضَى عربيتهم أو العرب الموثوق بهم، أو بعربيتهم))[١٢].

ومن تلك المقاييس التي متنت حبل اللغة، وبالغت في قيمتها، وقوة جذرها، عدم السماح لدخول الالفاظ غير العربية في مرحلة التأسيس، والتكوين لها، اذ ينقل الدكتور صبحي الصالح عن ابي نصر

الفارابي قوله: ((كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس))[١٣] .

ومن أهم المقاييس لم يؤخذ من أهل الحضر، بل اقتصر الاخذ على اهل المدر والبدو، ((وهناك اتفاق جوهري بين علماء العرب، على عكس هذا الرأي تماما، فالعربية الفصحى عندهم هي لغة البدو، فالعربي البدوي هو الحكم الفصل في العربية الصحيحة، وهو لا يخطئ في التحدث بها عندهم ولا يطاوعه لسانه – ان اراد– على الخطأ))[١٤].

٦– تمتعها بمؤهلات الثراء، والانفتاح ، التي تفتقر اليها اللغات الاخر، ومن تلك العوامل التي تثريها، عامل الاشتقاق، وتوليد الصيغ، الذي يدل على ((توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بهاإلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الجديد))[١٥]. فيمكن من لفظة واحدة ان نشتق الفاظا كثيرة، مثلا لفظة، سلم، نشتق منها سلام، وتسليم، وسلمى، وسلَّم، وسالم، ومسلم، ومسلَّم، وسلمي، وغير ذلك. ومن عوامل الثراء النحت، ويعني توليد كلمة من كلمتين او اكثر، نحو : سوق الشيوخ: سقشخي.. ومن اهم الظواهر (االترادف/المشترك/ الاضداد)، ويعني الترادف استعمال الفاظا عدة لمعنى واد، نحو السيف،فيقال له الحسام، والمهند، والصارم، والأبيض، وهكذاااا ويعني المشترك ان يدل اللفظ على معاني متعددة نحو: العين، فقد تدل على عين الماء، وعين الجيش، وعين الركبة، وعين الصرة، وهكذا، اما الأضداد، فالكلمة تدل على معنيين متضادين، نحو: سليم يقال للملدوغ، والسليم من السقم. ومن أهم عوامل الثراء هو عامل الاعراب، الذي يرتبط ارتباطا شديدا بالمعنى ، وقد تتغير الرتب في النصوص وتبقى المعاني محفوظة.

٨– تمتعها بنظام قواعدي يؤطرها، ويحدها، ويجعلها، رتيبة منظمة منسابة، عندما تكونت العربية، تكونت على أساس تسييج القاعدة النحوية والصرفية، فهذا النظام القواعدي أعطاها قوة، وسبكا، وأحكاما.

الخاتمة

علاقة اللغة بالهوية....

الهوية يقال في مفهومها الاحساس بالمحيط، والانتماء إليه، والسعي إلى إثبات ما يعزز الانتماء، والحفاظ عليه، والدفاع عنه، وبما أن اللغة ظاهرة مشتركة بين الجميع الذين تحكمهم بيئة واحدة، وثقافة واحدة، وبها يتم التفاهم، والتواصل، إذن ترتبط ارتباطا وثيقا بالهوية، اذ تقرر اللغة شكل الثقافة، وشكل الدين، وشكل الفكر، وشكل السياسة، وشكل التواصل في المجتمع، وشكل الحضارة، وهذه المفاصل التي ذكرتها أساس الهوية، الفردية والهوية الاجتماعية التي تعني طريقة تفكير الجمهور الكثيرة الموحدة.

فكلما حدث شرخ في طبيعة اللغة، وشكلها، وبنياتها، وتكوناتها، وجزئياتها، ينعكس ذلك على الهوية الفردية، والهوية الجماعية.

الهوامش:

[١] الصاحبي: ١٦.

[٢] الخصائص، ابن جني:: ١/ ٩٩.

[٣] الصاحبي: ٢٦.

[٤] فقه اللغة ، مجد الباكير: ٩.

[٥] اللغة الشاعرة، العقاد: ١٢.

[٦] اللغة العربية في عالم متغير، دكتور هادي نهر، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠: ١/٥٥.

[٧] اللغة العربية في عالم متغير: ١/ ٦٤- ٦٥.

[٨] مؤامرات أعداء العربية خطا ولغة، هلال ناجي، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠: ١/ ٢١١.

[٩] العربية تواجه التحديات، الدكتورسامي عبد الله الجميلي، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠: ١/ ٣٥٥.

[١٠] الخصائص: ٢/ ١٤٠.

[١١] ينظر: الخصائص: ١/ ١٤٠.

[١٢] دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح: ١١٠.

[١٣] دراسات في فقه اللغة: ١١٢.

[١٤] فصول في فقه العربية ، الدكتور رمضان عبد التواب: ٧٧.

[١٥] فصول في فقه العربية: ٢٩٠.

المصادر

- الصاحبي، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق السيد احمد صقر، دار احياء الكتب العربية، ١٩٧٧م.
- الخصائص، ابن جني ت ٣٩٢هـ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- فقه اللغة العربية ، مجد محمد الباكير، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- اللغة الشاعرة، محمود عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م.
- اللغة العربية في عالم متغير، دكتور هادي نهر، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠.
- مؤامرات أعداء العربية خطا ولغة، هلال ناجي، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠.
- العربية تواجه التحديات، الدكتور سامي عبد الله الجميلي، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول(اللغة العربية وتحديات العصر)، بتاريخ ٩- ١٠/ ايار، ٢٠١٠.
- دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٧، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.
- فصول في فقه العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

النقد العربي القديم في ضوء المناهج النقدية المعاصرة

م.د خالد صكبان حسن

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

احتل النقد العربي القديم مساحة كبيرة على خارطة اشتغالات النقاد العرب المعاصرين ، لما له من أهمية أدبية وحضارية ؛ فكان أن برز اتجاهان نقديان يختلفان في زاوية النظر لما وصلنا من تراث نقدي قديم .

الأول منهما يقرر أن لا يوجد نقد بالمعنى العلمي المتعارف عليه للعملية النقدية ، وينزلق بعيداً في ذلك لينفي أي ابداع نقدي للقدماء قبل القرن الثاني الهجري ، فما هي إلّا انطباعات عفوية لتلقي النص الأدبي خلت من التعليل والتحليل ؛ لذلك ، يتفادى أصحاب هذا الاتجاه الوقوف عند المراحل الأولى من العملية النقدية المحيطة بالنص الإبداعي عند القدماء ، إذ لم يجدوا في تلك الشذرات ما يفي باشتراطات العملية النقدية ، بوصفها عملية ترتكز على دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي وتحديد مكانتها في مسيرة الآداب ، والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل .

وفي حال هكذا رؤية ، لا يحق لنا أن نتجرأ على تلمس مظاهر لمناهج نقدية معاصرة في تراثنا النقدي ، ذلك أننا سنكون أشبه بمن يضع العربة أمام الحصان ، على فرض أن هناك عربة من الأساس .

ولكن ، يمكن أن يكون لبحثنا هذا فرصة في التقدم عندما نستد إلى مقولات أصحاب الاتجاه الثاني الذين تحدثوا عن وجود كيان نقدي ادبي عند العرب ، توضحت ملامحه – تدوينا – عند ابن سلام في طبقاته ، واستمر في الارتقاء بمعونة رجال كالجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن طباطبا ، والعسكري ،

والآمدي ، وقدامة ، والجرجاني، وابن الأثير ... وصولاً إلى حازم القرطاجني ؛ وهؤلاء كانت لديهم مناهج سعوا إلى تحقيقها في مقارباتهم للقضايا النقدية المطروحة على الساحة آنذاك.

وعلى الرغم من الجدل الذي أثير حول صحة أو خطأ تلك المناهج ، ومدى علمية النتائج التي انتهت إليها ، لكنها تبقى – مع ذلك – مناهج سعى أصحابها لتكاملها من أجل خلق موقف فكري حول القضايا موضوع النقاش ، و يمكن القول ((إن النقد لا يقاس دائما بمقياس الصحة أو الملائمة للتطبيق ، وإنما يُقاس بمدى التكامل في منهج صاحبه ؛ فمنهج مثل الذي وضعه ابن طباطبا أو قدامة ، قد يكون مؤسساً على الخطأ في تقييم الشعر – حسب نظرتنا اليوم – ولكنه جدير بالتقدير لأنه يرسم ابعاد موقف فكري غير مختل))[١] ؛ مع التأكيد على أن ما وصلنا من نماذج لتحاكم الشعراء فيما بينهم ، وأخبار المفاضلة بين الشعراء في أغراضهم الشعرية ، كلّ ذلك يمنح للباحث الثقة بوجود كيان نقدي ، وإن لم تتضح معالمه بعد ، لكن روح النقد حاضرة في تلك الأحكام والآراء

من هنا ، يسعى هذا البحث إلى رصد ملامح نقدية في نقد القدماء يمكن ان تقترب بدرجة معينة من المناهج النقدية المعاصرة .

تمهيد

تعدّ المناهج النقديّة المعاصرة وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبيّة وليس غاية في حدِّ ذاتها ، ففي البدء كان الخطاب الأدبي ثمّ كانت الممارسة النقدية ، التي لازمته وتطورت إلى مناهج النقد المتنوعة ، سياقية كانت أم نصّانية من خلال البحث عن مقصدية الكاتب ، واستقصاء تجليات الخطاب الأدبي ، واستقراء الظواهر الفنية ، والفضاءات النصيّة داخل العمل الأدبي ، لهذا كان فرض أي منهج على خطابٍ ، أو عملٍ أدبي ما كفيل بتكريس عملية نقدية منحرفة ، ولغة واصفة عقيمة ، ومن هنا كان عمل الناقد تحرّي الموضوعية والروح العلمية في التعامل مع الظاهرة الأدبية لأنّه تعامل مع الذات المنتجة وسط بيئة سياسية ، واجتماعية وتاريخية .

لذا ، نجد الناقد المعاصر يتحرى ويبحث عن قراءة نقدية للنص الأدبي وسط المناهج النقدية النصانية المعاصرة ، ولا سيما الأسلوبية أو البنيوية ، أو التفكيكية ، أو السيميائية ، أو التداولية وغيرها من المناهج التي تولي اهتماماً بالنص على حساب الناص (الكاتب) وذلك وفق آليات وأدوات إجرائية تتحقق مع النص الأدبي المراد استنطاقه أو تحديد القراءة النقدية المناسبة له وهذا لن يتحقق إلاّ من خلال الممارسات والتجارب النقدية المتواصلة التي يكتسبها الناقد من خلال تمرّسه على مختلف النصوص الأدبية الشعرية أو السردية .

وعندما نطالع الجهود النقدية في تراثنا الأدبي العربي القديم يتبادر إلى أذهاننا المناهج التي يمكن أن تُصنف في ضوئها هذه الجهود . وإذ كان البحث عن المناهج في جهود النقاد المعاصرين أمراً طبيعياً بحكم اطلاعهم على ما ظهر من نظريات ومناهج نقدية حديثة ، فإن الأمر سيكون مستغرباً لو حاولنا ان نبحث عن منهج نقدي في كتب القدماء الذين وُصفت أحكامهم النقدية بالارتجالية ، وبالافتقار إلى التحليل والتعليل .

مما لا شك فيه أن النقد لم يعد مجرد تأثر ذوقي مرتجل ، لا يلتزم موقفاً ولا يرتكز على منهجٍ ، ((فقد اتضحت في النقد خلال تاريخه الطويل ومناهجه المختلفة ، مواقف متعددة الاتجاهات بدأ يتبناها النقاد ، على اختلاف مواقفهم وانتماءاتهم الفكرية والسياسية والدينية ، وقد مهدت هذه السبيل إلى وجود مدارس نقدية ومناهج أدبية ، أغنت الفكر الأدبي بطرائق جديدة ومداخل علمية في تحليل النص الأدبي وتحديد قيمته الفنية ومكانته الجمالية))[٢].

لكن ، هل يمكن أن نضع أيدينا على مناهج نقدية سار عليها النقاد في جهودهم النقدية تقترب من المناهج المعاصرة ؟ وإذا كان ذلك ممكناً في عمل النقاد المعاصرين ، فهل يمكن أن نجد شذرات منه في جهود القدامى ؟.

هذه الأسئلة ستكون إجابتها محور هذا البحث عبر النظر فيما بين أيدينا من جهود القدماء في مدونتهم النقدية التي قاربوا بها نتاج عصورهم الأدبية .

أ – النقد الانطباعي

إن أقدم منهج للنقد ظهر في التاريخ القديم هو المنهج الانطباعي أو التأثري ، لكن هذا المنهج لم يختف قط ، بل ظل قائماً وضرورياً حتى اليوم .

وهو منهج يعتمد على الذوق والعاطفة والاحتكام إلى الوجدان ، ويمتد بجذوره – في تراثنا الأدبي – إلى العصر الجاهلي حيث ((انطلق مع الأحكام الذوقية التفضيلية التي كان يصدرها الشاعر النابغة الذبياني في سوق عكاظ ، ليمتد مع الرسول (ص) والصحابة رضوان الله عليهم إبان صدر الإسلام أثناء تقويمهم الشعر الجاهلي واستحسانهم لشعر الدعوة الإسلامية ، وسيبلغ هذا المنهج شأوه إبان الفترة العباسية مع الأصمعي ، وابن طباطبا ، والآمدي ، وابن رشيق القيرواني ، وسيتمثله مجموعة من النقّاد في العصر الحديث كطه حسين والرافعي وعباس محمود العقاد وشوقي ضيف ومحمد مندور وميخائيل نعيمة...الخ))[٣] .

كما أن هذا المنهج ((يُبعد المعايير العلمية والأسس التجريبية البنيوية والسيميائية المقننة ، ويلتجئ إلى الممارسة الشخصية والمران الذاتي الداخلي ؛ مما يسقط صاحب هذا المنهج في بعض الأحيان في التناقض وتعميم الأحكام ونقص في التعليل واتباع العواطف والأهواء الشخصية))[٤].

والنقد الانطباعي له ارتباط وثيق بالقيمة ، لذلك فهذا النوع من النقد غير مستقل عن المدح أو الذم . وهذا النقد يقوم به أناس اعتادوا بحكم طول مزاولتهم لقراءة الأدب على ما يقرؤون بالجودة أو الرداءة .

فالناقد القديم كان يشعر بأنه قاض وحكم ، ومهمة القاضي تنتهي دائما بإصدار الحكم ، وأبسط صورة للحكم هي أن يعبّر الناقد عن رضاه عن العمل الأدبي أو نفوره منه ، فيقول مثلاً إنّه جيد ، أو

إنّه رديء ، وقد يقول إنّه حسن أو إنّه قبيح ، وهي غير خاضعة للتعليل العلمي والمقاييس النقدية المضبوطة في الدقة والموضوعية .

ولا نعني بالإنطباعية – هنا – تلك الحالة التي يُعبّر فيها الإنسان عن ارتياحه أو سخطه تجاه نصٍ ما ، لأن هذه حالة فطرية ، لا تفارق الإنسان في حياته اليومية عندما يتعرض لمواقف شتى تترك في نفسه انطباعات مختلفة تتفاوت بين الرضا والسخط ؛ إنما نتحدث عن الانطباعية بوصفها ((مدرسة في الفن والأدب تقوم على أن يعيد الفنان أو الأديب الانطباع (أو الأثر) – الذي حصل في نفسه ووصل إليها الحواس – كما أحس به . وهو في الفن أن يعيد الرسام الانطباع الذي تركه فيه منظر من الطبيعة أو المجتمع – ومن الطبيعة بخاصة – في لوحة ؛ وفي الأدب أن يعيد المنشئ الانطباع في شكل من أشكال الإنشاء ؛ وفي النقد الأدبي أن يعيد الناقد الانطباع – أو الأثر – الذي تركته في نفسه قراءة لنصٍ إنشائي ، من قصيدة أو قصة أو مسرحية أو كتاب ... كما هو في حالة حدوثه وفي الساعة التي كان فيها الناقد دون إضافة أو اهتمام بأمر سواه ... ودون أدنى اهتمام بالصحة والخطأ والعلمية والموضوعية ... المسألة ذاتية صرف))[٥].

إذن ، هي ردة فعل المتلقي الأولى تجاه النص الأدبي ؛ وهي قد تكون فطرية وتأثرية ، لكنها تستند على أسس من المعرفة والخبرة ، وعلى الذوق الذي يكون محصلة لهما . لذلك يمكن القول إنّ التأثر الذي يصاحب متلقي النص / الناقد هو أولى خطوات أي منهج يسلكه الناقد ؛ إنه مقدار من الذاتية لا بدّ من التزود به للمضي في العملية النقدية .

لذا ، ليس غريباً أن نجد من نقادنا القدامى من عالج النصوص الأدبية على وفق تأثره بها ، وعلى ما تركته من انطباع في نفسه ؛ بل أننا نجد من اتكأ على الذوق في نقده للشعر ، إذ يقول ابن سلّام في بيان أهمية ذلك ((وللشعر صناعة وثقافةٌ يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات :منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان . ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفةٍ ولا وزنٍ ، دون المعاينة ممن يبصره . ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، لا تعرف جودتهما بلونٍ ولا مسٍّ ولا طرازٍ ولا وسمٍ ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستّوقها ومفرغها – ومنه البصر بغريب النخل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده ، مع تشابه لونه ومسّه وذرعه ، حتى يضاف كلّ صنف إلى بلده الذي خرج منه . وكذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ،جيدة الشَّطب ، نقية الثغر ، حسنة

العين والأنف ، جيدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشَّعَر ، فتكون في هذه الصفة بمئة دينار وبمئتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، ولا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة))[٦].

وقد نجد لهذا النقد أثراً في كلّ قراءة نَصدم بها نصّاً ادبياً ، ذلك أن ما تفرضه هذه النصوص على ذائقتنا من ردة فعل لقرائتها هو صورة من صور النقد الانطباعي الذي يمكننا من البوح بما لهذا النص من أثر فني أو اجتماعي على ذائقة المتلقي .

ومن يطالع كتب التراث النقدي العربي القديم تزدحم لديه النماذج النقدية الطافحة بسلطان الذوق والانطباع الذي تولده في نفوس متلقيها ،

ولعلّ الأبيات الي ذكرها ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) التي يقول فيها الشاعر:

ولَمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنًـى كُلَّ حَـاجةٍ ومَسَّحَ بِالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّت على حُدْبِ المَهَارِي رحَالُنَا ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيّ الأَبَاطِحُ

مستشهداً بها على الشعر الذي حلا لفظه وقصر معناه[٧] ، دليل على تلك الذائقة الانطباعية التي لا يحوجها التعليل ولا التحليل في اصدار الحكم النقدي على النصوص الأدبية ؛ ففي الوقت الذي رأى فيه ابن قتيبة أنْ لا فائدة ترجى من هذه الأبيات في المعنى[٨] ، واعتقد آخرون أنّ ما فيها من معنى هو مستوف على قدر مراد الشاعر[٩] ، وأنّها إنمازت باللفظ السمح السهل المخرج الذي عليه رونق الفصاحة غير أنّها خلت من سائر نعوت الشعر الأخرى[١٠] ؛ إلّا أنّ عبد القاهر الجرجاني يقدم قراءة مغايرة لهذه الأقوال ، فيقول معلقاً على آراء متقدميه على هذه الأبيات : ((ثم راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم متصرفاً ، إلا إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حُسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الاذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد ، والفضل الذي هو/ كالزيادة في التحديد ، وشيءٍ داخل المعاني المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستثقل مكانه ، والأجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع إلى تطلب زيادةٍ بقيت في نفس المتكلم ، فلم

يدلّ عليها بلفظها الخاص بها ، واعتمد دليل حال غير مُفصح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح))[١١] .

إن الجرجاني يقرر رأياً مخالفاً عبر النظر في الاستعارة الواردة في هذه الأبيات التي تدلل على تناسل المعاني والصور الشعرية ، وتمنح هذا الشعر قوة النسج وشدة الحبك ؛ وهو بذلك ينتقل إلى مرحلة متقدمة في التعليل للرأي النقدي عبر تحليل دقيق لمكونات النص الأدبي .

ومن الأمثلة التي يتجلى بها النقد الانطباعي ما نجده من أحكام نقدية في كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للآمدي ، وهي أحكام يقف ورائها حسٌّ متزمت يرى الدنيا والناس والكائنات من منظور الثبات ؛ ومن نماذج هذه الأحكام قوله على احدى استعارات أبي تمّام ، إذ يعلق الآمدي بالقول : ((هذا هو الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت والخطأ فيه ظاهر وأني ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة))[١٢] ، ويقول في موضع أخر متعجباً : ((فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خبّرونا كيف يجاري البين وصلها ؟ وكيف تماشي هي مطلها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟))[١٣]؛ وفي هذا تجاهل للنص الشعري واهدار وجوده لصالح ما هو سائد ومستقر في ذهن الناقد أو البيئة الثقافية التي يمثلها ، فالشاعر أخطأ – في نظر الناقد – لأنه خالف الإجماع .

ب- النقد التاريخي

إذا كانت ((الكتابة شريحة من الحياة قبل أن تهاجر بها الحياة إلى الكتابة))[١٤]، فلا يمكن لنا أن نتجاوز تلك الحياة التي يسلك التاريخ فيها مسلكاً مهماً لا نستطيع أن نتخلص من أسره ، ومن ثم فلا يمكن للأديب ولا للناقد الأدبي أن يتنصل من التاريخ .

يتحدد مفهوم النقد التاريخي من خلال ((دراسة الأديب أو الحركات الأدبية العامة تبعاً للتطور الفني والاجتماعي والسياسي والديني ، الخ))[١٥]؛ فهو منهج يتكأ على حوادث التاريخ وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما ، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون .

ويُعنى المنهج التاريخي أساسا بدراسة العوامل المؤثرة في الأدب ، بعبارة أخرى أن الطابع التاريخي والسياسي والاجتماعي لازم لفهم الأدب وتفسيره ، لذا ((لا يكون الأديب (المبدع) عبقريا لو تقدم عصره أو تأخر عنه ما دامت عوامل البيئة قد وجهته، وأفرزته الى هذه الوجهة))[١٦].

ويذهب المنهج التاريخي في النقد ، في شكل خاص ، إلى التنبيه إلى أهمية ما هو خارج النص ومعرفة سياقاته. وبهذه الطريقة ، لجأ النقاد إلى استنباط القيم من الواقع الخارجي ومما هو متخصص من الأبحاث للتوصل إلى مجموعة من التراكيب والتأويلات ، حتى وصل الأمر بأنصار المنهج إلى حدِّ الإسراف والمغالاة في الجمع بين البيئة والأدب ، إذ جعلوا من هذا الأخير بمثابة (ظل) ينساق وراء ركب البيئة. وقد شوهت هذه (الظلال) الكثير من الأمور الإبداعية لدى الأدباء والشعراء معاً[١٧] .

إنّنا نقرأ في الأدب العربي أننا ((لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلّا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حِكَمها ، ومُستنبط آدابها ، ومستودع علومها))[١٦] ، وأن العرب كانت تحتفل بظهور شاعر في القبيلة إذ أن الشاعر العربي قد ارتبط وجدانياً مع جماعته (القبيلة) وأصبح الناطق بأمجادها ، والمدافع عن حقوقها ((وكان من نتيجة ذلك أن قام بين الشاعر وقبيلته عقد فني يفرض عليه ألّا يتحدث عن نفسه في شعره إلّا بقدر محدود وفي نطاق ضيق ، وإنّما يتحدث عن قبيلته ، ويجعل من شعره سجلاً لحياتهم ، ومن لسانه لساناً لها ، يعبر فيه عن آمالها وآلامها ويرسم الخطوط العامة لسياستها ، ويعلن على الملأ أهدافها وغاياتها ، وفي مقابل هذا تمنحه القبيلة لقب '' شاعرها ''))[١٨].

فالشاعر يحامي عن القبيلة ، ويدافع عنها بالقول المؤثّر النفّاذ ، فكأنه صحفي هذا الزمان ، أو رجل الإعلام في مواقعه المختلفة ، يمجّد القبيلة، ويدافع عن سياستها ، ويشيد بمآثرها وأعمالها ، ويصوّر قوتها ، ويهاجم الخصوم المتطاولين عليها ، مشكلاً بذلك جهاز ردع ، يرهب العدو ، ويخيف الخصم ؛ فهو ((الذي يقيّد عليهم مآثرهم ، ويضخّم شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ، ويخوِّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيره فيراقب غيرهم))[١٩] .

وقد أثنى ابن سلام (ت ٢٣١هـ) على لبيد ، فقال : ((كان في الجاهلية خير شاعر لقومه ، يمدحهم ، ويرثيهم ، ويعدّ أيامهم ووقائعهم))[٢٠] . وقال ابن قتيبة : ((وللعرب الشّعر الذي أقامه الله تعالى مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيّداً، ولأخبارها ديواناً،

لا يرِثّ على الدهر، ولا يبيد على مرّ الزّمان))[٢١] ؛ فالشاعر مسجّل للمفاخر والمآثر، ومؤرّخ للفضائل والأمجاد ، والشّعر عندئذٍ كالملحمة البطولية ، يدوّن تاريخ القبيلة ، ويتغنى بانتصاراتها ، ويسجّل الأحداث العظام لتكون معلماً وهادياً للأجيال القادمة ، يتعلمون منها المجد والشرف ، ويرضعون لبان النخوة والمروءة ؛ وفي ذلك يقول ابن رشيق: ((كان الكلام كلّه منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيّب أعرافها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحائها الأجواد ؛ لتهزّ أنفسها إلى الكرم ، وتدلّ أبناءها على حسن الشيم ، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً، لأنهم شعروا به ، أي فطنوا))[٢٢]؛ وكأن الشاعر يبرأ من استقلاله الشخصي التام من أجل تمجيد الجماعة (القبيلة) .

وقد نظر النقاد القدامى إلى الشعر على أنه مصدر للمعرفة ، ووعاء للثقافة ، ومستودع للفكر ؛ فيه حصيلة عظمى من التجارب الانسانية ، والخبرات البشرية ، لأنه يستمد من الحياة ، وهو لذلك سجل حي لما رآه الناس وما خبروه ؛ ومن هنا ، نجد التاريخ قد تسرب بين سطور كتب القدماء بدرجة واضحة ؛ فلا يمكن لنا أن نغفل التاريخ في مؤلفات كطبقات فحول الشعراء لابن سلّام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ، والعمدة لابن رشيق ، ومؤلفات أخرى تحدثت عن الأدب والأدباء .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن أصحاب المؤلفات المذكورة سابقاً لم يدر في أذهانهم ما عرفته الساحة النقدية المعاصرة من منهج تاريخي ، ولكن المتفحص في مؤلفاتهم وما قالوه عن الأدباء يستطيع أن يجد في شذراتهم النقدية ملامح تقترب بنسب متفاوتة مع آليات النقد التأريخي التي ابتكرها الغرب .

يقول ابن سلّام في طبقاته : ((ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزّلناهم منازلهم ، واحتججنا لكلّ شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء))[٢٣] ، وهذا القول لا يبتعد كثيراً عما يقرره رائد المنهج التاريخي الفرنسي (هيبوليت تين) حين حدد ثلاثة مؤثرات في الإنتاج الأدبي تتمثل في العرق ، والبيئة ، والعصر .

فإذا نظرنا إلى مقولة ابن سلّام نجد ذلك التصنيف التاريخي للشعراء الذين وزعهم على طبقات ارتكز في تحديدها على تصنيف الشعراء اعتماداً على أسس عدة ، منها ما يتصل بالعصر على

أساس تعاقب الشعراء زمنياً ، فهنالك شعراء جاهليون ، ومخضرمون ، ومسلمون ، وهي رؤية نقدية تقترب مما توصف به التاريخية التي يقوم المنهج عليها ، فهي ((تأخذ من التأريخ أضيق دلالاته أي ارتباط الحدث بزمن ، ومن ثمّ تقسيم الأدب إلى عصور وصفات كلّ أدب من كلّ عصر وعلاقة هذه الصفات بالصفة الغالبة للعصر))[٢٤].

ومنها – أي الأسس التي اعتمد عليها ابن سلام في تصنيف الشعراء – ما اتصل بالتوزيع الإقليمي للشعراء بين المدن والقرى العربية ، إذ يرى في حديثه عن شعراء الطائف أن الشعر يكثر ((بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يُغيرون ويُغار عليهم والذي قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلّل شعر عُمان وأهل الطائف))[٢٥] ، وفي هذا الكلام يتبن الأثر البيئي في نتاج الأدب الذي يُنتج في فضائه ؛ فالبيئة الهادئة والبعيدة عن أجواء الحروب والمعارك يقلّ فيها – بحسب ابن سلام – النتاج الشعري ، ذلك أنه يرى أن المعارك والحروب ، بما تثيره من مشاعر متباينة بين الفخر والحزن ، حافز مهم من حوافز ودواعي الشعر ، فالبيئة التي تنتهج مسلك الحروب يختلف نتاجها الشعري عن سواها التي تفتقر لهذا الأثر المهم في استدعاء تلك الصور الشعرية التي تزخر بها لوحات المعارك والحروب ، فالبيئة المحيطة بالشاعر تؤدي دوراً مهماً في نبوغ الشاعر لأنها تمده بالموضوعات الشعرية .

وبذلك يقارب ابن سلّام معيار البيئة الذي حدده الناقد الفرنسي (تين)[٢٦] بوصفه المعيار الذي يشمل مجموعة من الأجواء والظروف التي ينشأ فيها ابناء هذا الشعب ، حيث إن البيئة تشكل اهمية كبيرة في تشكيل الذات المبدعة في تطورها ونموها وكذلك تشارك في صياغة المادة او العالم الذي خلق منه العمل الادبي ، مما يحدد اهميتها في تأثيرها الكبير على إبداع الكاتب بحيث يستطيع رصد مجمل العادات والتقاليد والأخلاق المشتركة التي تميز هذا المبدع ، فالمعاني ((مشتركة بين العقلاء ، فربما وقع المعنى الجيد لسوقي والنبطي الزنجي ، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها ، وقد يقع للمتأخر معنى سبقه أليه المتقدم من غير أن يلم به ، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر))[٢٧]، ويقول القاضي الجرجاني – في سياق حديثه عن تداول المعاني – ((وقد يكون في هذا الباب ما تتَّسع له أمة ، وتضيق عنه أخرى ، ويسبق إليه قومٌ دون قوم ؛ لعادةٍ أو عهد ، أو مشاهدة أو مراس ؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة[*] النعامة ، ولعلّ في الأمم من لم يرها ؛ وحمرة الخدود بالورد والتفاح ؛ وكثيرٌ من الأعراب من لم يعرفهما ؛ وكأوصاف الفلاة ، وفي الناس من لم

يُصحر ؛ وسير الأبل ؛ وكثير منهم لم يركب))[٢٨] ، وفي ذلك إشارات إلى وعي القدماء بدور التفاعل الثقافي والتأثير الاجتماعي في تداول المعاني والأشكال ، وإن البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية يمكن أن تُنشئ معاني متقاربة .

ولم تقتصر هذه المقولات النقدية التي تقترب من المنهج التاريخي على ابن سلّام فحسب ، بل سار عليها معظم مدوني الأدب العربي القديم في القرون التي تلت ؛ فمن يطالع كتب التراث يجد تاريخاً مدوناً للأدب العربي يقترب فيه المؤلف من سمات النقد التأريخي في اخضاع منتجي الأدب إلى عصور مقسّمة على وفق التاريخ السياسي للدول والإمارات .

فقد اعتمد القدماء على عرض مادتهم العلمية عرضاً تاريخياً عبر إثباتهم للنصوص ، وروايتها بسلسلةٍ من الرواة ، يصححون بعض الروايات ، ويُضعفون بعضها الآخر ، وينظرون إلى النتاج الأدبي (الشعري) في فترات زمنية تمتد من الجاهليين إلى المحدثين ، إذ نجدهم في الوقت الذي يتحدثون فيه عن الأدب والأدباء يتحدثون – أيضا – عن التاريخ ، بصرف النظر عما قد يشوبه من روايات تكون موضع شكٍ وخلاف ؛ وهو أمر لم يقتصر على علماء المشرق كابن قتيبة ، وابن طباطبا ، والمرزباني ، وغيرهم ، بل تعداهم إلى علماء المغرب والأندلس ، إذ نجد في كتاب (الذخيرة في محاسن الجزيرة)[٢٩] لابن بسّام حديثاً عن الأدباء بحسب العصور التي عاشوا فيها ، مع التأكيد على البيئة الأندلسية واثرها في النشاط الادبي ، ولا سيّما مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي التي مثّلت الموشحات أبرز عنواناتها.

ومن مظاهر النقد التأريخي في تراثنا القديم تركيز النقاد على شخصية الأديب بوصفها المصدر الأساس للإنتاج ، إذ سعى النقاد إلى البحث عن تفاصيل حياة منتج النص الأدبي والخوض في أخباره وتفاصيل حكاياته مع مجتمعه ، وكل ما يتصل بذوقه وميوله ، ومن يتصفح كتاب مثل الأغاني للأصفهاني أو طبقات الشعراء لابن المعتز – على سبيل التدليل – يجد هذه الأمور واضحة المعالم ، وبتركيز ملحوظ من قبل المؤلف ؛ يقول ابن المعتز في طبقاته متحدثاً عن الشاعر بشار بن برد : ((كان شاعراً مُجيداً مُفْلقاً ظريفاً حسناً ، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء ، واخذ فوائدهم ، وكان يمدح المهدي ويحضر مجالسه ، وكان يانس به ويدنيه ويُجزل له في العطايا ، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة))[٣٠]. هذا السرد التاريخي لشخصية الشاعر اسلوب درج عليه معظم المؤلفين القدامى عند حديثهم عن منتج الأدب ، وهو أسلوب يؤرخ لحياة الشاعر بكلّ تفاصيلها وكيفياتها ، فالقصيدة

وقد يكون من المفارقة أن نجد نصاً لعلي جواد الطاهر يوصي به من يتخذ المنهج التاريخي أداة للنقد الأدبي أن يتجاهل النظر إلى نتاج الأديب على وفق اسبقيته الزمنية ، إذ يقول : ((صحيح أنك ترصد مدى ما عبّر به كلّ أدب عن عصره وما أثر كلّ عصر في أدبه ، ولكنك غير ملزم بالنتاج الضعيف تدافع عنه بعوامل الزمن أو تمنحه القوة منحاً شخصياً قياساً إلى الظروف المحيطة ؛ وإنما اللائق بك أن تُبقي الضعيف على ضعفه وتنتشل القوي الذي لم يجد فرصة الظهور في زمنه ولم يدرك معاصروه معانيه وأبعاده ، وترعى رعاية خاصة النصوص العميقة التي استوعب بها أصحابها عصرهم وضمنوها عناصر البقاء بعده))[٣١] ؛ هذا الكلام نجد في تراثنا النقدي ترجمة عملية له ، وذلك حين نقرأ منهجية ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) الذي يقول : ((ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كلّ شاعر مختاراً له – سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلاًّ حظّه ووفرت عليه حقّه ، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائلة ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلّا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً بين عباده في كلّ دهر ، وجعل كلّ قديم حديثاً في عصره))[٣٢].

ولا أدلّ من هذا على وجود تلك الملامح النقدية التي تقترب من المنهج التاريخي في النقد ، بل أن المتمعن في النصّين السابقين يُخيل له وكأن ابن قتيبة التزم بما اوصى به الدكتور على جواد الطاهر – على استحالة ذلك زمنياً – .

وإذا كان للعرق – بحسب رواد المنهج التاريخي – دوراً في النتاج الأدبي[٣٣] ، فقد نبّه الجاحظ من قبل إلى الفرق بين العربي وغير العربي في صناعة الشعر ، بقوله ((وكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ولا استعانة ، ... ، فما هو إلّا أن يصرف وهْمَه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ،... ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر ، وكلّ واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل))[٣٤] .

وعلى الرغم من أن الجاحظ أراد بهذا النص الرد على الشعوبية والانتقاص منهم عبر بيان علو شأن العرب ، إلّا أنه يكشف لنا عن رؤية الجاحظ لأهمية العرق في نبوغ وابداع الأديب وهو ما ذهب

إليه (تين) الذي زعم أن جنساً بشرياً ما هو أرقى من جنسٍ آخر ، متعصباً للجنس الآري الأوربي ، ومتهما العقل السامي بالافتقار إلى الإبداع والعلم ، وبعدم قدرته على تمثل أعمال الطبيعة[٣٥] ، وينظر إلى العرق بوصفه جموع الاستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد. وهذه الاستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي[٣٦].

ولنا أن نقول إن هناك اختلافات بيولوجية بين البشر ، إلّا أن البشر جميعا يرجعون لأصل واحد ، وأن تلك الاختلاف تمنح الحياة سرها وقوتها واستمرارها ، أما خطورة الاختلاف فتكمن في تحويله إلى أداة للقهر والاستغلال والاستعلاء ، ومن ثم فـ(العرق) مفهوم ثقافي ، وفكرة مخترعة ، ولا يوجد له أي أساس "جيني" يستند عليه في الزعم بأن البشر غير متساوين ، أو أن اختلافاتهم ترجع إلى أسس بيولوجية، لذا يصبح _العرق) أداة ضارة لاستبقاء أوضاع عنصرية معينة تحول دون بناء مجتمع تسود فيه المساواة .

ج – المنهج النفسي

تتحدد ملامح المنهج النفسي في أواخر القرن التاسع عشر ، بعد أن أصدر فرويد كتابه (تفسير الأحلام)[٣٧] ، وإن كان بعض النقاد يرده إلى نظرية (التطهير) عند أرسطو ، إلّا أنه كشكل علمي منظم بدأ مع مؤلفات فرويد في التحليل النفسي [٣٨] .

ارتكز فرويد في تحليلاته النفسية على مرتكزات ثلاث : الأنا ، والأنا الأعلى ، والهو ، مبدياً اهتمامه بتفسير الأحلام بوصفها النافذة التي يطل منها اللاشعور ، والطريقة التي تعبر بها الشخصية عن ذاتها ، وكان للتماهي بين الأحلام من ناحية والفن والأدب من ناحية أخرى تأثيراً مغرياً للدرس النفسي باعتبار الفن مظهراً مهماً لتجلي العوامل الخفية في الشخصية الإنسانية[٣٩]، ولا نريد هنا أن نقدم سرداً تاريخياً لظهور المنهج النفسي في الدراسات الأدبية فقد تكفل بذلك الاستاذ محمد خلف الله أحمد في كتابه (من الوجهة النفسية في بحث الأدب ونقده) .

يعدّ الادب والفن – بحسب فرويد – تعبيراً عن اللاوعي الفردي ، ومرآة تعكس تفاعلات الذات وصراعاتها الداخلية ، وهو أمر يحدث عبر الأحلام التي تتصف بخصائص تتمثل بالتكثيف والإزاحة والرمز ؛ ففي الأحلام تتكثف – بطريقة بالغة – الظواهر بتفاصيلها الكثيرة، ثم تنتقل هذه الصورة المكثفة عبر الأحلام من مجالها الحسي إلى مجال آخر مستعملة في ذلك الإنتقال رموزاً عدة ، وهكذا

أصبحت هذه الثيمات الثلاث (التكثيف – الإزاحة – الرمز) قوانين قارة تتحكم – أيضاً – بطبيعة الأعمال الفنية والأدبية خاصة[٤٠] .

وما يعنينا في هذا البحث هو البحث عن ومضات نفسية تخللت الجهود النقدية للنقاد العرب القدامى وهم في خضم البحث عن بواعث الأبداع عند الشعراء العرب ، والسمات العقلية والمزاجية التي يتصف بها كل شاعر ، ومن ذم النظر إلى العلاقة بين العمل الأدبي ومبدعه .

يمكن للمتتبع أن يرى فهم العرب القدماء – شعراء ونقادا – لمفهوم (البواعث الشعرية) دون أن يضعوا له مصطلحا . والحق أنهم لم يقرروا مغزاه أو مصدره الحقيقي ؛ ومصداق ذلك ما نجده من تعليلات للشعرية ، أرجعها أغلبهم إلى قوى غيبية بسبب غموض هذه القوى التي تدفعهم إلى قول الشعر ، الأمر الذي دفعهم للحديث عن الشياطين الملهمة للشعراء ؛ ومن يطالع كتب الأدب العربي القديم يجد تفاصيل كثيرة عن أخبار الشعراء مع شياطينهم .

وليس اكتفاء القدماء بنسبة الإبداع الفني إلى الشياطين أو الآله هو دليل عجزهم عن فهم هذه العملية المعقدة ، فقد ((أدرك القدماء ، شعراء ونقادا ، أن الشعر ليس هينا ، حتى على الشعراء أنفسهم ، وليس ساذجا بسيطا كما يظن كثيرون))[٤١]؛ وهذا الإدراك ما زال حاضراً في نظرة المعاصرين إلى قضية إنتاج الشعر ونظمه وإبداعه ، إذ يقولون ((إن الشعر كلّه معقد ، وتعقيده على درجات ، أما القصيدة فمثل الإنسان ، لها شجرة نسب ، وهي مهمة ، لا بسبب أسلافها ، بل بسبب انفرادها . والقصيدة ليست أكثر من محاولة تبلور مثالي لتجربة ما ، تمثل من حيث " الكيف " حياة مضنية شاقة ، وتتطلب من حيث " الكم " سنوات من التفكير والاستعداد والمران))[٤٢] ، ويرى بعضهم ((أن عملية الخلق الفني ستظل إلى الأبد تروغ عن حيز الفهم الإنساني))[٤٣] .

وقد أدرك النقاد والشعراء في أدبنا العربي القديم ضرورة توافر أنواع من الدواعي والحوافز حتى يتمكن الشعراء بوساطتها من استدعاء ((الشعر ، فتشحذ القرائح ، وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام وتسهل طرقة المعنى ، كلّ امرئ على تركيب طبعه ، واطراد عادته))[٤٤] .

ويمكن أن تتحدد الدواعي الشعرية في ثلاثة أنواع : فمنها ما هو شخصي ، أي يدور على تجارب الشاعر الخاصة في الحبّ أو الحزن أو الزهو وما إلى ذلك من أحواله ؛ ومنها ما هو كوني ، أي ما

يحرك نفس الشاعر حين يقف متأملا في الكون ومصير الإنسان ؛ ومنها ما هو بيئي ناشئ عن بيئة الشاعر وأحوال مجتمعه .

ومن ذلك يمكن أن نرى ثبوت النوع الأول ، إذ أن الباعث الشخصي هو نفسه الآن كما كان قديما ، وقلما نجد فيه اختلاف باختلاف الأزمنة والبيئات ، فالعواطف الإنسانية في الشرق هي ذاتها في الغرب ، وهي في العصر الحاضر كما كانت في أقدم العصور أذ أن مصدرها واحد ويتمثل في الفطرة الإنسانية .

أما الباعثان الكوني والبيئي فمتغيران لأن مرجعهما هو الفكر الإنساني الذي يتطور تبعا إلى تأثره بالكون وأحوال البيئة التي يعيش فيها . وأما الباعث الأساس للنظم فله صلة بوعي الشاعر بمهمته وإدراكه للدور الذي يلعبه الشعر في حياة الجماعة . وكما يعجز الشاعر عن كتابة شعر أصيل دون باعث ذاتي ودون وعي بجدوى الشعر في حياته وحياة من حوله ، كذلك الجماعة تعجز عن الإفادة من الشعر إذا لم تدرك جدواه في حياتها .

وبعبارة أدق ، يمكن أن نحدد لدواعي الشعر رافدين على درجة كبيرة من الأهمية ، أولهما ما يتعلق بالشاعر نفسه ، إذ تختلف هذه الدواعي باختلاف التجارب المتنوعة للشاعر . فقد تكون التجربة الشخصية منفتحة على الإنسانية وقد تكون تجربة ذاتية ، والشعراء مختلفون في ذلك . فبعضهم يجيد فيما يلحظ ويتخيل ، تعينه على ذلك ذاكرة قوية ، وخيال خلاق ، وبعضهم لا يجيد الاّ في وصف ما عاناه بنفسه . والأمر الآخر في هذا الجانب ، هو اتساع تجارب الشاعر مما يعينه على خلق تجارب جديدة ، فكلما ازدادت تجاربنا في الحياة اتساعاً وعمقاً ازددنا قدرة على تشكيل تجارب جديدة تنطوي على فائدة لنا ولمن حولنا . والمهم أن نؤمن بما نقول ، ومن المؤكد أن الشاعر لا يستطيع أن يؤثر في غيره ما لم يتأثر هو نفسه بموضوعه ؛ ولكن من الشعراء من يستجيبون إلى مناسبات الحياة المثيرة في جوانبها المختلفة ، من حب وفرح وحزن وفجيعة ويأس ورضا وإعجاب ، وكما يفترقون في بواعث الشعر كذلك يفترقون في التعبير عما أثارت تلك البواعث بحسب أمزجتهم وإحساساتهم وثقافتهم وقوة الأسباب المثيرة وغير ذلك مما يتصل بشخصياتهم .

ومثل هذه المواقف كثيرة في الشعر العربي القديم ، ومنها ما وقع لجرير حينما لجّ الهجاء بينه وبين الراعي النميري ، فيما رواه صاحب الأغاني ، إذ كان جرير ليلة نظم قصيدته البائية يحبو على فراشه وهو عريان فلما انبلج الصبح قال :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال : أخزيته وربّ الكعبة[٤٥] .

أما الرافد الآخر فهو الداعي الشعري نفسه ، إذ أن اختلافه يؤدي إلى اختلاف شعر الشاعر قوة أو ضعفا بحسب قوة المثير الذي دفعه ، وبحسب صدقه في التعبير عن نفسه ، لأن هذا الصدق يكسب الكلام قوة إذ أن ما يخرج من القلب يقع في القلب . وما يخرج من اللسان لا يتعدى الآذان .

وفي ضوء ما تقدم ، نستطيع أن نعود إلى الإشارات الأولى عند القدماء الذين تحدثوا عن دواعي الشعر . فقد ذكروا ((أنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الحالي))[٤٦] في تلميح لا يغادر ما نحن بصدده من مفهوم دواعي الشعر . إذ يتحدث عن سعة المكان وخلوه مما قد يكدر الخاطر أو يشغل الفكر وما يجره ذلك إلى انحباس الفكرة وتردد خلق المعاني والصور في مخيلة الشاعر. فربما كان للخلوة والعزلة عند بعض الشعراء أثر في الإبداع الفني لما يستدعي ذلك من التركيز والابتعاد عن المنغصات التي تؤثر في خلجات الأديب ومشاعره .

يتحدث ابن سلام ، في سياق تعليله لقلة شعر قريش ، قائلا : ((وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا))[٤٧] ؛ والذي يستشف من كلمة (الثائرة) إنها سبب من الأسباب التي تدفع الشعراء إلى قول الشعر . وهذا كلام قد لا نسلم بصحته دائما إذ ليس بالحروب وحدها يستدعى الشعر ، فهناك بواعث أخرى منها ما هو شخصي ومنها ما هو ذاتي ، لابد أن يكون الشعراء في قريش قد تحصلوا عليها . ويؤيد ذلك قول الجاحظ إن ((كلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة ... وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وهم عليه أقدر وله أقهر))[٤٨] .

أما ابن قتيبة فيعلن بوضوح أن للشعر ((دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف . منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ومنها الغضب))[٤٩]؛ ويذكر في هذا السياق نماذج حول

توافر هذه الدواعي عند الشعراء وغير الشعراء ليدلل على صحة ما ذهب إليه ، فينقل قول الحطيئة حين سئل عن أشعر الناس : ((هذا إذا طمع))[٥٠] في إشارة إلى لسانه . وهذه الدواعي لم تكن غائبة عن ذهن الشعراء ، فقد أجاب أحدهم حين سأله عبد الملك بن مروان إن كان يقول الشعر، فقال : ((كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه))[٥١]. ومثل هذه الأخبار تحمل في طياتها استشعار النقاد القدامى إلى أن هناك شروط نفسية ينبغي توافرها لعملية الخلق الفني للنصوص الأدبية .

ويضع ابن قتيبة علامات يسترشد بها الشاعر في صناعته ، فيقول ((وحسبه من ذلك ماء جار وروض معشب وخضرة ممدودة ، ومواطن تثير الذكريات وتوقظ عامي الشعور ، وكون فسيح في مرأى البصر ...))[٥٢]، ونقرأ في هذا النص تصور ابن قتيبة لأهمية المكان بوصفه مثيرا يدفع الشاعر إلى التعبير الشعري ،ذلك أن ذكر المكان يستوجب ذكر ساكنيه من الأهل والأحبة ويصاحب ذلك مشاعر كثيرة تتصارع في نفس الشاعر لتخرج في نهاية الأمر على لسانه وقد استوت شعرا يفيض به على سامعيه .

إذن ، هذه الدوافع النفسية والبيئية هي التي تغري صاحب الموهبة وتفتح قريحته لقول الشعر، ذلك أنها تصدر عن الانفعال ، والانفعال وليد الشعر في نفس الشاعر ، وبقدر عمق الانفعال ، وصدق التعبير عنه تختلف اقوال الشعراء . والانفعال لا يتولد في نفس الشاعر إلاّ تحت تأثير دافع ما ، أو موقف ما ، فالطمع في العطاء ، والشوق إلى الأحبة ، والشراب ، والطرب ، والغضب ، والرجاء والوفاء ،والماء الجاري ، والشرف العالي ، والخضرة اليانعة ، والطبيعة الباسمة ، كلّها دوافع نفسية تثير الانفعال ، وتبعث الشعر ، ومن غير دافع من هذه الدوافع تبقى ملكة الشعر خامدة في وجدان صاحبها لا تثير ولا تثار .

ويعد ابن رشيق أحد النقاد القدماء الذين تحدثوا عن دواعي الشعر حديثا فيه من التفصيل الشيء الكثير ، وقد عقد في كتابه (العمدة) باباً خاصاً للحديث عن عمل الشعر وشحذ القريحة له ، إذ يقول فيه : ((ثم أن للناس ضروبا مختلفة يستدعون بها الشعر ، فتشحذ القرائح وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام ، وتسهل طريق المعنى ، كلّ أمرئ على تركيب طبعه ، واطراد عادته))[٥٣] ، وهذه إشارة إلى اختلاف دواعي الشعر باختلاف طبيعة الشاعر وطبعه وما جرت عليه عادته .

ويمضي ابن رشيق في سرد الأخبار عن مغاليق الشعر ، وعن الحالات التي لا يجد الشاعر معها ما يشكل عائقا للقول ؛ فقد سئل ذو الرمة ((كيف تفعل إذا انغلق دونك الشعر ؟ فقال كيف ينغلق دوني وعندي مفاتحه . قيل : ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب))[٥٤]. فهو يجعل العشق الداعي الأول للشعر، بينما نجد أبا نواس يجيب بغير ذلك ، وبما يقرب إلى الأذهان ما أراده ابن رشيق من تركيب الطبع واطراد العادة ، فيقول : ((أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفسا بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلني النشاط وهزتني الأريحية))[٥٥].

ويبدو أن ابن رشيق صاحب فكرة لا تبارح خياله في تجميع هذه الدواعي على وفق منظور عام ، ملخصه أن تمتلئ النفس من المسرات والملذات ورغد العيش وطيب الطعام والشراب ، لأن ((الطعام الطيب والشراب الطيب ، وسماع الغناء ، مما يرق الطبع ، ويصفي المزاج ، ويعين على الشعر))[٥٦] .

وفي محاولة لربط الإبداع بالانفعالات يذكر ابن رشيق ينقل كلاماً لدعبل الخزاعي يقول فيه : ((من أراد المديح فبالرغبة ، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء ، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء))[٥٧].

ويروي في هذا السياق خبرا عن قريش لما أرادت معارضة القرآن حيث ((عكف عظماؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم . فلما سمعوا قول الله عزّ وجل : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) يئسوا مما طمعوا فيه ، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق))[٥٨] .

ونحن ، إذ نقرا هذه الأقوال لابن رشيق ، لا يغيب عن بالنا أنه يتحدث عن صاحب الموهبة الشعرية فقط ، لأن من لا موهبة لديه لا ينفعه طيب الطعام والشراب ، ولا رقة الطبع ، ولا كل ملذات ومسرات الدنيا . فالشعر إحساس لا يصدر الاّ عن عاطفة ووجدان .

وقد نتلمس في وصية أبي تمام للبحتري حديثاً عن الدوافع التي تحفز الشاعر للإبداع ، إذ يقول : ((واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإن الشهوة نعم المعين))[٥٩] ، إذ اختار (الشهوة) ، بمعنى الإحساس الداخلي العميق في الحاجة إلى النظم ، فهي تفتح المجال للإبداع وتعين

على فتح أبواب القول الشعري ؛ وفي ذلك إشارة إلى أن تألق الإحساس وتوهج الشعور من أهم العوامل التي توصل إلى سلاسة النظم وجمال الصياغة .

وفي سياق حديثه عن الطبع والصنعة ، يذكر المرزوقي أهمية الدوافع التي يصدر عنها نتاج الشاعر المصنوع أو المتكلف ، ويطلق على هذه الدوافع مصطلح (الدواعي) التي ((إذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضروباتها نبعت ودرت أخلاقها وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ))[٦٠] .

وهذه الإشارة الخفية إلى المعطى النفسي المتمثل في (حركة القرائح) و(عمل القلوب) و (جيشان العقول) يحاول من خلالها المرزوقي أن يضع حدّا فاصلا بين المطبوع والمصنوع ((فمتى رفض التكلف والتعمّل وخلي الطبع المهذب بالرواية المدرب في الدراسة فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل إليه أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر وعفوا بلا جهد فذلك هو الذي يسمى المطبوع))[٦١] .

في حين علامة الشعر المصنوع ستكون ((متى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ، وتردده في قبول ما يؤديه إليها ، مطالبة به بالإغراب في الصنعة ، وتجاوز المألوف إلى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح في صفحاته وذلك هو المصنوع))[٦٢] .

ويتحدث حازم القرطاجني عن أغراض أُوَل للشعراء هي الباعثة على قول الشعر ((وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها ، أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين . فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ، ويقبضها بالكآبة والخوف .. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار))[٦٣] .

ويضع القرطاجني (البواعث) ثالث ثلاثة لا يتأتى نظم الشعر، على أحسن وجه ، إلا بحصولها ، وهي : المهيئات والأدوات والبواعث التي تصدر جميعها عن وجهتين ، هما : النشئ في بقعة معتدلة الهواء، حسنة الوضع طيبة المناظر ، ممتعة في كل ما للأغراض الإنسانية به علقة[٦٤] ، وهذا القول

يعود بنا إلى حديث ابن قتيبة عن المكان بوصفه مثيرا يدفع الشاعر لقول الشعر . والوجهة الأخرى ، الترعرع بين فصحاء الألسنة ، والمستعملين للأناشيد ، والمقيمين للأوزان.

ويمكن القول ، من خلال ما تقدم أن النقاد والشعراء القدامى كانوا يدركون أن هناك أمور تحدث للشعراء تبعث فيهم الرغبة في ترجمتها شعراً ؛ وهذه الأمور التي أصطلح عليها بالدواعي أو البواعث تختلف بين الشعراء تبعا لاختلاف المكان والزمان . وقد نقلت لنا كتب التراث أخبارا عدة عن طقوس الشعراء في عملية استدعاء الشعر ، فمنهم من كان يطوف بالرباع المخلية ، والرياض المعشبة ، ومنهم من ينظم قصائده ليلا ، فيشعل سراجه ويعتزل ، وربما علا السطح وحده ، فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه، وآخر يركب ناقته ويطوف منفردا في شعاب الجبال ، وبطون الأودية ، والأماكن الخربة الخالية ، فينقاد له الكلام[٦٥].

ويجب التأكيد على أن مثل هذه الشذرات النقدية التي نقرأ من خلالها سعي القدماء إلى تحليل عوامل الإبداع وبواعثه ، وإن كانت بحاجة إلى كثير من التوضيح والتحليل ، إلّا أنها ترسم لنا خطوطاً عامة في الجهد النقدي للقدماء في سعيهم إلى بيان تأثير الجانب النفسي في الأدب .

.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تصنف الجهد النقدي للنقاد العرب القدامى في ضوء المناهج النقدية القديمة – نسبياً – والمعاصرة ؛ فوجدت أنّ القدماء كانت لهم شذرات نقدية تقترب ملامحها من هذا المنهج أو ذاك بما يتناسب والفارق المفاهيمي بين العصَرين . ومع الإقرار بأنّ جهود النقاد القدامى لا يمكن أن تصل – في معالجتها للقضايا النقدية التي اشتغل عليها القدماء إلى مستوى المعالجة المنهجية الحديثة ، إلّا أنّ ذلك لا يمنعنا من البحث عن شذرات نقدية في جهودهم هذه ، تقترب بدرجات متفاوتة من بعض المناهج النقدية الحديثة .

فكان أن وجدت لديهم ملامح تقترب من النقد الانطباعي عبر معالجة النصوص الأدبية على وفق تأثره بها ، وعلى ما تركته من انطباع في نفسه ؛ بل أننا نجد من اتكأ على الذوق في نقده للشعر .

وفي النقد التاريخي نجد ذلك التصنيف التاريخي للشعراء الذين صُنفوا إلى طبقات ارتكز النقاد القدامى في تحديدها على أسس عدة ، منها ما يتصل بالعصر على أساس تعاقب الشعراء زمنياً ، ومنها ما يتصل بالبيئة التي عاش فبها الشاعر ، ومنا بالجنس الذي ينتمي إليه منشئ النص .

وقد اعتمد القدماء على عرض مادتهم العلمية عرضاً تاريخياً عبر إثباتهم للنصوص ، وروايتها بسلسلةٍ من الرواة ، يصححون بعض الروايات ، ويُضعفون بعضها الآخر ، وينظرون إلى النتاج الأدبي (الشعري) في فترات زمنية تمتد من الجاهليين إلى المحدثين .

أما ملامح المنهج النفسي ، فقدت وضحت في سعى القدماء إلى بيان الحالة الانفعالية التي تسبق عملية الخلق الفني ، واجتهدوا في وصف تلك الدواعي والبواعث التي تفضي إلى العملية الإبداعية .

وقد حاول القدماء توضيح مسار العملية الإبداعية ضمن أحقية البواعث والتفاوت قيما بينها في تحريك الانفعالات .

الهوامش

١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، ط٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م :١٠ .

٢- خمسة مداخل إلى النقد الأدبي – مقالات معاصرة في النقد – ويلبر س . سكوت ، ترجمة وتقديم وتعليق : عناد غزوان اسماعيل و جعفر صادق الخليلي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م : ٥ .

٣- المنهج النقدي في كتاب ظاهرة الشعر الحديث ، جميل حمداوي ، www.diwanalarab.com/spip .

٤- المصدر نفسه .

٥- مقدمة في النقد الأدبي ، علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م : ٤١٥ .

٦- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، (د ت) : ٢٧ .

٧- ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦م : ٦٦/١ .

٨- ينظر : المصدر نفسه : ٦٦/١ .

٩- ينظر : عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق طه الحاجري وعبد السلام زغلول ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٦م : ١٣٦ .

١٠- ينظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تصحيح ، س . أ . بو نيباكر ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٥٦م : ٧٤-٧٧ .

١١- أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القادر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط١ ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٩١م : ٢٢ .

١٢- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، ط٤ ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، (د ت) : ١٠٣ .

١٣- الموازنة : ٢٨٠ .

١٤- مناهج نقدية ، مخلوف عامر ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، ٢٠١٧م : ١٠ .

١٥- مقدمة في النقد الأدبي : ٣٩٦ .

١٦- المذاهب النقدية ، ماهر فهمي ، ط ١، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د ت) : ص ١٨١.

١٧- ينظر : المنهج التاريخي في الأدب – دراسة نقدية – ، خالص مسّور ، https://dz-sniper.yoo .com/t4303-topic

١٨- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م : ١٣٩ .

١٩- البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت : ١/ ٢٤١ .

٢٠- طبقات فحول الشعراء :٢٠.

٢١- تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة : ٧٨ .

٢٢- العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجليل، بيروت ، ١٩٧٩م : ٦٥/١ .

٢٣- حركات التجديد في الشعر العربي ، يوسف خليف ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ،(د ت) : ٢٤-٢٥ .

٢٤-طبقات فحول الشعراء : ٣٣ .

٢٥-مقدمة في النقد الأدبي : ٣٩٧ .

٢٦-طبقات فحول الشعراء : ١٠٠ – ١٠١ .

٢٧-كتاب الصناعتين : ١٥٣ .

(*)- التريكة : البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ .

٢٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦م : ١٨٦ .

٢٨-ينظر : مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته ، صلاح فضل ، ط١ ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ٢٠٠٢م : ٣٥ .

٢٩- ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسّام الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٩٧م : ٩٦٤/١ .

٣٠- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ت) : ٢١ .

٣١-مقدمة في النقد الأدبي : ٣٩٩ .

٣٢-الشعر والشعراء : ٥ – ٦ .

٣٣-ينظر : النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣: ١٣٢ .

٣٤-البيان والتبين : ٢٨/٣ .

٣٥-ينظر : مناهج النقد الأدبي الحديث – رؤية إسلامية – ، وليد القصاب ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٩م : ٢٥ .

٣٦-ينظر: النقد الادبي الحديث : ١٤٢ .

٣٧-ينظر : مناهج نقدية : ٣٢ .

٣٨- ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ٤٢٣- ٤٢٤ ، ومناهج النقد المعاصر ومصطلحاته : ٦٦ .

٣٩- مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته : ٦٧ .

٤٠- ينظر : المصدر نفسه : ٦٧ – ٦٨ .

٤١- بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ، ط٢ ، يوسف حسين بكار ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د . ت) : ٧٣ .

٤٢- المصدر نفسه : ٧١ .

٤٣- المصدر نفسه : ٧١ .

٤٤- المصدر نفسه : ٧٢ .

٤٥- ينظر : الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د ، ت ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية : ٨ / ٣٠ .

٤٦- الشعر والشعراء : ٧٩/١ .

٤٧- طبقات فحول الشعراء : ١٠٠ – ١٠١ .

٤٨- البيان والتبيين : ٣ / ٢٨ .

٤٩- الشعر والشعراء : ١ /٧٨ .

٥٠- المصدر نفسه : ١ / ٧٩ .

٥١- المصدر نفسه : ١ / ٨٠ .

٥٢- عيون الأخبار : ٢ / ١٨٥ .

٥٣- العمدة : ١/ ٢٠٥ .

٥٤- المصدر نفسه : ١/ ٢٠٦ .

٥٥- المصدر نفسه : ١/ ٢٠٧ .

٥٦- المصدر نفسه : ١/ ٢١١.

٥٧- المصدر نفسه : ١ / ١٢٢ .

٥٨- المصدر نفسه : ١/ ٢١١.

٥٩- المصدر نفسه : ١/ ٢١١.

٦٠- شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١م :1/12 .

٦١- المصدر نفسه : ١٢/١ .

٦٢- المصدر نفسه : ١٢/١ .

٦٣- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٩م : ١١ .

٦٤- المصدر نفسه : ٤٠ – ٤١.

٦٥- العمدة : ١ / ٢٠٤ وما بعدها .

المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القادر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط١ ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٩١م .

٢- الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د ، ت ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٣- بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ، ط٢ ، يوسف حسين بكار ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د . ت) .

٤- ١٩- البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت (د ت) .

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، ط٤ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٦- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، ١٩٧٣م .

٧- ٢٣- حركات التجديد في الشعر العربي ، يوسف خليف ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ،(د ت) .

٨- خمسة مداخل إلى النقد الأدبي – مقالات معاصرة في النقد – ويلبر س . سكوت ، ترجمة وتقديم وتعليق : عناد غزوان اسماعيل و جعفر صادق الخليلي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م .

٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسّام الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٩٧م .

١٠- شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١م .

١١- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦م .

١٢- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ت) .

١٣- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، (د ت) .

١٤- العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجليل، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٥- عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق طه الحاجري وعبد السلام زغلول ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

١٦- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

١٧- المذاهب النقدية ، ماهر فهمي ، ط ١، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د ت) .

١٨- مقدمة في النقد الأدبي ، علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٩- مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية - ، وليد القصاب ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٩م .

٢٠- مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته ، صلاح فضل ، ط١ ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٢١- مناهج نقدية ، مخلوف عامر ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، ٢٠١٧م .

٢٢- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٩م .

٢٣- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، ط٤ ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، (د ت) .

٢٤- النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٢٥- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تصحيح، س.أ. بو نيباكر، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٦م.

٢٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

المواقع الألكترونية

١-المنهج التاريخي في الأدب - دراسة نقدية - ، خالص مسّور ، https://dz-sniper.yoo -topic٤٣٠٣.com/t

٢-المنهج النقدي في كتاب ظاهرة الشعر الحديث ، جميل حمداوي ، www.diwanalarab.com/spip .

نحو مقاربة لسانية لظاهرة التضاد في اللسان العربي

د.الهام بغداد

الجامعة: جامعة محمد الخامس بالرباط– المغرب

ilham_boughdad@um5.ac.ma

الملخص

تعتبر ظاهرة التضاد في اللسان العربي من أهم الظواهر اللغوية التي أسهمت في غنى الثروة الدلالية واتساع معاني اللسان العربي، فهي تعكس ديناميته وجدليته التي تسمح للمفردة أن تحمل عدة معان يمكن أن تكون متضادة، وعلى الرغم من أن جمهور اللغويين يسلمون بهذه الحقيقة إلا أن كثيرا من العلماء رفضوا ذلك وأكدوا استحالة وجود هكذا ظاهرة في اللسان العربي، لذلك سنسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبراز آراء اللغويين في ظاهرة التضاد وكذا العمل على إيراد بعض الآيات القرآنية الحاملة لألفاظ تحمل معنيين متضادين وتحليلها وفق مبادئ النظريات اللسانيات.

الكلمات المفاتيح: ظاهرة التضاد – التراث اللغوي – اللسانيات – التداولية.

Abstract

Antonymy is considered one of the most influential linguistic phenomena that contributed to the richness and to the wide diversity of meanings in the Arabic language, since it reflects its dynamic and polemic nature that allows the single word to have a multitude of connotations which in themselves could be antonyms. Even though the majority of linguists confirm this fact, there are many who reject it and assert that such a phenomenon is impossible to exist in the Arabic tongue. Therefore, we will try in this study to highlight the views of linguists on antonymy, cite the Quranic verses that contain two different opposite meanings and analyze them in accordance with the principles of linguistic theories.

Keywords: antonymy, language heritage, linguistics, semantics

مقدمة:

يقوم تاريخ العلم على التراكمات المعرفية التي أنتجها العلماء وليس بخاف علينا ما ألفه القدماء من كتب ومصنفات وما وضعوه من قواعد ومبادئ في علم الصوت والصرف والنحو والبلاغة والدلالة، والتراث العلمي الذي أنتجه هؤلاء العلماء يدل على تخصصهم وتنوع المجالات المعرفية التي أسهموا فيها، إلا أن إسهاماتهم في دراسة بعض الظواهر لم تتجاوز في بعض الأحيان منطق الوصف إلى منطق التحليل والتفسير.

ومن المعلوم أن ظاهرة التضاد تعتبر من الظواهر التي أقيمت عليها مجموعة من المصنفات، عرفت تعددا في المواقف؛ منها ما ذهب إلى التسليم بإمكانية وجود هذه الظاهرة في اللسان العربي دون تعليل تلك الإمكانية وذكر دواعيها وملابسات تحققها، ومنها ما ذهب إلى الرفض على اعتبار أن اللسان العربي لا يتسع لمثل تلك الظاهرة، وبالرجوع إلى الدرس اللساني الحديث نجد علم اللسانيات قد عرف تطورا كبيرا، إذ أصبح بإمكانه مواكبة جل التطورات التي تعرفها المجالات المعرفية، وذلك بفضل ما توصل له الباحثون من نظريات مهمة في مجال اللغة والنحو العام. وموازاة مع هذا التطور الذي شهده علم اللسانيات، أصبحت تطرح العديد من الأسئلة التي تتجاوز النظرة الوصفية للعديد من الإشكالات إلى النظرة التحليلية، إذ لم يعد المهم هو تقديم دراسات وصفية وإنما تحليل الظواهر قصد تقديم إجابة لسؤال "لماذا؟".

وبما أن الاتجاه التوليدي التحويلي يعتبر اتجاها تحليليا سعى إلى تقديم نماذج حديثة تجدد البحث في بناء اللغة العربية بتجاوزه الكفاية الملاحظية إلى الكفاية التفسيرية سنعمل في هذه الدراسة على مقاربة ظاهرة التضاد في القرآن الكريم بناء على الأسس المعرفية والنظريات العلمية التي تطرحها بتقديم تحليل لساني تداولي يفسر إمكانية وجود هذه الظاهرة في اللسان العربي.

المبحث الأول: ظاهرة التضاد في التصور اللغوي القديم، فرضيات وإشكالات.

١. تعريف التضاد لغة واصطلاحا.

١.١ التضاد لغة.

يقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ) في كلمة "ضد":« الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس. فالأولى: الضِّدّ ضِد الشيء، والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار. والكلمة

الأخرى الضَّدُّ، وهو الملء، بفتح الضاد، يقال ضَدَّ القِربة: ملأها، ضَدا.»[١]، وعليه تكون هذه الكلمة يحتمل فيها معنيان، فإذا كسرتَ الضاد دلت على التناقض والتعارض، وإذا فتحتَها دلت على الملء، إلا أن المعنى الذي يختص بقضيتنا هو المعنى الأول من التعريف.

أما ابن منظور(ت٧١١هـ) فيقول في تعريف هذه الكلمة:« الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك»[٢]، ومنه يتبين أن كلمة التضاد تدل على اختلاف وتعارض شيئين يستحيل اجتماعهما في آن واحد، إذ بينهما من التعارض ما يجعل اجتماعها مستحيلا كالكفر والإيمان والموت والولادة والسفر والعودة إلخ.

لكن ما يهمنا نحن من تعريف التضاد التعريف الاصطلاحي لا اللغوي لأنه يجلي لنا أن التضاد نوع من المشترك اللفظي تكون فيه الكلمة الواحد حاملة للمعنى وضده وفي المحور الموالي من الدراسة تفصيل في ذلك.

٢.١ التضاد اصطلاحا.

لقد وقف مجموعة من العلماء عند ظاهرة التضاد في اللسان العربي محاولين الكشف عن معناها ودواعيها، لذلك ارتأينا أن نقدم نصا لابن فارس(ت٣٩٥هـ) كتعريف للتضاد في إطاره الاصطلاحي، إذ وجدناه يقول:« ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضاد باسم واحد. نحو" الجون" للأسود و"الجون" للأبيض. وأنكروا ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده. وهذا ليس بشيء. وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد»[٣].

إن هذا النص أورده ابن فارس في باب أسماه "باب الأسماء كيف تقع على المسميات"، حاول من خلاله أن يبين دلالة التضاد الاصطلاحية ورأيه منه الذي يتجلى في دفاعه عن إمكانية تحقق هذه الظاهرة في اللغة العربية، فإذا كان قد قُبل وجود أسماء متعددة للشيء الواحد في إطار ما يصطلح عليه بالترادف فكيف لا يُقبل في نظره وجود لفظ واحد يدل على معان متضادة؟

وغير بعيدين عن الدلالة الاصطلاحية للتضاد نجد محمد المبارك يقول:« وقد يقع أن تطلق الكلمة الواحدة على معنيين متضادين لوجود صفة مشتركة بينهما ومثال ذلك لفظة الحرمة فهي مشتقة من مادة حرم التي تفيد المنع توصف بها الأشياء التي لا ينبغي الاقتراب منها بل يمنع لقبحها وخبثها كحرمة الزنا

والخمر، كما توصف بها الأشياء التي لا تقرب لكرامتها وقدسيتها تقول: إن للدين حرمته وللكتاب المقدس حرمته»[٤].

٢. إشكالية التضاد في اللسان العربي في إطار تعارض المواقف والآراء.

إن الاختلاف بين العلماء في دراسة بعض الظواهر اللغوية أمر لا جدال فيه، يرجع بالأساس إلى تباين البيئات واختلاف الأسس المعرفية، فكل عالم من العلماء إلا ويرى في تلك الظاهرة ما لا يراه الآخر، إلا أن هذا الاختلاف ليس اختلاف تعارض وتناقض؛ بل إنه اختلاف تكامل وتفاعل يؤدي إلى إغناء الحقل المعرفي اللغوي. فمن خلال تلك الآراء التي تقدم دفاعا عن الرأي المزعوم يمكن أن نتوصل إلى العديد من النتائج، وهذا ما نجده قد حصل دفاعا عن وجود ظاهرة التضاد أو إنكارها.

- المنكرون للتضاد:

لقد رفض ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) تعدد دلالات اللفظ الواحد وأخرج في ذلك كتابا أسماه "إبطال الأضداد"، حاول من خلاله أن يفند الرأي القائل بوجود الأضداد في اللغة؛ وذلك دفاعا عن عدم وجودها في القرآن الكريم أيضا، لأن هذا القرآن إنما يمشي على نفس المجرى الذي تجري عليه هذه اللغة، فقال في «شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد. وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك كتابنا في إبطال الأضداد»[٥].

ولم يقتصر إنكار الأضداد على ابن درستويه فقط بل إن بقلب(ت٢٩١هـ) قال في ذلك:«ليس في كلام العرب ضد، لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا»[٦]، وانتصر الجواليقي لهذا الرأي أيضا وعرض كثيرا من كلمات الأضداد وبين عدم التضاد فيها. وفي إنكارهم لهذه الظاهرة أوردوا الحجة والدليل وذلك لتأييد رأيهم وتقويته، ومن ذلك ما قاله تاج الدين الأرموي محمد بن الحسين(ت٦٥٣هـ) في كتابه الحال وهو مخطوط:« إن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد لأن المشترك يجب فيه إفادة التردد بين معنييه والتردد في النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ»[٧]، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم قالوا بأن وجود الأضداد يعد نقصا في كلام العرب ولغتهم، غير موجهين أنظارهم إلى ما تمنحه هذه الظاهرة للسان العربي من شرف وما تزيده فيه من معان ودلالات.

- **المثبتون للتضاد:**

إن الاعتراف بوجود التضاد أمر متفق عليه، فجمهور العلماء ومنهم« أبو زيد، والأصمعي، وأبو عبيدة، وقطرب، والصغاني، وابن السكيت، وابن فارس، وأبو علي الفارسي، وابن جني وغيرهم»[٨]، ومن هؤلاء

أيضا ابن الأنباري(ت٣٢٧هـ) الذي يقول في كتابه "الأضداد":« هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديا معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه، وموضح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمي»[٩].

فاللفظة الواحدة يمكن أن يحتمل فيها مجموعة من المعاني المتضادة إلا أن سياق التركيب إلى جانب السياق التخاطبي الذي وردت فيه هو الذي يحدد معنى هذه اللفظة ودلالتها المستهدفة، وهكذا أجاب ابن الأنباري كل من ظن أن في الأضداد ضرب لصحة كلام العرب ونقص من لغتهم وفصاحتهم بقوله: «أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد»[١٠].

وقد دافع دفاعا صريحا عن دور السياق في الكشف عن دلالة الألفاظ حتى ولو كانت لا تندرج ضمن المشترك اللفظي – المتفق في اللفظ المختلف في المعنى إلى درجة التعارض– بقوله:« ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله، كقولك: حمل، لولد الضأن من الشاء، وحمل اسم رجل، لا يعرف أحد المعنيين إلا بما وضعنا»[١١].

وهذه الحقيقة اعترف بها أيضا الثعالبي(ت٤٢٩هـ) من خلال فصل في كتابه أسماه " فصل في تسمية المتضادين باسم واحد" فقال:« هي من سنن العرب المشهورة كقولهم: الجون للأبيض والأسود، والقرء للأطهار والحيض، والصريم لليل والصبح، والخيلولة للشك واليقين، قال أبو ذؤيب:

فبقيت بعدهم بعيش ناصب وإخال أني لاحق مستتبع

أي: وأتيقن. والند: المثل والضد.

وفي القرآن:﴿ وتجعلون له أندادا﴾[فصلت:٩] على المعنيين.»[١٢]، وهكذا نجد الثعالبي يعتبر التضاد هو من سنن العرب، وقوله هذا يبين لنا موقفه من التضاد، فهو يعترف بوجوه في اللغة خاصة وأنه أورد آية قرآنية وأكد أن المعنيين المتضادين كليهما متضمنان في الآية، والاعتراف بوجود التضاد نجده حاضرا أيضا عند ابن فارس وقد سبق لنا أن بينا ذلك فيما تقدم.

وقد اعترف علماء الأصول أيضا بوجود هذه الظاهرة، وفي ذلك يقول السيوطي في كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها":« قال أهل الأصول: مفهوم اللفظ المشترك إما أن يتباينا، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد، كالحيض والطهر، فإنهما مدلولا القرء، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد. أو يتواصلا، فإما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر كالممكن العام للخاص، أو صفة كالأسود لذي السواد فيمن سمي به»[١٣].

لقد أحدث اتساع اللسان العربي بقبوله حمل اللفظ معنيين يستحيل اجتماعها في آن واحد شرخا في مواقف علماء اللغة، فتوزعوا إلى مذهبين؛ أحدهما يعترف بوجود هذه الظاهرة في اللسان العربي ويتخذها حجة على تفرده وتميزه، والآخر يرفضها ويعتبرها علة من العلل التي يستحيل أن يصاب بها اللسان العربي، لكن يكفينا القرآن حجة على قبول ألفاظ اللغة الدخول في باب المشترك اللفظي بحمل معنيين متضادين، لأن اللغة بصفة عامة لغة سياق ومواقف تخاطبية.

المبحث الثاني: ظاهرة التضاد بين مقصدية اللفظ وتأويل القارئ، مقاربة لسانية.

١. دور نظريات الدرس اللساني في الكشف عن ملابسات ظاهرة التضاد.

١.١ تعريف النظرية السياقية.

إن ظهور المنهج السياقي كان مع مدرسة لندن مع ممثله فيرث الذي أكد على ضرورة الوظيفة الاجتماعية للغة، فـ« معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو "استعمالها في للغة"، أو الطريقة التي تستعمل بها أو" الدور الذي تؤديه"»[١٤]. وعليه يكون السياق هو الفاعل الأساسي في تحديد معنى الوحدات اللغوية، إذ لا يمكن أن نتحدث عن الدلالة إلا إذا استحضرنا عامل التركيب بل والسياق أيضا، لأن اللفظة في السياق يمكن أن تعبر عن معنى مخالف خارجه.

إن معرفة الكلمة وأصلها الاشتقاقي التي صيغت به لا تكفي غالبا لتحديد معناها تحديدا تاما ودقيقا، فكل "كلمة بعد أن أخذت من مادتها الأصلية، وبنيت على أحد الأوزان الصرفية استعملت في مواطن الكلام، وخصصها الاستعمال بمعان أخص من المعنى العام الذي تدل عليها مادتها، وبتعدد الاستعمال خلال العصور، وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى، ويجتمع لها أكثر من دلالة، وهذه الاستعمالات أو المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصلي اتصالا قويا أو ضعيفا، بعيدا أو قريبا، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها، وكأنها مختزلة فيها كامنة في تضاعيف حروفها، ويبرز أحدها حين استعمال الكلمة في جملة معينة، وسياق محدد من الكلام»[١٥]؛ وعليه يكون المعنى في

اللفظة المفردة ليس معنى مطلقا بل هو نسبي واحتمالي بالمقارنة مع المعنى الذي يتحقق من خلال السياق.

وقد أكد فندريس هذه الحقيقة فقال:« إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما. إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتمحي وتبدد ولا توجد إطلاقا. فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول" الخياط يقص الثوب" أو "الخبر الذي يقصه الغلام صحيح" أو "البدوي خير من يقص الأثر".»[١٦]، وهكذا يكون السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة أما المعاني الأخرى المحتملة فيقوم بإلغائها بطريقة غير مباشرة، وذلك لأن فهم المتلقي للمعنى المقصود يمحو أي دلالة أخرى كانت تعبر عنها هذه الكلمة أو تلك.

ويضيف فندريس قائلا:« الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة "حضورية".»[١٧].

ونبه ستيفن أولمان إلى ضرورة السياق في حالة اتفاق كلمتين أو أكثر في الأصوات اتفاقا تاما؛ إذ لا وجود البتة للمعنى إلا بوجود السياق، والنظرية السياقية في نظره – إذا طبقت بحكمة– تمثل حجر الأساس في علم المعاني وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن. إنها مثلا قد أحدثت ثورة في التحليل الأدبي، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد على أسس حديثة أكثر ثباتا. كما أنها قدمت وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات[١٨].

أما فيرث فقد أكد أن المعنى يتحقق بربط نتائج العناصر اللغوية الواقعة في سياق معين بعضها ببعض بعد تحليل الحدث الكلامي إلى عناصره المكوناتية وفق مستوياته اللغوية، وفي هذا الصدد يقول« أقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، وسوف تعرف كل وظيفة بحسب استعمالها شكلا أو عنصرا في لغة معينة، من خلال علاقتها بنص ما، ويمكن القول بأن المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، وعلم الأصوات والقواعد والمعاجم والدلالة، كل واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النص المناسب المعقد.»[١٩]، ومن ثم يكون بلوغ المعنى يتحقق من خلال ما يأتي:

- تفكيك العناصر اللغوية.

- **تحليل هذه المؤشرات اللغوية بالنظر إلى سياق ورودها.**
- **ربط النتائج المحصل عليها ببعضها البعض.**
- **الاعتماد على مستويات التحليل اللغوي إذا كان الأمر يستدعي ذلك.**

١.٢ تعريف التحليل بالسمات في علاقته باللسانيات التوليدية:

تقوم اللسانيات التوليدية على مجموعة من الفرضيات التي تزايدت منذ ظهور النموذج التوليدي سنة ١٩٥٧، منها ما تم تجاوزه ومنها ما تم تطويره وتعميق النظر فيه، وتعتبر نظرية الارتباط البنائي من بين أهم الفرضيات التي تبنتها اللسانيات التوليدية، ومفاد هذه الفرضية أن الجملة ليست تسلسلا اعتباطيا من المفردات أو المروفيمات التي يتم وضعها الواحدة تلو الأخرى، وإنما هي بناء مركبي يخضع لعلاقة استدعائية بنيوية مضبوطة ومحددة تسمح بظهور هذه الوحدة وليس تلك، في هذا الموقع وليس ذلك، وتجدر الإشارة إلى أن دراسة علمية اللغة لا يمكنها أن تعتبر "مبدأ الارتباط البنائي مبدأ خاصا بلسان محدد، وأن تتعامل معه على هذا الأساس، لأنه ليس ثمة فائدة علمية عامة من دراسات تتأسس على اعتبار الظواهر لغوية كانت أو غيرها ظواهر خاصة. وبما أنه لا يوجد لسان لا تعرف بنياته التركيبية ظاهرة الارتباط البنائي بين مكونات جمله، فمن الطبيعي أن يعد هذا المبدأ من المبادئ الكلية التي تشترك فيها الألسن البشرية كافة، ويمتلكها كل فرد متكلم ضمن معرفته بقواعد لسانه."[٢٠]

لا أحد يستطيع أن ينكر جهود اللسانيات التوليدية وما قدمته من نماذج تسعى إلى صورنة اللغة حسب ما تقتضيه البنية العميقة باتباع نسق صوري كما هو الأمر في المنطق والرياضيات "والتعامل مع الصياغة الصورية في اللسانيات لا يعني ضرورة التقيد المطلق بتفاصيل الأنساق الصورية من حيث رموزها، وتجريد استدلالاتها المنطقية، وصياغة معادلاتها الرياضية وغير ذلك، وإنما يعني الاستفادة من روح التحليل المنطقي والرياضي والأدوات المستعملة فيه باعتبارها وسائل مساعدة في التحليل اللغوي، كفيلة بأن تحقق درجة عالية من الدقة والضبط والوضوح"[٢١] والاستعانة بالمنطق والرياضيات هي في نهاية الأمر استعانة بنمط تفكير يتجاوز النظر في البنية السطحية إلى البحث في دخائلها في البنية العميقة، إلا أن هذا المفهوم الذي وضعه تشومسكي في نموذجه المعيار واجه جملة من الانتقادات أبرزها ما ورد في مقال جورج ليكوف بعنوان "الظروف الأدواتية ومفهوم البنية العميقة" الصادر سنة ١٩٦٨. الذي يعتبر من الأوائل الذين استعملوا عبارة الدلالة التوليدية، "وأبرز اللسانيين

التوليديين وأشدهم نقدا للنموذج المعيار. لم يرفض ليكوف في بداية الأمر مفهوم البنية العميقة في حد ذاته ولكنه انتقد تصورا معينا لهذه البنية كما حددها تشومسكي في مظاهر النظرية التركيبية، وهو ما جعله يسعى إلى تعديلها. ويخلص ليكوف إلى أن البنية العميقة في النموذج المعيار لا تستطيع وصف مجمل الظواهر اللغوية في الألسن الطبيعية، أو يفسرها بكيفية ملائمة ومنسجمة مع التحليل اللساني التوليدي نفسه، بالتالي فإن البنية العميقة في حاجة لتعديلات أساسية لتقوم بدورها"[٢٢].

ومن الانتقادات التي وجهت لتشومسكي أيضا عدم إدراجه المكون الدلالي في نموذجه وهو ما يجعل إنتاج بعض الجمل اللاحنة دلاليا ممكنا نظرا لعدم وجود ضوابط دلالية تقيد النموذج، وإذا كانت القيود الانتقائية التي اقترحها تشومسكي في "مظاهر النظرية التركيبية" قد أسهمت نسبيا في رصد أسباب انحراف الجمل التي يولدها جهاز النحو الوارد في "البنيات التركيبية"، فإنها تحولت بعد ظهور النموذج المعيار إلى إحدى نقط الاختلاف بين تشومسكي وأتباع الدلالة التوليدية. وقد تولى ماوكولي في مقال له بعنوان "حول المكون الأساس في النحو التحويلي" البحث في طبيعة القيود الانتقائية، ودورها. ولاحظ ماوكولي أن النحو التوليدي لجأ في النموذج المعيار إلى عدد من السمات العامة مثل: حي/عاقل/مذكر/مؤنث/مجرد/محسوس، وذلك لمنع توليد جمل من قبيل:

*الطاولة تضحك." [٢٣]

لكن هذه السمات في تصور النموذج المعيار سمات تركيبية مشتركة بين الاسم والفعل، تتعلق بالوحدات المعجمية المنفردة، أي أنه كان ينظر إلى سمات كل مفردة من مفردات اللسان منعزلة عن غيرها وهو ما يؤثر سلبا على دلالة الجملة، أما ماكولي فيرى أنه يجب البحث عن سلسلة موسعة وشاملة من السمات اللازمة للتعبير عن القيود الانتقائية، وليس ثمة مبرر لأن نهتم بجملة:

الصدق يخيف أحمد.

وهي الجملة التي قام تشومسكي في مصنفه مظاهر النظرية التركيبية بتحليلها، ولا نهتم بجملة:

*أكلت هذا الصباح أربعة فونيمات.[٢٤]

فهذه الجملة تعتبر جملة لاحنة لأنها تخرق مبادئ الدلالة، ولا يتعلق بالوحدات المعجمية منفردة، وإنما بالسياق وبالتأليف بين مكونات الجملة ومقصدية اللفظ وتأويل القارئ.

وإذا كان تشومسكي قد وضع مجموعة من القيود الانتقائية ذات طابع تركيبي تضبط بناء الجملة وتوليدها تركيبيا، فإن ماكولي عارض هذا التصور الانتقائي لاعتباره القيود الانتقائية ذات طبيعة دلالية وليست تركيبية كما يقول بذلك تشومسكي في مظاهر النظرية التركيبية، كما أن القيود الانتقائية في تصوره مرتبطة بمكونات الجملة برمتها، وليس بالوحدات المعجمية؛ أي إن التمثيل الدلالي للمكون بتمامه هو محور القيود وليس فقط السمات المعجمية المرتبطة بكل وحدة على حدة، وعليه تكون القيود الدلالية هي أساس العملية الانتقائية، لأن السمات الدلالية للمفردات قد تكون سليمة لكن حينما تدخل في علاقات مع باقي مكونات الجملة يمكن ألا تحترم القيود الدلالية العامة ما ينتج عنه توليد جمل لاحنة دلاليا.

راجع الطالب الدروس.

*راجع القلم الدروس.

*راجع العصفور الدروس.

إن المفردة "راجع" تقتضي السمات الدلالية [+حي/+إنسان]، والاسم "الطالب" في جملة الأولى، له السمتان الدلاليتان +حي/+إنسان، وهو ما يفسر انحراف الجملة الثانية دلاليا نظرا لكون المركب الاسمي الفاعل"القلم" له السمتان الدلاليتان [–حي/–إنسان/+جماد]، والأمر نفسه في جملة "*راجع العصفور الدروس" فالمركب الاسمي الفاعل يحمل السمة الدلالية [+حي] لكنه يحمل أيضا السمة [–إنسان] ما يفسر لحن الجملة، مقابل مقبولية جملة "راجع الطالب الدروس" التي يتوفر فيها المركب الاسمي الفاعل "الطالب" على السمتين [+حي/+إنسان]، ليكون منطق اللسانيات التوليدية قادر على تحديد كل الدلالات الممكنة في الألسن البشرية مع إقصاء غيرها.

٢. توظيف التحليل بالسمات ومبادئ النظرية السياقية للكشف عن معاني الخطاب الشرعي.

في هذا القسم من الدراسة سنقف عند ألفاظ تتسع دلالاتها لتحمل معان متضادة، وقد اتخذنا لفظتي "اشترى" و" ظنَّ" مثالين نستخرج من خلالهما الآيات القرآنية التي وردتا فيها، ليكون النص القرآني هو المصدر اللغوي لدراستنا التطبيقية.

١.٢ لفظة " اشترى":

- بمعنى "باع":

١-قال تعالى: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مَصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾البقرة:٤١

٢-قال تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾البقرة: ٧٩.

٣-قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾البقرة: ٨٦.

٤-قال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾البقرة: ٩٠.

٥-قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾آل عمران: ١٩٩.

- بمعنى " ابتاع:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾آل عمران: ١٧٧.

٢- قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾التوبة: ٩.

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا مِنَ اللهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾التوبة: ١١١.

٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾يوسف: ٢١.

٥- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ بِهِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾لقمان: ٦.

بعد تقديمنا لمجموعة من الآيات التي تحمل لفظة " اشترى" المتضادة المعنيين سننتقل إلى مرحلة أخرى وهي إيراد السياق الذي وردت فيه الآية بالاعتماد على تفسير الطبري[٢٥]، مرفقين كل لفظة بالسمات المحددة لدلالتها في كل سياق تطبيقا لمبادئ اللسانيات التوليدية كما جاءت مع عالمي الدلالية ليكوف وماوكولي.

- جدول المجموعة الأولى:

الآية	سياق ورودها	سمات السياق
١	نزلت في سياق الحديث عن الكافرين الذين يبيعون ما آتاهم الله بثمن بخس الذي يتمثل في الرضى بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم وأخذهم الأجر ممن بينوا له ذلك.	إيمان +نهي +الطمع في الرياسة +بيع +عذاب
٢	وردت في سياق حديث الله عن يهود بني إسرائيل الذين حرفوا كتاب الله وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم مخالفا لما أنزل على نبيهم موسى، ثم باعوه لقوم لا علم لهم بها ولا لما في التوراة، جهال لما في كتب الله، لطلب من الدنيا خفيف.	إيمان +تحريف +بيع +عذاب
٣	وردت في سياق الحديث عن الذين يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أسراهم من اليهود، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من ملتهم، ويخرجون من دارهم من حرم الله عليه إخراجه من داره، نقضا لعهد الله وميثاقه في التوراة إليهم، فأخبر جل ثناؤه أن هؤلاء هم الذين اشتروا رئاسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل من ملنهم، وابتاعوا المآكل الخفيفة الرديئة فيها بالإيمان.	إيمان + بيع +طمع في الرياسة
٤	وردت في سياق ذم الذين يبيعون أنفسهم ودنياهم بآخرتهم	إيمان +بيع مدح +عذاب
٥	وردت في سياق مدح المؤمنين الذين لا يحرفون ما أنزل إليهم في كتبه من بعث محمد صلى الله عليه وسلم، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه بعرض من الدنيا خفيف.	+إيمان +نفي البيع طمع عذاب

نلاحظ من خلال المصفوفات المدرجة أعلاه أن لفظة "اشترى" تحمل معنى "باع" أثناء ورودها في سياق الكفر والطمع في الرياسة، ما عدا في المصفوفة الخامسة فإنها أتت في سياق الإيمان ودلت على البيع، لكن هذا البيع مسبوق بنفي، وذلك حينما نفى الله عز وجل عن عباده المؤمنين بيع آياته. وبذلك يمكن أن نخلص إلى أن لفظ اشترى متى ارتبط بالكافرين في علاقتهم بآي الله عز وجل دل على البيع وأما حينما يرتبط هذا اللفظ بالمؤمنين ويدل على البيع فإنه يكون مشروطا بوجود نفي قبله.

اشترى ← باع /[إيمان]

~~اشترى~~ ← باع / [+ إيمان، + نفي]

- جدول المجموعة الثانية:

الآية	سياق ورودها	سمات السياق
١	وردت في سياق الحديث عن المنافقين الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن الإيمان عبد دخولهم فيه.	إيمان +نفاق +الرضى بالكفر بيع
٢	وردت في سياق الحديث عن المشركين الذين تركوا اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه وابتاعوا في مقابله قليلا من عرض الدنيا.	إيمان بيع
٣	وردت في سياق الحديث عن المؤمنين الذين اشترى منهم أموالهم وأنفسهم بالجنة.	+إيمان +أجر +وعد بيع
٤	وردت في سياق الحديث عن ابتياع يوسف من قبل عزيز مصر.	+ إيمان بيع + تعلق بنبي
٥	وردت في سياق ذم النضر بن الحرث الذي كان يتاجر في المغنيات ويدعو كل مقبل على دين محمد صلى الله عيله وسلم إلى قينته، فيقول له هذا خير مما يدعوك إليه محمد.	إيمان بيع + مفاضلة

نلاحظ من خلال هذه المصفوفات أن السمة التي ظلت حاضرة بالقيمة نفسها في جميع المصفوفات، هي سمة البيع وبالتالي يكون معنى اشترى "ابتاع"، والملاحظ كذلك أن لفظ اشترى ورد بالمعنى نفسه في سياقي الإيمان والكفر معا، ومنه نستنتج أن المتحكم في معنى اشترى التي بمعنى ابتاع شيء آخر غير الإيمان والكفر.

ملاحظة: إن جذر "ش ر ي" يحمل معنى نواة هو البيع. فعند وضعه في صيغة "فعل" لا إشكال فيه؛ إذ يظل المعنى النواة حاضرا، لكن أثناء وضعه في صيغة "افتعل" يصبح لهذا الجذر معنيين متضادين، ونحن نعلم أن وضع جذر ما في صيغ مختلفة يؤدي إلى معان مختلفة؛ لكن تظل هذه المعاني مرتبطة بالمعنى النواة نحو: "ضرب، ضرَّب، تضارب، ضارب..."، فهنا نجد معنى الضرب حاضرا في كل الصيغ. لكن في صيغة "افتعل" من الجذر "ش ر ي" لا يظل معنى البيع حاضرا دائما بل ينتقل في بعض السياقات إلى ضد هذا المعنى الذي هو الابتياع. بالعودة إلى ما هو متداول في لغتنا نجد أن لفظة البيع تعني إعطاء شيء مقابل أخذ ثمنه، والشراء عكس ذلك، لكن الإشكال المطروح هو أن المصدر "شراء" آت من الفعل شرى الذي يعني باع، وكأننا حينما نقول البيع والشراء، نقول البيع والبيع؛ إذ إن لفظ شرى لا يحتمل إلا معنى واحدا الذي هو البيع، وهنا نورد نصا لابن منظور إذ يقول:« شرى الشيء يشريه شرى وشراء واشتراه سواء، وشراه واشتراه باعه قال تعالى: ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ [...] وقال الفراء: وللعرب في شروا واشتروا مذهبان فالأكثر منهما أن يكون شروا: باعوا واشتروا ابتاعوا وربما جعلوهما بمعنى باعوا.»[٢٦]

من خلال قول ابن منظور اتضح أن شرى لا تحتمل إلا معنى البيع بينما اشترى تحتمل معنى البيع والابتياع؛ إذ لا نجد فعلا من الجذر " ش ر ي" في صيغة ثلاثية يعبر عن معنى الابتياع.

2.2 لفظة "ظنّ":

- بمعنى "أيقن":

١- قال تعالى:﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾البقرة: ٢٤٩.

٢- قال تعالى:﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾البقرة: ٤٦.

٣- قال تعالى:﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾التوبة: ١١٨.

٤- قال تعالى:﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾فصلت: ٤٨-٤٩.

٥- قال تعالى:﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الكهف: ٥٣.

٦- قال تعالى:﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنِ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾الجن: ١٢.

- بمعنى "شكَّ":

١-قال تعالى﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾البقرة: ٧٨.

٢-قال تعالى﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾آل عمران :١٥٤.

٣-قال تعالى﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾الإسراء: ٥٢.

٤-قال تعالى﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾القصص: ٣٩-٤٠.

٥-قال تعالى﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾الجن: ٧-٨.

بعد أن قمنا بجرد بعض الآيات التي تحمل لفظة "ظن" المتضادة المعنيين سنبدأ في تقديم سياق ورودها والسمات المميزة لكل سياق.

- جدول المجموعة الأولى:

الآية	سياق ورودها	سمات السياق
١	وردت في سياق إشادته سبحانه وتعالى بالخاشعين الذين يحافظون على الصوم والصلاة لأنهم موقنين بلقائه عز وجل.	+ إيمان + توكيد +حصر +يقين
٢	وردت في سياق اختلاف الفريقين حول طاقتهم بجالون وجنوده، فالمؤمنون الذين أيقنوا لقاء الله قالوا للفئة الأخرى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.	+ إيمان + توكيد + يقين
٣	وردت في سياق الحديث عن الثلاثة الذين خلفوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، بعد ذلك أيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه فتابوا فتاب الله عليهم.	+ إيمان + توكيد + يقين
٤	وردت في سياق الحديث عن المشركين الذين لم يؤمنوا بالله إلا يوم القيامة حين أيقنوا أن لا ملجأ لهم من جهنم.	+إيمان إيمان توكيد +يقين
٥	وردت في سياق دعوة المشركين للشركاء الذين جعلوهم أنداد لله، فلما لم يستجيبوا لهم أيقنوا لأنهم مواقعوا النار لا محالة.	+ إيمان إيمان + توكيد + يقين
٦	وردت في سياق الاعتراف بقدرة الله على المؤمنين وأنهم لن يعجزوه إذا أراد بهم سوءا أينما حلوا وارتحلوا.	+إيمان + توكيد +يقين

قدمنا فيما سبق ست آيات جاء فيها لفظ ظن بمعنى " أيقن" كلها في سياق الإيمان، سواء من جانب المؤمنين الذين آمنوا بالله في الحياة الدنيا والآخرة موقنين بلقاء وجهه الكريم أو من جانب الكافرين الذين لم يوقنوا إلا عندما رأوا العذاب بأعينهم، والمصفوفات أعلاه تبين ذلك.

والملاحظ كذلك أن سمتين ظلتا حاضرتين بنفس القيمة في جميع المصفوفات هما [+إيمان] و[+يقين]، وبالتالي فإن الأولى تؤدي بالضرورة إلى الثانية. ولهذا قلنا إن هذه اللفظة" ظن" جاءت بمعنى أيقن في سياق الإيمان، فالإيمان من عدمه هو المحدد الرئيس لمعنى هذه الوحدة اللغوية.

ظنَّ ← أيقن / [+إيمان]

- جدول المجموعة الثانية:

الآية	سياق ورودها	سمات السياق
١	وردت سياق الحديث عن الأميين الكافرين الذين لا يدرون ما في الكتاب (التوراة) الذي هو عندهم ومع ذلك ينتحلونه ويدعون إلى الإقرار بما فيه من أحكام الله وفرائضه وما فيه من حدوده التي بينها فيه وما هذا إلا شك.	إيمان يقين
٢	وردت في سياق ذم المنافقين الذين لا هَمَّ لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية	إيمان مدح يقين
٣	وردت في سياق الحديث عن المشركين وبعثهم يوم القيامة ودعوتهم للخروج فيستجيبون بحمده ظانين أنهم لم يلبثوا في الأرض إلا قليلا من هول ما شاهدوه يوم القيامة.	إيمان يقين دنيا
٤	وردت في سياق شك فرعون وجنوده في نبوة موسى وألوهية الله عز وجل والشك في البعث.	إيمان +توكيد يقين
٥	جاءت في سياق تشبيهه سبحانه وتعالى لجماعة من الرجال من الجن بجماعة من الرجال من الإنس، والجامع بينهما هو شكهم في البعث بعد الموت.	إيمان + توكيد يقين

بعد دراسة هذه الوحدة اللغوية في مختلف السياقات التي وردت فيها، وجدناها تدل على معنيي الشك واليقين، ولاحظنا أنها لم تستعمل قط بمعنى الشك في سياق الإيمان، بينما استعملت بمعنى اليقين مع المؤمنين، ومع الكافرين يوم القيامة حينما أيقنوا أنهم متذوقو العذاب لا محالة. وفيما عدا ذلك فقد استعملت مع الكافرين والمنافقين بمعنى الشك دائما لكن قبل وصول يوم الحساب، وبعبارة أخرى ورد لفظ " ظن" مع المؤمنين بمعنى "أيقن"، ومع الكافرين بمعنى شك أو حسب، ومع الكافرين يوم القيامة بمعنى "أيقن".

ظنَّ ← شكَّ / [إيمان]

ظنَّ ← أيقن / [إيمان، + يوم القيامة]

الخاتمة:

لقد رصدنا في هذه الورقة ظاهرة التضاد في اللسان العربي، وحاولنا استنادا على النسق اللساني التوليدي أن نبرهن أولا أن هذا النسق قادر على دراسة هذه الظاهرة لفعالية فرضياته و الأدوات الإجرائية التي يقوم عليها، لنتوصل في الشق الثاني من الدراسة إلى أن السياق وما يحمله من سمات هو الكفيل بتحديد الدلالات التي يمكن أن تحملها الألفاظ مع القدرة على إقصاء غيرها، لكن يبقى إشكال حمل بعض الجذور في اللسان العربي لمعنيين متضادين دون تفسير علمي، فهل يمكن إرجاع ذلك لخصائص في الجذر أم أن الأمر يرتبط بتعدد اللهجات العربية وتداخلها؟

الهوامش

١- المقاييس في اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط ١، ١٤٣٢هـ، مادة "ضد".

٢. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، الناشر دار المعارف، القاهرة، ج٢٨، ص ٢٥٦٤.

٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ص ٩٩.

4. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦٤، ص ١٩٨.

5. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٣٩٦.

6. علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٩٤.

7. علم الدلالة ،أحمد مختار، ص ١٩٥.

8. نفسه، ص ١٠٧.

9. الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، ص ٢.١.

10. الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، ص ٢.

11. الأضداد، ص ٤.٣.

. فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية 12للتراث،القاهرة، ص٢٧٧.

13. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج ١، ص ٣٨٧.

١٤. علم الدلالة، أحمد مختار، ص ٦٨. ١٤

15. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص ١٨١.

16. اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، سلسلة ميراث للترجمة، ٢٠١٤، ص ٢٢٨.

17. اللغة، جوزيف فندريس، ص ٢٣١.

18. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، ص ٦١.

١٩. السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، غنيمة تومي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري–جامعة محمد خيضر –بسكرة–الجزائر، العدد٦، ٢٠١٠.

20–اللسانيات التوليدية: تطور النماذج التوليدية، مصطفى غلفان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٦م، ج ٢، ص ٤٥

21نفسه، ص ٥٥. –

22– نفسه ٢، ص ٦٠.

23–اللسانيات التوليدية: تطور النماذج التوليدية، مصطفى غلفان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٦م، ج ٢، ص ٧٧.

24– نفسه، ص ٧٨.

25– جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠،

٢٦. لسان العرب، ابن منظور، مادة "ش ر ي".

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، الناشر مكتبة الشباب.
- السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، غنيمة تومي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري–جامعة محمد خيضر –بسكرة–الجزائر، العدد٦، ٢٠١٠.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

- علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.
- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، الناشر دار المعارف، القاهرة.
- اللسانيات التوليدية: تطور النماذج التوليدية، مصطفى غلفان، دار كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٦م، ج ٢.
- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، سلسلة ميراث للترجمة، ٢٠١٤.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، الطبعة الثالثة.
- المقاييس في اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ. ٢٠١١م.

الاتجاهات الحديثة في اللسانيات:

المقاربة التوليدية لهندسة لأبنية الكلمة العربية نموذجا

د. المودن محمد

جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.

mohamed_elmoudden@um5.ac.ma

الملخص:

نروم في هذا المقال بيان مقاربة حديثة لإشكالات الصرف العربي، وهي مقاربة تتبنى اللسانيات التوليدية، لما لها من تصورات حديثة للأسن للألسن الطبيعية، والتي من شأنها أن تقدم للسان العربي خدمة علمية تتجلى في معالجته معالجة تنسجم ومتطلبات الحياة الرقمية المعاصرة؛ ذلك أن الصرف العربي يطرح إشكالات كبرى، لعل أبرزها إشكال هندسة الكلمة العربية، فالباحث في هذا اللسان لا يستطيع أن يفهم كيفية تشكيل الكلمة، ومن ثمة صياغة خوارزميات يمكن تقديمها للحاسوب لبناء تطبيقات وبرامج تحاكي دماغ الطفل العربي أثناء توليده للكلمة العربية.

وقد اقتضت هذه الإشكالية أن نعالجها في محورين اثنين؛ أولهما: بسط إشكال هندسة تشكيل الكلمة العربية وبنائها، وثانيهما: توظيف اللسانيات التوليدية في حل هذا الإشكال، بغية الخلوص إلى نتائج يمكن استثمارها لصياغة خورازميات هندسة أبنية الكلمة العربية، ونكون بذلك قد أسهمنا في تقريب الهوة بين العربية والآلة، وما يلف ذلك من إشكالات وتحديات.

الكلمات المفتاحية: الكلمة العربية، اللسانيات التوليدية، التوليد، الخوارزميات

مقدمة:

تطرح هندسة الكلمة، في الصرف العربي، إشكالات كبرى تتجلى في غياب تصور شامل لآليات تشكيلها، وهو ما دفعنا للبحث في الإشكالات التي تطرحها، من قبيل إشكال طبيعة العناصر المشكلة للجذر، وعلاقة هذه العناصر بالعناصر الصائتية (الحركات) وأثر كل ذلك على اختيار الصيغة الصرفية، وغيرها من الأسئلة التي يطرحها الباحث اللساني، ولا يجد لها أجوبة مقنعة في تراثنا اللغوي العربي، ولا يعني ذلك قدحا في مجهودات علماء العربية الذين قدموا للعربية خدمة جليلة في زمانهم تجلت في انتشالها من خطر تفشي، واستطاعوا الإجابة عن إشكالات واقعهم والتفاعل معها، وما كنا لنتوقف على هذه الإشكالات لولا تحديات القرن الواحد والعشرين، المرتبطة خاصة بإفهام العربية للآلة، وتقريب الهوة بينهما، لما كان منطق الحاسوب، في التواصل مع الإنسان، مبنيا على الخوارزميات، كان لابد من البحث عما يحدث في دماغ المتكلم أثناء الكلام، ومن ثمة انتقلت الأبحاث في الدراسات اللغوية، من المحقق فيزيائيا (المكتوب والمسموع) إلى البحث عن البنى العميقة، وقد افترضت اللسانيات التوليدية، أن الطفل لا يخزن الجمل والمفردات حين يروم اكتساب لسان عشيرته، بل يتعرف ذهنه على نسق ذلك اللسان تدريجيا، وهو ما يبرر توليد الطفل لجمل لم يسمعها من قبل، وكذلك الإنسان لما لا نهاية له من الجمل والعبارات من عدد محدود من الأصوات التي يسمح بها لسان ما من الألسن الطبيعية الطبيعية.

يمكن القول إن الإشكالية الكبرى التي يعالجها هذا المقال تُختصر في كيفية تشكيل الكلمة في اللسان العربي، وقد اقتضت منا البحث أن نستهل عملنا بإثارة الإشكالات التي تطرحها الكلمة، بدءا بإشكال السماع والقياس، مرورا بطبيعة العلاقة القائمة بين عناصر الجذر في الكلمة، وصولا إلى علاقة الصيغة بالجذر. ثم تقديم مدخل لساني لمعالجة هذه الإشكالات سعيا لفهم آليات تشكيل الكلمة، فقدمنا لسانية لنؤكد أهمية ما نذهب إليه، خاصة نظرية الأثل مع جورج بوهاس، التي أعادت النظر في طبيعة عمل المعجمي، وطرْح تصور لإعادة تشكيل المعجم العربي بما يخدم فرضيات الباحث اللساني.

إن أهمية هذه الدراسة، إجمالا، تكمن في كونها تفتح آفاقا جديدة لمعالجة الكلمة العربية، في الصرف العربي الحديث، معالجة لسانية موضوعية، نستطيع من خلالها أن نقدم تصورا عن القوانين والضوابط التي يمليها دماغ المتكلم العربي على جهازه النطقي أثناء عملية توليد الكلمات والجمل،

ويتوقف هذا على تجاوز تحديات معالجة أمهات المعاجم العربية معالجة آلية تسمح ببناء قواعد بيانات تجيب عن تساؤلات الباحث، وتمحص فرضياته، بالإضافة إلى تطوير النظريات والنماذج اللسانية الحديثة لحل الإشكالات المطروحة، والتي تحول بين العربية والحوسبة والتعليم الحديث.

١- إشكال هندسة بناء الكلمة العربي العربية في الصرف العربي القديم

صحيح أن الكلمة هي مدار الصرف العربي القديم، من حيث تشكلها وهندستها وبنائها، إلا أن الباحث في الدراسات العربية، لم يقف بعد على دراسات تسعفه في فهم هندسة الكلمة العربية، وذلك بفهم العلاقات القائمة بين العناصر المشكلة للجدر، والعلاقات بين الجذر والصيغة، وغير ذلك من التساؤلات التي تتجاوز مستوى الوصف والتصنيف إلى مستوى التحليل والتفسير، وهذا ما جعلنا نعرض للإشكالات الآتية:

١-١) إشكال السماع والقياس

نشير إلى أننا لن نتناول مبحث السماع والقياس في الدرس اللغوي القديم، وعرض اختلاف الكوفيين والبصريين حوله، ذلك أن الأمر، في نظرنا، لن يكون إلا كما أورد إبراهيم أنيس، في حديثه عن التطور اللغوي، إذ يقول: "وبحوث القدماء في هذا الشأن على استفاضتها، وتقصيها نواحي البحث، لم تسلم من المغالاة حينا، ولا من الاضطراب حينا آخر. هذا إلى أنهم لم تتح لهم فرص الاطلاع على اللغات الأخرى أو دراستها، حتى يعقدوا المقارنة بين العربية وغيرها"[١]. ولذلك سنتوقف عند أثر هذا المبحث في لبس فهم هندسة الكلمة العربية، فالدرس اللغوي العربي عرف خلال القرن الثاني الهجري ما يصطلح عليه مرحلة التقعيد، وهي المرحلة التي تلت جمع اللغة وتدوينها لأسباب متفق حولها، وتفشي اللحن أبرزها؛ "بعد أن جمع اللغويون كلام العرب، ونظروا فيه وفتشوا وجمعوا النظائر والأشباه، وتبينت لهم مواضع الخلاف، واستبانت أمامهم، العلاقة بين الأبنينة الأبنية والمعاني، أرادوا أن يصوغوا ما استقرءوه من قواعد أو أقيسة"[٢] وأثناء هذه المحاولة، التي قدمت للعربية الشيء الكثير، وأنقدتها من تفشي اللحن، لم يكن أمام اللغويين العرب غير الملاحظة والوصف ثم بناء فرضيات تمكن من الوصول إلى إخضاع الكلام العربي للقياس، أي صياغة قواعد ناظمة للعربية.

ولما كانت الكلمة العربية بيت قصيد هذا المقال سنقصر حديثنا على ما له علاقة بهندسة الكلمة فحسب، وما يخصنا من العملية التي قام بها اللغويون العرب القدماء هو نتائج مقاربتهم للكلمة العربية ومحاولة ضبط نسقها، التي يمكن أن نصوغها كالآتي:

- **كلمات يُضبط نسقها:** وهي الكلمات التي رأى الدارسون اللغويون القدماء أن ثمة علاقة تربط بينها، فافترضوا أن لها أصلا واحدا تعود إليه، فتفحصهم لِما دُوِّن من العربية أسفر عن وجود كلمات كثيرة يمكن أن ترجع إلى أصل واحد، وهذا ما يُشير إليه إبراهيم أنيس بقوله: "وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدؤوا يبحثون في اللغة، وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة والمعاني المتشابهة، واتضحت لهم ناحية الأصالة والزيادة في مادة الكلمة"[٣]، ونسوق الأمثلة الآتية للتوضيح: "كتب، وكاتب، ومكتوب، ومكتب..." فكلها يمكن أن تُرجع إلى أصل واحد، وهو الفعل (كتب)، ولهذا جمعوها في باب سمي، في علم الصرف، بباب المشتقات، أي الكلمات التي تربطها بالفعل علاقة اشتقاقية. والاشتقاق هو: "عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى"[٤]

ولهذه العملية الناتجة عن ما يسميه تمام حسان بالملاحظة الحسية[٥] ارتباط وطيد بالقياس والسماع، بحيث إن الكلمة المشتقة لا تكون سليمة إلا إذا كان لها مروي عربي يدعهمها يدعمها، أو شاهد، وأنه "لا يصح القيام به إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة يبرهن على أن العرب، أصحاب اللغة، قد جاؤوا بمثله أو نظيره، وأن هذا النظير كثير الورود في كلامهم المروي عنهم"[٦] أي أن شرط صحة المشتق التداول. و نميز هنا بين مشتقين اثنين، مشتق لم تعرفه العرب إطلاقا، وقد يكون من الممكن المهل، وقد لا يكون له شاهد في مرحلة زمنية ما، غير أن هذا لا يمنع من أن يحصل، إذ من سمات الألسن الطبيعية التوسع لمسايرة التتطورات التطورات التي تعيشها الأزمنة والعصور والدول. ، وتجدر الإشارة إلى أن الاشتقاق لا يسري على اللكمات الكلمات العربية كافة.

- **كلمات لم يضبط بعض نسقها:** إن الملاحظة الحسية التي اعتمدت في الصرف اللغوي القديم أسفرت أيضا عن خروج بعض الكلمات عن القاعدة العامة المستنبطة، وهذا ما جعلهم يطلقون عليها الشاذ، أو غير المطرد، ذلك أن القياس تطور في الدرس اللغوي العربي القديم، في القرن الرابع الهجري، مع أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وابن جني (٣٩٢هـ) إلى أن أصبح منهجا يطبق على العربية، فيصنفها إلى مطرد وشاذ، حتى وإن كان له شاهد عربي، قال ابن جني:

"وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذاً"[٧]، ويمكن توضيح هذا النوع بقولنا: إنه نوع من الكلمات التي خرجت عن القاعدة التي وضعها اللغويون العرب لبابها، وهذا ما يوضحه ابن جني بقوله: "واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال وشذ عن القياس، فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره . ، ألا ترى أنك إذا سمعت: استحوذ واستصوب أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما إلى غيرهما. ألا تراك لا تقول في استقام: استقوم، ولا في استساغ: استسوغ، ولا في استباع: استبيع"[٨] فالقياس في استحوذ واستصوب أن تأتيا على استحاذ واستصاب على نسق استقام واستساغ. ومعنى ذلك أن بعض الكلمات لا تنضبط للقاعدة التي تنبضط تنضبط لها مثيلاتها من الصنف ذاته.

- **كلمات لم يُضبط نسقها:** وهو ما نجد له اصطلاحا عند الأشموني (ت٩٠٠هـ) فيقوله "فكل هذا مقصور على السماع"٩ أي أنه لا ينضبط للقواعد التي وضعها الدارسون للعربية، ونجد ذلك في المصادر الثلاثية المحردة المجردة، وفي جموع التكسير...يضيف الأشموني في سياق حديثه عن جموع القلة: "ولم يطرد في شيء من الأبنية بل محفوظ في ستة أوزان: فَعِيل نحو صبي وصبية، وفَعَل نحو فتى وفتية، وفَعْل نحو شيخ وشيخة، وثور وثيرة، وفُعَال نحو غلام وغلمة، وفَعَال نحو غزال وغزلة، وفَعِل نحو ثنى وثنية، والثنى هو الثاني في السيادة، ومرجع ذلك كله النقل لا القياس"[١٠] واختصارا إن هذا النوع من الكلمات هو نوع عرفته العرب واستعملته بكثرة، إلا أن استقراء الدارسين العرب القدامى، لما دون من العربية، لم يوصلهم إلى استنباط قواعد ضابطة له، فنجد له مصطلحات من قبيل:غير مطرد، وتُرك للسماع... في الدرس اللغوي العربي القديم.

دون من دون أن ننكر أن من الدارسين العرب القدامى من لم يقتنع بهذه الخلاصة، فآمن بأن الكلمة ما دامت مطردة في الاستعمال، على حد تعبير ابن جني، فمعنى ذلك أن المتكلم العربي يستبطن في ذهنه قواعد هندستها، فالنحاة "ربما ربطوا الأصل بحدس المتكلم العربي صاحب السليقة وظنوا أن الذي جردوه تجريدا من هذه الأصول كان يدور في أذهان العرب"[١١] ولما لم يجدوا بعض الكلمات خاضعة للقياس الذي استنبطوه دفعوا بها إلى باب غير المطرد، غير أن بعضهم لم يقتنع بهذا التصنيف، فرفض كون ما تُرك للسماع غير خاضع للقياس؛ فهذا ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) يقول عن المصادر الثلاثية المجردة: "والمصادر كثيرة التصاريف جدا، وأمثلتها كثيرة مختلفة، وقياسها غامض، وعللها خفية، والمفتشون عنها قليلون، والصبر عليها معدوم، فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير

قياس، لأنهم لم يضبطوا قياسها، ولم يقفوا على غورها"[١٢] فعدم قياسية المصدر الثلاثي المجرد راجع، عند ابن درستويه، إلى عدم استطاعة النحاة الوقوف عند قياسها الغامض، وعللها المستترة، وهو ما يتطلب الصبر.

إن ابن درستويه يفتح إمكانية افتراض سبل أخرى للبحث عن كيفية هندسة الكلمة العربية، ما دامت المقاربة الصرفية القديمة عاجزة أمام استنباط قواعد تبين هندسة الكلمة العربية، وهذا ما يدفعنا لإثارة إشكال آخر مرتبط بالجذر، الذي يعد نواة الكلمة العربية، وسمتها الأساس.

١-٢) إشكال بناء الجذر

تجدر الإشارة إلى أن مصلطح مصطلح "الجذر" لم يرد ذكره في التراث اللغوي القديم . ، بل نجد مصطلح "الأصل" الذي يستعمل للدلالة على معنيين، أولهما المعنى الدلالي، وهو ما سنوضحه بقول ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) في سياق حديثه عن الاشتقاق الأصغر: "إنشاء فرع من أصل يدل عليه، نحو أحمر فإنه مُنشأ من الحمرة، وهي أصل له وفيه دلالة عليها"[١٣] فهنا يعني أن جُملة من الكلمات قد تشترك في أصل واحد، وهو المعنى الواحد، فكأنه يقسم الكلمات إلى كلمات يكون فيها المعنى أصليا، وكلمات يكون فيها فرعيا. ونجد مصطلح "الأصل" بهذا المفهوم عند المعجميين، فابن فارس "في التأليف (أ م م) يفرز مفهوما أول أصليا ينشق إلى أربعة مفاهيم فرعية هي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وثلاثة مفاهيم أخرى أصلية هي: القيمة، والحين، والقصد"[١٤].

وثانيهما المعنى الصوري، وهو الذي يعبر عنه التعريف الآتي: "الأصل عبارة عند أهل الصناعة، عن الحروف التي تلزم الكلمة في كل موضِع تصرُّفها"[١٥] وسنكتفي هنا بابن جني الذي عمد إلى فكرة الخليل (ت١٧٠هـ) في نظام التقليبات التي تشكل منها معجمه العين، "فلاحظ أن مجموعة ثلاثية يمكنها أن شتة شتى أصول، جميعها مستعمل، وأن مجموعة رباعية قد تشكل أربعة وعشرين أصلا، تستعمل منها أربعة فقط، وأن مجموعة خماسية قد تشكل مائة وعشرين أصلا، يستعمل منها أصل واحد لا غير"[١٦] فقد حاول ابن جني أن يصف لنا نتائج تقليبات الخليل بناء على مجموع الأصول المشكلة للكلمة العربية، فإن كانت مجردة لا تخرج عن كونها ثلاثية أو رباعية، فعلا أو اسما، كما يمكن أن يكون الاسم خماسيا.

وما قام به ابن جني وقبله الخليل، رغم جديته وعظم فوائده، لا يمَكِّن الباحث من فهم كيف يتشكل الأصل أو ما نطلق عليه حديثا الجذر، بحيث يمكن اعتبار ما قدماه وصفا للكلمة العربية وتصنيفا لها بحسب جذرها، وهو عمل في غاية الأهمية، لو تُفطن له فيما بعدُ، وبُحث في علة المهمل والمحال، للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- لماذا بعض الكلمات محالة؟
- كيف نميز بين المحال والمهمل؟
- كيف تكون الكلمة مستعملة باعتباطية المتكلمين أم بنسقية القوانين؟
- هل ثمة قوانين تحكم لنا العناصر المشكلة للجذر؟ وما السبيل للوصول إليها؟

وغيرها من التساؤلات التي تعني مجتمعة غياب تصور عام لهندسة لأبنية الجذر العربي، بحيث إن أن العلاقة القائمة بين عناصر جذر الكلمة العربية من أبرز الإشكالات التي بقيت عالقة في الصرف العربي، وهي ذات أهمية بالغة، وذلك بالنظر إلى ما ترتب عنها من إشكالات أخرى، من قبيل فهم هندسة أبنية الكلمة العربية، ونوعية العلاقات القائمة بين العناصر الصامتية (عناصر الجذر) وبين العناصر الصائتية (الضمة، والفتحة، والكسرة، والسكون) وغير ذلك مما يؤثر على إمكانية فهم هذه العلاقات، وتحويلها إلى خوارميات توليد الكلمة العربية، توليدا يحاكي دماغ المتكلم العربي، أي أنه ينطلق من قوانين يفرضها النسق اللغوي العربي على الجهاز النطقي للمتكلم.

١-٣) إشكال علاقة الصيغ بالجذور

نعتقد أن الإشكالات المترتبة عن فهم طبيعة جذر الكلمة العربية امتدت لتشمل التصور العربي القديم للكلمة العربية بأسرها، ذلك أن هذا التصور اعتمد على مقولة "الفعل" محاولا أن تكون هي الأصل وما دونها فرع، بغض النظر عن الصراع الدائر بين البصريين والكوفيين بأن المصدر والفعل، وأيهما مشتق من الآخر، وتجدر الإشارة إلى أن الاعتماد على "الفعل" في التصور الصرفي القديم ليس مرتبطا باللسان العربي وحده، بل عمل به الصرفيون القدامى في معالجة المصدر في الألسن السامية، ما جعل د ونفسون يقول بنظرية العقلية الفعلية في الألسن السامية؛ "أي أن لأغلب هذه الكلمات في هذه اللغات مظهرا فعليا حتى في الأسماء الجامدة، والألفاظ الدخيلة التي تسربت من اللغات الأعجمية، فقد أخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا أيضا»[١٧] وغالبا ما تضيف هذه الألسن بعض اللواحق

والزوائد على صيغة الفعل لصياغة باقي الصيغ الصرفية، أو ما يعرف في الصرف العربي "بباب المشتقات".

ولم يتوقف البحث اللغوي القديم عند البحث عن مدى إمكانية أن يكون الجذر أصل المشتقات، إذا أثبت البحث والتقصي نوع العلاقات القائمة بين العناصر الجذرية (الصوامت)، وبين الحركات (العناصر الصائتية) والصوامت. وعلاقة كل هذا بالصيغة، ولذلك "يعتبر مكارتي[١٨] (١٩٨١) أن دراسة النحاة العرب والعبريين القدماء للنظام الصرافي الصرفي، والمعتمدة عموما في دراسات المستشرقين، مقاربة قائمة على التصنيف السطحي اعتمادا على الميزان الصرفي "فعل" دون فهم أعمق للنظام الصرافي الصوري، وأنه لم توجد دراسة عامة للعلاقات بين القوالب المصوتية خارج تحيينها في جذر خاص بحيث أننا لا نستطيع، على سبيل المثال، أن نفهم مسارات كل من (١) و(٢)

(١) /ج ل د/ ←جَلَدَ←يَجلِد ←جَلْدا

(٢) / ج ل س /←جلَس ←يجلِس ←جُلوسا

نلاحظ أن العناصر الصامتية المكون ل (١) و(٢) تتشابه في فاء الكلمة وعينها، وتختلف في لامها، كما تتشابه من حيث صيغة الفعل (فَعَلَ) المفتوحة العين، إلا أنها تختلف في مساراتها الاشتقاقية في المضارع والمصدر المجرد. ولا نملك معطيات في التراث اللغوي العربي نستطيع أن نفهم بها أسباب هذا الاختلاف، وهذا راجع بالنسبة لنا، إلى الإشكالات التي تطرحها العلاقات السالفة الذكر.

إن جذر الكلمة العربية، في نظرنا، عبارة عن نواة لتوليد المفردات في اللسان العربي، وذلك باستدعاء عناصر صائتية وأحيانا أخرى عناصر زائدة (لواصق ولواحق)، وانطلاقا من هذه الفكرة وجب علينا أن نفهم طبيعة هذه العلاقات القائمة بين العناصر المشكلة للجذر، وعلاقاتها بالعناصر الصائتية، وأثرها على انتقاء الصيغة الصرفية. وبعبارة موجزة، يمكن اختصار علاقة الصيغ بالجذور في التساؤلين الآتيين:

- هل طبيعة العناصر الصامتية والصائتية أثر في انتقاء صيغة صرفية معينة؟
- كيف يمكن التأكد من صحة هذه الفرضية؟

٢- مدخل توليدي لفهم هندسة أبنية الكلمة العربية:

٢-١) مقاربة توليدية للكلمة العربية نظرية الأثل عند بوهاس نموذجا:

جورج بوهاس لساني فرنسي من مواليد سنة 1946 ، ويعد من المهتمين باللسان العربي والفكر والثقافة منذ نعومة أظافره، فلم يدخر جهدا في تعلم اللسان العربي وإتقانه، ليصبح أستاذا مبرزا فيه، ويحصل على دكتوراه السلك الثالث التي تمحور موضوعها حول" العروض العربي "سنة 1975 من جامعة باريس 8 بفانسين Vincennes كما حصل على دكتوراه الدولة سنة 1979 من جامعة السربون الجديدة، ونشرت عام 1982 ، وخصص موضوعها للمنهج المعتمد من لدن النحاة العرب في مجالي الصواتة والصرف العربيين:

Contribution à l'étude de la méthode des grammairiens arabes en morphologie et en phonologie : d'après les grammairiens arabes "tardifs

وقد اعتمد في دراسة هذا المنهج كتابات النحاة المتأخرين مثل ابن جني، وابن يعيش والأستربادي .ثم التحق بهيئة التدريس بهذه الجامعة حيث تحمل مسؤولية تلقين وتدريس" الصواتة والصرف العربيين "وعلوم لغوية أخرى لطلابها، حيث يكمل مسيرته العلمية بليون وطلاب جامعات باريسية أخرى، قبل أن ينتقل إلى المدرسة العليا وخلال هذه المسيرة عمل على تكوين أجيال من الباحثين emeritus professor. باعتباره أستاذا فخريا بها للعرب وغيرهم من المتخصصين في الدراسات اللسانية العربي، حيث أشرف على العديد من الأطاريح التي أنجزت في هذا الباب منذ ثمانينيات القرن العشرين.

ويصف التاقي جورج بوهاس باعتباره لسانيا متخصصا في اللسان العربي والألسن السامية(الآرامية والآشورية، والعبرية،)...، وآدابها، وعلى المستوى الدقيق، فهو متخصص في المجالات اللسانية التالية الآتية:

- الصواتة: phonology
- الترجمة: translation
- العروض:metric

- المعجمية: lexicology
- الصرافة: morphology

وتشكل أطروحة الدكتوراه التي تقدم قدمها بهاس عام 1979 قاعدة ومرجعا أساسا لكل دارس أراد التعرف على صرافة وصواتة اللسان العربي . ، وقد كان الدافع الأساس الذي جعله يختار الاشتغال في هذين المجالين، كما يصرح بذلك في خطبة أطروحته، هو انتفاضته ضد اللامبالاة التي مارسها بعض اللسانيين إزاء جهود والاجتهادات الفكرية التي أنتجها، كما الشأن بالنسبة للسان العربي، وقد عرض في القسم الأول النظر اللغوي العربي الخاص بالتصريف في شقه المتعلق بآليات تشكيل الكلم العربي حيث عمل على ضبط وتعريف العديد من الاصطلاحات بتعابير أهل صناعتها، نحو : "التصريف"، و"الأصل"، و"المعنى"، و"البنية"، و"الزيادة"، و ...بعد ذلك انتقل لشرح كيف أن" الكلمة " العربية، اسما كانت أو فعلا هي توليف، (ل" أصل("الحروف الأصول)و" معنى("والمقصود به مجموع الخاصيات النحوية والصرفية وليس المعنى المعجمي حيث ينصهران معا في" بنية("صيغة أو وزن)[١٩].

جاء اهتمام جورج بهاس بالمعجم العربي عبر انشغاله بآليات تشكيل الكلم العربي . ، فكل الكتابات التصريفية والمعجمية تقدم لنا من جهة مفهوم" الحروف الأصول "أو مفهوم" الجذر "باعتبارها مسلمة يجب الأخذ بها في تحليل الكلم العربي وفي تصنيف المعاجم العربية ، . ومن جهة ثانية تقدم لنا المعجم العربي وكأنه يمثل حالة لسانية للسان العربي منسجمة ومتوافقة زمانيا ومكانيا .إن عدم الوقوف عند هاتين النقطتين وقفة تأملية نقدية في المنطلق هو الذي يجعل النتائج المحصل عليها تكاد تتشابه وتتماثل .لذا عمل جورج بوهاس على مساءلة مفهوم" الجذر "والبحث في البنيان الداخلي والنسقي للمعجم العربي . ، وفي هذا الشأن يقول" :إننا ندرس المعجم العربي لاكتشاف التنظيم المركزي لهذا المعجم ومبادئ تطوره"[٢٠] وإن ترتيب المعاجم العربية كما هي الآن، أي على ناظم الجذور المرتبة ألفبائيا، لايقدم خدمة للباحث اللساني، إن ذلك كما يقول التاقي: "يجعل المتعامل مع اللسان العربي لا يدرك العلاقات التقاطعية التي تحملها الكلمات العربية رغم اختلاف بعض حروفها الأصول."[٢١]

إن عمل المعجمي حسب بوهاس ينبغي أن يتجاوز حشر المادة اللغوية في لائحة لائحة من الجذور يقابلها لائحة من المعاني إلى "الأصل ليس العنصر الأولي في تنظيم المعجم وبالمقابل عندما

نحدد العنصر الأولي في المعجم فإننا عندئذ سنرى أننا يمكننا حقا أن نطرح مسألة نشأة الدليل ويمكننا من جهة أخرى أن نقدم تفسيرا واضحا ومعقولا للعلاقات المعجمية كالترادف والمشترك اللفظي وغيرها"[٢٢] ومن سعى بوهاس إلى اعتبار أن المعجم العربي تتم هيكلته عبر ما سماه "الأثول" وهو ما يوضحه الأستاذ التاقي بقول: " فالأثل هو عبارة عن عنصر يمتاز بمستوى من التجريد أعلى من "الجذر" وهو ثنائي يأتلف من صامتين فقط. ويمكن توسيعه عبر زيادة عنصر ثالث أو رابع بحسب متطلبات الصيغة الصرفية "[٢٣] وليوضح بوهاس ما يقصد بالأثل عمد إلى الأفعال الآتية (بتّ، بتل، بتك، انبتع، بلت، برت، سبت) ولاحظ أن الباء والتاء هي الأساس المشترك بينها، وهذا الأساس يمكن أن تنضاف إليه صوامت أخرى حسب الحاجة، لكنها في النهاية لا تخرج عن المعنى العام للأثل [بت] أو ما يطلق عليه بالثابت الصوري. ، وقد تنضاف إلى هذا المعنى بعض الخصوصيات التي عبر عنها بوهاس بقوله: " كل هذه الخصوصيات التي تتلخص في : الكيفية، واللزومية، والسببية والانعكاسية والمجاز هي التي تنضم إلى الثابت التصوري، والتأليف بينها هو الذي يشكل دلالة الكلمة"[٢٤]

وإذا استطاع بوهاس أن يحدد العلاقة بين الكلمات من خلال الأثل الذي يؤدي به إلى التصور المرجعي، فإنه لم يستطع أن يتعمق في هذه العلاقات، لذلك انتقل إلى مستوى أعلى أطلق عليه " مستوى المصفوفة Matrice، " ويرمز له بالرمز μ فهذا المستوى يمنحنا تجاوز النظر المبني على "الفونيم" Phonème أو الحرف بالتعبير العربي، إلى مستوى أكثر دقة وتجريدا يتصل بالتكوين الداخلي لهذا" الفونيم"، إنها" السمات Traits المميزة له[٢٥]

يمكن إجمالا اختصار تصور بوهاس لآليات هندسة الكلمة العربية، في تصور عام يعيد هندسة المعجم العربي وفق المستويات الثلاثة الآتية:

- **المصفوفة:** (μ) وهي عبارة عن توليف يجمع موقعين تلفظيين نحو[شفوي، تاجي]يرتبطان بحمولة دلالية .
- **الأثل** (ϵ) وهو توليف غير خاضع لأي ترتيب يجمع فونيمين من الفونيمات المنتسبة للموقعين التلفظيين الواردين في المصفوفة نحو[ب، ت]
- **الجذع** ويمثل الأثل بعد توسيعه بالزيادة سواء أكانت هذه الزيادة بتكرار الصامت الخير أو بحشو صامت جديد. والعناصر الصامتية الأكثر تأهيلا للحشو هي العلل، والأنفيات، والمائعات، والحلقيات"[٢٦].

٢-٢) آفاق الدراسة التوليدية للكلمة العربية

تسعى جملة الأبحاث اللسانية الحديثة التي اتخذت اللسان العربي موضوعا للدراسة، بناء على نظرة اللسانيات الحديثة للألسن الطبيعية التي تدرس اللغة "في ذاتها، ولذاتها"[٢٧]إلى مقاربة هذا اللسان مقاربة لسانية موضوعية بالنظر إلى تحديات القرن الواحد والعشرين، ومن هذه الأبحاث نذكر أعمال الأستاذ محمد التاقي[٢٨] الرامية إلى فهم هندسة الكلمة العربية، وذلك بالنظر إلى قضاياها الكبرى، التي يمكن للبحث فيها أن يؤدي إلى "تحديد المفردات الممكنة والمفردات غير الممكنة في اللغات الطبيعية بصفة عامة، والمفردات الممكنة أوغير الممكنة في لغة بعينها، وهذا يقتضي النظر في المحددات الممكنة للوحدات المعجمية، صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا، على مستوى الكليات اللغوية، وكذلك على مستوى الأنساق الخاصة"[٢٩]

ومن هذا المنطلق فإن البحث في هندسة أبنية الكلمة العربية، واعتبار اللسانيات مدخلا لهذه الدراسات، سيفتح آفاقا للبحث العلمي في اللسان العربي، سيمكننا من تحديد القوانين والضوابط التي يمليها دماغ المتكلم العربي على جهازه النطقي لتوليد الكلمة العربية، ذلك أن اللسانيات التوليدية استبعدت أن يكون الطفل العربي حين اكتسابه للغة يلجأ إلى حفظ الجمل والكلمات في ذاكرته ليسترجعها لاحقا حين يروم الكلام، وأن ما يتلقفه الطفل هو ذلك النسق المشكل للسان الجماعة البشرية التي نشأ فيها، وقد تبين لنا مع بوهاس مدى إمكانية فهم العلاقات القائمة بين العناصر المكونة لجذر الكلمة العربية.

إننا نرى ضرورة تطوير النماذج اللسانية الغربية لمعالجة إشكالات هندسة الكلمة العربية، وقد تبينت تلك الأهمية بالنظر إلى بعض النماذج التي طورها الأستاذ التاقي، مثل النظرية الأبوفونية التي وضع أسسها كل من محند كارسل M.Gersel وجون لوفينستام J.Lowenstamm (١٩٩٠-١٩٩٦)، نظرية لسانية حديثة تروم ضبط التناوب الصائتي على مستوى (عين الفعل في اللسان العربي)[٣٠]. ، إذ تحدثا في مقالهما الأول[٣١]عن مسارات اشتقاقات الصيغ الفعلية الثلاثية المجردة، التي استمثرها في مقاربة صرافية مبتكرة للجذور الثلاثية المعتلة، كما اقترح في مجموعة من أعماله، تعديلات للمسار الأبوفوني الذي اقترحه كل من كرسل ولوفينستام. ، حيث عمل على تركيب مضمون النظرية الأبوفونية مع مبادئ نظرية الجذب والعمل والنظرية المقطعية[٣٢]

إن هندسة الكلمة العربية، في نظرنا، يصعب فهم آليات تشكيلها، ما لم تأت أعمال لسانية تحاول البحث في المستويات الثلاثة الآتية: السمات الصوتية للجذر، والسمات الوظيفية للصيغة، والسمات التركيبية للكلمة (التعدي واللزوم...) وهذا عمل يحتاج إلى جهود جبارة تستطيع بناء قواعد بيانات تضم أمهات المعاجم العربية، حتى يتسنى للباحثين فحص مدى صحة فرضيات دراساتهم، وهو أشبه بالعمل الذي قام به أوائل علماء العربية خلال الفترة الممتدة مابين القرن الثاني والرباع الهجريين.

خلاصات ونتائج الخلاصة والنتائج:

نخلص من خلال كل ما سبق إلى أن الاتجاهات اللسانيات الحديثة يمكن ان تسعف الباحث اللساني العربي في حل إشكالات اللسان العربي التي تطرحها تحديات القرن الحادي والعشرين، ومن هذه الإشكالات إشكال هندسة الكلمة، الذي نراه إشكالات مرتبطا بطبيعة الدراسة اللغوية العربية القديمة التي أفرزت لنا في بعض أبواب الصرف العربي ثنائية السماع والقياس. ثم إشكال طبيعة الجذر العربي من حيث العلاقات القائمة بين العناصر الصامتية المكونة له، وعلاقاته بالعناصر الصائتية، وأثر كل ذلك على تشكل الصيغة، وهو ما لا يجد له الباحث جوابا في تراثنا اللغوي، مع الإشارة إلى أن هذا الحقيقة لا تنقص من مجهودات علمائنا الأفذاذ شيئا، إنما لم تكن وليدة خصوصياتهم الزمانية، وما كانت لتظهر لنا لولا تحديات الرقمنة التي يعيشها اللسان العربي في علاقته بالآلة والحاسوب؛ لكوننا لم نتمكن بعد من إفهام النسق اللغوي العربي للحاسوب.

كما عرجنا تطرقنا للحديث عن إمكانية الاستفادة مما قدمته اللسانيات التوليدية لمعالجة آليات تشكيل الكلمة العربية، فتوقفنا مع أعمال جورج بوهاس، وما قدمته نظرية الأثل في الصواتة، واعتباها مدخلا لإمكانية الحديث عن وجود علاقات بين العناصر الصامتية فيما بينها، وبين العنصار الصائتية، وأثر هذه العلاقات على تشكل الصيغ الصرفية. لأنها أهميتها تتجلى في إمكانية تحويل آليات تشكيل الكلمة إلى خوارزميات لتوليدها، وهو ما تأكد لنا مع التاقي في تطويره للنظرية الأبوفونية، وتقديمه لمقاربة مبتكرة لتوليد العناصر الجذرية الثلاثية المعتلة.

وهذا ما يضعنا أمام تحد آخر يتجلى في السعي لتطوير النظريات اللسانية الحديثة لتجيب عن أكبر قدر ممكن من الإشكالات المطروحة، وهذا ما يحتاج إلى تظافر الجهور، خاصة وأن فهم هندسة

الكلمة العربية يحتاج إلى بناء قواعد بيانات تتضمن أمهات المعاجم العربية، مصصمة وموجهة لخدمة أغراض البحث اللساني العربي حتى يتسنى للباحث التأكد من مدى صحة فرضيات بحثه.

الهوامش:

[١]- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص٧.

[٢]- عبد العزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، ص٢٥

[٣]- أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، ص٤٦.

[٤]- نفسه، ص٤٦.

[٥]- ينظر تمام، حسان، الأصول، ص١١٦.

[٦]- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص٤٨.

[٧]- ابن جني، الخصائص، ٩٧/١.

[٨]- نفسه، ٩٩/١.

[٩]-الأشموني،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤٦١/١.

[١٠]- الأشموني، ٤٤٧/١

[١١]- تمام، حسان، الأصول، ص١١٤.

[١٢]- ابن درستويه، تصحيح الفصيح: ٣٦٤/١.

[١٣]- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٤٠/١.

[١٤]- ثربو جرار، مفهوم الجذر عند النحاة العرب القدماء، مبارك حنون، ٢٠١٤، جذور، ع٣٧، يونيو٢٠١٤،.

[١٥]- ينظر: ثربو جرار، مفهوم الجذر عند النحاة العرب القدماء، ٥٣-٦٣

[١٦] ينظر المرجع نفسه.

[١٧]- وينفسون، تاريخ اللغات السامية، ص١٤..

[18] –McCarthy J. J. (1981): A Prosodic Theory of Nonconcatenative Morphology. L. I. VOL: 12, N: 3

[19]– ينظر: التاقي، محمد، جهود اللساني الفرنسي جورج بهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي ، ص١٩٣.

[20] Georges Bohas 1997 : Matrices, étymons, racines. Eléments d'une théorie lexicologique du vocabulaire arabe, Peeters, Leuven, Paris , p5

[21]– التاقي، محمد، جهود اللساني الفرنسي جورج بوهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي، ص٢٠٠.

[22]– بوهاس،ج، ساكر، عبد الرحيم، المدخل إلى نظرية المصفوفات والأثول، ص١.

[23]– التاقي، جهود اللساني الفرنسي جورج بوهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي ، ص٢٠٠.

[24]– بوهاس، ساكير، المدخل إلى نظرية المصفوفات والأثول ص٧

[25]– التاقي، جهود اللساني الفرنسي جورج بوهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي، ص٢٠١

[26]– نفسه، ص٢٠١.

[27] –Saussure (1916) Cours de linguistique générale, Baskin, Wade, New York – London.

[28]– ينظر على سبيل المثال:

–Taki 1990, 1992, 1999.

[29]–الفهري، عبد القادر، المعجم العربي، ص١٥.

[30] – ينظر : محمد التاقي (٢٠١٨)، مقاربة صرافية مبتكرة للجذور المعتلة في اللسان العربي الأفعال الثلاثية أنموذجا، ص١٠.

[31] –Mohand Guerssel et Jean Lowenstamm : (1994) : " *Ablaut in classical Arabic Measure I active verbal forms".*

[32] – Taki (2000) : *approche prosodico-apophonique des clusters consonantiques*, p 98-100

وينظر أيضا : التاقي (٢٠١٨)، مجلة مقاربات لسانية، مقاربة صرافية مبتكرة للجذور المعتلة في اللسان العربي الأفعال الثلاثية نموذجا، ص١٨.

المصادر والمراجع:

بالعربية:

- الأشموني،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٩، ٤٦١/١.
- أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٦.
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٦، ص٧.
- بوهاس،ج، ساكر، عبد الرحيم، المدخل إلى نظرية المصفوفات والأثول. دت.
- التاقي ، محمد، مقاربة صرافية مبتكرة للجذور المعتلة في اللسان العربي الأفعال الثلاثية نموذجا، مجلة مقاربات لسانية،. ٢٠١٨.
- التاقي، محمد، جهود اللساني الفرنسي جورج بهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي، بحوث المؤتمر الدولي الثالث المنجز العربي اللغوي والادبي في الدراسات الأجنبية، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها، جائزة الملك فيصل – الرياض ١٤٤٢ هـ.
- ثربو جرار، مفهوم الجذر عند النحاة العرب القدماء، مبارك حنون، ٢٠١٤، جذور، ع٣٧، يونيو٢٠١٤.
- جابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢.
- حسان، تمام، الأصول، دار الثقافة، ١٩٩١.
- ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحقيق محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ٢٠٠٤.
- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ناشرون،ط١، ١٩٩٦.
- عبد العزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
- الفهري، عبد القادر، المعجم العربي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٩٩.
- ينفسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، دار القلم،١٩٩٩.

باللغات الأجنبية:

- Georges Bohas (1997) : Matrices, étymons, racines. Eléments d'une théorie, Peeters leuven Paris

- McCarthy J. J. (1981): A Prosodic Theory of Nonconcatenative Morphology. L. I. VOL: 12, N: 3
- Mohand Guerssel et Jean Lowenstamm : (1994) : " Ablaut in classical Arabic Measure I active verbal forms".
- Saussure (1916) Cours de linguistique générale, Baskin, Wade, New York – London.
- Taki (1990) : Syllabation, Association et Variation, Approche Phonologique Tridimensionnelle de l'Arabe, Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, PARIS.
- Taki (1999): Apophonie, Charme, Gouvernement et Identification: Aspects de la morphologie et de la phonologie de l'arabe lexicologique du vocabulaire arabe, Peeters, Leuven, Paris .
- Taki (2000) : *approche prosodico-apophonique des clusters consonantiques*

مشروعية حضانة الأم

دراسة فقهية في ضوء الفقه الإمامي

م. عباس جاسم ناصر

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

ملخص البحث

الحضانة لغةً: الرِّعاية والحماية والتربية، ومَصدر الاسم حَضَنَ، يُقال: حضنت الأم طفلها، أي: ضمَّته إليها، واصطلاحاً: هي العناية بالطفل أو الصبي غير المُميّز لمن يمتلك حقَّ حضانته، ويشمل ذلك أمور الرِّعاية، والعناية، والحماية، وتحقيق مصالحه والدِّفاع عنه.

استدل على مشروعية استحقاق الأم للحضانة بعدة أدلة من القرآن الكريم، والسنة الشريفة والعقل، وإجماع العلماء.

وقع خلاف بين الفقهاء في الحضانة هل هي حكمٌ موجَّهٌ الى المكلَّف بحيث لا يمكن التنازل عنه، أو هي حقٌّ بإمكان صاحبه التنازل عنه؟

ذهب بعض الفقهاء الى أنها حكم وليس حقاً.

ويرى بعضهم أنّها حق مشترك بين الآباء والأمهات.

وقول ثالث أنّها حقّ للأم خاصة، وهو ما ذهب إليه أكثر فقهاء الإمامية.

الكلمات المفتاحية: الحضانة مشروعية حضانة الأم أحكام الأطفال أحكام الرضاع الفقه الإمامي الإجماع

Abstract

Custody in language: care, protection and upbringing, and the source of the name is a nurturing, it is said: the mother embraced her child, meaning: she attached him to her, and idiomatically: it is the care of the child or boy who does not discriminate against who has the right of custody, and this includes matters of care, care, protection, realization of his interests and his defense.

Inferred the legality of a mother's entitlement to custody with several evidence from the Holy Qur'an, the noble Sunnah and reason, and the consensus of scholars.

A disagreement occurred among the jurists regarding custody, is it a ruling directed at the taxpayer so that it cannot be waived, or is it a right that the owner can waive?

Some jurists have argued that it is a rule and not a right.

Some see it as a shared right between fathers and mothers.

And a third saying that it is the right of the mother in particular, which was the view of most of the Imami jurists.

key words: The nursery, The legality of the mother's custody Imami .jurisprudence, Breastfeeding provisions Children's provisions Consensus

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وضع المنهج الإسلامي حقوقا وواجبات على جميع أفراد الأسرة، وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، والتقيد بها يسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات، وينفي كل أنواع المشاحنات والخلافات المحتملة، والتي تؤثر سلبا على جو الاستقرار الذي يحيط بالأسرة، وبالتالي تؤثر على استقرار المجتمع المتكون من مجموعة من الأسر، ومن بين المسائل التي أولتها الشريعة اهتماماً واسعا هي مسألة حضانة الأطفال، ومفهوم الحضانة باختصار هو رعاية الصغير وتربيته وحمايته والمحافظة عليه والقيام بشؤونه ويبرز هكذا موضوع عادة بعد الطلاق أو الفرقة بين الأزواج أو حتى قبل ذلك في حالة وجود خصام بين الزوجين أو ان كل منهما يسكن في دار مستقلة عن الآخر فينشأ نزاع حول الاحق بحضانة الأطفال، جاء اهتمامُ الشريعة بالأبناء منسجماً مع احتياجاتهم البيولوجيّة والنفسيّة والتربويّة والعاطفية، فكان تشريعُ الحَضانة للأطفال مبنيّاً على مُتغيّرات عديدة وظروف مخصوصة وبما أن الله تعالى هو الأعلم بمصالح العباد فقد جاءت تشريعاته مراعى فيها مَصلحة الطّفل وحياتِه وأمانه فجعل حضانته حقاً لأمه بشروط نذكرها في طيات البحث الذي يشتمل على مباحث: الأول: التعريف بمفردات الموضوع في اللغة والاصطلاح، والثاني: أدلة مشروعية حضانة الأم في الفقه الإمامي، المبحث الثالث يتمحور حول الحضانة هل حق للأُم أو حكم شرعي؟

وتجدر الإشارة الى أنني تناولت في البحث أصل مشروعية حق الأم في الحضانة، أما أحكام الحضانة وشروطها، وتحديد مدتها ستأتي في بحث لاحق إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

التعريف بمفردات الموضوع في اللغة والاصطلاح

أولاً: الحضانة لغةً:

وهي مصدر الفعل (حضن بفتح الحاء، حضن الصبي . بفتحتين) أي تحمل مؤنته وتربيته، والحضن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح، أو الصدر والعضدان وما بينهما، وجانب الشيء وناحيته، وجمعه: أحضان، وحَضنَ الصبي، حضناً، وحِضانة بالكسر، جعله في حضنه، أو ربّاه كاحتضنه [١].

وقال في تهذيب اللغة: >الحَضانة: مصدر الحاضِن والحاضنة، وهما المُوَكّلان بالصّبي يرفعانه ويُربّيانه<[٢].

وقال في مختار الصحاح: >[حضن] ح ض ن : الحِضْنُ ما دون الإبط إلى الكشح و حَضَنَ الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه و حضَنَتَ المرأة ولدها حَضَانةً و حاضنةُ الصبي التي تقوم عليه ي تربيته و احتضَنَ الشيء جعله في حضنه<[٣].

قال الطريحي: >والحضانة بالفتح والكسر: اسم منه وهي ولاية على الطفل والمجنون لفائدة تربيته، وما يتعلق بها من مصلحته وحفظه، وجعله في سريره، ورفعه، وغسل ثيابه وبدنه، ومشطه، وجميع مصالحه، غير الرضاعة< [٤].

والحضانة في اللغة تعني الاحتضان والضم إلى الحضن، قال ابن منظور: «وحضان جمع حاضن؛ لأنّ المربي والكافل يضم الطفل إلى حضنه، وبه سميت الحاضنة وهي التي تربي الطفل. والحضانة بالفتح فعلها»[٥]. وكذلك قال ابن الأثير في نهايته[٦].

وقال في أساس البلاغة: >احتضن الصبيّ: أخذه في حضنه وهو ما دون الإبط إلى الكشح. وحضنت المرأة ولدها. والحمامة بيضها. وله حاضن وحاضنة يرفعانه ويربيانه. وهي حاضنة حسنة الحضانة <[٧].

والحاصل مما تقدم إنّ الحضانة في اللغة بمعنى تعاهد تربية الولد وحفظه من خلال القيام بمسؤوليته وتربيته بما يلزمه.

ثانياً: الحضانة اصطلاحاً

تُصنف حضانة الصغير في مدارك الفقهاء تحت عنوان (الولاية الخاصة) وهي الولاية التي يطلق عليها في مصطلحاتهم بـ (الولاية التربوية) وهي منبثقة من الولاية الخاصة التي يقع أعباء حمل مسؤولياتها على الطبقة الأولى وهي الأب والأم، والجد للأب، والحاكم الشرعي، والغاية منها المحافظة على الطفل، وتربيته، ورعاية مصلحته.

وفي القواعد قال العلامة الحلي&: >الحضانة ولاية وسلطنة على تربية الطفل<[٨]، وقال الشهيد الثاني في المسالك: «هي ولاية على الطفل والمجنون لفائدة تربيته، وما يتعلق بها من مصلحة من حفظه وجعله في سريره ورفعه وكحله ودهنه وغسل خِرَقه وثيابه وتنظيفه ونحو ذلك، وهي بالأنثى أليق منها بالرجل، لمزيد شفقتها وخلقها المعد لذلك بالأصل»[٩]، وذكره أيضاً في شرح اللمعة الدمشقية[١٠]، وتابعه عليه السيد على الطباطبائي& في رياض المسائل[١١]، والسيد محمد العاملي في نهاية المرام[١٢]، والمحقق السبزواري& في كفاية الأحكام[١٣]، والمحقق البحراني& في الحدائق الناظرة[١٤]، والعلامة الكلباسي& في منهاج الهداية[١٥].

ولكن صاحب جامع المدارك& أشكل على تعريف الحضانة بكونها ولاية على الطفل، حيث قال: >وأورد عليه بأنّ الحضانة لو كانت ولاية على تربيته، فاللازم أن لا تسقط بإسقاط الأم، وتجب عليها مراعاة ذلك على وجه لا تستحق عليها الأجرة، كما هو الشأن في غيرها من الولايات مع أنّه ليس في شيء من الأدلة ما يقتضي ذلك، بل فيها ما يقتضي خلافه، كالتعليق على مشيئتها والتعبير بالأحقية، بل ظاهرها كون هذه الأحقية مثل الأحقية في الرضاعة، وحينئذ لا يكون ذلك واجباً عليها، ولها إسقاطها ومطالبته الأجرة عليها، ويمكن أن يقال الظاهر أن الحضانة بمعناها اللغوي والعرفي وما يستفاد من الأدلة ولاية الأب والأم عليها في الجملة، وليس الحضانة نفس الولاية، بل الولاية ثابتة على الحضانة، فمع عدم قيام الأم لا تسقط ولايتها ، بل تثبت للأب كما أنّه مع عدم قيام الأب تكون بغيرهما، نظير الولاية بالنسبة إلى الصغير، حيث إنّها ثابتة للأب والجد، ومع عدم قيامهما ثابتة للحاكم، ومع عدم قيام الحاكم لمانع تثبت لعدول المؤمنين، ولا تدل الأدلة على خلاف ما ذكر<[١٦]. وقد وافقه على ذلك الفاضل الهندي& في كتابه (كشف اللثام) [١٧].

والحاصل: أنّ المعنى الاصطلاحي عند فقهاء الإمامية هو نفس المعنى اللغوي على ما اختاره صاحب المدارك والفاضل الهندي، وإلا لولا الإشكال على من سبقه في تعريفها لكانت الحضانة بمعنى ولاية وسلطنة على الطفل، وتتلخص بالعناية بالطفل غير المُميّز لمن يمتلك حقَّ حضانته، ويشمل ذلك أمور الرِّعاية، والعناية، والحماية، وتحقيق مصالحه والدِّفاع عنه.

المبحث الثاني

أدلة مشروعية حضانة الأم في الفقه الإمامي

استُدِلَّ على مشروعية الحضانة بعدة أدلة من القرآن الكريم، والسنة الشريفة والعقل والإجماع، وفيما يلي تفصيل الكلام في ذلك:

الدليل الأول: القرآن الكريم

من النصوص القرآنية التي احتج بها في إثبات مشروعية الحضانة، ومن له أحقية الولاية؟ وفي أي مرحلة من مراحل عمر الصغير تنفصل ولاية الحاضنة عنه؟ ما يأتي:

الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[١٨].

تقريب الاستدلال:

فيه دليلان:

الأول: صحيح أنّ الآية الكريمة بصدد تقرير وبيان أحكام الرضاع، ولكنها تدل على الحضانة بالدلالة الالتزامية، أي ملازمة الحضانة للرضا، وعليه فمن استدل في المقام استدل بهذه الآية الكريمة في إثبات ذلك وعدمه، وعليه فكل ما يذكر من تقريب للاستدلال في هذه الآية فهو بالمدلول الإلتزامي لا المطابقي، وعليه فإنّ الله تعالى لما جعل الحولين تمام الرضاعة، فمعلوم أن المولى تعالى لم يرد المعنى الاسمي

واللغوي ولا القول بالجواز؛ لأنّه ينطبق على ما بعد الحولين، وعندئذ ثبت أنّه تعالى أراد الرضاع الشرعي الذي يتعلق به الحرمة والتحريم .

والثاني: حده بالحولين، فلا يخلو إما أن يريد جواز الرضاعة، أو الكفاية، أو التحريم، فبطل أن يريد الجواز، لأنه جائز بلا خلاف، وبطل أن يريد الكفاية لأنه قد يكتفي بدون الحولين، فلم يبق إلا أن حده بهذه المدة لأن الحكم بها يتعلق لا غيره. (١٩).

ويؤيد ذلك ما ثبت في السنة الشريفة، كما صرّح به القاضي ابن البراج & حيث قال: >وينبغي أن يرضع الصبي حولين كاملين على ما ثبتت به السنة في ذلك، والزيادة عليه جائزة وكذلك: النقص منه، فأما الزيادة: فلا يجوز أن يكون أكثر من شهرين، وأما النقص: فلا يجوز أن يكون أكثر من ثلاثة أشهر، فإن فعل ذلك، كان جورا عليه، ونقص الثلاثة الأشهر مكروه. وأفضل ما يرضع به الصبي من الألبان لبن أمه، والأم إن كانت حرَّة وأرادت رضاعه كان لها ذلك، وإن لم ترده لم تجبر عليه، وإن كانت أمة كان إلزامها ذلك جائزا، وإذا أرضعته الحرة وتطلب أجرة الرضاع كان ذلك واجباً على والد الصبي، وإن كان والده ميتا، كان ذلك في مال الصبي، وإن كان لها مملوكة فأرضعته كان لها أجر رضاع مملوكتها وهو أجرة المثل< (٢٠).

وقال صاحب الحدائق الناضرة&: >وهي أحق بولدها أن ترضعه بما تقبله امرأة اخرى، يقول الله تعالى: {لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ} لا يضار الصبي ولا تضار به في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين<(٢١).

وقال ابن فهد الحلي&: >وقع الإجماع على اشتراك الحضانة بين الأبوين مدة الحولين، وقال في الجواهر: وربما كانت الآية { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ...} بل خبر داود بن الحصين ظاهر فيه<(٢٢).

وقال السيد الأردبيلي&: >الظاهر أن الارضاع في الحولين واجب فلا يفهم حينئذ من الآية لحملها على الندب، مع أن الأكثر يستدل بها على حده ، أو الوجوب فيلزم تخصيصها بالصور الخاصة مثل أن لا يعيش إلا بلبن أمه بأن لا يشرب إلا لبنها أو لا يوجد غيرها أو الوالد يكون عاجزا عن تحصيل غيرها لعدم قدرته على الأجرة فيكون الولد ممن تجب نفقته على الأم إن كانت قادرة ويحتمل أيضا أن يكون المعنى أن الارضاع في هذه المدة للأم ، بمعنى أنه حقها يجب على الأب تمكينها منه ولا يجوز له الأخذ منها

وإرضاع غيرها ، فيكون حينئذ إخبارا عن حق الأم الواجب على الأب فلا يحتاج إلى ارتكاب الخروج عن الظاهر ، ولكن شرط الأصحاب عدم رضاع غيرها بأقل مما ترضى ، وعدم وجود متبرعة إذا لم تتبرع هي بالإرضاع، وهو بالحقيقة شرط وقيد لقوله " وعلى المولود رزقهن " على بعض الوجوه .< [٢٣].

كما يؤيد ما تقدم أيضاً ما ذكره ثلّة من فقهائنا حول تحديد مدة الرضاع بحولين، من قبيل السيد الگلپايگاني& حيث قال: >الأم أحق بحضانة الولد وتربيته وما يتعلق بها من مصلحة حفظه مدة الرضاع حولين كاملين، ذكرا كان أو أنثى، سواء أرضعته هي بنفسها أو بغيرها وذلك بشرط أن تكون حرة عاقلة، وأن تكون مسلمة إذا كان الولد مسلماً، فلا يجوز للأب أن يأخذه في هذه المدة منها، فإذا فصل وانقضت مدة الرضاع < [٢٤].

وقال السيد السيستاني (حفظه الله): > لا يجوز للأب أن يفصل ولده ذكراً كان أم أنثى من أمه مدة الرضاع أعني حولين كاملين، والأحوط الأولى عدم فصله عنها حتى يبلغ سبع سنين < [٢٥].

وقال عدّة من المحققين: >نقول: مع أن بعض الفقهاء، مثلاً صاحب الرياض، والشهيد و... ادعوا الإجماع أو عدم وجدان الخلاف في تقدّم الأم على الأب في الحضانة؛ لأنّ الإجماع الذي ادعاه ابن فهد بالاشتراك موهن ولا اعتبار به، ...بأنّ الآية دالة على تقدم الأم على خلاف ما استفاده ابن فهد< [٢٦].

ثم قرب الاستدلال بها بقوله: >والآية تحرم الإضرار بالولد سواء كان من جانب الأب أو الأم... وحرمة الإضرار مطلقاً يشمل الإضرار من ناحية ترك الحضانة... كما أن الآية تدل على حرمة [ترك] الرضاع، لأنّه إضرار بالولد، وتدل على ترك الحضانة أيضاً، وبهذا الدليل يثبت وجوب الحضانة، وهو المطلوب<[٢٧].

وممن استدل بها على مشروعية الحضانة وعدم جواز أخذ الولد من الأم، صاحب تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، حيث قال&: >الأصل ... مضافاً إلى قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ} خصوصاً مع قوله تعالى بعد ذلك: {لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا} هي صحيحة عبد الله بن سنان المتقدّمة في المسألة السابقة، حيث إنّها تدلّ على أنّه ليس للوصي أن يخرجه من حجرها< [٢٨].

وقال أيضاً&:>الطفل مدّة الرضاع إلى الحولين من دون فرق بين ما إذا كان ذكراً أو أنثى، ومن دون فرق بين ما إذا كانت الأُم أرضعته بنفسها أو بغيرها، وفي هذه المدّة تكون الأُم أحقّ بحضانته، ولا يجوز للأب أن يأخذه منها، ويدلّ عليه قوله تعالى: {لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا} < [٢٩].

وقال صاحب كتاب (مهذب الأحكام في الحلال والحرام)^: >ولا يجوز لأبيه ولا لأمه أن يتضارّا فيه ، كما قال الله تبارك وتعالى: { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ}، قال يحيى بن الحسين: معنى ذلك أنّه لا يضار زوج الأم إذا كان قد فارقها فيمنعها من رضاع أبنها ويحرمها جعل مثلها... الواجب عليه أن يتركها وإياه ترضعه، ويكون لها جعل مثلها في رضاعه، وكذلك لا يجوز لها هي أن تضار أباه فيه فترمي به إليه ساعة تلده ولا تلبيه ولا تسقيه إلى أن توجد له مرضعة<[٣٠].

الآية الثانية: قوله تعالى: {فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} [٣١].

تقريب الاستدلال:

يستدل أيضاً بها على مشروعية الحضانة بطريق الأولوية بقوله، لأنّها أوجبت مراعاة الرابطة العاطفية بينهم وبين أولادهم والاهتمام بها، فيستكشف منه أولية وجوب حفظهم وحضانتهم، كما استفاد ذلك السيد عبد الأعلى السبزواري في مهذب الأحكام [٣٢].

الآية الثالثة: قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} [٣٣].

تقريب الاستدلال:

ويتم الاستدلال بهذه الآية على المطلوب فيما إذا أخذنا بتعريف من قال بأنّ الحضانة ولاية وسلطنة على الطفل، وعندئذ تكون هذه الآية نافية لاستحقاق الحاضنة لهذا الحق فيما إذا كانت كافرة، وعليه فإذا كانت الأم أو الحاضنة مسلمة يكون هذا الحق لها ثبات بحكم اسلامها، كما قد جاء في تقريب ذلك بما ذكره المحقق الحلي& في كتابه (شرائع الإسلام) حيث قال: >وهي كون الطفل عند الاب، أو عند الأم، أو غيرهما (ومع المسلم) أي: إذا كان الأب مسلماً والأم كافرة، فليس لها حقّ حضانة لقوله تعالى: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} والولد يكون مسلماً اذا كان أحد أبويه مسلماً. <[٣٤].

وكذلك قال السيّد مصطفى الخميني&:>ولو كان الأب مسلماً، والام كافرة، فلا يترك الاحتياط<[٣٥].

فهذه وغيرها من الآيات التي تبحث في ثنايا جذور العلاقات الزوجية، ومنها مسألة الحضانة والرضاع والتكفل، يمكن الاستفادة منها بيان الأحكام المرتبط بموضوع بحثنا.

الدليل الثاني: الأحاديث الشريفة

الرواية الأولى

روي أن امرأة جاءت الى رسول الله| وقالت: >يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، فأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أحق به ما لم تنكحي< (٣٦).

حيث استدل بهذا الحديث في المقام على أحقية الأم بحضانة ولدها ما لم تتزوج، وقال في كتاب الخلاف: > إذا طلقها زوجها عاد حقها من الحضانة، وبه قال أبو حنيفة والشافعي ... دليلنا: أن النبي | علق بطلان حقها بالتزويج، فإذا زال التزويج فالحق باق على ما كان< (٣٧).

واستَدَلَّ بنفس الحديث في كتابه المبسوط بقوله: >إذا بانت امرأة الرجل منه بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك وهناك ولد فتنازعاه لم يخل الولد من ثلاثة أحوال: إما أن يكون طفلاً لا يميز، أو بالغًا، أو طفلاً يميز ويعقل، فإن كان طفلاً لا يميز ولا يعقل، فالأم أحق به من أبيه تربيه وتحضنه والنفقة على أبيه لما روى أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء... الخ الحديث<(٣٨).

ذُكر في موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها بأنّه لا يوجد نص صريح يدل على وجوب الحضانة، بل الموجود نصوص دالة على أصل الاستحقاق (٣٩)، وقد ذكروا على ذلك مؤيداً لكلامهم، قول الشهيد الثاني& في الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، حيث قال فيها: >وليس في الأخبار ما يدل على غير ثبوت أصل الاستحقاق<(٤٠).

وفيما يلي بعض هذه الروايات الدالة على استحقاق الأم للحضانة:

الرواية الثانية: صحيحة أيوب بن نوح(٤١).

قال: كتب إليه بعض أصحابه: كانت لي امرأة ولي منها ولد، وخلَّيت سبيلها، فكتب عليه السلام: >المرأة أحق بالولد إلى أن يبلغ سبع سنين، إلا أن تشاء المرأة<(٤٢).

وقد استدل بها السيد الروحاني& على مشروعية الحضانة، حيث قال: >وينبغي التنبيه على امور: [منها] إنّ هذه الأحقية الثابتة للزوجة إنما تكون على سبيل غير اللزوم اي لها اسقاطها للتعليق على مشيئتها في صحيح أيوب، فلها أن تسقط حقها فتكون تلك للأب (٤٣).

الرواية الثالثة: صحيحة داود الرقي (٤٤).

قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن امرأة حرة نكحت عبداً، فأولدها أولاداً، ثم إنّه طلقها، فلم تقم مع ولدها، وتزوجت فلما بلغ العبد أنّها تزوجت، أراد ان يأخذ ولده منها، قال: أنا أحق بهم منك إن تزوجتي، فقال (عليه السلام): >ليس للعبد أن يأخذ منها ولدها وإن تزوجت حتى يعتق، هي أحق بولدها منه ما دام مملوكاً، فإذا اعتق فهو أحق بهم منها<(٤٥).

فهذه الرواية وإن كانت ظاهرة في كون العبودية مانعة من الحضانة، ولكن يمكن الاستفادة منها في ثبوت حضانة الأم لولدها، بمعنى أنّ الحاضنة إذا لم تكن مملوكة فيجوز لها القيام بعمل الحضانة، وفي الأم يكون الأمر واضحاً.

الرواية الرابعة: صحيحة الحلبي (٤٦)

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: >الحبلى المطلقة ينفق عليها حتى تضع حملها، وهي أحق بولدها حتى ترضعه بما تقبله امرأة أخرى، إنّ الله يقول: {لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ} < (٤٧).

وقد قرب الاستدلال بها على مشروعية الحضانة، وتقريره: >أنّ يقال حكم الإمام (عليه السلام) فيها بأحقية الزوجة المطلقة بإرضاع ولدها إن أخذت الأجرة بما تقبلها غيرها، وعلل هذا الحكم بقوله إنّ الله تعالى يقول: {لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ} والآية تحرم الإضرار بالولد سواء كان من جانب الأب أو الأم.... وحرمة الإضرار مطلقاً يشمل الإضرار من ناحية ترك الحضانة، أيضاً بتعبير آخر كما أن الآية تدل على حرمة [ترك] الرضاع، لأنّه إضرار بالولد، وتدل على ترك الحضانة أيضاً، وبهذا الدليل يثبت وجوب الحضانة، وهو المطلوب<(٤٨).

الرواية الخامسة: خبر المنقري

عمن ذكره، قال: >سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يطلق امرأته وبينهما ولد، أيّهما أحق بالولد؟ قال: المرأة أحق بالولد ما لم تتزوج < (٤٩).

وبعد أن ذكر صاحب موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها هذه الروايات الأربعة، قال: >وجه الاستدلال بهذه الروايات على وجوب الحضانة، يتوقف على بيان أمرين:

الأول: إنّ الحضانة كانت من الأمور الطبيعية والفطرية بمعنى أن الآباء والأمهات يحبون حفظ أولادهم من البلايا والآفات، ويسعون في تدبير شؤونهم من تنظيفهم وغسل ثيابهم و... وهذا لا يختص بالإنسان فقط، بل الحيوان أيضاً كذلك يسعى في حفظ أولاده ويهيئ لهم كل ما يحتاجون إليه من الماء والغذاء، وغير ذلك.

الثاني: إنّ تدبرنا في الروايات الواردة في الباب وبالالتفات إلى سياقها وإلى ما يسأله السائل الذي كانت أسألته منصبة في الغالب على حكم انفصال الولد من الأم، وخاصة بعد الزواج الثاني، يعلم إن لزوم الحضانة عند الإمام (عليه السلام) وعند السائل كان أمراً معلوماً وقطعياً، ولذا بيّن الإمام (عليه السلام) من هو الأحق فيهما، وأي الوالدين أكثر استحقاقاً من الآخر....

فعلى هذا دلت هذه الروايات بمضمونها وسياقها على وجوب الحضانة وأن وجوبها مفروغ عنه عند السائل والإمام (عليه السلام)، وقد سئل فيها عمن يستحق الحضانة إذا اختلف الزوجان في أمرها، أو تشاجرا، أو طلق الزوج زوجته، ولها منه ولد. ويمكن استفادة وجوب الحضانة من صحيحة الحلبي خاصة< [٥٠].

الدليل الثالث: العقل

إنّ من يلاحظ ضعف قدرة الطفل في الاستمرار على الحياة وحاجته إلى الغير في تأمين جميع مستلزماته بما يؤمن له البقاء والاستمرار على الحياة، وحمايته وحفظه من التلف نتيجة المؤثرات الخارجية، بالإضافة إلى كونه مخلوق خلق لهدف عظيم في هذه الحياة، ولا يتحقق هذا الهدف من خلقه إلا بدوام بقائه واستمراره، فإنّه سيحكم بالبداهة العقلية والفطرة السليمة بوجوب حفظه وتأمين جميع مستلزمات ذلك، بما أنّ من أهمها هو توفير الحضانة له باعتبارها تقوم بتأمين مأكله ومشربه وملبسه وسائر الأمور التي يحتاج إليها في الحياة، وعليه فيجب على الأبوين رعايته وإقامته؛ لأنّهما أرأف الناس به، وبالخصوص الأم[٥١] ذات العواطف الجياشة، بالإضافة إلى سيرة العقلاء وديدن المتشرعة في أنهم ألزموا على الأبوين وقدمهما على سائر الأرحام الأقرب فالأقرب في حفظ الصغار وتربيتهم وتدبير شؤونهم، ويذمون من لا يعمل بوظيفته هذه في هذا المجال، بحيث صار ترك هذا العمل أمراً قبيحاً عند العقلاء، خصوصاً إن ملاكات قبح الأفعال من حيث المصلحة والمفسدة تحدد بهذا النحو من الحكم العقلي[٥٢].

الدليل الرابع: التسالم بين فقهاء الشيعة (الإجماع)

عند مراجعة كلمات الفقهاء والتدبر فيها يعلم اتفاقهم على كونها حق ثابت، وأنّه أمر متسالم عليه عندهم؛ ولكنهم بحثوا عمّن يستحقه، قال الشهيد في الروضة نقلاً عن القواعد: >لو امتنعت الأم من الحضانة صار الأب أولى به، ولو امتنعا معاً فالظاهر أجبار الأب [٥٣].

ونقل عن بعض الأصحاب وجوبها، وهو حسن، حيث يستلزم تركها تضييع الولد، إلا أنّ حضانته حينئذ تجب كفاية كغيره من المضطرين، وفي اختصاص الوجوب بذي الحق نظر [٥٤].

وقال صاحب الجواهر &: >لا إشكال في أمرها كما في كشف اللثام [٥٥].

وجاء في مهذب الأحكام &: >وأما الإجماع ظاهرهم التسالم على أصل الحكم في الجملة، وإن تشتت كلماتهم[٥٦].

وقد نفى عدّة من المحققين الإجماع، كما جاء ذلك في موسوعة أحكام الأطفال وأدلته، حيث قالوا: >هذا الإجماع الذي ادّعي في كلمات بعضهم كان مستنداً، وهو ليس بدليل آخر غير الروايات، فالأولى أن يقال: اشتهرت فتوى الفقهاء على وجوب الحضانة في الجملة، ولا يكون في المسألة إجماع< [٥٧].

المبحث الثالث

الحضانة حق أو حكم شرعي

في هذا المبحث نريد أن نبيّن هل أن الحضانة حق للأم، أم أنّها حكم واجب عليها؟ يظهر من كلمات فقهاء الإمامية أنّ هذه المسألة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنّ الحضانة حكم وليس حقاً، حيث قال عدّة من المحققين: >يستفاد من الأدلة أن الحضانة حكم بمعنى أنّه يجب على الآباء والإمهات حضانة أولادهم ...أن في ترك الحضانة ضرار على الطفل، وهو منهي عنه بحكم الآيات والروايات والسيرة والإجماع، فالحضانة واجبة؛ ولذا لا يكون قابلاً للإسقاط من جانب الأبوين<[٥٨].

القول الثاني: أنّها حق مشترك بين الآباء والأمهات، وقد ذهب إليه بعض فقهاء الإمامية، كما حكى العلامة وابن فهد الحلي إجماع الإمامية على ذلك، حيث قال: إنّ الحضانة مشتركة بين الأب والأم[٥٩].

وردّ عليه صاحب الجواهر& بقوله: إنّ الحضانة من حق المرأة، وعلى الأم إرضاعه، وعلى الأب الأجرة والولاية، وتربيته بينهما بالسوية، وهذا ما يُفهم من حيثية الرواية التي استدل بها ابن فهد الحلي&، ولو رفضت الأم إرضاعه وجب على الأب أن يبحث عن مرضعة له[٦٠].

القول الثالث: أنّها حقّ للأم خاصة، وهو ما ذهب إليه أكثر فقهاء الإمامية، قال الشيخ جواد مغنية: >قال الإمامية والشافعية والحنابلة: إنّه حق لها تتنازل عنه متى تشاء، ولا تُجبَر عليه إذا امتنعت، وفيه رواية عن مالك، واستدل على ذلك صاحب الجواهر بأنّ العلماء لم يجمعوا على إلزام الحاضنة بالحضانة، والشرع لم ينص على ذلك، بل يدلّ ظاهر النصوص على أنّ الحضانة كالرضاع؛ وعليه فلها إسقاطها متى تشاء [٦١].

وكذلك ذهب إليه السيد الخوانساري&، حيث قال: >ومن لوازم الزوجية حق الحضانة بحسب عموم الدليل فهذا كحق الزوج من جهة الاستمتاع بها فإن تم الإجماع وإلا يشكل الحكم... [٦٢].

وقال الفاضل الهندي&: >إذا لم تتزوج الام فإن تزوجت سقطت حضانتها عن الذكر والانثى، ويصير الأب أولى) إن كان، للإجماع والأخبار، ولأنها بالتزوج صارت مملوكة الاستمتاع كل حين على كل حال، وهو يخل بإيفاء حق الحضانة [٦٣]. فبقوله (وهو يخل بإيفاء حق الحضانة) يظهر منه أنّ الحضانة حق لا أنّها حكم شرعي.

وكذلك هو رأي صاحب الحدائق الناضرة&، حيث قال: >وبالجملة فإنه لا إشكال بعد دلالة هذه الاخبار على أحقية الأم به مدة الرضاع إذا تبرعت أو رضيت بما رضي به غيرها. وإنما الاشكال فيما إذا سقط حقها من الرضاعة واسترضع الأب غيرها بأن لم تتبرع ولم ترض بما رضي به غيرها، فإن للأَب أن ينزعه منها.

وحينئذ فإذا زال حقها من الرضاع فهل يزول أيضا حقها من الحضانة أم يبقى؟ قولان: وبالأول صرح المحقق في الشرائع وإلى الثاني ذهب ابن إدريس فقال: لا يسقط حقها من الحضانة، لانهما حقان متغايران، فلا يلزم من سقوط أحدهما سقوط الآخر، وهو قوي من حيث الاعتبار، إلا أن ظاهر قوله (عليه السلام) في رواية داود بن الحصين أن للاب أن ينزعه منها إن لم ترض بما رضي به غيرها يرد ما ذكره، ويؤيده أيضا مفهوم رواية أبي الصباح الكناني ورواية أبي العباس، وإلى القول بما ذهب إليه المحقق مال السيد السند في شرح النافع لما ذكرناه، وأيده بما يلزم من الحرج في تردد المرضعة إلى الام في كل وقت يحتاج الولد إلى الرضاع والعسر المنفيين بالآية والرواية وظاهر جده في

المسالك والروضة الميل إلى ما ذهب إليه ابن ادريس استضعافاً لرواية داود بن الحصين، وإمكان حملها على أن المراد نزعه من جهة الرضاع لا مطلقا، قال: والضرر بذلك لا يبلغ حداً لإسقاط الحق الثابت، وحينئذ فتأتي المرضعة وترضعه عندها مع الامكان، فإن تعذر حمل الصبي إلى المرضعة وقت الارضاع خاصة، فإن تعذر جميع ذلك اتجه سقوط حقها من الحضانة للحرج والضرر.[٦٤].

وبعد ذلك يبيّن رأيه في المقام بقوله: >أقول: والاقرب هو ما ذهب إليه المحقق & لظاهر الروايات المذكورة، وإن كان ما ذهب إليه ابن إدريس لا يخلو من قوة من حيث الاعتبار. هذا بالنسبة إلى مدة الحولين، (وأما) بعدهما فقيل: إن الأب أحق بالذكر والأُم أحق بالأنثى حتى تبلغ سبع سنين، وهو قول الشيخ في النهاية وابن إدريس وابن البراج وابن حمزة والمحقق. <[٦٥].

وقال ابن زهرة الحلي&: >والمطلقة أحق بالذكر من الأب مدة الرضاع، وبعدها الأب أحق به، فإن كان أنثى، فالأم أحق بها إلى سبع سنين، إلا أن تتزوج، فيكون الأب أحق على كل حال، كل ذلك بدليل إجماع الطائفة<[٦٦].

والحاصل من جميع ما تقدّم إنّ مشهور فقهاء الإمامية يذهب إلى أنّ الحضانة حقّ للأم خاصّة، وهم بين مصرح بعدم كونه واجباً تكليفياً، وبين ساكت عن هذا الأمر؛ وهو ممّا يكشف عن عدم ثبوت الوجوب وإلا لصرحوا بذلك لاقتضاء المحل.

الخاتمة

توصلنا من خلال البحث الى النتائج التالية:

١. إنّ الحضانة لغةً تعنى تعاهد تربية الولد وحفظه والقيام بمسؤولياته، واصطلاحاً هي بنفس المعنى اللغوي على ما اختاره صاحب المدارك والفاضل الهندي
٢. تنوع الأدلة على مشروعية الحضانة وهي: القرآن الكريم، والسنة الشريفة والعقل والإجماع، وفيما يلي تفصيل الكلام عن ذلك:
٣. أما الآيات الكريمة، فهي من قبيل الآية التي فيها حكم الرضاع وتحديد مدته، وآية فاتوهن أجورهن وائتمروا بالمعروف، وآية نفي سبيل الكافرين على المؤمنين، على ما بُيّن في محله.
٤. أما الأحاديث الشريفة، فقد استدل بأحاديث عن رسول الله| وبعدّة روايات عن أهل البيت ^، منها صحيحة أيوب بن نوح، وصحيحة داود الرقي، وصحيحة الحلبي، وخبر المنقري.
٥. وأما العقل، فقد استدل به على مشروعية حضانة الأم لولدها؛ لأنّ تركه يضر بحاله وهو في أمس الحاجة إلى الرعاية والحضانة والحفاظ عليه، لضعفه وعدم قدرته على حفظ نفسه، ولأنها . عادة . أرأف به من غيرها.
٦. وأما الإجماع فمعناه تسالم الفقهاء في المسألة بكون الرضاعة حق لها؛ عند مراجعة كلمات الفقهاء والتدبر فيها يعلم اتفاقهم على مشروعية الحضانة.
٧. وظهر أيضاً من الأدلة وكلمات فقهاء الإمامية الخلاف في حقيقة الحضانة هل هي حكم او حق؟ قال عدّة من المحققين أنّها حكم، وقول ثان أنّها حق مشترك بين الآباء والأمهات، وذهب آخرون الى أنّها حقّ للأم خاصة، وهو ما ذهب إليه أكثر فقهاء الإمامية.

الهوامـــش

١. ينظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢١٥، باب النون، فصل الحاء؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣ ص ١٢٤؛ الجوهري، الصحاح: ج ٥ ص ٢١٠٢؛ القلعجي، معجم لغة الفقهاء: ج ١ ص ١٨١.
٢. الأزهري، أبو منصور محمد، تهذيب اللغة، ج٤، ص١٢٣.
٣. عبد القادر، محمد، مختار الصحاح، ج١ ص١٦٧.
٤. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٦ ص١٧٦.
٥. ابن منظور، محمّد، لسان العرب: ج١٣ ص١٢٣.
٦. ابن الأثير، محمّد، النهاية في غريب الحديث: ج١ ص٤٠١.
٧. الزمخشري، محمود جار الله، أساس البلاغة، ج١ ص٨٩.
٨. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الاحكام: ج٣ ص١٠.
٩. الشهيد الثاني، زين الدين، اللمعة الدمشقية: ج٥ ص ٤٥٨.
١٠. ينظر: الشهيد الثاني، زين الدين، مسالك الإفهام: ج٨ ص ٤٢٦.
١١. ينظر: الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج١٠ ص ٥١٤.
١٢. ينظر: العاملي، محمّد، نهاية المرام: ج١ ص ٤٦.
١٣. ينظر: المحقق السبزواري، محمّد باقر، كفاية الأحكام: ج٢ ص ٢٩٢.
١٤. ينظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناظرة: ج٢٥ ص ٨٣.
١٥. ينظر: الكلباسي، إبراهيم، منهاج الهداية: ص٣٤٥.
١٦. الخوانساري، أحمد، جامع المدارك، ج٨، ص٥٠٤.
١٧. الفاضل الهندي، كشف اللثام، ج٧، ص٥٤٩.
١٨. سورة البقرة: الآية ٢٣٣.
١٩. ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، ج٥، ص٩٩.
٢٠. ابن البراج، القاضي، المهذب، ج٢، ص٢٦١.
٢١. المحقق البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، ج٣٧ ص٧٧.
٢٢. الحلي، ابن فهد، المهذب البارع، ج٣، ص٤٢٦.
٢٣. الأردبيلي، أحمد، زبدة البيان في أحكام القرآن، ص٥٥٧.
٢٤. الگلپايگاني، محمد رضا، هداية العباد، ج٢، ص٣٧٥.
٢٥. السيستاني، علي، المسائل المنتخبة، ص٤٠٧ . ٤٠٨.
٢٦. جمع من المحققين، موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، ج١، ص٣٢٤.
٢٧. المصدر السابق، ص٢١١.٢١٢.
٢٨. الفاضل اللنكراني، محمد، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، (كتاب النكاح): ج١، ص٥٤٩.

٢٩. المصدر السابق، ج٢٩، ص١٥.

٣٠. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام في الحلال والحرام، ج١، ص٣٥٣.

٣١. سورة الطلاق: الآية ٦.

٣٢. ينظر: موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق)، ص٣٠٩.

٣٣. سورة النساء: الآية ١٤١.

٣٤. المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام، ج٣ ص٥١.

٣٥. الخميني، مصطفى، تحرير العروة الوثقى، ج١، ص٦٣.

٣٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج٥، ص١٣٣.

٣٧. الطوسي، (المصدر نفسه): ج٥، ص١٣٣.

٣٨. الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج٦، ص٣٩.

٣٩. ينظر: موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق): ص٣٠٩.

٤٠. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج٥، ص٤٦٤.

٤١. وقد عبر عنها بالصحيحة عدة من فقهائنا، منهم: الخوانساري، جامع المدارك، ج٨ ص٥؛ الطباطبائي، علي، رياض المسائل، ج١١، ص٤٢٦؛ السبزواري، عبد الأعلى، كفاية الأحكام، ج٢، ص١٧٦.

٤٢. الصدوق، محمد بن علي، كتاب من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص٤٣٥.

٤٣. الروحاني، محمد صادق، فقه الإمام الصادق×، ج٢٤، ص٣٠٨-٣٠٩.

٤٤. كما عبر عنها بعض فقهائنا، ومنهم: المحقق البحراني في الحدائق الناضرة، ج٣٧ ص٨٦؛ الشهيد الثاني في مسالك الأفهام، ج٩ص٤٢٥؛ العاملي، نهاية المرام، ج٥١ ص١٢.

٤٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥ ص١٥٩، باب ١٣ من أبواب أحكام الأولاد.

٤٦. فهناك من عبر عنها من فقهائنا بالصحيحة عندما استدل بها، ومنهم: تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، ج٢٩، ص١٠؛ المحقق البحراني، الحدائق الناضرة، ج٧ ص٨٥؛ الروحاني، فقه الصادق×، ج٢٤ ص٢٢٩.

٤٧. وسائل الشيعة، (مصدر سابق): ج ١٥ ص١٩٢، باب ٨١ من أبواب أحكام الأولاد، ح٥.

٤٨. موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق)، ج١، ص٣١١.

٤٩. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٤٥.

٥٠. موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق): ج١، ص٣١١.

٥١. ينظر: السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام في الحلال والحرام، ج٢٥ ص٢٧٦.

٥٢. ينظر: موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق): ج١، ص٣١٢.

٥٣. الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي، القواعد والفوائد، ج١ ص٣٩٦.

٥٤. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهية، ج٥، ص٤٦٤؛ نقلاً عن: عدة من المحققين، موسوعة

أحكام الأطفال وأدلتها، ص٣١١.

٥٥. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، ج٣١، ص٢٨٤.

٥٦. السبزواري، السيد عبد الأعلى، مهذب الأحكام، ج٢٥، ص٣٧٦.

٥٧. موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، (مصدر سابق): ج١، ص٣١٣.

٥٨. موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، ص٣١٦.

٥٩. ينظر: الحلي، ابن فهد، المهذب البارع، ج٣ ص٤٢٦.

٦٠. ينظر: النجفي، محمد بن الحسن، جواهر الكلام، ج٣١ ص٢٨٦.

٦١. مغنية، محمد جواد، الفقه على المذاهب الخمسة، ق٢ (الأحوال الشخصية)، ص٣٨٢.

٦٢. الخوانساري، أحمد، جامع المدارك، ج٨ ص٨.

٦٣. الهندي، الفاضل، كشف اللثام، ج١١ ص٧٣.

٦٤. المحقق البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، ج٧٣ ص٨٧-٨٨.

٦٥. المصدر السابق نفسه.

٦٦. الحلي، ابن زهرة، غنية النزوع، ج١، ص٣٨٢.

المصـــادر

۞ القرآن الكريم

١. ابن الأثير الجزري، عز الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط/٤، ١٣٦٤هـ ش . ١٩٨٥م.

٢. ابن فهد الحلي، أحمد، المهذب البارع، تحقيق مجتبى العراقي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة . قم، ط١. ١٤٠٥هـ.

٤. الأردبيلي، أحمد بن محمد، زبدة البيان زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء تراث الجعفرية، طهران، (بدون تاريخ).

٥. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت/ ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، نشر :دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.

٦. الأصفهاني، بهاء الدين محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تحقيق مؤسسة النشر السلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم . ط/١، ١٤١٦هـ.

٧. جمع من المحققين، موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها، تحقيق ونشر: مركز فقه الأئمة الأطهار . قم . ط/١، ١٤٢٥هـ.

٨. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان، ط/٥، ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م.

٩. الحلبي، حمزة بن علي بن زهرة، غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، تحقيق: إبراهيم البهادري، نشر: مؤسسة الإمام الصادق ×، مطبعة اعتماد . قم . ط/١، ١٤١٧هـ.

١٠. الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام، مؤسسة آل البيت^ لإحياء التراث، قم، مطبعة مهر، ط/١، ١٤١٣هـ.

١١. الخميني، مصطفى، تحرير العروة الوثقى تحقيق ونشر: مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني+، ط/١، ١٣٧٦هـ ش . ١٤١٨هـ ق.

١٢. الخوانساري، محمد، جامع المدارك، تعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة

إسماعيليان . قم . ط/٢، ١٤٠٥هـ.

١٣. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، محمد، مختار الصحاح، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٤. الروحاني، محمد صادق الحسيني، فقه الإمام الصادق×، الناشر: مؤسسة دار الكتاب . قم . ط/٣، ١٤١٤هـ.

١٥. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

١٦. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام، مكتب آية الله السبزواري، قم، ط/٤، ١٤١٦هـ.

١٧. السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام، تحقيق مرتضى الواعظي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط/١ ١٤٢٣هـ.

١٨. السيستاني، السيد علي، المسائل المنتخبة، نشر: مكتب آية الله السيد السيستاني . قم . ط/٣، ١٤١٤ . ١٩٩٣م.

١٩. الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين مكي العاملي، القواعد والفوائد، تحقيق: السيد عبد الهادي الحكيم، نشر: مكتبة المفيد . قم.

٢٠. الشهيد الثاني، زين الدين محمد بن جمال الدين، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تحقيق: محمد كلانتر، الناشر: مكتبة الداوري . قم، ط/١، ١٤١٠هـ (نسخة أفست).

٢١. الشهيد الثاني، زين الدين محمد بن جمال الدين، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط/١، ١٤١٣هـ.

٢٢. الصدوق، محمد بن علي، كتاب من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/٢.

٢٣. الطباطبائي، علي، رياض المسائل، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط/١، ١٤١٢هـ.

٢٤. الطرابلسي، عبد العزيز ابن البراج، المهذب، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٦هـ.

٢٥. الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر

مكتب الثقافة الإسلاميّة، ط/٢، ١٤٠٨هـ.

٢٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، تحقيق: علي الخراساني، جواد الشهرستاني، مهدي نجف، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم المشرفة، جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ.

٢٧. الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط في فقه الإمامية، تحقيق: السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، طهران، المطبعة الحيدرية ١٣٨٧هـ

٢٨. العاملي، محمد، نهاية المرام في شرح مختصر شرائع الإسلام، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الشيخ على پناه الاشتهاردي، آقا حسين اليزدي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم المشرفة، ط/١، ١٤١٣ هـ .

٢٩. عبد القادر، محمد، مختار الصحاح، تحقيق: ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية . بيروت، ط١: ١٤١٥هـ ق . ١٩٩٤م.

٣٠. الفاضل اللنكراني، محمد، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (كتاب النكاح)، تحقيق ونشر مركز فقه الأئمة الأطهار ^: قم . ط/١، ١٤٢٦هـ.

٣١. الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم . ط/١، ١٤١٦هـ.

٣٢. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١. ١٤١٢هـ.

٣٣. قلعجي، د. محمد رواس، معجم لغة الفقهاء: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان، ط١. ١٤٠٥هـ.

٣٤. الكلباسي، إبراهيم، منهاج الهداية، المكتبة الالكترونية.

٣٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الاسلامية. طهران، ط/٣، ١٣٨٨هـ.

٣٦. الگلپايگاني، السيد محمد رضا الموسوي، هداية العباد، نشر: دار القرآن الكريم . قم، ط/١، ١٤١٣ هـ.

٣٧. المحدث البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم المشرفة.

٣٨. المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام نشر: انتشارات استقلال، طهران . إيران، ط/٢، ١٤٠٩هـ.

٣٩. مغنية، محمد جواد، الفقه على المذاهب الخمسة، نشر: مؤسسة الإمام الصادق× للطباعة والنشر . طهران . ط/٥.

٤٠. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، طهران، مطبعة خورشيد، ط/٢، ١٣٦٥ هـ ش.

جمالية النص الغائب في شعر أحمد مطر

م. معتز قصي ياسين

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

تحاول الدراسة أن تكشف عن جماليات البناء الشعري في قصائد الشاعر أحمد مطر من خلال الوقوف على مستويات توظيف النص الغائب في تشكيل التجربة أبعاد الشعرية عند الشاعر، عبر الكشف عن ثنائية الحضور والغياب في النص ومديات ظهورها وتجلياتها في الحدث الشعري، فضلا عن بيان الدور الذي تلعبه في تشكيل المعنى داخل البناء الشعري للقصيدة وتدعيم البعد الجمالي والتأثيري فيها. وفي قراءتنا هذه نحاول الكشف عن جماليات النص الغائب في قصائد شاعر كبير يتمتع بمكانة مرموقة في الشعر العربي، إذ تتوالى الدراسات النقدية حول شعره، وتتجدد لعمق محتواه، وغنى شخصيته، وتعدد عطاءاته ألا وهو الشاعر أحمد مطر .

تُعد تجربة (أحمد مطر) الشعرية من أكثر التجارب الشعرية الحديثة انتشاراً في الوطن العربي، ومن أكثرها إثارة للجدل النقدي والإعلامي، إذ تكتسب ذلك من خلال طابعها التأثيري في تحويل المعاناة الإنسانية في ظل الأنظمة القمعية إلى قيمة تعبيرية انفعالية تستهدف تحريك بواطن المتلقي وتثيره وجدانيا وعمليا للتمرد على الواقع الأليم. وبناء على هذا المنطلق فقد جاءت الدراسة بمدخل يوضح فيه الباحث النص بين الحضور والغياب في الأدب بشكله العام وعلاقته بالشعر ، إذ يمثل التناص رافدا من روافد النص الشعري وداعما للحدث الشعري ولعل فاعليته استمدت من الوظيفة الناتجة عن هذا الحضور والتي تجسدت عبر قوانين خاصة، وهي: التناص المقيد بالذات الشعرية المغتربة والمنكفئة على عالمها الخاص نتيجة القهر والاستبداد، إذ غالبا مايكون الحدث نابعا من ذات الشاعر وما تموج بها من صراعات وتحديات، وقد استطاعت الضمائر أن تؤدي دورا بارزا في نقل هذا الصراع إلى حيز التعبير عبر الوسيلة الرئيسة وهي التناص الذي حقق بعضا من أغراضه الدلالية والجمالية، والقسم الثاني هو التناص العام والذي ينزع فيها الشاعر إلى اعتماد طريقة محاكاة النص الغائب وقلب الدلالة ليتناسب مع الموضوع رغبة منه في احداث المفارقة، فضلا عن رغبته الحقيقية في عرض صور اجتماعية بطابع درامي بغية الكشف عن طبيعة المجتمع والمواضعات السياسية التي

تحكمه،وقد انتهت الدراسة بالخاتمة وأبرز نتائج الدراسة إضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

النص بين الحضور والغياب:

إن تعدد زوايا النظر الجمالية الكامنة في النص الادبي هو في حقيقة الامر إثراء له وزيادة للقيمة الفنية للتجارب الابداعية التي تضمنتها تلك النصوص ، ولعل من أبرز القضايا التي أُثيرت حول الشعر قديمه وحديثه هو قضية النص الغائب ومديات ظهوره وتجلياته في التجربة الشعرية المكتوبة، وهذه القضية قائمة في أساسها على متلازمة ثنائية أبدية الا وهي الحضور والغياب ودورها في تشكيل الوعي الانساني وإنتاج اللحظة الابداعية في مجالات الحياة المختلفة ،فضلا عن ما تجسده في الحقيقة جوهر العلاقات الشكلية التي تحكم طبيعة الاشياء في اللغات وقاعدتها الرئيسة في توليد المعنى وتحقيق التواصل اللغوي المنشود.

والمتلقي يجد في بنية النص الادبي مساحات واسعة وهو يقوم بنقل التجربة السابقة بدقة إلى الأجيال المتعاقبة ، وفي ضوء ذلك يتم ارتباط المتلقي بما حمل النّص في مساحاته من نصوص ، لينفتح على المتلقي بما يساعده على تصوره تصوراً دقيقاً ليقبل على قراءته الأولى قراءة تقرّبه من مستوياته الفنية وقيمه الجمالية التي يحملها القارئ في ذهنه ... وتصبح العناصر الفنية والحصيلة اللغوية والفكرية والاجتماعية... أجزاء كامنة في النص .

هذا ما حاولت الكشف عنه الناقدة الفرنسية (جوليا كرستيفا) الى: (أن كل نص عبارة عن – لوحة فسيفسائية – من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى)[١]، وتصف (كرستيفا) التناص بأنه : (قانون جوهري، إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي)[٢].

وتبعاً لذلك فالنص في نظر (كرستيفا): (مصدر لارتداد الإشعاع وانعكاسه فهو بمثابة العدسة المقعرة، لمعاني ودلالات معقدة)[٣].

يحيل النص نفسه في كل مرة يخضع فيها للفحص والتدقيق على أنه مجموع من الدلالات النصية المتداخلة والمعقدة كما تقول (كرستيفا) وهي بنية قائمة بنفسها ومكتفية بذاتها عند انتاجه كعمل أدبي مكتمل الى المتلقي .

وهذا المعنى أكده الناقد الدكتور محمد مفتاح بقوله ((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة))[٤] . وقد عرض د. مفتاح لمفاهيم التناص اعتماداً على آراء كرستيفا وريفاتير وجنيت . وعلى الرغم من حتمية التناص[٥] وضرورته للشاعر إلا إنه يؤكد بأنه ظاهرة لغوية تحتاج الى الكثير من الضبط والتقنين وتعتمد بشكل أساس على القارئ المثقف[٦] .

هذه التداخلات النصية الكامنة في العمل الأدبي عند لحظة الإبداع ستشترك في تأسيسها جهتان رئيستان هي المتلقي والنص حيث ستسهم في أنتاج حقل دلالي جديد يمتاز بالتفاعلية والتجدد وسط مجموعة من القراءات التي لابدّ أن يميل المتلقي مع إحداها حيث يعتقد أنها ستعلي من شأن جمالية النص وتطرح بصورة حتمية قيمة العمل الفني المنشود.

بناء على ما تقدم من توضيح لطبيعية التداخلات النصية وأثرها في تشكيل التجربة الشعرية وبيان أبعادها الجمالية والتأثيرية ، فأننا بصدد الكشف عن جماليات النص الغائب في قصائد شاعر كبير يتمتع بمكانة مرموقة في الشعر العربي، إذ تتوالى الدراسات النقدية حول شعره، وتتجدد لعمق محتواه، وغنى شخصيته، وتعدد عطاءاته ألا وهو الشاعر أحمد مطر . وأي قراءة سريعة لأعمال الشاعر أحمد مطر ستجد أنها تعج بالكثير من التداخلات النصية والمعرفية بين نصوص خارجية وداخلية خلقت حيزا معرفيا ودلاليا خاصا استطاع من خلاله الشاعر تحويل المعاناة الإنسانية في ظل الأنظمة القمعية إلى قيمة تعبيرية انفعالية تستهدف تحريك بواطن المتلقي وتثيره وجدانيا وعمليا للتمرد على الواقع الأليم ، وقد ظهر عبر مستويين تعبيرين هما:

التناص المقيد بالذات الشعرية:

ونعني به أن يتناص الشاعر مع نفسه « نصوصه » السابقة، فثمة نصوص استهوت الشاعر من حيث المضمون والتشكيل والنسج فراح يعيد إنتاجها من جديد[٧] ، ومن أمثال هذا النوع من التناص ما نراه في قصيدة « حكاية عباس » التي أعجب بها الشاعر فأعاد إنتاجها من جديد في قصيدتين أخريين « عباس يستخدم تكتيكاً جديداً » و « عباس فوق العادة »، يقول الشاعر في نصه الأول :

« عبّاُس » وَراء المِتراسْ

يَقِظُ .. مُنْتبه .. حَسَاسْ

منذ سنين الفتحِ .. يُلمِّع سَيفهْ

ويلمِّع شَارَبه أَيضاً ..

منتظراً .. مُحتضِناً دُفَّهْ !

**

عَبَر اللصُّ إليهِ .. وَحَلَّ ببيتِهْ

أصبَحَ ضيفَهْ

قدَّم عبّاس لهُ القهوهْ

ومضى بصقل سيفهْ

**

صرخَتْ زوجتُه : عَباسْ

أَبناؤكَ قتلى .. عَباسْ

ضيفُكَ رَاودني عَباسْ

قُم أنقذني يا عَباسْ

عبّأُس وَراءَ المِتراسْ

مُنتبِهٌ .. لم يسمَعْ شيئاً

زوجَتُه تغتابُ الناس !

**

صرخَتْ زوجتُه : عَباسْ

الضيفُ سيسرقُ نعجَتنا .

عبَاس اليَقِظُ الحسّاسْ

قلّبَ أوراق القرطاسْ

ضَرَب الأَخماس لأَسداسْ :

أرسَل برقيةَ تهديدْ !

**

- فلمن تصقُل سيفك يا عبّاسُ !
- لوقتِ الشِّدهْ !
- أصقلْ سيفَكَ يا عَباسْ ![٨]

وفي نصه الثاني يعود إلى « حكاية عباس » ناسجاً مشهداً آخر بنفس الفكاهة والسخرية :

بعد انتهاء الجولَة المُظفَرَهْ

« عبّاسُ » شدّ المِخْضَرَهْ

وَدَسَّ فيها خِنْجَرهْ .

وأعلن استعدادَهُ للجولةِ المُنتظَرهْ

**

اللصُّ دَقّ بابَهُ ..

« عبّاسُ » لم يفتحْ له .

اللصُّ أبدى ضجَرَهْ ..

« عبّاسُ » لم يُصغ له .

اللصُّ هَدَّ بابَهُ

وعابَهُ

واقتحمَ البيتَ بغيرِ رخصةٍ

وانتهرَهْ :

– يا ثورُ .. أينَ البَقَرهْ ؟

« عبّاسُ » دَسَّ كَفَّهُ في المِخْصَرَهْ

واستلَّ مِنها خِنجَرَهْ

وصاحَ في شَجاعةٍ :

– في الغرفةِ المجاورَهْ !

**

اللصُّ خَطَّ حَوْلَهُ دائِرةً

وأنذرَهْ :

– إيّاكَ أن تجتازَ هذي الدائرهْ .

**

عَلا خُوارُ البَقَرهْ .

خَفَّ خُوارُ البَقَرهْ .

خارَ خُوارُ البَقَرهْ .

واللصُّ قامَ بعدما

قضى لديها وَطرهْ

ثُمَّ مضى

وصوتُ « عبّاس » يُدوّي خَلْفَهُ

فلتسْقطِ المؤامَرَهْ

فلتسقطِ المؤامَرَهْ

فلتسقطِ المؤامَرَهْ !

– عبّاسُ .. والخِنجرُ ما حاجتُه ؟ !

– للمعضلاتِ القاهِرَهْ .

– وغارةُ اللصّ ؟ !

قطعتُ دابرَهْ

جعلتُ منهُ مَسْخرَهْ !

انظرْ ...

لقد غافَلْتُهُ

واجتزتُ خطّ الدائِرهْ ![٩]

والشاعر يعود في نص ثالث « لحكاية عباس » الذي هو رمز للحاكم ليزج به في فصل ثالث من المسرحية الساخرة :

في حَمْلةِ الإبادةْ

(عَبَّاسُ) كان كُتلَةٌ مِنْ قُوَّة الإرادَةْ :

هَدَّ الخُصومُ بَيْتَه

واغتَصَبوا زَوجَتَه

وأعْدَموا أولادَهْ .

لمْ يَكسِروا عِنادَهْ .

قالَ لَهُمْ :

لي زَوجَةٌ ثانِيةٌ ولأَدَةْ ![١٠]

.. ..الخ

في النصوص الثلاثة السابقة يتمحور الشاعر حول موضوع إنساني مركزي وهو امتهان الكرامة الانسانية المقهورة دائما، وفقدان الرجولة في المواقف الكبيرة التي يتطلب حضورها على مستوى الفعل والقول، وهذه الفكرة غالبا مايركز عليها الشاعر ويعمل على تضخيمها بغية إثارة المفارقة وتشكيل موقف حسي وإدراكي يتبنى الرد والمجابهة وتحريك الغاية نحو هدف أسمى يحقق قدرا كبيرا من الانتصار للذات والأمة ، حاولت النصوص السابقة عبر تقنية النص الغائب أن تجسد هذه الحقيقة من خلال حوار درامي ينتمي في كليته الى عالم الشاعر وتجلياته، فالموضوع والقصائد الثلاث هي من عالم الشاعر الخاص انماز فيها الى حشد صور وأفكار متناقضة ومرتبكة ترسم مشاهد سريعة لحالة الخذلان والتقهقر أمام الملمات وفي الوقت نفسه يرسم مشاهد أخرى فيها تصعيد كبير نحو حللحة الحبكة وتفكيك ذروتها، الا أن الشاعر وبإسلوبه الخاص يرسم النهايات التي طالما كان يتوقعها ويفاجئ فيها القارئ حيث الاحباط وفقدان الامل في إحداث التغيير.

كما أننا نلمح في نصوص الشاعر من خلال التمحور حول فكرة ما وإعادة النظم الشعري فيها، نجد ذلك جلياً وواضحاً في هيمنة الزمن على إحساس الشاعر، فتكون الساعة ورقاصها وأميالها هي التعبير المتجسد من ذلك الشعور، فثمة نصوصٌ عدة تصور ذلك وهي : « رقاص الساعة » و« الساعة » و« لبان » و« الخاسر » و« رقاص » يقول الشاعر في نصه الأول :

منذُ سِنينْ
يترنَّحُ « رقَّاصُ الساعَهْ »
يضرِبُ هامتَه بيسارٍ
يضرِبُ هامتَه بيمينْ
والمِسكينْ
لا أَحَدٌ يُسْكِت أَوجاعَهْ

**

لو يُدرِكُ رَقَّاصُ الساعَهْ
أَنَّ الباعَهْ
يعتقدونَ بأنَّ الدمعَ رنينْ
وبأنَّ استمرارَ الرقصِ دليلُ الطاعَهْ

لتوقَّفَ في أول ساعَهْ

عن تطويل زمانِ البؤسِ

وكشَّفَ عن سكّينْ !

**

يا رقَّاصَ الساعَهْ

دَعْنا نقلب تاريخَ الأوقاتِ بهذي القاعَهْ

ونُدجّن عَصْرَ التدجينْ

ونؤكد إفلاسَ الباعَهْ

**

قفْ .. وتأمّلْ وضْعَكَ ساعَهْ

لا ترقصْ ..

قتلتك الطاعهْ

يا رقَّاصَ الساعَهْ !(١١)

المتأمل لحركة رقاص الساعة والدينامية الثابتة التي تدور حول فلكها تشبه الى حد قريب عمل المواطن اليائس المسكين في بلاد الظلم والطغيان، فهو يجيء ويروح إلى عمله حاملاً أوجاعه ومأساته التي لاحد لها في نظام زمني ثابت ومحدد، منتظراً في الوقت نفسه من يسأل عنه او يسمع له، ولكن لا جدوى من الانتظار.. لأنه ببساطة شديدة لا يكترث أي أحد لمظاهر الألم والشقاء التي يرونها أمامهم بل يعدونها نعمة وعطاء ودليل الانقياد والطاعة ، واستجابة لتأجج العلاقة العاطفية والانسانية بصورتها المتناقضة بين الظالم والمظلوم تأتي المفارقة الشعرية المؤلمة لتحقق قدرا من الانتصار للذات وتخفيف معاناتها يرفض الشاعر استمرار الزمن ويدعو رقاص الساعة (المواطن البائس) الى وقفة جادة ومراجعة للذات تحفظ له قدرا من إنسانيته وجدوى وجوده.

وفي نصه الثاني يلح على فكرة الزمن المتجسد رمزياً بالساعة، ويصور حال الساعة ووضعها الذي هو زماننا الذي نحياه وواقعنا المحاصر المقموع :

دائرةٌ ضَيِّقةٌ ،

وهاربٌ مُدانْ

أَمامَهُ وَخَلْفَهُ يركضُ مُخبرانْ .

هذا هو الزمانْ !(١٢)

ونتيجة لتكاثف وعيه بالزمن يأتي نصه الثالث الذي يتناص مع سابقيه ليصور تلاشي العمر ولا جدوى في غمرة الزمن الطاحن الذي يعلكنا وعلى هذا النحو :

ماذا نَملِكُ

مِن لَحظاتِ العُمْرِ المُضحكْ ؟

ماذا نَملِكْ ؟

العُمْرُ لُبانٌ في حَلْقِ الساعةِ

والساعةُ غانِيةٌ تَعلِكْ .

تِكْ .. تِكْ

تِكْ .. تِكْ

تِكْ

تِكْ !(١٣)

وتبقى فكرة الزمن تهيمن على الشاعر، فيلتقط في كل مرة مشهداً يجسد وضعها ووضع العالم من حولها، يقول في نصه الرابع :

عِندما يَلتحمُ العَقربُ بالعقربِ

لا تُقْتَلُ إلاّ اللحظاتْ .

كم أَقاما من حروبٍ

ثم قاما، دونما جُرحٍ ،

وَجَيشُ الوقتِ ماتْ !(١٤)

وفي نصه الخامس يأتي متناصاً مع القصائد آنفة الذكر، يقول :

يَخفِقُ « الرقّاصُ » صُبحاً ومَساءْ .

ويَظُنُّ البُسطاءْ

أَنّهُ يرقصُ !

لا يا هؤلاءْ .

هو مشنوقٌ

ولا يدري بما يفعلُهُ فيهِ الهواءْ !(١٥)

المتأمل للنصوص الثلاثة السابقة يجد أنها ترتكز على قضية محورية واحدة الا وهي أثر الزمن في حياة الانسان المقهور ودوره في إطالة أمد المعاناة والعذابات التي يعايشها في كنفه، حيث يتناص الشاعر معها بكيفيات متعددة ترصد جوانب مختلفة من الحياة اليومية التي يعيشها المواطن في ظل الانظمة القمعية، أما من الناحية النقدية فأن القصائد الثلاث لا تقدم جديدا على المستوى التوظيفي للتناص بوصفه قيمة دلالية ومعرفية تثري النص فنيا وتوسع أبعاده التأثيرية والجمالية، فضلا عن كونها تدور حول فكرة واحدة تحملها نصوص متعددة بألفاظ مختلفة، وهذا الفعل التوليدي للمعنى ذاته، يمثل في الحقيقة تكرارا غير منتج إذ لا تتوفر فيه شروط التناص الخارجي الذي يوظفه الشاعر من نصوص لشعراء آخرين أو داخلي مع تعدد الافكار واختلاف مضامينها مما أنتج ضعفا شعوريا ودلاليا على مستوى أفق التلقي للنص الشعري، وهذا ما جسدته حركة الرقاص في النصوص الثلاثة، ظاهريا ترسم مشاهد الحركة وأثر الزمن لحال المواطن البائس الا أنها في حقيقتها المخفية ترمز الى موته وانقطاعه عن الحياة بسبب سطوة الزمن القاهر المتمثل بالحاكم المستبد ، وهذه هي الفكرة الاساس التي سيطرت على النصوص الثلاثة.

٢– التناص العام :

القارئ لعموم النتاج الفني الإنساني بكل أبعاده الفنية والابداعية من شعر وسينما موسيقى سيجد حتما أن هناك تداخلا فطريا بين تلك الفنون، وان الحدود التي تفصل المساحات بين فن وآخر تكاد تكون شبه معدومة لما تحكمها من علاقات التبادل والتواشج الحاصلة في بنيتها الفنية وطبيعتها التعبيرية والجمالية (١٦) .(إن ما تقدمه الممارسة الفنية من دلائل على التعالق والانفتاح لا يمكن إلا أن يحطم ذلك الانطباع السائد عن نقاد النوع الفني وأن يخلخل نموذجيته المحددة وهويته الخاصة يصح أن ينتج تلاقح الفنون أنماطاً من التهجين الاستيتيقي وأنماطاً من التناص)(١٧)، فالتناص هنا هو التناص العام المحكوم بقواعد واشتراطات المصطلح النقدي ، ومن التناص العام التناص مع فن القصة ، ففي قصيدة « أحزان أصيلة » عناصر بناء فنية تتشكل بواسطة وسائل عدة تجعل من هذا النص الشعري قصة لها هيكلها العام، يبدأ النص بالاستهلال الذي تم فيه وصف المكان، ووصف بواطن الشخصيات والزمن الذي يحيطهما :

النُّزْلُ يَغْرقُ في القَتَامِ ..

فَلَندنٌ لَيلٌ

وموجُ الليلِ يُغرقُ لَندنا

لَيْلان يقتحمان في أعماقِنا

ليلاً طَويلاً مُزْمِناً !

وبِقُربنا

جلَسَتْ تُغالِبُ نومَها .. شَمسٌ

وتنضحُ بالسَنا

من حَولِنا

وتُمِدُّنا

بصُراخِ أهدابٍ

يُتَرجمُ صَمْتَها بِسُعارنا

- مِنْ أيْنَ يا أُختاهُ ؟
- me ؟
- you .. أنتِ .
- كيفَ عرفتَ أنّي مَرأةٌ عربيّةٌ ؟ !
- الحُزنُ يا أُختاهُ يكشِفُ ما انثنى .

الحزنُ حَبلٌ من لحاءِ النارِ

يَربطُ بيننا .

فالحُزنُ يا أُختاهُ

لا ينمو بغيرِ بلادنا !

مِنْ أيّ قُطْرٍ ؟

- مغربيّهْ ؟
- مَنْ أنتِ ؟
- إنّي آدميّه .
- أدري ..

فلا ترضى البهائِمُ أن تكون كجِنسِنا

أو أنْ تَعيشَ حياتَنا

أو أن تُفَكِّرَ مَرَّةً

في الإنحطاط لمستوى حُكّامِنا !

– تعني ، إذَنْ ، ما اسمي ؟

– نَعَمْ .

– بشهادةِ الميلادِ مكتوبٌ « أصيلَهْ »

وأصيلةٌ حَقاً أنا .

– أُختاه ..

ماذا تفعلينَ ، إذَنْ ، هُنا ؟ !

– لا شيء ... أرتكِبُ الزِّنى !

– أتفارقين بلادَنا

لتُهدِّمي شَرَفَ العروبةِ

في بلادِ عَدوِّنا ؟ !

– إنّي أُهَدِّمُهُ

لأبنيَ في بلادي ، من حجارةِ عِفَّتي ،

بيتاً لنا .

وَبَكَتْ ...

فَسالَ الكُحْلُ في الدمعاتِ .. ليلاً رابعاً

فأذابَنا

وأسالنا . (١٨)

.. ..إلخ

فثمة حدث يتصاعد ويتوتر، وثمة حوار يتطور بين الراوي الشاهد وبين المرأة العربية المغتربة في لندن، وهكذا تبدأ القصيدة بمشهد وصفي للزمان والمكان والأشخاص، ومن ثم يجري الحوار ويتخلق الحدث ثم تتشكل الحبكة وتصل إلى الذروة التي تتصاعد إليها الأحداث، وتتطور نحوها الشخصيات. وكثيراً ما يتناص الشاعر وفن القص عن طريق الحكاية على لسان الحيوانات، كما في قصيدته « الثور والحظيرة » التي يقول فيها :

الثورُ فَرَّ من حَظيرةِ البَقَرْ .

الثورُ فَرْ .

فَثارت العجولُ في الحَظيرةْ

تَبْكي فِرارَ قائدِ المسيرةْ .

وَشُكِّلتْ على الأَثرْ

مَحكمةٌ .. ومؤتمرْ .

فَقائلٌ قالَ : قَضاءٌ وقَدَرْ .

وقائلٌ : لقد كَفَرْ .

وقائلٌ : إلى سَقَرْ .

وبعضُهم قالَ : امنَحوهُ فرصةً أخيرةْ

لعلَّه يعودُ للحظيرةْ .

وفي ختام المؤتمرْ

تقاسموا مَربِطَهُ .. وَجَمَّدوا شَعيرَهْ .

**

وبعدَ عامٍ ، وَقَعَتْ حادثةٌ مثيرةْ .

لمْ يَرجعِ الثورُ

ولكنْ

ذَهَبَتْ وراءَهُ الحظيرةْ !(١٩)

فالشخوص بظلالها الرمزية تطل واضحة من وراء النص، والأفعال تتوالى لتشكل تتابع الحدث، حيث تبرز المشكلة منذ البداية في لمحة خاطفة تجذب المتلقي إلى ملاحقتها وتتبعها حتى يصل إلى الحل، وينجح الشاعر في استخدام وتوظيف التكنيك القصصي، وتبدو المشكلة بوضوح عند محاولة بلورة موقف واضح تجاه خيانة الثور، وتتصاعد الأحداث حتى تصل إلى الذروة فموقف العجول الرافض الثائر لا يتناسب مع النتيجة التي يصلون إليها فيما قبل النهاية، لكن ذلك لا يعد خللاً في مستوى القص إذ الشاعر يلقي بالمتلقي من الذروة إلى الهاوية، ليفاجأ بموقف العجول الحقيقي المتناص مع قرارهم بتقاسم المربط وتجميد الشعير !

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن قصيدة « الثور والحظيرة » آنفة الذكر ترمز إلى قضية السلام مع « الكيان الصهيوني» إذ الثور الخائن الفار من الحظيرة هو (السادات) أول من وقع

اتفاقية ومعاهدة مع الكيان الصهيوني، فثارت ضجة عربية كبرى وقتها وقررت الدول العربية قاطبة مقاطعة مصر ورمي السادات بالمروق والخيانة ولكن في النهاية ذهبت كل الدول لتبارك هذا السلام. والشاعر وهو يلجأ إلى الترميز عن طريق التناص مع الحكاية الجارية على لسان الحيوانات إنما يمنح نصه دفقاً تهكمياً ساخراً يلفت المتلقي ويؤثر فيه.

إن أسلوب القص على لسان الحيوانات بوصفه موضوعاً برز عند الشعوب، في معظم الأحيان، تعبيراً عن الكبت السياسي وعن ظروف قمع الكلمة(٢٠) يدفع بالشاعر للتناص معه مع اختلاف التوظيف والأداء، ففي تلك الشعوب كان يلجأ إلى هذا اللون من الكتاب بغية المخاتلة والتخفي وراء الحيوانات كقناع خضوعاً لمأزق المواجهة والوجود(٢١)، أما الشاعر (أحمد مطر) فتوظيفه لهذا اللون ليس مخاتلة وتخفياً وأقنعة يختبئ وراءها بل من أجل التشهير والتجريح والنكاية اللاذعة، وهو يجترح هذا الأسلوب ويتناص معه في كثير من قصائده، نكتفي هنا بنموذج آخر في قصيدته « وصايا البغل المستنير » :

قالَ بَغْلٌ مُسْتَنيرٌ واعِظاً بَغْلاً فَتِيّا :

يا فَتى إصْغِ إلَيّا ..

إنَّما كانَ أَبوكَ امْرأَ سَوْءٍ

وكَذا أُمُّكَ قد كانتْ بَغِيّا .

أنتَ بَغْلٌ

يا فَتى .. والبَغْلُ نَغْلٌ

فَاحْذَرِ الظَنَّ بأنَّ اللهَ سَوَّاكَ نَبيّا .

يا فَتى .. أنتَ غبيٌّ .

حِكمةُ اللهِ ، لأمرٍ ما ، أرادَتْكَ غَبيّا

فاقبل النُّصْحَ

تَكُنْ بالنُّصْحِ مَرضِيّاً رَضِيّا

أنتَ إنْ لَمْ تَستَفِدْ مِنْهُ فَلن تَخسر شيّا .

يا فَتى .. مِن أَجْلِ أن تحمِلَ أَثقال الوَرى

صَيَّرَكَ اللهُ قَوِيّاً .

يا فَتى .. فاحْمِلْ لَهُمْ أَثقالَهُمْ ما دُمتَ حَيّا

واستَعِذْ مِنْ عُقْدَةِ النَّقْصِ

فلا تَركِلْ ضَعيفاً حِين تَلْقاُه ذكِيّا .

يا فَتى .. إحْفَظْ وَصاياي

تَعِشْ بَغْلاً ،

وإلاّ ..

رُبَّما يَمسَخُكَ اللهُ .. رَئيساً عرَبيّاً !(٢٢)

وعلى الرغم من تناص الشاعر مع فن الحكاية على لسان الحيوانات، فهو في هذا النص يتناص أيضاً تناصاً حوارياً مع آيات القرآن الكريم، وتحديداً سورة مريم، هذا التكاثف التناصي يخلق توتراً شعرياً بفعل الانزياح الدلالي على صعيد التناص الحكائي والتناص الحواري مع النص القرآني يمنح النص الحاضر طاقة أكبر من السخرية والتهكم.

الخاتمة

- أكسبت البنية التناصية بعدا فكريا وفنيا لقصائد الشاعر احمد مطر عبر تقنيتي التناص الذاتي والعام إذ استطاعت أن ترسم قدرا كبيرا من طبيعة الصراع وحجم التحديات التي تمور في عالم الشاعر وقدرتها في المواجهة وإحداث التغيير.
- اعتمد الشاعر طريقة القص في محاكاة النص الغائب وقلب الدلالة ليتناسب مع الموضوع رغبة منه في احداث المفارقة، فضلا عن رغبته الحقيقية في عرض صور اجتماعية بطابع درامي بغية الكشف عن طبيعة المجتمع والمواضعات السياسية التي تحكمه.
- غالبا ما يلجأ الشاعر الى تكرار واجترار ومحاورة النصوص الغائبة لأسباب نفسية وفنية خاصة، إذ مثلت النصوص الشعرية في حقل التناص الذاتي تحديدا تكرارا غير منتج ، لا تتوفر فيه شروط التناص الخارجي الذي يوظفه الشاعر من نصوص لشعراء آخرين أو داخلي مع تعدد الافكار واختلاف مضامينها مما أنتج ضعفا شعوريا ودلاليا على مستوى أفق التلقي للنص الشعري. ولعل السبب في ذلك أن الحدث الشعري نابع من ذات الشاعر ويدور حول فلكها المثقل بهموم الذات وعذاباتها، وقد استطاعت تقنية التناص أن تؤدي دورا بارزا في نقل هذا الصراع إلى حيز التعبير فضلا عن تجسيدها لأبعاد المحتوى الدلالي للنص الشعري .

الهوامش

[١]- علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الاولى، ١٩٩١، ص٣٢٢

[٢]- المصدر نفسه، ص٧٩ .

[٣]- مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، مارك أنجينو ، ص ١١٣ .

٤-ينظر: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح : ١٣١.

٥- المصدر نفسه: ١٢٢

٦-المصدر نفسه: ١٢٤

[٧]- ينظر: التناص في شعر الرواد ، احمد ناهم ، ص٦٤.

[٨]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص١٥ – ١٦ .

[٩]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص١٦٦ – ١٦٨ .

[١٠]- المصدر نفسه ، ص٣٧٢ .

[١١]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص١٧ – ١٨ .

[١٢]- المصدر نفسه ، ص٤٩١ .

[١٣]- المصدر نفسه ، ص٤٩١ – ٤٩٢ .

[١٤]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٤٩٢ .

[١٥]- المصدر نفسه ، ص٤٩٣ .

[١٦]- ينظر : مكانة الشعر في الثقافة العربية ، خلدون الشمعة وآخرون ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨م ، ص٨٨ . نقلا عن : التناص في شعر الرواد ، احمد ناهم ، ص١٠٥ .

[١٧]- المصدر نفسه ، ص٨٨ . نقلا عن : التناص في شعر الرواد ، احمد ناهم ، ص١٠٥ .

[١٨]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

[١٩]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٢١ .

[٢٠]- ينظر : الأنواع الأدبية ، مذاهب ومدارس ، شفيق البقاعي ، بيروت ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، ص٤١٤ .

[٢١]- ينظر : الأقنعة بوصفها حلولاً ، لؤي حمزة عباس ، مجلة أبسو الإلكترونية ، موقعها على الإنترنت : www.absso.com

[٢٢]- الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٣٠١ .

المصادر:

١.الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد مطر ، لندن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ .
٢.الأقنعة بوصفها حلولاً ، لؤي حمزة عباس ، مجلة أبسو الإلكترونية ، موقعها على الإنترنت : www.absso.com
٣.الأنواع الأدبية ، مذاهب ومدارس ، شفيق البقاعي ، بيروت ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ،.
٤.تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٥.
٥.التناص في شعر الرواد ، أحمد ناهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ٢٠٠٤ .
٦.علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الاولى، ١٩٩١
٧.مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، مارك أنجينو ،د.ت
٨.مكانة الشعر في الثقافة العربية ، خلدون الشمعة وآخرون ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨م .

التشابه والاختلاف بين اللغتين الفارسية والعربية والصعوبات التي تواجه المترجمين في تحويل المفردات العربية في اللغة الفارسية

م. م. عبدالهادي معتوق سلطان

مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ جامعة البصرة

الملخص

بعد الفتح الاسلامي لبلاد فارس ، ودخول الفرس أفواجاً في الدين الجديد ، استخدم الإيرانيون اللغة العربية في مراسلاتهم وتواصلهم ، مع إيلاء اهتمام خاص لتركيب ومحتوى اللغة العربية كلغة القرآن ولغة الأمة المسلمة. ومع ذلك ، فإن اهتمام الإيرانيين باللغة العربية لم يمنع من انتشار اللغة الفارسية ، ولكن بقدر ما كان الإيرانيون مرتبطين ثقافيًا بتعاليم الإسلام ، فإن اللغة الفارسية واللغة العربية كان لهما أيضاً العديد من القواسم والروابط المشتركة تم تداولها وأسهمت فيما بينها لإكمال مراحل تطورهما . ومن الناحية العلمية ، إذا تم فحص هذه الروابط المشتركة ، فهناك العديد من النقاط الغامضة في النظام اللغوي والنحوي يقضي على اللغتين .

إن الإيمان العميق والميل نحو الإسلام دفع الإيرانيين إلى عدم اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية وعدم اتخاذ موقف دفاعي ضد إدخال الكلمات العربية وخاصة الكلمات ذات الهوية الدينية. وبالتالي ، دخلت الكلمات العربية بسهولة إلى اللغة الفارسية وخضعت لتغيير دلالي بسبب تاريخها الطويل في هذه اللغة. هذا يشكل تحدياً كبيراً للمترجمين. ما إذا كانت هذه الكلمة العربية ، المستخدمة الآن باللغة الفارسية ، لها نفس المعنى في اللغة العربية. وقد انقطع الاتصال بين الإيرانيين والعرب في بعض الأحيان أو تضاءل لفترة ، وأعيد تشكيله وتكثيفه. وتسبب عدم الاستقرار هذا في نسيان بعض الكلمات العربية التي دخلت اللغة الفارسية والتخلي عنها ، وأخرى غيرت معناها ، مما خلق صعوبات في الترجمة من العربية إلى الفارسية للمترجمين.

المقدمة

إن العلاقة بين اللغتين العربية والفارسية قديمة، قدم مجاورة بلاد العجم لبلاد العرب. وقد بلغت هذه العلاقة منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد فارس و امتزجت الثقافتان العربية والفارسية وتكونت منها ثقافة إسلامية واحدة. بعد دخول إيران في الدين الإسلامي والتداخل الحضاري الكبير الذي حدث بين الحضارتين العربية الاسلامية والحضارة الفارسية، أدى ذلك إلى كسر الحدود بين هاتين الحضارتين، مما دعا الى التأثير المتبادل بين لغتيهما. تعد اللغة الفارسية من لغات العالم الإسلامي التي أثرت بشكل كبير على صورة الحضارة الاسلامية وما زالت كذلك لما أفرزته إيران من علماء في مختلف مجالات الحضارة. انّ التواصل العربي الايراني ضرورة من ضرورات النهضة الشاملة، وكان رواد النهضة العربية مهتمين باللغة الفارسية وآدابها وتراثها، ذلك لانهم ادركوا ضرورة التواصل الشرقي– الشرقي في هذه النهضة اعمق الاشتراك في الجذور والفروع.

بين العالم العربي وايران علاقات وثيقة وهذه العلاقات الواسعة تتطلب ازالة الحاجز اللغوي. الادب الفارسي بشعرائه الكبار، له مكانة عظيمة في الآداب العالمية. اهتم الغرب بترجمة دواوين الشعراء الايرانيين وشرحها ودراسة تأثيرها في الآداب الاخرى، وجدير بالعربي أن يطلع على هذه الكنوز التي تشكل جزء من حضارته الغنية .. جاء بحثنا هذا للتعريف بالجذور التاريخية للغة الفارسية والعربية ولبيان مدى تأثر كلا اللغتين ببعضهما وبالحضارة الإسلامية .

١. خلفية البحث

هناك القليل من الأبحاث والمقالات حول التطور الدلالي للكلمات العربية بالفارسية ، مثل الكتاب العربي بالفارسية لخسرو فرشيدفارد (٢٠٠٢) ومقال "طبيعة ونتائج التطور الدلالي للكلمات العربية بالفارسية" لإدريس أميني وشهريار نيازي (٢٠١٥). لقد أولى فارشيدفارد مزيدًا من الاهتمام للتغيير الصوتي لهذه الكلمات ولم يعر اهتمامًا كبيرًا لتطورها الدلالي. ومع ذلك ، لا تحتاج المقالة المشتركة إلى معالجة هذه المشكلة بالتفصيل .

٢. أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة للإجابة على هذه الأسئلة:

أ) الكلمات العربية بالفارسية مقسمة إلى عدة مجموعات وما الفرق بينها؟

ب) ما هو التحدي الذي تشكله الكلمات العربية الحديثة باللغة الفارسية للمترجمين وما هو السبيل للخروج منهم؟

ج) ما هي أسباب وجذور التغيير الدلالي للكلمات العربية بالفارسية؟

٣. فرضية البحث

خضعت بعض الكلمات العربية في الفارسية لعملية تطور دلالي لأسباب مختلفة ، بما في ذلك الدين والتطورات الاجتماعية والانفصال الثقافي ، ومعناها ومفهومها مختلفان في اللغة العربية والفارسية. تشكل هذه الكلمات تحديًا مهمًا للمترجمين من العربية إلى الفارسية ، وعدم إلمام المترجم بهذه التغييرات والاختلافات الدلالية يؤدي إلى سوء فهم معنى النص الأصلي والغرض منه.

٤ – الهدف من البحث : **تسهيل الصعوبات التي يواجهها المترجمون ، ومنع الأخطاء في الحصول على المعنى الصحيح للكلمات المحولة.**

٥ – هيكلية البحث :

قسمنا البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث واستنتاج فضلاً عن هوامش ومصادر البحث ، وكانت عناوين المباحث كالآتي مباحث :

المبحث الأول : الاختلاف والتشابه بين اللغتين العربية والفارسية

المبحث الثاني : التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والفارسية

المبحث الثالث : عملية التطور الدلالي للكلمات العربية في الفارسية وأسبابها

المبحث الأول

تأريخ اللغتان العربية والفارسية

تاريخ اللغة الفارسية القديمة

الفارسية القديمة هي لغة آرية مجهولة، تنسب إلى قبائل الفرس النازحة إلى إيران قبل قوروش الأكبر. أما بعد إنشاء الامبراطورية الاخمينية، اضطر الفرس إلى اعتماد اللغة الآرامية كلغة رسمية معتمدة بسبب بدائية لغتهم وبعدها عن الحضارة.

ظهر خلال الألفية الثانية ق.م في غرب إيران قومٌ يتحدثون باللغات الهندية الأوروبية، ثمَّ اختفوا. كان يتوطن غربَ إيران في الألفية الأولى ق.م عنصر الماد والفرس. ثمَّ استقر الفرس بشكل تدريجي في منطقة سُمِّيَت فيما بعد باسمهم ب" فارس". في نفس الوقت كانت مجموعة أخرى من الإيرانيين تستقر بشرق إيران.

أسَّسَ ديوكوس Deioces أواخر القرن الثامن ق.م في مدينة همدان دولة الماد التي كانت تابعة للدولة الآشورية. أسَّسَ هخامنش في پارسومش Parsumash التي تقع بالقرب من شوش أوائل القرن السابع ق.م الدولة الفارسية الإخمينية (الهخامنشية)، كانت هذه الدولة تابعة لدولة الماد. أسَّسَ هوخشتره Huwaxstra سنة ٦١٢ ق.م بعد استيلائه على نينوى عاصمة الآشوريين دولة الماد المستقلة.

انقرضت دولة الماد سنة ٥٥٠ ق.م بانتصار كوروش الفارسي على آستياگس Astyages آخر ملوك الماد، وبذلك تأسَّست دولة الإخمينيين. تزامناً مع دولة الماد في غرب إيران كانت الدولة الخوارزمية في كلٍّ من هرات ومرو تحكم شرق إيران. تمكَّن كوروش من ضمِّ هذه الدولة إلى منطقة نفوذه. وولي عهد كوروش تخوماً أخرى إلى دولته. توسعت دولة الإخمينيين زمان حكومة داريوش (من ٥٢٢ إلى ٤٨٦ ق.م) حتى وصلت إلى الحبشة ومصر وليبيا من ناحية الغرب، وإلى السِّنْد من ناحية الشرق، ومن جهة الشمال وصلت إلى بحر أورال وجبال القوقاز، ومن جهة الجنوب امتدَّتْ إلى الخليج وبحر عمان.

كانت الآرامية اللغة الرسمية لهذه المنطقة الشاسعة، أمَّا الإخمينيون فعلاوةً على لغتهم الفارسية– التي تسمى اليوم بالفارسية القديمة – استعملوا اللغات الأكدية والعيلامية واليونانية. أما الدِّين الرَّسمي لإيران في هذا العصر فكان الدِّين الزَّرَدُشْتِي . يبدو أنَّ خشايارش ا(من ٤٨٦ إلى ٤٦٥ ق.م) كان يَدين بهذا الدِّين. سقطت هذه الدولة (الإخمينية) على يد الاسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق.م.

تُسمَّى هذه المرحلة التي تمتدُّ من ١٠٠٠ سنة ق.م، وحتى سنة ٣٣١ ق.م تاريخ سقوط الدولة الإخمينية، تُسمَّى في تاريخ اللغة الفارسية بمرحلة اللغة الفارسية القديمة.

كان كتّاب العصر الإخميني يستخدمون اللغة والخط الآرامي للكتابة على الجلد والطين، ولكنهم بدؤوا على الأرجح في عهد حكم كوروش الثاني (المعروف بكوروش الكبير)، بإبداع خط مسماري خاص بالفارسية القديمة، إذ انتشر استعماله في عهد حكم داريوش الأول (٥٢٢-٤٨٦ق.م). أهم أثر وصلنا من هذه اللغة كتيبة داريوش الكبير في جبل "بيستون" الواقع شمال كرمنشاه ٣٠ كم) ، نُقِشت هذه الكتيبة على ٢٢٥ عمود من أعمدة جبل "بيستون" وبثلاث لغات هي العيلامية والأكدية والفارسية القديمة. مضمونُ هذه الكتيبة : « يقف داريوش على الطرف الأيسر، يضع رجله اليسرى على "گوماته" الملقى على صدره. يقف شخصان خلف داريوش. يقف داريوش مقابل تسعة أشخاص مُكبَّلين وقد رُبطت رقابهم إلى بعض. هؤلاء ثوارٌ كانوا قد ثاروا ضد داريوش في ولاياتٍ مختلفة. في أعلى الصورة يوجد تمثال لأهورا مزدا، وقد رفع داريوش وجهه ويده اليمنى نحوه احتراماً له» .

نُقشت الكتيبة باللغة الفارسية القديمة أسفل هذه الصورة في خمسة أعمدة : العمود الأول يحتوي على ٩٦ سطر، العمود الثاني يحتوي على ٩٨ سطر، العمود الثالث يحتوي على ٩٢ سطر، العمود الرابع يحتوي كذلك على ٩٢ سطر، أمَّا العمود الخامس فيضمُّ ٣٦ سطراً.

أمَّا الكتيبة الأكدية فقد نُقشت في عمودٍ واحدٍ على الناحية اليسرى من الصورة.

استمر وجود الكتيبات باللغة الفارسية القديمة بعد داريوش حيث وصلنا عددٌ منها عن خشايارشا (من ٤٨٦ إلى ٤٦٥ ق.م)،و عن أردشير الأول (من ٤٦٥ إلى ٤٢٤ ق.م)، وعن داريوش الثاني (من ٤٢٣ إلى ٤٠٤ ق.م)، وعن أردشير الثاني (من ٤٠٤ إلى ٣٥٩ ق.م)، وعن أردشير الثالث (من ٣٥٩ إلى ٣٣٨ ق.م).

ويُكتب الخط المسماري للفارسية القديمة- والذي استخدم في كتابات الملوك الإخمينيين فقط- من اليسار إلى اليمين. يُعتبر هذا الخط من أبسط الخطوط المسمارية، إذ يشتمل على ٣٦ علامة هجائية- أبجدية و٨ معاجم للألفاظ، وفاصلتين للألفاظ وعدد من العاملات للأعداد.

وتتألف الألواح المكتوبة المتبقية من الملوك الإخمينيين من لغة واحدة أحياناً (الفارسية القديمة)، ومن لغتين أحياناً (الفارسية القديمة والعيلامية)، وأحياناً ثلاث لغات (الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية)، ومن أربع لغات نادراً (الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية والمصرية القديمة بالخط الهيروغليفي). الأوستائية: وهي لغة الأوستا[١]، ويعدّ گاهان أقدم أجزائه، وهو أشعار منسوبة إلى

زردشت نبي إيران القديمة، والذي كان يعيش حسب رواية، في النصف الأول من الألف الأول ق.م في خوارزم. وتسمى اللهجة المستخدمة في گاهان، (يسنِ هفتها) ، والأدعية الأربعة المقدسة لدى الزردشتيين، باللهجة الگاهانية. وكُتبت الأقسام الأخرى من الأوستا باللهجة الجديدة.

ويرى الزرادشتيون استناداً إلى التقاليد القديمة، أن الأوستا كانت قد كُتبت في عصر الإخمينيين بماء الذهب على ١٢ ألف قطعة من جلد البقر؛ ولكنها زالت على أثر هجوم الاسكندر المقدوني وسقوط الإمبراطورية الإخمينية. كما يرون أن الأوستا كُتب مرة أخرى في عهد بلاش الأشكاني (من المحتمل أن يكون بلاش الأول، ٧٦–٨٠م). ثم كتبوها مرة أخرى في عهد أردشير بابكان، مؤسس السلالة الساسانية وأول ملوكها (٢٢٤–٢٤٠م). ولكن الدراسات الأخيرة تظهِر أن الأوستا كان ينتقل عبر الرواية الشفوية حتى العصر الساساني، ومن المحتمل أنه قد تمّ إبداع خط لكتابته في عهد حكم شابور الثاني (٣٠٩–٣٧٩م)، على أساس الخط الفارسي الوسيط الكتابي والخط البهلوي الزبوري يُكتب الخط الأفستائي الذي يصطلح عليه باسم «الخط الديني» من اليمين إلى اليسار ويشتمل على ٥٣ علامة أبجدية. وحسب هذا الخط يتم الفصل بين الألفاظ بنقطة.

الفارسية الوسطي (البهلوية)

الفارسية الوسطى هي أحد الأشكال المتطورة عن الفارسية القديمة تم استخدامها في عهدين : عهد الإمبراطورية البارثية Parthian Empire خلال (٢٤٨ ق.م – ٢٢٤ م) ثم في أيام الإمبراطورية الساسانية Sassanid Empire خلال (٢٢٤–٦٥١ م). غالباً ما يشار للفارسية الوسطى بتسمية (بهلوية) ، إذ كانت تكتب بكتابة تحمل نفس الاسم : كتابة بهلوية، وهو نمط كتابة مقطعي مأخوذ من الأبجدية الآرامية، فيما كانت الفارسية القديمة تستعمل الخط المسماري السومري.

خلال هذه الفترة تم تبسيط مورفولوجيا اللغة من الاقتران القواعدي Grammatical conjugation ونظام الاشتقاق declension للفارسية القديمة إلى مرفولوجيا كاملة التنظيم ونحو متماسك لتنظيم الفارسية الوسطى .

ترافقت البهلوية مع عدة لغات إيرانية و لهجات خلال المنطقة التي تنتشر فيها الشعوب الإيرانية مثل اللغة الأفستية ، السوغديانية Sogdian ، الباكتريانية Bactrian ، الخوارزمية Khwarezmian ، الساكا Saka . تأثيرات البهلوية دخلت لاحقاً في عدد من اللغات مثل العربية واللاتينية واللغة الهندية والأرمنية والجورجية وغيرها .

لكن تبقى العينات والآثار الموجودة من هذه اللغة نادرة. بعض الباحثين مثل الباحث الفارسي

تبقى بعض الآراء ترى من أن الفارسية الوسطى كانت لغة ضعيفة من ناحية المفردات والتعبير ، بعض الدراسات والبحوث التي قام بها الأوروبيون تظهر أن الفرس وقبل الفتح الاسلامي لبلادهم لم يعرفوا الأدب الرفيع، خاصة الشعر. إذ لم يتجاوز أدبهم الشعري بعض الأشعار الفولكلورية البسيطة والمعروفة باسم "الفهلويات"[٢].

الفارسية الحديثة

حين دخل الإسلام بلاد فارس كانت اللغة الإيرانية الشائعة هي اللغة البهلوية وهي من أهم اللغات الإيرانية الوسطى التي كان قد تم بها تسجيل الكثير من الآثار الزرادشتية وتعاليمها، كما تم نقل كتاب "الأوستا" إلى لغتها. وعند دخول الإسلام وامتداد الفتوحات إلى إيران، ظهر الإسلام في صورته العربية لغة وطبيعة وحكماً، فكان ذلك عاملاً في دخول اللغة العربية في صلب اللغة الفارسية الحديثة وتغلغلها فيها. ولكن تأثير الإسلام كان عميقاً في نفوس الإيرانيين وفي أفكارهم ولغتهم لأن الحضارة اليونانية وطابعها لم تستطع أن تتجاوز المظاهر والشكل والقشور من حياة الإيرانيين، أما الشريعة الإسلامية فقد تغلغلت في ذلك الحين بشكل ملحوظ في إيران "إن الحقيقة هي أن الإسلام يشيع وينتشر في أية أمة يشغل الدين منها كل فراغها ويحتل جميع نفوسها بحيث لا يبقي مجالا للتفكير في شيء آخر من الشؤون المدنية والاجتماعية غير الدين".

لقد برزت اللغة الفارسية بعد فترة من الفتح الإسلامي لإيران. وبدأت في الظهور في القرن الثاني إلى الرابع الهجري (يوجد خلاف) بعد عصر طويل من السكوت (أي عدم الكتابة بالفارسية). كما أن أول نماذج للغة الفارسية الجديدة ظهرت في القرن الرابع الهجري". وتمتاز هذه الفارسية بتأثرها الكبير باللغة العربية.

لا يرى الإيرانيون اللغة العربية كلغة أجنبية بسبب إيمانهم العميق بالإسلام ، وبالتالي لا يقاومون الكلمات العربية خاصة تلك ذات الهوية الدينية. دخلت مثل هذه الكلمات اللغة الفارسية وتغيرت معنويًا على مدى سنوات عديدة. لقد تحدت الكلمات العربية المتغيرة لغويًا في اللغة الفارسية المترجمين لدرجة أن المترجم الذي يترجم من الفارسية إلى العربية لا يمكنه التأكد مما إذا كانت الكلمة العربية المستخدمة في اللغة الفارسية لها نفس المعنى في اللغة العربية أم لا. وانتهت العلاقة بين العرب والفرس مؤقتًا أو حدثت مد وجزر. هذا عدم الاستقرار في العلاقات بين لغتين جعل بعض الكلمات العربية في اللغة الفارسية بالية وغيّرت بعضها الآخر معنويًا ، أي تغير معناها. وقد تسبب هذا في بعض الصعوبات بالنسبة للترجمة العربية – الفارسية لأن معنى بعض الكلمات العربية المستخدمة في

اللغة الفارسية يختلف تمامًا عن نفس الكلمات عند استخدامها في اللغة العربية. التغييرات في اللغة والتغييرات الدلالية للكلمات في اللغة طبيعية تمامًا. يجب أن يكون اللغويون والمترجمون فقط على دراية بهذه التغييرات. تتناول هذه الورقة ، أولاً ، التغييرات الدلالية للكلمات العربية في الفارسية. بعد ذلك ، صنف هذه الكلمات إلى عشر مجموعات وفقًا لأشكالها ومعانيها العربية ، وأخيراً معالجة التحديات التي تشكلها للمترجمين من خلال تقديم أمثلة. يجب أن يكون اللغويون والمترجمون فقط على دراية بهذه التغييرات. تتناول هذه الورقة ، أولاً ، التغييرات الدلالية للكلمات العربية في الفارسية. بعد ذلك ، صنف هذه الكلمات إلى عشر مجموعات وفقًا لأشكالها ومعانيها العربية ، وأخيراً معالجة التحديات التي تشكلها للمترجمين من خلال تقديم أمثلة. يجب أن يكون اللغويون والمترجمون فقط على دراية بهذه التغييرات. تتناول الورقة الحالية ، أولاً ، التغييرات الدلالية للكلمات العربية في الفارسية. بعد ذلك ، صنف هذه الكلمات إلى عشر مجموعات وفقًا لأشكالها ومعانيها العربية ، وأخيراً معالجة التحديات التي تشكلها للمترجمين من خلال تقديم أمثلة.

إن مصير الكلمات في البيئات اللغوية المختلفة مشابه جدًا لمصير البشر في المجتمعات البشرية. تولد المفردات وتنمو وتتطور في مجموعات لغوية مختلفة بمرور الوقت. في بعض الأحيان يتم استيراد بعض الكلمات من لغات أخرى ، وتقبل جنسية اللغة وتجد شكلًا جديدًا أو تجد معنى وهوية جديدين. في الواقع ، يتم اقتلاعهم ووضعهم في الهواء الطلق. "هذا الحدث اللغوي ، وفي الواقع ، هذا التغيير في الجنسية المعجمية"[٣] يحدث في جميع اللغات ، لكن العلاقة الوثيقة بين الفارسية والعربية أعطت شكلاً خاصًا لهوية الكلمات العربية في الفارسية. الكلمات العربية باللغة الفارسية ، غالبًا ما تتأثر بظروف وسياقات مختلفة للاستخدام ، خضعت لتغييرات دلالية على مر السنين. ومع ذلك ، يعتقد بعض العلماء أن "الكلمات العربية بالفارسية قد تأخرت في التطور الدلالي"[٤] ، ولكن هذا التغيير الدلالي ، إلى أي مدى ، موجود وملموس ؛ سواء باللغة الأصلية أو باللغة المضيفة. تمثل مشاركة الكلمات باللغتين الفارسية والعربية والاختلافات الدلالية بينهما تحديًا كبيرًا للمترجم الذي يترجم من العربية إلى الفارسية أو العكس. خلافًا للاعتقاد الشائع ، فإن وجود عدد كبير من الكلمات الشائعة باللغتين العربية والفارسية لا يسهل عمل الترجمة فحسب، بل هو أيضًا أحد العوامل التي تعقد صعوبات ترجمة العربية إلى الفارسية.

خلال فترات مختلفة ، لم يعتبر العلماء والعلماء الإيرانيون اللغة العربية لغة أجنبية بسبب إيمانهم العميق بالإسلام ولم يتخذوا موقفًا دفاعيًا ضد إدخال الكلمات العربية ، وخاصة الكلمات ذات الهوية

الدينية. هذا جعل الكلمات العربية تدخل بسهولة إلى اللغة الفارسية وحتى أنها غيرت معناها بسبب تاريخها الطويل في هذه اللغة. لقد شكل هذا التطور الدلالي للكلمات العربية بالفارسية تحديًا كبيرًا للمترجمين ، حتى أن المترجم الذي يترجم من العربية إلى الفارسية لا يعرف ما إذا كانت هذه الكلمة العربية ، التي تُستخدم حاليًا باللغة الفارسية ، لها نفس المعنى بين العرب أم لا. ليس! من خلال دراسة أعمال المترجمين من العربية إلى الفارسية على مر السنين ، يتضح أن هناك عددًا قليلاً من المترجمين الذين لم يقعوا في فخ هذا التحدي ولم يرتكبون أي خطأ.

أدى انتشار الإسلام في إيران والمكانة الرفيعة التي وجدها هذا الدين العظيم في قلوب وأرواح الإيرانيين إلى نشوء تعلم اللغة العربية ، وهي لغة الإسلام ، في هذه الأرض القديمة ، وأصبح تعلم اللغة العربية من الطقوس الدينية. توصل علماء المسلمين الإيرانيون إلى فهم دين الإسلام ، وفهم فلسفة نزول القرآن ، وانتشار الإسلام ، واستخدام كتب الشروح والروايات والأخلاق والتاريخ وغيرها من العلوم الإسلامية ، إلا بتعلم اللغة العربية وإتقانها والتأمل فيها. لن تتحقق. ومن ثم أجبروا أنفسهم وأبنائهم على تعلم هذه اللغة والتأمل في العلوم الإسلامية ، وقدموا علماء وعلماء بارزين إلى العالم الإسلامي بالكلمات والنحو والبلاغة والتأويل وغيرها من العلوم المتعلقة بالإسلام والقرآن.

واستمر هذا الارتباط بين الإيرانيين والعرب في بعض الفترات ، بشكل مستمر وفي فترات متقطعة. بعبارة أخرى ، في بعض الأحيان تتوقف هذه العلاقة أو تلاشت لبعض الوقت ، لكنها تتشكل وتكثف. تسبب عدم الاستقرار في الارتباط بين اللغتين في نسيان بعض الكلمات العربية في الفارسية والتخلي عنها ، وتغيير معاني أخرى. أي أن معناها يختلف عن معناها العربي ، مما خلق صعوبات للمترجمين من الترجمة من العربية إلى الفارسية. لأن معنى بعض الكلمات العربية التي نستخدمها حاليًا في اللغة الفارسية يختلف تمامًا عن المعنى الذي يريده العرب اليوم ؛ كلمات مثل: الجرأة ، والإغماء ، والقرار ، والوعي ، وما إلى ذلك هي تلك الكلمات التي سوف نفحصها في استمرار المقال. من المهم أن نلاحظ أن هذا التحدي مخصص فقط للمترجمين الذين يترجمون من العربية إلى الفارسية والعكس ، وهذه الميزة غير موجودة في اللغات الأخرى. إن تطور اللغة والتغيرات التي تحدث في الكلمات خلال فترات مختلفة أمر طبيعي تمامًا ، ويجب على اللغويين والمترجمين أن يكونوا على دراية بهذا التطور الدلالي.

المبحث الثاني

التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والفارسية

تأثير اللغة العربية على الفارسية:

الفارسية هي اللغة الثانية في العالم الإسلامي بعد العربية ولها أكبر ارتباط بالعربية عبر التاريخ. قبل الإسلام ، كان للإيرانيين روابط سياسية وثقافية وتجارية وحتى دينية مع العرب ، وبهذه الطريقة كان لهم تأثير عميق على الثقافة واللغة العربية. ولكن بعد الإسلام ووصول الإسلام إلى إيران ، قبل الإيرانيون لغة هذا الدين بقبولهم الدين الجديد.

وتدل الكتب التاريخية على أن الإيرانيين لم يقاوموا هذه اللغة ، فقد اعتبروها مقدسة وتعلموها ونشروها. وينطبق الشيء نفسه على اللغة الفارسية في الهند وآسيا الصغرى. شعب الهند ، الذي أسلم بعد غزو السلطان محمود غزني من قبل العلماء والعلماء الإيرانيين ، كتب ثقافات لفهم اللغة الفارسية وتعلمها. ومنها: "شرفنامه معيري" من تأليف إبراهيم قوام معيري ، وقد دونت في الأعوام ٨٤٩-٨٣٢ هـ ، وفيه تسعة آلاف كلمة فارسية..

أثرت اللغة العربية على اللغة الفارسية في أبعاد مختلفة. كان العديد من الشعراء العرب المشهورين في الأصل إيرانيين وناطقين بالفارسية ، وبلغوا مستوى الشعراء العرب في تأليف الشعر العربي. ومنهم زياد بن جابر بن عمر. يُعرف باسم زياد عجم ، ويسمى بهذا الاسم لأنه يتكلم العربية بلكنة فارسية ، وعاش في زمن الأمويين وهاجر مع فرزداغ..

إسماعيل بن يسار النسائي شاعر من سلالة الزبير ، انضم إلى عبد الملك مروان. كان دائمًا فخوراً بكونه إيرانيًا في قصائده.

وكذلك ابن ميادة ، وأبو العباس العامي الذين عاشوا في العصر الأموي ، وكانوا يتلوون الشعر في بلاطهم. منذ ذلك الحين ، أصبحت الأسماء العربية شائعة أيضًا بين الإيرانيين ، وفي بعض الحالات ، تظهر الألقاب والألقاب بأسماء إيرانية. وكان من بين كبار قراء القرآن أيضًا إيرانيون. على سبيل المثال: نافع ، أبو عمر ، علي بن حمزة المعروف باسم الكسائي. كان سيبويه أول من جمع النحو العربي بشكل مستقل. "الكتاب" هو الاسم الذي أُطلق على كتاب "تركيب سيبويه" وكُتب عليه شرح في فترات لاحقة. حدّد قيادة مدرسة البصرة باسمه.

علي بن حمزة ، من قرية سبعا وعاصر سيبويه ، كان مسؤولاً عن مدرسة الكوفة. هاتان المدرستان هما أهم مدرستين من حيث القواعد والمفردات. علماء تركيب مشهورون آخرون هم فارا وابن

سكيت من الأهواز ، وجميعهم إيرانيون.. ومنهم : أبو حاتم السجستاني من أشهر مؤلفي المعاجم العرب. وابن المقفع ، أول من ترجم كتبًا مختلفة عن تاريخ وفلسفة وآداب اللغة البهلوية إلى اللغة العربية. ويمكن ذكر شخصيات اخرى كالريحاني وابن سهل وابن مسكويه وأبو علي الأستربادي في مختلف مجالات العلوم والآداب.

شهد استخدام الكلمات العربية في اللغة الفارسية اتجاها تصاعديا بين القرنين الرابع والثامن.

" خلال حكم السامانيين (٣٨٩-٢٦١) ، كان استخدام هذه الكلمات يتراوح بين ٥ و ١٠ في المائة. "وبعد ذلك ازدادت مفردات اللغة العربية لدرجة أنه في النصف الرابع من النصف الأول من القرن الخامس الهجري ارتفع معدلها إلى ٥٠ بالمائة ، وفي النصف الثاني من القرن الخامس والسادس والسابع والثامن إلى ٨٠ بالمائة".

أدى إدخال الكلمات العربية إلى اللغة الفارسية إلى زيادة كبيرة في قدرات اللغة الفارسية التي اتسعت من حيث الكلمات للتعبير عن المفاهيم. فضلاً عن الكلمات العربية ، لا تزال تستخدم العديد من الحالات والجمل والعبارات العربية والقواعد النحوية باللغة الفارسية حتى يومنا هذا. مثل مطابقة الصفة مع الصفة من حيث الذكر والأنثى.

يقول الباحث الإيراني يوسف عزيزي: "ازدهرت اللغة الفارسية وترعرعت في أحضان الأبجدية العربية بعد الفتح الإسلامي لإيران. وقدمت شعراء ومتصوفين ومفكرين عظاماً، خلافاً لما قبل الاسلام ، إذ لم تقدم اللغة البهلوية وهي لغة البلاط عند الأكاسرة ، أي اسم بارز في مختلف مجالات المعروفة وخاصة الشعر والأدب ... ويبدو أن اللغة البهلوية كانت لغة ركيكة وضعيفة لم تنتج أدباً أو ثقافة رفيعة. وهذا ما يعترف به العديد من المؤرخين الإيرانيين...

ويذكر المؤرخون الإيرانيون أن بعض قصائد سعدي هي انتحال وترجمة حرفية لبعض قصائد أبي الطيب المتنبي. حتى فردوسي وعلى الرغم من عنصريته وتجنبه استخدام المفردات العربية، لم يتمكن من الاستغناء عن اللغة العربية، إذ شكلت مفرداتها نحو ٣٠% من مفردات ملحمة الشاهنامه. ومنذ القرن الثامن الهجري (١٤ ميلادي) ... شهد الأدب الفارسي انحداراً ، لم ينج منه إلا في الآونة الأخيرة"[١].

استعارت الفارسية من اللغة العربية الكثير من تراكيبها ومفرداتها. بالمقابل دخلت العربية العديد من المفردات الفارسية خاصة تلك المتعلقة بالتنظيمات الإدارية التي اقتبست عن الفرس. من أشهر الأمثلة كلمة ديوان .

ومن كل ما تقدّم نستطيع القول ان الثقافة العربية كان لها تأثرا كبيراً في الثقافة الفارسية، عبر العصور. وكان للأدب العربي تحديداَ، تأثير مهم في الادب الفارسي كما وكان للغة العربية أيضاً، دور في إغناء اللغة الفارسية بالمفردات المتعددة. فهناك نحو ٦٠% من اللغة الفارسية مفردات عربية، أو عربية الجذور. ويمكن القول أن تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية، يشبه تأثير اللغة الرومانية في اللغة اللاتينية. فنتيجة لتمازج الثقافتين الفارسية والعربية، الذي انتج عندنا شعراء ومفكرين وأدباء ، مثل حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وناصر خسرو البلخي وفي مجال الفلسفة الملا صدرا وابن سينا والفارابي والغزالي. وكلنا يعلم ان شاعرا مثل حافظ الشيرازي وهو من أعظم شعراء الفرس والعالم، كان يعرف ويقرأ ويستوعب الشعر الجاهلي، وشعر العصر العباسي والأموي، وكان يعرف القرآن وحافظاً لآياته. وقد كتب قصائد عربية أيضاً، وحذا حذوه في ذلك سعدي وناصر خسرو والبلخي.

تأثير اللغة الفارسية على اللغة العربية:

بالنظر إلى الكتب التاريخية بما في ذلك تاريخ اللغات ، وتاريخ الأدب السياسي والاجتماعي والثقافي للشعبين الإيراني والعربي ، يمكن ملاحظة أن هذين الشعبين في جميع الفترات التاريخية ، يتفاعلان أحيانًا بشكل وثيق جدًا ووثيق كان يملك.

كانت أرض بلاد الرافدين في يوم من الأيام موطنًا لشعب كبير غير سامي ، السومريين ، وبعد فترة ، نزل الأكاديون هناك ، وتشكلت واحدة من أكبر الحضارات السامية في بلاد ما بين النهرين ، وتم تشكيل تحالف قوي بينهم. خلال الفترة الأخمينية ، احتلت هذه الحكومة جميع أراضي الساميين. خلال هذا الوقت ، وجد عدد كبير من الكلمات الفارسية طريقها إلى الأدب التلمودي ومن خلال الأدب اليهودي والدين إلى اللغات السامية الأخرى (مثل السريانية والمندائية).

الأبجدية العربية والفارسية

باستثناء "الفارسية الطاجيكية" التي تستخدم الأبجدية السيريلية . تستخدم الفارسية "مصطلح الأبجدية" من اللغة العربية وللغة الفارسية أصوات لا تحتوي على العربية. نتيجة لذلك ، كان لابد من اختراع حروف جديدة لتمثيل تلك الأصوات. هناك أربعة أحرف جديدة في الأبجدية الفارسية غير موجودة في الأبجدية العربية. في الواقع ، هذه الحروف تأتي من اللغة العربية ، لكن مظهرها تغير قليلاً. ففي اللغة العربية، على عكس الفارسية ، لا يوجد حرف يعطي الصوت "P". ونتيجة لذلك ، تمت صياغة الحرف "P" لهذا الغرض. تم إضافة نقطتين تحته الحرف العربي "ب" ، في اللغة العربية ، كذلك ، أخذوا الحرف العربي "ج" وأضافوا إليه نقطتين. واخترعوا الحرف (چ) "ch". لا يوجد حرف

في اللغة العربية يعطي الصوت "J" ونتيجة لذلك أخذوا الحرف العربي "ز" وأضفوا نقطتين إليه لإنشاء الحرف (ژ) "J". لا يوجد حرف في اللغة العربية يعطي الصوت "G" ، ونتيجة لذلك أخذ الإيرانيون الحرف العربي " ك" وأضافوا فوقه سطراً لينشئوا الحرف (گ) "G". فضلاً عن ذلك ، يتم نطق بعض الأحرف الشائعة من اللغتين بشكل مختلف قليلاً عن بعضها البعض. كالحرف "واو" مثلاً .

عندما نتحدث عن العلاقة بين العربية والفارسية ، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو وجود كلمات عربية بالفارسية وضرورة تعلم هذه اللغة لفهم اللغة والأدب الفارسيين بشكل صحيح.

كما أن اللغة العربية لها أساس متين في برنامج الأدب الفارسي وتعلمها أمر لا بد منه للطلاب الناطقين بالفارسية ، يحتاج طلاب اللغة العربية أيضًا إلى تعلم اللغة الفارسية وآدابها لإكمال معرفتهم ، لأن معرفتهم بهذه اللغة وآدابها ستفتح لهم أبوابًا جديدة وستساعدهم في البحث الروحي والأدبي والتاريخي . إن أدب كل أمة ، في الواقع ، هو مزيج من عادات مختلفة ، وكلها جزء لا يتجزأ من تنسيق ، اللغة ، وهي وسيلة التفسير. الإلمام بالعوامل التي أثرت في أدب اللغة الأجنبية ضروري للغاية لأولئك المهتمين بالبحث عن النصوص والتعرف على الأفكار والآراء التي تم تضمينها فيها. أن العديد من الكتب العلمية العربية كتبها كتاب وعلماء إيرانيون. ومن هذه الكتب كتاب سيبويه وهو كتاب علمي في النحو العربي.

بشكل عام ، تأثرت اللغة والحضارة العربية بالأدب والحضارة الإيرانية من جميع النواحي ، كما أن اللغة العربية بدورها كان لها تأثير كبير على اللغة والأدب الإيرانيين ، وهذا التفاعل له جانب من جوانب الصداقة الروحية ذات الاتجاهين. إنه ليس جديدًا ، لكن الأدب الفارسي والعربي يكمل كل منهما الآخر على المستوى العلمي والبحثي بسبب الروابط القوية والتفاعلات التي كانت قائمة بينهما في الماضي.

جاء تطور الأدب العربي في العصر العباسي نتيجة تعامل اللغة العربية مع ثقافة الأمم الأخرى التي لها تاريخ طويل في الأدب والفن ، وهذا التطور لأي لغة تتجاوز حدودها الجغرافية والوطنية وتريد تراثًا ثقافيًا. ومن الطبيعي أن تحتضن إنسانًا. لذلك ، من أجل فهم الأدب العربي في هذه الفترة ، من الضروري معرفة العناصر الأجنبية التي أثرت فيه وكانت أحد عوامل تطوره وتطوره. نظرًا لأن أهم هذه العناصر ، أو بعبارة أخرى ، أكبر مصدر للأدب العربي في هذه الفترة ، كان إيران ، فإن

المناقشة والبحث في هذا المصدر وتعلم اللغة الفارسية وآدابها ضرورية لفهم لغة الأدب العربي بشكل أفضل وللبحث في ثقافة وأدب هذا اللغة ضرورية.

الأسباب التي نراها ضرورية لتدريس اللغة الفارسية لطلاب الأدب العربي في الجامعات العربية هي نفس الأسباب التي يمكن ذكرها لضرورة دراسة اللغة العربية لطلاب الأدب الفارسي في الجامعات الإيرانية والدول الأخرى الناطقة بالفارسية ، وهذه هي الاستمرارية الثقافية والتاريخية.

صحيح أن تأثير اللغة العربية بالفارسية أكثر وضوحا ، لكن هذا لا يغير الموضوع. لأن الضرورة الموجودة لتعلم اللغة العربية للطلاب الناطقين بالعربية تتطلب أيضًا تدريس اللغة العربية للطلاب الناطقين بالفارسية ، وكلاهما متخصص ، وليس بالمستوى العادي.

ومن القضايا الأخرى التي تتطلب الإلمام باللغة الفارسية وآدابها للعلماء العرب موضوع التاريخ ، وخاصة تاريخ ثقافة وحضارة هذه المنطقة العربية والإسلامية.

لذلك يجب القول أن هناك عددًا قليلاً من اللغات التي تمت ترجمة أعمالها الأدبية والفكرية إلى لغات أخرى بهذا العدد الكبير والجودة. وذلك لأن الأدب الشعري للغة الفارسية ، وخاصة تلك المستوحاة أيضًا من التصوف الإيراني ، يعبر عن الأفكار والتطلعات البشرية الداخلية والروحية ولا ينتمي إلى زمان ومكان محددين وبأي لغة يتم ترجمتها ، فإن أهل تلك اللغة خلال السطور. سيجدون هذا التفسير للأسرار داخل أنفسهم.

لذلك ، سيستفيد الطلاب الناطقون باللغة العربية أيضًا من دراسة هذا الأدب. سيكون الأدب الفارسي مليئًا بأفكار وخبرات العلماء والحكماء ، وستكون له مهمة مشرفة جدًا ، وهي نشر روح الإنسانية والنظرة إلى العالم وكسر الدوائر الضيقة التي أبقت البشرية في الحاضر كما في الفترات المظلمة من الماضي.

المبحث الثالث

عملية التطور الدلالي للكلمات العربية في الفارسية وأسبابها

في اللغة الفارسية ، توجد كلمات عربية تم تقديمها في فترات تاريخية مختلفة واستجابت لحاجة لغوية. هذه الكلمات تكون أحيانًا مفردة ؛ بمعنى ، "يمكن للمترجم أن يستبدلها بكلمات في اللغة الهدف دون الحاجة إلى السياق والمكان"[٥]. الآن ، قد يكون لهذه الكلمة في اللغة نفس المعنى العربي في الفارسية ، أو تنقل معنى مختلفًا. خضعت الكلمات العربية الموجودة بالفارسية والمستخدمة لتغييرات دلالية لأسباب مختلفة. فيما يلي بعض العوامل:

١) **القبول الديني** : العامل الديني هو أحد عوامل التطور الدلالي للكلمات العربية. مثل بعض المصطلحات القرآنية الشهيرة في البيئة الإسلامية ، والتي كانت نفس الكلمات والعبارات المشهورة في البيئة الجاهلية ، ولكن بعد تأثره بمفاهيم دينية جديدة لم يكن على دراية بها من قبل. مثل الصلاة ، والصوم ، والحج ، إلخ. [٦]

٢) **تكرار الاستخدام** : "تشتهر بعض الكلمات بهيمنتها بسبب كثرة استخدامها في فترات معينة أو في سياقات معينة ، وهي في الواقع عملية تطور دلالات ؛ مثل كلمة "روضة" التي تشير إلى مراسم الحداد[٢]. بما أن كتاب روضة الشهداء[٧] كان يُقرأ في مراسم الحداد ، في فترات لاحقة سميت هذه التجمعات أيضًا بالروضة ، على الرغم من عدم ذكر مثل هذا الكتاب على الإطلاق في هذه التجمعات.

٣) **التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية** : في بعض الأحيان، تؤدي التغييرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحدث في المجتمع إلى تغيير أو تطوير معنى بعض الكلمات، خاصة إذا كانت هذه التغييرات ذات طابع ثقافي قوي؛ على سبيل المثال وجدت كلمة "الاستكبار"، معنى جديد بعد الثورة الاسلامية في ايران ، في اللغة العربية هذه الكلمة هي مصدر وتعني "التكبر والتعالي" ولكنها في الفارسية تشير الى دولة قوية قمعية تنوي الهيمنة على الآخرين .

٤) **الاستبدال** : بعض الكلمات العربية لها معنى سلبي في الثقافة الفارسية وقد يكون لها أيضًا تأثير سلبي على الشخصية الاجتماعية للمتحدث. ومن ثم ، تم إنشاء كلمات عربية أخرى بالفارسية كانت مرادفة لنفس الكلمات العربية ، لكنها أولاً لم تكن صريحة ، وثانيًا لم يتم فهم أي معنى سلبي منها.

٥) الانقطاع الثقافي : خلال الفترة الصفوية ، انقطعت العلاقات الثقافية بين إيران والدول العربية ، لكن اللغة العربية استمرت في التطور في إيران ، خاصة وأن هذه الظاهرة تزامنت مع انتشار الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى[٨]. كانت الكلمات والتركيبات التي سادت في هذا العصر مزيجًا من العربية والفارسية ، بحيث كانت في اللغة الفارسية مصطنعة وغير مفهومة باللغة العربية، ومن هذه الكلمات : " تحت الشعاع ، لوازم التحرير ، حق الوكالة ، بارز الوجه ، مال الاجارة ، حسب الأمر" . [٩]

ظهور الكلمات والعبارات العربية

ظهرت الكلمات والتعبيرات الناشئة في وسائل الإعلام الناطقة باللغة الفارسية وأحيانًا في أكاديمية اللغات أو حتى الشخصيات البارزة ، مما يشير إلى حاجة المجتمع الإيراني إلى كلمات جديدة. "تشكلت هذه الكلمات بمرافق اللغة العربية في بيئة ناطقة بالفارسية. أي أن الكلمات الفارسية تم إنتاجها في نظام اللغة العربية. كانت هذه الكلمات والعبارات عادةً معادلة للمصطلحات الأجنبية وكانت أحيانًا مزيجًا من كلمة فارسية وكلمة عربية. انظر أمثلة على هذه الكلمات والتركيبات مع ما يعادلها في اللغة العربية . [١٠]

المصور (عكاسي) ، الترجمة الحرفية (تحت اللفظي) ، السيادة الوطنية (حاكمية أرضي) ، أفضلية المرور (حق التقدّم) ، الرواتب (حقوق) ، قطع غيار (لوازم يدكي ، رفع العقوبات (لغو تحريم ها) .

إذا أضفنا كلمات تتكون من كلمة فارسية وكلمة عربية إلى هذه القائمة ، فإن عدد هذه المجموعات يصل إلى المئات ؛ كلمات مثل: التحيز (جانبداري) ، التعددية (تكثير گرايي) ، التأميم (ملّي كردن) ، مذكرة تفاهم (تفاهم نامه).

صعوبة ترجمة الكلمات الفارسية والعربية المشتركة

تتمثل إحدى المشكلات والتحديات الرئيسية في الترجمة في العدد الكبير من الكلمات الشائعة والخطأ الذي تخلقه للمترجم من الناحية المفاهيمية:

"منطقيا ، الكلمات التي رسخت معناها في العقل تصبح إشكالية عند إسناد معنى ومفهوم آخر؛ بعبارة أخرى ، عندما نربط مفهومًا في لغتين بكلمتين مختلفتين ، فإننا نواجه مشكلة أقل من محاولة ربط كلمة شائعة في لغتين بمفهومين مختلفين وفي نفس الوقت توخي الحذر الكافي للتمييز بين معاني اللغتين. دعونا لا نستبدل بعضنا البعض بالخطأ.[١١]

في الواقع ، غالبًا ما تكون الكلمات الشائعة في لغتين شائعة في المظهر فقط ، ولكنها تختلف تمامًا في المحتوى والحدود الدلالية والمعاني الدلالية:

"الشيء نفسه يجعل المترجم في مواجهة مثل هذه الكلمات ، حتى لو كان على دراية بالأرضية المشتركة لتلك الكلمة ، يعمم دون وعي الاتساع الدلالي للكلمة الشائعة من لغة إلى أخرى ، ونتيجة لذلك ، لا يستطيع أن يزن الوزن الدلالي للكلمة بصورة جيدة.[١٢]

عند دراسة صعوبة ترجمة الكلمات العربية إلى الفارسية ، يجب توضيح أن معنى الكلمات الشائعة في اللغة الفارسية والعربية هي كلمات يمكن العثور على اختلاف مفاهيمي واحد على الأقل في كلتا اللغتين. من الطبيعي أنه في بعض الحالات ، قد يكون لدينا كلمات شائعة لا تختلف في المعنى أو ما يعادلها ، ومن الواضح أن مثل هذه الحالات لا تشكل تحديًا للمترجم.

نماذج مختلفة من الكلمات العربية باللغة الفارسية

الكلمات العربية باللغة الفارسية كثيرة ومتنوعة . إن وجود هذه الكلمات والتركيبات العربية بالفارسية في بعض الأحيان لا يسهل فهم المترجم للنص فحسب ، بل يتسبب أيضًا في انزلاق المترجم للخطأ؛ لأن المعنى الذي يفهمه المتحدثون الفرس من هذه الكلمات يختلف عمّا يريده المتحدث العربي. يمكن تقسيم الكلمات العربية باللغة الفارسية إلى عدة فئات:

١) الكلمات التي تتشابه اللغة الفارسية والعربية فيها حرفيًا ولغويًا ، ويثق المترجم بناءً على خبرته اللغوية أن هذه الكلمات لم تتغير. لذلك ، فهي لا تشكل تحديًا في الترجمة ؛ مثل ال:

عصر		عصر
تأريخ		تأريخ
موضوع		موضوع
شهيد		شهيد

٢) الكلمات التي لها نفس المعنى باللغتين العربية والفارسية ولكنها تختلف قليلاً في الشكل والكتابة ؛ مثل ال:

مصيبت		مصيبة
حجّت		حجّة

المشكلة التي قد تسببها هذه الكلمات في الترجمة تتعلق بخط اليد ؛ على سبيل المثال ، تكوّن مقطوعات موسيقية مثل "آية الله" باللغة الفارسية "آيت الله" ، والتي يجب أن تستند عادةً إلى خط أكاديمية اللغة الفارسية.

٣) الكلمات العربية غير المستخدمة في اللغة الفارسية ولكن ما يقابلها في اللغة الفارسية كلمة عربية. مثل ال:

هامش		حاشيه
احتلال		اشغال
احتياطى		ذخيره
مصادر		منابع

التحدي الوحيد الذي قد تشكله هذه المجموعة من الكلمات للمترجمين هو أن يستخدم المترجم الكلمة العربية في النثر الفارسي ، بحجة أن كلتا الكلمتين عربيتان ؛ على سبيل المثال ، في النثر الفارسي ، بدلاً من "إعادة الطباعة" ، استخدم "استعادة الطباعة" ، وهو أمر غير صحيح تمامًا ، ويؤدي إلى إدخال مجموعة أخرى من الكلمات العربية باللغة الفارسية. "ينبغي استبعاد استخدام كلمة انتفاضة بدلا من قيام. لأن الانتفاضة أصبحت مصطلحًا.[١٣]

استنتاج

يعود وجود الكلمات المشتركة باللغتين الفارسية والعربية واختلافاتهما الدلالية إلى العلاقة بين الإيرانيين والعرب في بعض الفترات. وقد أدت الحدة والضعف في هذا الصدد إلى إدخال بعض الكلمات العربية إلى اللغة الفارسية لتغيير معناها. أي يجب أن يكون معناها مختلفًا عن المعنى العربي. القواسم المشتركة بين هذه الكلمات باللغتين الفارسية والعربية ، وكذلك الاختلاف في المعنى الذي وجدوه على مر السنين ، يمثل تحديًا كبيرًا للمترجم الذي يترجم من العربية إلى الفارسية أو العكس ؛ بعبارة أخرى ، فإن عدم إلمام المترجم بهذا التغيير والاختلاف الدلالي يتسبب في خطأ في فهم معنى النص الأصلي والغرض منه. خلافًا للاعتقاد الشائع ، فإن وجود عدد كبير من الكلمات الشائعة باللغتين العربية والفارسية لا يساعد فقط في تسهيل أعمال الترجمة ، ولكنه أيضًا عامل في تعقيد وصعوبة الترجمة من العربية إلى الفارسية ، وعادةً ما يكون هناك العديد من المترجمين ، بناءً على خبرتهم في هذا لديهم خلفيات ولديهم زلات.

من أجل اجتناب كل هذه الزلات ، يجب على المترجم أولاً : معرفة أسباب التطور الدلالي للكلمات الشائعة ، والتي ذكرناها سابقاً، وثانيًا : نظرًا لأنه لا يمكن وضع الكلمات العربية بالفارسية في فئة واحدة ، يجب أن يكون المترجم على دراية بالأنواع المختلفة لهذه الكلمات التي تختلف معانيها واستخداماتها عن اللغة العربية والمرادف الفارسي لهذه الكلمات في اللغة الفارسية هو أيضًا كلمة عربية. مثل "عكس" تعني الصورة ، ومعناها في العربي المتضاد أو المعاكس .

وبالتالي ، فإن الكلمات الشائعة بالفارسية والعربية تشكل مشاكل كبيرة للمترجمين إذ أن الخبرة اللغوية فقط هي التي يمكن أن تمنع المترجم من الوقوع في فخ مثل هذه الزلات.

الهوامش

(١) الاوستا : "الأبستاق" ، "الأفستا" : الكتاب المقدَّس عند الزرادشتية (المجوس) يحتوي على معتقداتهم وتشريعاتهم، وقد ضاع هذا الكتاب بعد غزو الإسكندر المقدوني لفارس سنة ٣٣٠ ق.م، وفُقِدَتْ معه كلُّ تفاسيره ، . انظر : جيفري برندر، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص ٨٩-٩٥.

(٢) الفهلويات : مفردها فهلوية : معربة ، وتعني الشكل الفارسي للصوت الفارسي "البهلوية" بمعناها الأولي "بارتى" واللهجة الفهلوية هي اللهجة العامية القديمة . انظر : تفضلي ، احمد ، بحث بعنوان "فهلويات" ، مجلة نامه فرهنگستان ، فارسي ، (خطاب الاكاديمية) العدد ١ ، المجلد ٨ ، ص ١١٩ ، أكاديمية اللغة الفارسية وآدابها ، ٢٠١٣ ، طهران .

(٣) مشيري ، مهشيد ، ده مقاله دربارة زبان وفرهنگ وترجمه ، فارسي ، (عشر مقالات في اللغة والثقافة والترجمة). طهران ١٩٩٤. نشر البرز .

(٤) ناظميان ، رضا ، روش هاى براى ترجمه از عربى به فارسى ، فارسي (أساليب الترجمة من الفارسية الى العربية) ، ص ٣٤ ، طهران ، انتشارات سمت ، ٢٠٠١م .

(٥) دليل ، جين ، تحليل كلام روشى براى ترجمه (فارسي) (تحليل الكلمات طريقة الترجمة) ، ترجمة اسماعيل فقيه ، طهران ، مؤسسة راهنما ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٤ .

(٦) پاكتچى، احمد.. ترجمه شناسى قرآن كريم.فارسي (الترجمة العلمية للقرآن الكريم) طهران ، ٢٠١٣ ص ٢٢٩ ، نشر جامعة الامام الصادق (ع).

(٧) اميني ، ادريس وشهريار نيازي ، ماهيت و پيامدهاى تحول معنايى واژگان عربى در زبان فارسى (طبيعة ونتائج التطور الدلالي للكلمات العربية بالفارسية) طهران ، جامعة تربية مدرس ، ص ١٣ ، ٢٠١٦م .

(٨) الطهراني، آغا بزرگ. الذريعة إلى تصانيف الشيعة – ج١١. صفحة ١٣٢.

(٩) آذرنوش، آذرتاش. چالش ميان فارسى وعربى ، فارسي ، (التحدي بين الفارسية والعربية) ، طهران ، ٢٠١٧ ، ص ١٧٥ ، نشر ني .

(١٠) اميني ، ادريس وشهريار نيازي ، ماهيت و پيامدهاى تحول معنايى واژگان عربى در زبان فارسى ، مصدر سابق ، ص ٦٧.

(١١) اميني ، ادريس وشهريار نيازي ، ماهيت و پيامدهاى تحول معنايى واژگان عربى در زبان فارسى ، مصدر سابق ، ص ٦١ – ٦٢.

(١٢) نصيرى، حافظ. روش ارزيابى و سنجش كيفى متون ترجمه شده از عربى به فارسى ، (فارسي) ، (طريقة التقييم النوعي للمتون المترجمة من العربية الى الفارسية). ص ٩٢ ، طهران ، انتشارات سمت.

(١٣) نصيرى، حافظ. روش ارزيابى و سنجش كيفى متون ترجمه شده از عربى به فارسى ، (فارسي) ، مصدر سابق). ص ٩٣.

(١٤) ناظميان ، رضا ، روش هاى براى ترجمه از عربى به فارسى ، فارسي (أساليب الترجمة من الفارسية الى العربية) ، ص ٧٤ ، طهران ، انتشارات سمت ، ٢٠٠٧م

المصادر

(أ) المصادر العربية :

١ – القرآن الكريم .

٢ – محمد علي إمام شوشتري (١٣٤٧) ، قاموس الكلمات الفارسية بالعربية ، منشورات جمعية الأشغال الوطنية .

٣ – فقه اللغة ورأس العربية ، لأبي منصور الثعلبي .

٤ – محمد التونجي معجم الدراسات الفارسية: من بواكير العصر الحالي ، مدرسة الناشرين اللبنانيين ، بيروت ، ١٩٩٨ .

٥ – عبد التواب ، رمضان ، نقاشات في الفقه واللغويات العربية (حميد رضا شيخي) مشهد ١٩٨٨ ، منشورات أستان قدس..

٦ – زيدان ، جورج ، تاريخ آداب اللغة العربية ، بيروت ١٩٩٢ ، مكتبة الحياة.

٧ – توفيق سبحاني ، تاريخ الأدب الفارسي ، طهران ١٩٩٣ ، مطبعة جامعة بايام نور.

٨ – مرتضى مطهري – الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران . طهران ، مؤسسة البعثة ئئن ١٩٨٨ م .

٩ – الزندي ، بهمن ، مدخل إلى الصوتيات العربية وتلاوة القرآن ، مشهد ١٩٩٥ ، دار القدس الرضوي للنشر..

١٠ – بطرس بستان (١٨٦٩) ، البيئة: قاموس شامل للغة العربية بيروت ، اوفسيت بدون تاريخ .

المصادر الفارسية :

١ – أزرنوش ، أزارتاش ، طرق التأثير الفارسي على ثقافة ولغة التازي. طهران ١٣٧٤.

٢ – بهار ، محمد تقي ، الأسلوب ، المجلد ١ و ٢ ، منشورات أمير كبير ، طهران ، ١٩٩٠.

٣ – بحر ، محمد تقي الأسلوبية ، المجلد ٣ ، منشورات أمير كبير ، طهران ١٩٩٤.

٤ – شراغي ، علي ، تعليم اللغة العربية ، ضرورة اللغة الفارسية ، نمو التربية الإسلامية ، العدد ٢٤.

٥ – الخاقاني ، محمد ، الثقافة الإعلامية ، طهران ١٩٩٨.

٦ – خوانمير ، غياص الدين بن همام الدين ، التعليمات. طهران ١٣١٧ ، مطبعة إقبال.

٧ – شكيب الأنصاري ، محمود ، "ترجمة وتفسير" ، المجلة الفصلية للغة وعلوم القرآن. السنة الأولى ١٣٧٩ رقم ١ و ٢ جامعة الأهواز.

٨ – علوي مقدم ، سيد محمد ، نظرة على الكلمات الأجنبية بالفارسية ، العدد ١٤٢ كيهان فرهانجي ، ١٩٩٨.

٩ – نازانين ، وكيلي ، العلاقة بين دروس اللغة العربية والفارسية ، وقائع مؤتمر اللغة العربية الأول ، طهران ، ١٩٩٨ ، مكتب طباعة وتوزيع الكتب المدرسية..

١٠ – آرثر جيفري (ترجمه فريدون بدرة) ، كلمات واردة في القرآن الكريم ، نشر طوس ، طهران ٢٠٠٩ م.

١١ – حبيب الله نوبخت ، ديوان الدين في تفسير القرآن الكريم ، وزارة الإعلام والصحافة السياحية جلال الدين السيطى (١٩٩٩) حذب فيما وقع فى القرآن من المعرب ، مكتبة مشكاة الاسلامية

١٢ – فرشيدورد، خسرو. (١٣٨١). لغتسازى ووضع وترجمة اصطلاحات علمى وفنى. تهران: انتشارات سورة مهر.

١٣ – محدثى، جواد. . **فرهنگ عاشورا. قم: نشر معروف** ، ٢٠٠٨ م .

تأثر الشعر العربي الحديث بالحداثة الغربية

(السياب انموذجا)

م.م. عبد الحميد هايس مطر- جامعة الانبار/ كلية الزراعة

الملخص

الحمدُ لله رب العالمين على ما أعطى حتى غَمَرَ، والهم حتى هدى ،والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد، الذي حَضَّ على طلب العلم حتى جعله فريضة، وعلى اله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

ولابد لنا هنا من التشديد على اننا لا نستطيع ان نفصل الحداثة العربية في العصر الحديث عن حداثة العالم الغربي، لأن التفاعل والتبادل من خصائص الثقافة العربية وقد اغنى هذان العاملان هذه الثقافة. بمعنى ان الحداثة العربية متأثرة الى حد كبير بإنجازات الحداثة الغربية، الامر الذي يبعث على القول إن هناك تبعية إبداعية تتزامن مع التبعية العامة التي تعيشها الأمة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، لدرجة دفعت باحثا إلى القول إن الحداثة العربية "كالصدى لأصوات بعيدة سواء كانت العلاقة بين الصدى ومصدره مباشرة أو غير مباشرة.

الكلمات المفتاحية : الحداثة ؛ الحنين، الغربة، السياب، الاغتراب

Modern Arabic poetry was influenced by Western modernity

(Al-Sayyab as a model)

Assistant Lecturer: Abdul Hamid Hayes Matar Darwish Al-Dulaimi

Abstract

Praise be to God, the Lord of the World for what he gave until he immersed, and concern even guidance, and blessings and peace be upon the illiterate Prophet Muhammad, who urged the pursuit of knowledge until he made it an obligation, and upon his family and his companions and those who followed them in kindness until the Day of Judgment, and after:

We must stress here that we cannot separate Arab modernity in the modern era from the modernity of the Western world, because interaction and exchange are characteristics of Arab culture, and these two factors have enriched this culture. In the sense that Arab modernity is influenced to a large extent by the achievements of Western modernity, which leads to saying that there is a creative dependency that coincides with the general dependency that the nation lives in politically, economically and culturally, to the extent that it prompted a researcher to say that Arab modernity

key words: modernity; Nostalgia, alienation, al-Sayyab, alienation

تمهيد:-

في هذه الدراسة الأدبية النقدية الهامة، والتي جاءت تحت عنوان " تأثر الشعر العربي الحديث بالحداثة الغربية (السياب انموذجا) " نتناول تأثير الحداثة على الشعر العربي،"[١]. ودفعت آخر الى القول ان "استيراد الحداثة في الحياة والأدب أمر مشروع، وهو شبيه باستيراد وسائل الصناعة ووسائل الدفاع والمدارس الأدبية[٢] وبعد متابعنا لجذور الحداثة العربية نصبح مضطرين لطرح سؤال: هل شهد الوطن العربي حداثة شبيهة بحداثة العالم الغربي، ويجعلنا قادرين على ان نصفه بالمجتمع الحديث بحدود وملامح المجتمع الأوروبي الحديث نفسه أو ان الحداثة العربية لم تأت بعد؟

وهنا يبرز اسم الشاعر "بدر شاكر السياب" في هذه الحداثة الشعرية ونشأة الشعر الحر وتجلى ذلك في مجموعة "أنشودة المطر" التي تحضر فيها الأسطورة والرمز حضوراً لافتاً، ولكن هذا لا يعني أن حداثة الشعر يقتصر على الأسطورة بل أن تأثير الحداثة هو في الرفض الواعي للكتابة القديمة، ولنموذج القصيدة التالدة، والمضامين تقليدية مكررة، ولغنائية ذاتية تمُجها الأسماع. تأتي أهمية دراسة ديوان "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب كونه حمالاً لرسالة كونية خالدة منذ لحظة ولادته، وإبداعه، فهو يتسم باتساع أفق القول فيه وتشعبه. لذلك فهو لا يزال يُلهم دارسي الشعر الحديث، وخصوصاً حضور الموروث القديم في الشعر وكيفية توظيفه في تماهٍ تام مع الشعر الأوروبي الحديث[٣].

الحداثة وتعرف باللغة الإنجليزية باسم (Modernity)، وهي الشيء الجديد، والذي يعطي صورة معاكسة عن الشيء القديم، وتعرف أيضاً بأنها: الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة، تشمل وجود تغيير ما، أما عن دور الحداثة في التاريخ، فيعد الفيلسوف هيغل أول شخص اهتم بمفهوم الحداثة، وربطها مع التطوّرات الفكرية التي ظهرت في أوروبا، والتي اتّسمت بظهور تيارات أدبيّة وفنية لم تكن معروفة سابقاً[٤]. وارتبطت أفكار الحداثة مع العلوم، والاختراعات فظهرت العديد من الوسائل التي لم تكن مكتشفة سابقاً، مثل: السيارات، والمصابيح الكهربائية، والهاتف، وغيرها لتساهم الحداثة في نقل العالم لعصر جديد أكثر تطوراً وفاعلية، وهذا ما ظهر في كل من القرنين التاسع عشر، والعشرين وما زال مستمراً حتى يومنا هذا. وأثرت الحداثة بشكل ملحوظ على مسمّيات العصور التاريخيّة، فظهرَ كل من عصر التنوير وعصر النهضة في أوروبا كعصرين جديدين، وأشار الفيلسوف هيغل لهذا التطوّر بأنه الانتقال إلى حقبة جديدة تختلف عن الحقب الماضية، وكأي مفهوم مستحدث واجهت الحداثة

الكثير من الانتقادات؛ بسبب التغيّرات التي أدت إليها، والتي لا تتناسب مع الأفكار الشعبيّة، وآراء بعض الفلاسفة والنقاد(٥).

الحداثة في الأدب العربي ما هي إلا فرع من فروع الحداثة الفكرية؛ الفكر الذي استمد أبجدياته الحداثية من الفكر الغربي بعد الثورة الفرنسية من خلال تمرد رواد النهضة الأوروبية آنذاك على كل المفاهيم والقيم الدينية باعتبارها قيودا جاثمة على صدر الفكر والعقل. في جلسة تمعن يمكن القول بأن الحداثة الأدبية باختصار تكمن في "تذوق الإنسان للكلمة وتخلصه من الإيديولوجية المقيتة، وإخلاصه للجمال المحسوس والملموس.. وعمق نظرته للأشياء من الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء وكلاهما في آن واحد"(٦). وهذا المفهوم يجعلنا نقول بأن القصيدة العربية الحديثة "بقدر ماهي انعكاس لشخصياتنا وما نريد أن نقوله وما لا ينبغي أن نقوله.. تزيدنا غموضا على غموض تجعلنا مزاجيين.. نرفض السطحية ندمن التعمق.. لا مفر منها إلا إليها(٧)."

ولكن هذا لا يعني الإسراف في الغموض، واستنزاف القرائح دون مغزى، وخلق استعارات ومجازات لا تدل إلا على المجاز في حد ذاته!، والاعتماد الكلي على الرمزية المفرطة بحيث تجعل النص الشعري عبارة عن طلاسم لا أكثر ولا أقل(٨)!

تتميز المنطقة العربية بتنوع بيئاتها الجغرافية، وهي موطن لمجموعات بشرية متعددة، تتمتع كل منها بذخيرة تراثية فريدة تتجسد في ممارسات ثقافيّة متنوّعة، لا تزال تظهر في العمران والفلكلور والسير الشعبية والأمثال والنوادر والطرائف، بل في كل أشكال التعبير الثقافي، وتغتني المعارف عن التراث من خلال البحث العلمي في هذه المواقع أو في السجلات التاريخية.

إن الإختلاف والتباين الإقليمي والهويات المحلية داخل المنطقة، نتيجة التجربة البشريّة عبر الزمن، جعل فهم التراث متباينا من منطقة إلى أخرى(٩) ، وتأثر مفهوم التراث الثقافي واِستراتيجيات إدارته في المنطقة العربية تأثرا كبيرا بالمستشرقين، الذين درسوا وقدموا ما سموه الشرق وماضيه وهويته في قالب غربي عن التراث، وكان تقديم التراث يتجاهل الموروث الحي للمجتمعات المحلية، بل كان ينظر إليه على أنه معروض متحفي يُقدّم في متاحف صممها الأوروبيون ضمن منظور غربي للآثار والتاريخ(١٠). تبرز أهمية تبني خطوط توجيهية لإدارة التراث الثقافي في العالم العربي، مما يتيح

مشاركة علماء الآثار والمعماريين والجغرافيين وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الإجتماع والفنانين والمؤرخين ومختصين في الحفظ والفلكلور(١١).

يقف العالم العربي اليوم على مفترق حرج، فالتراث لم يكن يوما مهددا كما هو الآن – حسب الملاحظين– فبالإضافة إلى التلف والتدهور الطبيعي الذي يتعرض له التراث، زادت الأخطار الناجمة عن توسّع الأنشطة البشرية والتدمير المتعمد والإهمال، ورغم تلك التهديدات فالتراث الثقافي، إذا ما أحسن إستخدامه، أداة للمّ شمل المجتمع، وقبول الآخر(١٢).

ما يمليه الضمير العربي المسلم والحس الثقافي هو دعم الحداثة فيما ترمي إليه من تغيير وتجديد، وإعادة صياغة الشكل، والسفر في عوالم هادفة؛ والاستمتاع بخيالها الإبداعي وجمالها الآخذ دون التورط في الفوضى الفكرية واللغوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع في انتظار حداثة فكرية عربية خالصة(١٣).

لقد ظهر تيار الحداثة في الغرب نتيجة للمد الطبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني والروماني، امتدادا إلى عصر الظلمات، مرورا بالعصور المتلاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب الفكرية، والفلسفات الوثنية المتناقضة والمتلاحقة، وقد كان كل مذهب عبارة عن ردة فعل لمذهب سابق. إن الحداثة في الأدب ما هي إلا فرعٌ عن الحداثة في الفكر، إذ يعتبر الأدب (شعراً أو قصّةً أو روايةً أو مسرحيةً أو..) إحدى أهم قنوات التحديث ووسائله، من حيث هو وسيلة التواصل بين الأفراد والمجتمعات، للتعبير عن الأفكار والهواجس والدوافع والمطامع والمطامح، وكل ما يدور في خلد الإنسان وفكره(١٤).

إلا أن الحداثة في الأدب العربي، لم تتهيأ لها من الظروف التي واكبت الحداثة عالميا إلا النزر اليسير، ذلك أن مجتمعنا العربي، كان – وما يزال– يفتقد إلى التحولات الجذرية التي عاشها الغرب، سواء في المجالات الفكرية أو العلمية، ولذلك؛ لم يعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل، قضية أثارت حولها من الجدل والنقاش، كقضية «الحداثة» التي بدأت تثار منذ مطلع النصف الثاني من القرن الماضي، وقد اختلف النقاد العرب في بدايات ظهورها، فمن النقاد من يرى البداية في محاولات شعراء المهجر، ومنهم من يعزوها إلى حركة الشعر الحر التي انطلقت في بغداد، ومنهم من يعتبرها مرتبطة بمجلة «شعر» (١٥). وليس في وسع أحدٍ أن يماريَ في المنشأِ الغربي لمذهب الحداثة الشائع

لدينا ولادةً وحضانةً وتصديراً، بحيث لم يكن لمفكّرينا ومثقّفينا وفنانينا وأدبائنا من دور سوى التلقّي والقبول، والتبنّي والترويج، الأمر الذي يعترف به الحداثويون العرب أنفسهم، و يؤكد محمد برادة أن الحداثة مفهومٌ مرتبطٌ أساساً بالحضارة الغربية وبسياقاتها التاريخية، وما أفرزته تجاربها في مجالاتٍ مختلفة، ويصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثةٍ عربيةٍ مشروطٌ تاريخيًّا بوجودٍ سابقٍ للحداثة الغربية، وبامتداد قنواتٍ للتواصل بين الثقافتين [١٦].

نحن مع الحداثة في العمل على إعادة صياغة الشكل، وفق ضوابط سليمة، ولسنا معها في سعيها؛ لأن تجرّ الأدب العربي إلى ظلمات اليأس. نحن نريد أن يستفيد أدباؤنا وشعراؤنا من إيجابيات الحداثة.. من الوعي المبدع والخيال الخلاّق.. من الأبعاد الجمالية الأخّاذة.. من الظلال الفنية الموحية.. دون التورط في العوالم المجهولة، والتلبّس في الفوضى الفكرية واللغوية، والانبتات عن الجذور، والضياع في بحرٍ من ظلمات الطلاسم ومتاهات الغموض[١٧].

يلاحظ البروفيسور د. ش. موريه من خلال كتاب «أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث ١٨٠٠ – ١٩٧٠» أن الشعر العربي الحديث قطع طريقاً طويلة مضنية قبل التوصل إلى الشكل الجديد الذي لا يتقيد بعدد ثابت من التفعليات وينوّع في أنماط التقفية والذي عرف بالشعر الحر[١٨]، ذلك الشكل الذي يمتاز بالتجديد وقابلية الكيف، قبل أن يصل الشعراء العرب إلى أن التجربة العشرية هي التي تملي الشكل الشعري الخاص بها، وأن الوزن والقافية في الشعر ليست لهما هذه الأهمية الكبرى التي عقدها العرب وشعراؤهم المحافظون.

يرى بعض الباحثين إن السياب تأثر بشعراء عرب وأجانب في مراحل تطور تجربته الشعرية وبخاصة في الخمسينيات "في مرحلة الالتزام الماركسي وما تلاها" ناقلاً عن السيّاب قوله إنه يحب البريطانيين وليام شكسبير وجون كيتس[١٩]. وذكر أن السيّاب كان يقول: «وأكاد أعتبر نفسي متأثراً بعض التأثر بكيتس من ناحية الاهتمام بالصور بحيث يعطيك كل بيت صورة، وبشكسبير من ناحية الاهتمام بالصور التراجيدية العنيفة. وأنا معجب بتوماس إليوت.. متأثر بأسلوبه لا أكثر... ولا تنس دانتي فأنا أكاد أفضّله على كل شاعر.»[٢٠] ويقول هذا الباحث : إن السياب ذكر عام ١٩٥٦ أن البحتري "أول شاعر تأثر به ثم وقع تحت تأثير الشاعر المصري علي محمود طه (الذي توفي عام ١٩٤٩) فترة من الزمن وعن طريقه تعرف على آفاق جديدة من الشعر حين قرأ ترجماته للشعراء الإنجليز والفرنسيين." ويتطرق هذا الناقد إلى تأثر السيّاب بكل من أبي تمام والبريطانية سيتويل وينقل عنه قوله: «حين

أراجع إنتاجي الشعري ولا سيّما في مرحلته الأخيرة أجد أثر هذين الشاعرين واضحاً فالطريقة التي أكتب بها أغلب قصائدي الآن هي مزيج من طريقة أبي تمام وطريقة إديث سيتويل»[٢١]. ولطالما أشاد السياب بالشاعر العراقي المعروف محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩-١٩٩٧) الذي كان يلقب (متنبي العصر) واعتبره "أعظم شاعر" في ختام النهج التفعيلي للشعر العربي[٢٢]. حيث تُعدُّ محاضرة (الالتزام واللاالتزام في الأدب العربي الحديث) التي ألقاها السيّاب في مؤتمر الأدب العربي المعاصر الذي أقيم في روما مثالاً على هذا النوع من المؤلفات. الأعمال النثرية المترجمة: إذ إنّ من الأمثلة على الأعمال النثرية المترجمة (ثلاثة قرون من الأدب) الذي صدر في جزئين، ومسرحية الشاعر والمخترع والكولونيل لبيتر أوستينوف، وتقع في فصل واحد[٢٣].

يقف السيّاب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة، ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة. وساعدَ السيّاب في عمله جرأة في طبيعته، وتحرُّك اجتماعيّ وسياسيّ ثوري هز العالم الشرقيّ هزاً عنيفاً، ثم انفتاح على أدب الغرب وأساليب الغرب في التفكير والتعبير[٢٤]. وقد أدخل السيّاب على الشعر العربي ثورته التي قام بها في مجتمعه، فحوّله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية، وأخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة إلى أوزان أملَتْها عليه معانيه ونبضات وجدانه، وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفاقاً للمزاجيّة الشعريّة التي يوحي بها مقتضى الحال[٢٥]، هذا فضلاً عن التيارات الفكرية والتحليلات العميقة التي زخر بها شعره وانساق في مجاريها انسياقاً فُراتيّاً يمتدّ امتداداً حافلاً بالغنى ومتأججاً بتأجّج العاطفة والحياة والخيال التي ينطلق منها[٢٦].

تروعك في شعر السيّاب تلك الثروة الفكرية، وتلك الغزارة المعنوية، وذلك التلاحق الهائج المائج في تدفّقه الذي يجمع الصّخب إلى التغلغل في طوايا النفس؛ وذلك العصف الفكري والعاطفي المرهف، ثم تلك الواقعية اللفظية الضارية، والإلحاح على المشهد المثير واللفظة المعبّرة عن الثورة الحياتية المتفجرة، ثم أخيراً تلك الرمزية التصويرية تستعين بالميثولوجيا والإشارات التاريخيّة التي تزيد الكلام حدّةً وبُعد آفاق[٢٧]. وهكذا فالسيّاب شاعر التحرُّر وشاعر الحياة والعنفوان. ويمثل شعر بدر أهم الاتجاهات الشعرية التي عرفها عصره، وكانت له حصيلة واسعة من الموروث الشعري الكلاسيكي، بالإضافة إلى ترجماته لمختارات من الشعر العالمي إلى العربية[٢٨].

بدأ بدر كلاسيكياً، ثم تأثّر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا، لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفّار القبور؛ المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال. وشعر بدر التّموزي أبدع ما ترك من آثار، لاسيما ديوان أنشودةّ المطّر، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميّز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد[٢٩]، ومن أشهرها أنشودة المطر، ومدينة السندباد؛ والنهر والموت؛ وبروس في بابل؛ وقصيدة المسيح. وتعد قصيدتاه: أنشودة المطر؛ وغريب على الخليج صوتاً مميزاً في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة. يقول مطلع أنشودة المطر:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شُرْفَتَان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء كالأقمار في نهر

يَرُجّه المجذّاف وَهْناً ساعةَ السحر

وتبلغ القصيدة ذورتها في قوله:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع

بلا انتهاء ـ كالدم المراق، كالجياع

كالحب، كالأطفال كالموتى ـ هو المطر[٣٠]

وأما غريب على الخليج التي تصور معاناة السياب الحقيقية مع المرض، ويرجّح أنها آخر ماكتبه من شعر، فتشف عن رؤية تمور بشوق عارم لوطنه العراق وخشيته الموت بعيداً عن أرض هذا الوطن، وهي مثال لشعر الاغتراب في الأدب العربي[٣١]. يقول في مقطع منها:

ليت السفائن لاتقاضي راكبيها عن سفار

أو ليت أن الأرض كالأفق العريض بِلا بِحَار

مازلت أحسب يانقود، أعدكن وأستزيد

مازلت أنقص، يانقود، بكن من مدد اغترابي

مازلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي

في الضفة الأخرى هناك فحدثيني يانقود

متى أعود، متى أعود

واحسرتاه... فلن أعود إلى العراق[٣٢].

قام بعض رواد الشعر في العراق ومنهم السيّاب بمحاولات جادّة للتخلص من رتابة القافية في الشعر العربي، لكي يماري شعراء الغرب والتخلص من قيود القافية [٣٣]. فقد تأثر السيّاب بالشعر الإنجليزي ويشاركه بذلك البياتي و نازك الملائكة، وأرادوا نقل تلك الحرية التي شاهدوها في الشعر الأجنبي إلى الشعر العربي[٣٤]، وفي الواقع كانت هناك محاولات قبل هؤلاء الثلاثة للتغيير ولكنها كانت مجرد استطراف، وأما هؤلاء الثلاثة فقد كانت محاولاتهم جادّة وتتخذ من هذا التغيير مذهباً تدافع عنه وتنافح من أجله[٣٥]، « وإنما الذي يميّز هذه الحركة عن كل ما سبقها أن اعتمادها للشكل الشعري الجديد أصبح مذهباً لا استطرافاً، وأن إيمانها بقيمة هذا التحول كان شمولياً لا محدوداً، وأن أفرادها في حماستهم لهذا الكشف الجديد رأوا وما زالوا يرون – عدا استثناءات قليلة – أن هذا الشكل يصلح دون ما عداه وعاء لجمع التجربة الإنسانية إذا أريد التعبير عنها بالشعر[٣٦].» إلا أنه وقع كلام بين الباحثين في تحديد الرائد الأول للشعر الحديث، فالمعروف أن هناك نزاع بين السيّاب ونازك الملائكة على الريادة[٣٧]، كان السيّاب يجيد اللغة الإنجليزية ولذا ساهم مساهمة فعّالة في ترجمة الكثير من الأعمال العالمية لأدباء العالم، وممن ترجم لهم السيّاب الإسباني فدريكو جارسيا لوركا والأمريكي عزرا باوند والهندي طاغور والتركي ناظم حكمت والإيطالي أرتورو جيوفاني والبريطانيان ت. س. إليوت وإديث سيتويل ومن تشيلي بابلو نيرودا[٣٩].

وقد أصدر السيّاب مجموعة ترجماته لأول مرة عام ١٩٥٥ في كتاب أسماه: (قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث). وهذا نموذج من ترجماته، ففى ترجمته الرائعة لقصيدة «الوطن» من للشاعرة البلجيكية إميلى كامير يقول السياب[٤٠]: «إنه صوت بذاتهِ: صوت جرس في برج بعيد، وهو ضوء الشمس على الغبراء بين الشجر، أو غبّ ديمة من المطر، وهو سقف بذاته، تحت سماء بالذات، وأريج ممشى في شاعر بالذات، وحدورٍ تجثو لديه مزرعةٌ، وإحساسك بالعشب تحت الأقدام، وأريج ممشى في شارع بالذات، ونظرة خاطفة، واهتزاز يد بيضاء: شيء من الماضي، يعيا على الفهم من سرعته، هو ما تُحسّ به وتعجز أن تقول، حتى إذا غنّيت، وخير ما يقال فيه: إنه كلّ هذه الأشياء، هو ما تذوق وما تراه، هو ما تتنفس وتسمع، التبغ والجبنة والرغيف، وأوراق شجر زاهية، وزفيف ريح، والمشاهد المألوفة والأصوات، ومائدة في لقاء: هو ما تُحسّ وتعجز أن تقول، حتى إذا غنيت، وخير ما يقال فيه إنه كل هذه الأشياء. هو غبطة البدن ونعماه وخفق القلب للأطفال، تحملهم على الصدور، وهو رائحة الطريق، وهو طعم الأغنية، هو الحلم، وتباريح الثواء»[٤١].

وكان السياب قارئًا مثابرًا فقد قرأ الكثيرَ في الأدبِ العالميّ والثقافةِ العالميّة، كما أنّه قرأ لكبارِ الشعراءِ المعاصرين قراءةً أصيلةً عن طريقِ اللغة الإنكليزية التي كان يجيدها، وكان يقرأ الكتب الدينية كما يقرأ الكتب اليساريَّة!!»

استطاع السياب أن يجعل من الشعرِ عالمًا مُوازيًا لأرضِ الواقعِ، وكان شعره معبرًا عن حياته، وحياته مُتَجسدةً في شعره، وكما كانت فجيعته دائمةَ الحضورِ في حياته، فكذلك كانت في أشعارِه، وظلَّت آلامه وأحزانه سكينةَ أبياته طيلةَ مسيرته الأدبيّة. وقد تأثرتْ لغته بالتراكيبِ العربيةِ القديمةِ، فجاءتْ تعبيراته قويةَ التراكيبِ، متجددةَ الصورِ التعبيريّةِ، كما تأثر بالأدبِ الإنجليزيّ وأعلامه، فسطَّرت أنامله شعرًا عربيًا في ثوبٍ جديدٍ بأسلوبٍ فريدٍ، لم يعهده الشعرُ العربيُّ من قبل، وكان من أصحابِ السّبقِ في هذا المجال، مما دفع الشعراءَ لتصنيفه كأحدِ أهمّ رواد ومُؤسّسي الشعرِ العربي الحديث أو الشعر الحر[٤٢].

يُسلِّط الناقدُ و الأديبُ و المترجمُ جبرا إبراهيم جبرا الضوءَ بكلماتٍ مُوجزات أَجْمَلَ فيها سيرةَ بدر شاكر السياب إذ يقول : "كان في حياة السيَّاب من الدراما شيء كثير، دراسته، صباه في جيكور، فقره، غرامياته، سياسياته، اعتقالاته، خَيباته، فدائياته، عذابه الأيوبي الأخير، كلها دراما مُتصاعدة يحتلُّ هو فيها بؤرةً ملتهبةً، وقصائده لذلك تُؤخذ كلها معًا كمأساةٍ دراميةٍ متكاملةٍ تسترسل، و تنمو، و

تتصاعد"[٤٣]. لقد أوجزَ جبرا فأجملَ بحقٍ، إنّ كلًا مما ذكره عن شاعرنا المَكلوم، كان مُفارقةً من مُجمل المفارقات التي رسمت وشكلت التجربة الشعرية الخاصّة للسيّاب، ونُفصل بعضها فيما يلي:

جيكور ستُولدُ جيكور

النُّور سيُورقُ و النُّور

جيكور ستُولد من جُرحي

منْ غصَّةَ موتي من نارِي

سيفيضُ البيدرُ بالقمحِ

و الجرنُ سَيضحكُ للصبحِ

و القريةُ دارًا عن دارِ

تتماوجُ أنغامًا حُلوة

والشيخُ ينامُ على الرّبوةِ

و النخل يُوسوس أسراري

جيكور ستولد لكنّي

لن أخرج فيها من سجني

في ليل الطين الممدود

لن ينبضَ قلبي كاللحنِ

في الأوتارِ

لن يخفقَ فيه سوى الدود[٤٤]

ونلاحظ رد فعل الاغتراب بين العودة للطفولة واسترجاع الماضي وتخيل المدينة الحلم والرجوع الى التراث ليستلهم منه ، اضافة الى ما حصل عليه من ثقافات اجنبية اخرى ، فقد مضى يتذكر

جيكور والمطر والبصرة ووفيقة وشناشيل إبنة الجلبي ،وهذا الرجوع للطفولة هو مقاومة لأغتراب الواقع المر الذي فت في عظمه نتيجة عدم استقراره ، لأنه كان متنقلاً لأسباب سياسية أو مرضية .

لقد قتلت الغربة براءة الولد الذي جاء من الريف النقي الى المدينة المكتظة بمختلف المشارب مما جعل قسوة المدينة تنسحب على حياته ، مما زاد في غربته اذ ارتبطت حياته في المدينة بالقهر السياسي والسجن والتشرد من مكان لآخر ، كما عانى من الفقر والفاقة والاذلال ، ومن هنا نستطيع ان نقول ان السياب عاش غربة روحية تضافرت عليها عوامل متعددة كالعوامل العاطفية والسياسية مع ما أفرزه مرضه الوبيل من هواجس وآلام لتشكل عنده حالة نفسية مركبة هاجسها الموت الذي انعكس على شعره الذي امتلأ بروح التشاؤم والحزن [٤٥].

بدأ التمرد على شكل القصيدة العمودية، بما تتميز به من تناسق وجمود وانتظام صارم وزخرف لفظي مبالغ فيه، مع أول احتكاك بين شعراء العرب وبين الشعر الغربي، حيث أدت المحاولات المبذولة لترجمة الشعر الأوروبي إلى العربية وتقليده، شكلاً ومضموناً، إلى محاكاة أنماط التقفية في الشعر العربي، وتبني نماذج التقفية المماثلة لها في شعر المولدين في الشعر الشعبي. كذلك أدى ذلك إلى ابتكار أشكال جديدة استطاعت، بمرور الزمن، أن تزحزح القصيدة العمودية عن المكانة السامية المرموقة التي احتلتها منذ العصر الجاهلي وعلى مدى تاريخ العربية كله[٤٦].

وجد شاكر السياب نفسه في مفترق طرق بين موروث شعري بنيَ على قواعد صارمة، وبين أدب عالمي تفاعل مع حركة الحداثة عبر مجموعة من الحركات التجريبية والتطويرية ليبلغ مرحلة التحرر، وبين مناخ عام يضغط باتجاه التجديد في مختلف المجالات، وبين تفاقم الحاجة للتعبير بالطرق التي تنسجم مع الذات الشاعرة، التي بدا العمود يضيق برؤاها الجديدة وصورها وأخيلتها، بحكم ما طرأ على حياة الإنسان من متغيرات وعلى تركيبته النفسية من تعقيدات[٤٧]، لقد كان التجديد استجابة طبيعية، فعبر التاريخ كانت تتهيأ للشعر مواهب فذة تكون على صلة عميقة به تتعامل معه بوصفه همّاً وجودياً وليس صناعة أدبية، تتحسس خموله وتململه وعجزه عن التعبير عمّا تمور به الذات، بل إنَّ الموضوعات الجديدة والرؤى الإبداعية المغايرة تحتاج إلى قوالب تعبيرية جديدة[٤٨]، فضلاً عمَّا يتوفر لتلك المواهب من اتصال حضاري وتأثر بالثقافات الأخرى وبإيقاع العصر وهمومه ومشكلاته ومناخاته، وهذا هو السياق الثقافي الذي ولدت فيه ما يسميه بعض النقاد بـ" الموجة الأولى للحداثة" في هذه الحاضنة الثقافية ولد ما سمي بـ"الشعر الحر" مجازاً أو مغالطة إذ اتفق غالبية النقاد والدارسين

على عدم دقة استعمال المصطلح مع ذلك نستعمله لنعني به تلك الموجة التي لم تكن عابرة ولم تكن عارمة، إنما اختارت طريق التوازن في علاقتها بين التراث والمعاصرة، فلم ترضِ طموحات الحداثيين كاملة ولكنها فتحت باباً للحداثة، ولم تثر غضب التقليديين وإن أزعجت بعضهم، لأنها دافعت عن روح العمود الشعري وسماته[٤٩].

توقف الناقد (غالي شكري) عند تجربة الرواد ليرى "في شعر السياب بذور المعادلة الصعبة، الانتماء المغترب من ناحية والتراث المعاصر من ناحية أخرى [٥٠]، ولهذا بدأت أضجر من قصائد السياب ونازك، دون أن أنكر دورهما التاريخي" ورأى (سامي مهدي) أنَّ الرواد لم يستفيدوا استفادة معقولة من عملية التخلص من نظام الشطرين، فلم يعطوا الحداثة حقها، بينما عزا (عبد الرحمن طهمازي) ثبات الشكل عند الرواد إلى "ما تحملوه من (ضرائب الريادة) ومتاعب الدفاع عن الشكل الجديد وحرص الشعراء على تثبيته خوفاً من أن يهرب من سيطرتهم" وذهب (فوزي كريم) إلى أنَّ "حداثة" جيل السياب بقي أسير الرؤيا الشعرية التقليدية، إذ لم تحمل قصائدهم أصداء القصيدة الجديدة وليدة العصر الجديد التي يراها متجسدة بصوت "أدونيس" وتجربة مجلة "شعر" منطلقاً من المفهوم الغربي للحداثة[٥١]، وقد يصح هذا القول إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الاستعمال غير الدقيق لمصطلح "الشعر الحر" وهو المصطلح الذي ينطبق بصورة عامة على قصائد (أدونيس، ويوسف الخال، وأنسي الحاج، وجبرا ابراهيم جبرا، وتوفيق صايغ، ومحمد الماغوط) وغيرهم، لكن هذا لا يعني انعدام عناصر الحداثة في تجربة الرواد، سواء أكان ذلك بوصف الحداثة آلية للتجديد والمغايرة في سياق ثقافة معينة لها خصوصيتها التاريخية والنفسية، أم بمحمولاتها الغربية[٥٢]، اللّهم إلا إذا اختزلنا الحداثة، بحسب المفهوم الغربي، إلى مجرد نزعة واعية لمركزية العقل ونبذ اللاهوت، فبهذا المعنى يكون (أدونيس) رائد الحداثة العربية، ونرى أنه لا مبرر من تحديد معنى الحداثة على ضوء نظرة غربية واحدة من دون النظر إلى اختلاف السياقات الثقافية، فقد استعملت كلمة "حداثة" في الثقافة الغربية عموماً "مرادفاً للرومانسية، واستعملت كذلك في وصف الأجواء العامة للأدب الأوروبي في القرن العشرين واستعملت من جانب آخر في وصف حركة جارفة معينة غطّت الحضارة الأوروبية" كما يقول مالكم براد بري وجيمس ماكفرن في كتابهما الشهير(الحداثة)[٥٣] إلى درجة أنَّ "الحداثة" استعملت وصفاً عاماً للقرن العشرين، وعلى العكس من (فوزي كريم) يصيغ (د. عبد الله الغذامي) فرضية تقول "إن كان السياب مع نازك يمثلان مشروعين في كسر عمود النسق الفحولي والتأسيسي لخطاب جديد، فإنَّ نزار

وأدونيس سيتوليان إعادة الروح للنسق الفحولي بكل سماته وصفاته الفردية المطلقة والفحولية التسلطية"، وهذه النظرة لا تقل في أحاديتها وانتقائيتها عن نظرة (فوزي كريم)[٥٤].

تناول موريه أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث ١٨٠٠ – ١٩٧٠، فكرة لم يتوصل إليها أحد سابقاً وهي التشابه بين الشعر المهجري والمزامير المسيحية البروتستانتية المترجمة إلى العربية، فرغم كثرة الدراسات عن الشعر المهجري وأعلامه لا نكاد نجد أحداً من الدارسين تنبه إلى هذه النقطة وعالجها بمثل ما صنع موريه، وهكذا انعطف البحث صوب زاوية جديدة . استلهم الادب العربي الاشعاعات الكونية للأدب الغربي (الاوروبي والامريكي) في الشعر بشكل خاص، حيث قرأ جيل الرواد التجارب الطليعية للشعر الغربي. و بداية التحول في الشعر العربي بان التأثر والتأثير الذي حدث بشروط موضوعية وغير موضوعية جربت الشعرية العربية منذ الملائكة والسياب البياتي والبريكان وبلند حظهما في التجديد وفي الثورة الشعرية الحقة. سائرة و مؤصلة الوعي الشعري الاوربي المتضارب في الشعر العربي ، أهم ما تأثر به الشعر العربي بفعل الشعر الغربي هو الخروج على عمود الشعر التقليدي وظهور أشكال جديدة في الشعر العربي[٥٥].

أن العولمة كانت قد غزت الشعر العربي الحديث أول ما غزت في الثقافة العربية المعاصرة، وذلك رغم حرص المحافظين على الشعر العربي والأسلوب الشعري وشكل القصيدة التقليدي. وقد تم ذلك بظهور الشعراء المجددين فيها، ابتداء من فرنسيس فتح الله مراش، مروراً بجبران وأحمد زكي أو شادي وجماعة أبولو القاهرية، ثم يوسف الخال في مجلة «شعر» والشعراء الذين التفوا حوله[٥٦].

على الرغم من ان النقد العربي القديم، اطلق مصطلح الشعر المحدث والشاعر المحدث خلال المعركة النقدية التي حدثت بين ابي تمام وخصومه، وبين كل شاعر محدث وآخر، إلا ان مصطلح الحداثة لم تتضح دلالته الحقيقية الا في العصر الحديث وفي النقد الغربي على وجه الدقة[٥٧]. ولابد لنا هنا من التشديد على اننا لا نستطيع ان نفصل الحداثة العربية في العصر الحديث عن حداثة العالم الغربي، لأن التفاعل والتبادل من خصائص الثقافة العربية وقد اغنى هذان العاملان هذه الثقافة. بمعنى ان الحداثة العربية متأثرة الى حد كبير بإنجازات الحداثة الغربية، الامر الذي يبعث على القول إن هناك تبعية إبداعية تتزامن مع التبعية العامة التي تعيشها الأمة سياسياً واقتصادياً وثقافياً[٥٨]، لدرجة دفعت باحثا إلى القول إن الحداثة العربية "كالصدى لأصوات بعيدة سواء كانت العلاقة بين الصدى ومصدره مباشرة أو غير مباشرة"ودفعت آخر الى القول ان "استيراد الحداثة في الحياة والأدب

أمر مشروع، وهو شبيه باستيراد وسائل الصناعة ووسائل الدفاع والمدارس الأدبية[٥٩]."
مما تقدم نفهم ان الحداثة في جوهرها ثورة حضارية شاملة، لايمكن فصلها عن السياقات الاجتماعية والتاريخية والحضارية والاكتفاء بالنظر اليها بوصفها ظاهرة ثقافية او شعرية معزولة بذاته. وتستدعي التحولات الخطيرة التي شهدتها الأمة العربية تحولاً في الثقافة، اذ بدأت معالم التغيير والتحول تظهر على الساحة العربية مع بدء ما يسمى بعصر النهضة العربية أو عصر التنوير. هذا العصر الذي بدأ يشهد تشكيل بنيات جديدة على انقاض بنيات العصر الوسيط. وتوشك الحركة الأدبية أن تجمع على ان حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ كانت بداية حداثة النهضة العربية[٦٠] . واما نهضة العراق فاختلف الباحثون فيها، فمنهم من يرى ان العصر الحديث بدأ في منتصف القرن التاسع عشر، ومنهم من يرى ان مطلع القرن العشرين هو البداية الحقيقية لحركة الحداثة وبالذات منذ كتابة الدستور العثماني١٩٠٨[٦١] .

وفي هذه المرحلة شاع مصطلح الشعر الحديث، وان الحداثة مفهوم الحديث، وقد تحول الشعر نفسه بفعل التحولات الحضارية النهضوية، وتغيّر الشعر في شكله ومضمونه وفي تجربته الحديثة بشكل عام، ولا سبيل الى الحديث إلا ببعث القديم واحيائه من جديد، لان الجديد يجب ان يكون من صميم الماضي، إنه اتصال به وانفصال عنه في الوقت نفسه، بمعنى ان التجديد ليس محاكاة للقديم وانما القديم سيولد مرة ثانية في حلية جديدة[٦٢].
في ضمن هذا المفهوم حاول عدد من شعراء النهضة أن يحيوا الماضي من اجل الحاضر والمستقبل، وأن يتصلوا بحداثة العالم الغربي الوافدة على الوطن العربي منذ اوائل القرن التاسع عشر، وكان الثلث الأخير من القرن التاسع عشر البداية الحقيقية لحداثة النهضة. فكان (البارودي) الذي وصفه بعض الباحثين بأنه رائد الشعر الحديث، ومن جاء بعده من الشعراء العرب مثل (أحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم، ومطران والرصافي والزهاوي) وغيرهم يشهدون التحول الذي حدث في الحياة العربية، لذلك سعوا نحو إحداث التغيير والتجديد في محاولاتهم الاحيائية في الشعر[٦٣] .
وافلح (السياب في استغلال إمكانات الشعر العربي القديم، ولم يكن مقلداً له، وانما عمل جاهداً على ان يرجع للشعر جزالته ونصاعته ورصانته. وكأنه يقوم بدور الرقيب المحافظ على الشعر. وان كان قد حاكى القدماء في اغراضهم وطريقة عرضهم للموضوعات وفي اسلوبهم، وفي معانيهم، لكن كان له تجديد واضح في شعره من حيث التعبير عن شعوره وعن مشاهداته[٦٤]،

وبذلك اعطى (السياب) للشعر العربي دفعة جديدة مكنته من النهوض ورد اليه الحياة والروح. وقد اعجب الشباب الناشئ في تلك المرحلة بدور (السياب) النهضوي، واستطاع (السياب) ان يجدد في الشعر، متأثراً بـ(لافونتين) واساطيره، و(هيجو) وشعره التاريخي. إلا ان تجديده الحقيقي يكمن في اقتحامه عالم المسرح الشعري، وتخليق هذا الجنس الادبي المستحدث في الأدب العربي الحديث، وهذا ما يدل على انه لم يقف عند حدود القديم، بل كان شاعراً مجدداً، وحاول ان يبدع، ولكن في حدود الاسلوب العربي الأصيل ، وفي حدود امكانياته هو الشخصية والثقافية. وربما فتح (السياب) آفاقاً جديدة للشعر والشعراء الذين عاصروه، طالباً منهم ان يعالجوا الطازج من الموضوعات، وان يعبروا عن احاسيسهم وافكارهم الخاصة، وان يعكسوا في شعرهم الحياة العصرية. ويقول بذلك مشدداً على (عصرنة) الشعر: "أريد ان يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف انواع رقيه"[٦٥]. ان عملية الخلق والابداع في الشعر اذاً تقوم على العصرية، عند السياب، وهذا ما يجعلنا نقول عنه انه شاعر فهم عملية التحديث فهماً عصرياً.

ان محاولات السياب التجديدية كانت محاولات تختلف بعض الشيء عن محاولات شعراء النهضة، لأنها كانت محاولات واعية تصدر عن ادراك كامل لضرورة ادخال التغيير الى جسم الادب العربي لكي يساير روح العصر، وقد عبر عن ضرورة إحداث هذا التجديد، ولكن بصورة متدرجة ونامية فيقول: "مهدتُ الطريق للتجديد قبولاً في دوائر أدبية كانت ضيقة ثم أخذت تتسع إلى ما وراء ظني، وستستمر في الاتساع بحكم العصر وحاجاته والعلم ومقتضياته والفن ومستحدثاته". بمعنى ان التجديد شمل شكل القصيدة ومضمونها[٦٦].

ومن انجازاته الحداثوية التي اصبحت فيما بعد عنصراً ثابتاً من عناصر الشعر الحديث ، تشديده على الوحدة العضوية في القصيدة، حيث تتلاحق احداث القصيدة حتى تبلغ الذروة. وطالب بضرورة توافرها في القصيدة العربية الحديثة. واستحدث ايضاً القصص الدرامي الذي يتصل بالحياة والانسان ، وبتأثير مباشر من الغرب، ولاسيما الأدب الفرنسي، ويكون بذلك قد حقق حلم الكثير من شعراء العرب الذين غاب عنهم هذا النوع من الشعر، ذو الطابع الرومانسي والتاريخي. وكان وراء لجوئه لمثل هذا النوع من الشعر رغبته في التعبير عن الأفكار الخاصة التي تمس المجتمع وحريته المقيدة. وبتجديده هذا تقدم الشعر العربي خطوة الى الامام[٦٧].

وعلى الرغم من تجديده وعصريته بقي مغلقاً عند حدود تجربته، بمعنى انه لم يستطع الانفصال عن القديم، بل كان يجري في شعره والى جانبه تيار الجديد الذي جاء له من التأثير الغربي. ويؤكد الساب ارتباطه بالقديم ورغبته في إحداث التجديد فيقول:

أما الأمنية الكبرى التي كانت تجيش بي، فهي أن ادخل كل جديد في شعرنا العربي" فالتجديد هو الذي يحافظ على اللغة وحيويتها، لكن دون الانفصال التام عن اصولها، وانما الانفكاك من القيود الجامدة التي لا تلائم العصر الحديث[٦٨]. ويمثل شعر بدر أهم الاتجاهات الشعرية التي عرفها عصره، وكانت له حصيلة واسعة من الموروث الشعري الكلاسيكي، بالإضافة إلى ترجماته لمختارات من الشعر العالمي إلى العربية.

بدأ بدر كلاسيكياً، ثم تأثّر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا، لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفّار القبور؛ المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال. وشعر بدر التّموزي أبدع ما ترك من آثار، لاسيما ديوان أنشودةّ المطّر[٦٩]، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميّز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد، ومن أشهرها أنشودة المطر، ومدينة السندباد؛ والنهر والموت؛ وبروس في بابل؛ وقصيدة المسيح. وتعد قصيدتاه: أنشودة المطر؛ وغريب على الخليج صوتاً مميزاً في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة. يقول مطلع أنشودة المطر:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شُرْفَتَان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء كالأقمار في نهر

يَرُجّه المجذّاف وَهْناً ساعةَ السحر

وتبلغ القصيدة ذروتها في قوله:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع

بلا انتهاء . كالدم المراق، كالجياع

كالحب، كالأطفال كالموتى . هو المطر[٧٠]

وأما غريب على الخليج التي تصور معاناة السياب الحقيقية مع المرض، ويرجّح أنها آخر ماكتبه من شعر، فتشف عن رؤية تمور بشوق عارم لوطنه العراق وخشيته الموت بعيداً عن أرض هذا الوطن، وهي مثال لشعر الاغتراب في الأدب العربي. يقول في مقطع منها:

ليت السفائن لاتقاضي راكبيها عن سفار

أو ليت أن الأرض كالأفق العريض بِلا بِحَار

مازلت أحسب يانقود، أعدكن وأستزيد

مازلت أنقص، يانقود، بكن من مدد اغترابي

مازلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي

في الضفة الأخرى هناك فحدثيني يانقود

متى أعود، متى أعود

واحسرتاه... فلن أعود إلى العراق[٧١].

وكان ذلك من أسباب فحولته بين الشعراء المحدثين يقول:

ماذا جنيت من الزّمان سوى الكآبة والنّحول

وأراقب اللّيل الطويل يذوب في الصبح الطويل [٧٢].

مما تقدم ، نرى ان (السياب) قد حقق انقلاباً ولو جزئياً في الشعر العربي، وهذا ما جعل معظم الباحثين يصفونه بريادة التجديد في عصره. ومن اوائل شعراء العرب عكس النزعات الحديثة، وتحرر

من جمود التقليد ، وإنه كان السلف الطيب لشعراء المدارس التي تبعته[٧٣].

اعتمد بدر شاكر السياب في شعره على ثلاثة أنواع من موسيقى الشعر العربي، فلم يكن استخدامه لها عفويا بل بناء على حياته النفسية والشعورية والتي نجده فيها دائما كئيبا حزينا، فالسياب لم يصل إلى موسيقى الشطرين إلا بعد تجارب ومحاولات سابقة كثيرة، وكان تأثر في ذلك بموسيقى الشعر القديم القائم على ارتفاع الخبرة والخطابة. وقد جُمع ذلك الشعر في ديوان يقارب ستمائة صفحة من الحجم المتوسط يضم حوالي سبعين قصيدة، وبالنظر في موسيقى هذه القصائد يتبين لنا أنه يمكن تصنيفها ودراستها في ثلاثة اتجاهات موسيقية عامة[٧٤].

و لكن رغم الصعاب و المشاكل النفسية و الاجتماعية و السياسية التي عاشها السياب، إلا أنه كان له وزن أدنى في العراق و في العالم الغربي، و سيبقى الأكثر نفوذاً في الوسط الأدبي في العراق و خارجه، و علاقاته على مستوى بلده على ومستوى العالم العربي، فهذه العلاقة تعطي للسياب وزنا ققيلاً لدى الناس و الصحافة و الوسط الأدبي [٧٥].

إيقاع الخصب والنماء

فإن الظلم الذي كان يسود أبناء هذا المجتمع جعلهم ينظرون إلى النقيض الموجود في المجتمعات الغربية وإلى الازدهار الحضاري الذي أصابه بسبب حرية الإنسان ووجود الدستور الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والثاني يكمن في "غريزة المحاكاة في المجتمعات ولذلك يمكن أن نقول أن نشوء الصحافة والقيام بترجمة الكتب الأدبية وتقليد الأنواع الأدبية كانت نتيجة للسبب الأول فهي فاعلة ومتفاعلة فهي تؤدي إلى المطالبة بالحرية وتنبه الأذهان إليها كما أنها تنمو وتقوى كلما رسخت هذه الحرية وبهذا تكون الأسباب تندرج ضمن الهزات الجماعية التي تهز المجتمع وتشمل كل مفاصل الحياة ولهذا نرى أن النزعة إلى التمرد الاجتماعي واضحة جداً في شعر شعراء القرن العشرين، وقد نجد هذا اللون من الإيقاع واضحا في القصائد التالية:

مرحي غيلان؛ غارسيا لوركا؛ النهر والموت؛ المسيح بعد الصلب؛ في المغرب العربي؛ شناشيل ابنة الجلبي؛ أنشودة المطر [٧٦].

يعد السياب في قصيدة "أنشودة المطر" من أوائل الشعراء الذين أغرقوا أنفسهم في استخدامهم الرموز، فمن الطبيعي أن نجد الشاعر يلبس ألفاظا حلة جديدة مجازية بعيدة عن الواقع بطريقة رمزية لغرض

ما في نفسه، فالمطر قد يوحي بذكريات الطفولة والأحلام السعيدة، وقد يعنى الجوع حين يربطه الشاعر بجو خاص كما هو مسجل في القصيدة:

كأنّ أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرة فقطرة تذوب في المطر

وكركر الأطفال في عرائش الكروم

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

أنشودة المطر

مطر

مطر

مطر (٧٧)

تميزت قصائد السياب بالخروج عن القصيدة التقليدية وبالحزن يسكنها، بسبب ظروفه الصعبة التي عاشها وبسبب الداء العضال الذي أودى بحياته في سن مبكرة.لديه مأوى ومكانا للهموم، أو هروبا عن الواقع(٧٨).

ونجد في قصيدة مرحى غيلان التي يصور فيها أيضا المطر اختفاء إيقاع التفعيلة متفاعلن ليبرز مكانه إيقاعه آخر ناشئ عن تكرار اللفظة" بابا " إحدى عشرة مرة في القصيدة. وقد تعمد الشاعر أن يتخذ من هذا الإيقاع محورا تدور حوله أحداث القصيدة، وتتعلق به بفضل ما أتاح له من الشخصيات العاطفية التي تحملها كلمة "بابا" التي تشبه في تأثيرها الموسيقى النفسي تعويذة الساحر ورقية العراف:

"بابا، بابا"

ينساب صوتك في الظلام، إليّ، كالمطر الغفير،

ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير

من أيّ رؤيا جاء؟ أي سماوة؟ أي انطلاق؟

وأظل أسبح في رشاش منه، أسبح في عبير

فكأن أودية العراق

فتحن نوافذ من رؤاك على سهادي، كل واد

وهبته عشتار الأزهار والثمار [٧٩].

ان السياب كان ومنذ حداثة عمره، قد تأثر بالشعراء القدامى وذلك من خلال قراءاته العميقة لمعظم الشعر العربي في كل عصوره وازمنته وانماطه واشكاله المتعددة وكان قد تعمق بالقراءات الاسطورية والميثيولوجية والتوراتية والانجيلية والقرآنية التي كان لها اثرها الكبير وتأثيرها العميق في بناء ثقافته الشاملة ووعيه الشعري المتوهج، ثم أولع بالثقافة الغربية وتأثر أشد الأثر بأعمال وليام شكسبير الشعرية والمسرحية

وحرص على قراءة اعمال اهم الشعراء الغربيين مثل: ت. أس . إليوت وكيتس ووردزورث وكولردج وغيرهم .وقد استفاد منهم واستثمر نتاجاتهم الابداعية المدهشة في تعزيز خبرته الشعرية والجمالية واثراء رؤيته الفكرية ولغته وصوره الشعرية ، فهذا الإيقاع ساعد السياب على رسم حزنه الذي شكل في قضية البعث، فهو لا يريد الموت بل أن تبعث له حياة جديدة.

برزت هذه التحوّلاتُ ليس فقط في السّياق الموضوعي للنّص، بل في الأسلوبية اللّغوية والإيقاع النّصي، وقد ترجمَ السياب قدرتَه الإبداعيّة في إختراق السّائد من خلال الصورة الفنية للقصيدة. ففي دراسة القاموس اللغوي، نستنتج أنّ السيّابَ يرسمُ من خلال الكمِ الهائلِ من الالفاظ إشاراتٍ رمزيةً ودلالاتٍ مبهمةً حدودَ الواقع عن طريقِ الادراكِ الذاتيّ والفهمِ المطلق لواقعِ الأمة؛ بينما ما أعطى خطوةً جديدةً في القاموس اللغوي فجرّدَ الألفاظَ والتعابيرَمن دلالاتها الواقعية ليشحنَها بدلالاتٍ نفسيّةٍ وجدانية[٨٠].

ونجد أيضا قصيدة أنشودة المطر المليئة بألفاظ الحقل الدلالي الحزين والتناقضات التي صنعها الطباق فيما يلي تؤكد الحزن العميق الذي يعيش فيه الشاعر من خلال خوفه من شيء ما يحاصره، التي تظهر ليس فقط في عبارات لفظية كهذه:

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

الموتى والميلاء والظلام والضياء[٨١].

إيقاع الجفاف والضحالة

سمي هذا الإيقاع بهذه التسمية لأنه يزرع في النفوس الخوف والرعب. وقد نجد مثل هذا الإيقاع في قصيدة "مدينة بلا مطر" وهو يرسم لوحة فنية للمطر التي نظمها على وزن مفاعلتن المتكررة ومنها قوله:

سحائب مرعدات مبرقات دون إمطار

قضينا العام بعد العام بعد العام نرعاها.

وريح تشبه الإعصار لا مرت كإعصار

ولا هدأت ننام نستفيق ونحن نخشاها

عيونكم الحجار نحسها تنداح في العتمة.

لترجمنا بلا نقمة.

عذارانا حزانى ذاهلات حول عشتار.

يغيض الماء شيئا بعد شيء من محياها.

وغصنا بعد غصن تذبل الكرمة [٨٢].

ومن مراجع قصيدته يبرز المرجع الشعري الغربي. لقد قرأ ذلك الشعر المتاح بلغته الأصلية، وأصبح شعراؤه أصحاباً يرثيهم أو يتذكرهم كقصائده عن لوركا وبودلير ولوي ماكنس، كما يضمّن أبياتاً من شكسبير وإليوت وستويل وغيرهم، كما يكشف عن فهمه لمناهجهم وأساليبهم في الكتابة الشعرية. وربما استعار بعض الصور لينظمها جديدةً في نصوصه. وبهذا أيضاً يقدم درسا في التناص والكيفيات الممكنة ليعيش نص سابق في طيات نص جديد.

ويتابع السيّاب ما يصنع إليوت من هوامش في قصائده تعرف بما يرد جديدا في متن النص، ويكشف عن إحاطة تامة بتلك الخرافات والأساطير متنوعة المصادر والتي ضمتها قصائده، ومن أبرزها رموز

الخصب عند العراقيين القدامى، فالإله تموز والآلهة عشتار هما بحسب الأدبيات الرافدينية مصدر الخصب، وسر عودة الحياة في الربيع بعد جفاف وذبول وموت. ومهما اعترضت الدراسات الحديثة على استخدام السيّاب للأسطورة بتراكم أو تفاصيل منقولة ومطولة، فإنه يظل فاتح باب تلك التقنية الموضوعية التي توازي في أهميتها التحرر من القيود الإيقاعية التقليدية. والسيّاب يكيف تلك المصادر والنصوص ليعطيها هوية شعرية أولا متخلصا من سرديّتها، كما يمنحها حيويتها بالاختلاط والمزج والإسقاط على مشاهد محلية أو أحداث وأزمنة، فتغدو أساطير مخلوقة لتناسب الحالة الشعرية والشعورية التي يريد توصيلها، فنرى المسيح وتموز مثلا يجولان في جيكور، أو يتخذهما الشاعر كأقنعة يتخفى وراءها ويوصل محمول قصائده.

وستظل تلك التقنيات حية بجانب ما كتب من مطولات شعرية معبأة بالسرد وعناصره، أو ما كتب من تراسل حسي باستبدال وظائف الحواس وتحميلها وظائف صورية أو شعرية، واستخدامها للتعمق في الحالة المراد توصيلها كما في سماعه للحصى يصل في قرار النهر. ولا شك في أن غزارة شعر السيّاب قياسا لعمره ستظل موضع تأمل وتفسير، فقد كتب مثلا في شهر واحد اثنتي عشرة قصيدة، فيصح فيه ما قاله أنسي الحاج من أن السيّاب يسيل به الشعر ويسيل معه حتى الموت(٨٣).

وما زالت القراءات المتتالية والمتباعدة تجد فيها حداثة فريدة توحي بالكثير لقرائها ودارسيها: فهي قصيدة سياسية ولكن بجماليات حديثة لا شعارات فيها أو مباشرة تفسد إيحاءاتها، وهي ذات نظام بنائي غريب يستوقفنا لمعاينة المطلع الغزلي والتكرار الصوتي والطابع الجمعي الذي يحولها نشيدا لا مجرد قصيدة.

فجاء قصيدته تلك تعجّ بألفاظ المطر والذي نجده فيها يعزف على سيمفونية نفسه، لكن بأسلوب مختلف؛ فهذه المدينة أقفرت من كلّ مظاهر الحياة والخصب، فالسحب ترفرف في سماءها لكن دون إمطار، والناس خائفون حيارى جياع، جوع وخوف وعدم الشعور بالأمن، لذا أضحت النساء عذارى ذاهلات حول عشتار (إلهة الأنوثة والحب) ما من أحد يبدّد ذهولهنّ، فهذا النفي يلغي كل أسباب الحياة الممكنة على أرض هذه المدينة.

ولكن مرّت الأعوام، كثرا ما حسبناها،

بلا مطر، ولو قطرة

ولا زهر، ولو زهرة

بلا ثمر – كأنّ نخيلنا الجرداء أنصاب أقمناها

لنذبل تحتها ونموت(٨٤).

،لقد دوّن السيّاب بقدرة الرائي ما سيحل في وطنه الذي ظل حلما يحمله وهو يتنقل في مستشفيات الغرب أواخر سنوات حياته، وترميزه لفكرة الموت والانبعاث ثانية هي ما جعلته يذكر قيامة المسيح بعد الصلب في عدد من قصائده. هي أحزان تلبسها الألفاظ تعكس عمق ألم الشاعر.

الإيقاع المأساوي

يتمثل في إيقاع "اللحن الجنائزي" ومن خصائصه كثرة الحروف الدالة على الحنين والبكاء والحنين إلى الموت، ويكون فيها الحقل الدلالي للقصيدة تجسيدا لذلك، فقصيدة نسيم من القبر التي يقول فيها الشاعر:

نسيم الليل كالآهات من جيكور يأتيني فيبكيني

بما نفثته أمي فيه من حب وأشواق.

تنفس قبرها المهجور عنها قبرها الباقي

على الأيام يهمس بي "تراب في شراييني

ودود حيث كان دمي وأعراقي

هباء من خيوط العنكبوت وأدمع الموتى

إذا أدركوا خطايا في ظلام الموت: ترويني

مضى أبد وما لمحتك عيني"(٩٥)

وفي البدء والخاتمة، فان السياب والحداثة كانا صنوين وكذلك تؤامين متداخلين حد التوحد والتماهي بما لايقبل الانفصال والاختلاف على هذه الحقيقة مطلقا . ولايخفى علينا فقد تفوق السياب على ذاته واصبح: شاعرا نسيج نفسه، والرائد الحقيقي لحركة الحداثة الشعرية العربية، حداثته لم تأتِ بمحض مصادفة أو مجرد نزوة من نزواتْ حب الاختلاف والاستعراض والادعاءات الفارغة، لا بل انها كانت نتيجة مخاض عسير ومعاناة حياتية في غاية القسوة والالم والفجيعة [٩٦].

الخاتمــة

ونستخلصُ من هذه الدراسة

لم يخرج السياب عن نظام الأوزان الشعرية المعروفة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد اعتمد على مستويين من الإيقاع أحدهما داخلي والآخر خارجي، فالخارجي يحدده الوزن والقوافي، أما الداخلي فيحدده التكرار بأنواعه المتعددة.

أن السياب تمكن من رسم شخصنته الشعرية المميزة وخاصة بأقتحامه للمنجز الأدبي العربي بنقلة نوعية من الرومانسية القديمة إلى عالم الشعر (الحر) الذي يلبي طموحات الأنسان في آماله وتأملاته الحياتية .

ان (االسياب) يبالغ ويتطرف عندما يشدد على التجديد، وتطرفه ينبع من حس نقدي واضح، ان الشعر لابدّ ان يلحق بالعصر، ولابد ان يلبي حاجات النفس المتجددة، ولابد ان يواكب جديد الحياة نفسه ، وقد تجلّت هذه التّحولاتُ من خلال الثورةِ التي أطلقها بدر شاكر السيّاب في شعره برفضِ الموضوعات القديمة والدعوة الى الغوص في تصوير عذاب الانسان بغية العيش بحياة كريمة في وطنه وأرضه.

ان الجديد الذي يعنيه (السياب) هو "ما كان مشبعاً بالشعور العصري"

تأسيساً على ما تقدّمَ، ارتكزت هذه الدّراسةُ على إشكالياتٍ متعدّدةٍ، ولعلّ أبرزَها: ما الموضوعات الجديدة التي أفرزتها التّحولات الشعرية في تجربة شعراء الدراسة؟ وما الدلالات اللغوية والتّصويرية التي أنتجها النّص الإبداعي عند الشّعراء؟

فشاعرنا السياب في الأربعينات كان واضحاً بمقارباتٍ نصية شعرية بما لدى(أليوت) من تركيز على التراث وأستخدام الأسطورة والرمز والأيحاء والأشارة التضمينية .

وهكذا رحل شابًا يجرّ لوعته وأحزانه، لكنّ بصمته ظلّت شاهدة على نبغته وسبقه في عالمِ الشعرِ الحرّ، حتى شُيدَ له تمثالًا تذكاريًا عند شطِّ العربِ بالبصرة، ولن ينسى التاريخُ شاعرَ المشاعرِ المُجهضةِ، ورائدَ الشعرِ الحديثِ بدر شاكر السيّاب.

الهوامش

[١] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، دار المسيلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣، ص ٧٣٤.

[٢] خليل كمال الدين، الشعر العربي الحديث وروح العصر، دار العلم الملايين، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٩٨.

[٣] خليل كمال الدين، الشعر العربي الحديث وروح العصر، ص ٢٩٨.

[٤] عبد الحميد حبيرة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص ٣٥٢.

[٥] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، ص ٣٢٥.

[٦] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، ص ٣٥٢-٣٥٣.

[٧] محمود درويش، هي أغنية .. هي أغنية، دار العودة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٣.

[٨] سعيد الورقي، في لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣، ص ٢٧٣.

[٩] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب: دراسة تحليلية في موارده، صوره، موسيقاه، ولغته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٣٩.

[١٠] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٤٧.

[١١] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٤٧.

[١٢] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٥٦.

[١٣] خليل كمال الدين، الشعر العربي الحديث وروح العصر، ص ٢٩٨.

[١٤] موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث، ترجمة شفيع السيد وسعد مصلوح، مراجعة لبنى صفدي، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٤، ص ٣٩٤.

[١٥] حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨، ص ٧٢.

[١٦] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دراسته نقدية، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٥٢.

[١٧] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ١٥٦.

[١٨] موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث، ص٣٦٤.

[١٩] بدر شاكر السياب، ص ٤٤٨.

[٢٠] بدر شاكر السياب، ص ٤٨٧-٤٨٨.

[٢١] بدر شاكر السياب، ص ٤٨٧-٤٨٨.

[٢٢] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٦٨.

[٢٣] بدر شاكر السياب، ٣٢٢.

[٢٤] سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٧.

[٢٥] بدر شاكر السياب ، عبد الحسين شعبان ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٦٥ .

[٢٦] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٦٩.

[٢٧] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دراسته نقدية، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٥٢.

[٢٨] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٥٦.

[٢٩] الالتزام وللالتزام في الأدب العربي الحديث: محاضرة ألقيت في روما ونشرت في كتاب الأدب العربي المعاصر، منشورات أضواء، بدون مكان للنشر ودون تاريخ.

[٣٠] ديوانه " أنشودة المطر " ، ضمن مجموعته الكاملة المجلد الأول ص ٤٧٤ ، دار العودة – بيروت ، ١٩٩٩.

[٣١] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٤٧

[٣٢] بدر شاكر السياب، ديوانه، دار العودة، بيروت، مج١، ١٩٧١، ص ٤٤٧.

[٣٣] بدر شاكر السيّاب: دراسة في حياته وشعره، د.إحسان عباس، ص ٢٤٨.

[٣٤]) موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث ٢٤٣.

[٣٥] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، ١٤٥.

[٣٦] سعيد الورقي، في لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ١٣٢.

[٣٧] الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المجلد الثاني، ص ٢٣٨.

[٣٨] المصدر نفسه: ص٣٤٥.

[٣٩] المصدر نفسه: ص٣٤٧.

[٤٠] قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث: دون مكان للنشر ودون تاريخ

[٤١] بدر شاكر السياب، ص٤١٢

[٤٣] النار و الجوهر ، جبرا إبراهيم جبرا.ص٢٣.

[٤٤] ديوانه :ص٢٣٤.

[٤٥] اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د.إحسان عباس، ص ٩٦.

[٤٦] عبد الحميد حبيرة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص٤٥.

[٤٧] بدر شاكر السياب، ص ٣٢١-٣٢٢

[٤٨] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٣٤.

[٤٩] المصدر نفسه: ص٣٤٥.

[٥٠] المصدر نفسه: ص٣٤٧.

[٥١] قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث: دون مكان للنشر ودون تاريخ.

[٥٢] قصائد عن العصر الذري: عن ايدث ستويل- دون مكان للنشر ودون تاريخ

[٥٣] . ثلاثة قرون من الأدب: مجموعة مؤلفين، دار مكتبة الحياة- بيروت- جزآن، الأول بدون تاريخ، والثاني ١٩٦٦.ص٢٣٤.

[٥٤] المصدر نفسه: ص٣٤٧.

[٥٥] موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث ٢٣٣.

[٥٦] اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د.إحسان عباس، ص ١٤٥.

[٥٧] الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المجلد الثاني، ص ٥٤٦.

[٥٨] إميل يعقوب (٢٠٠٩). معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة. المجلد الأول أ – س (الطبعة الأولى). بيروت: دار صادر. صفحة ٢١٧-٢٢٢.

[٥٩] خليل كمال الدين، الشعر العربي الحديث وروح العصر ، ص ١٢٣.

[٦٠] موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث، ١٨٩.

[٦١] بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق، محمود العبطة – بغداد ١٩٦٥، ص٢٣٤.

[٦٢] سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص ٥٣.

[٦٣] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، ص ٢٥٩-٣٠١.

[٦٤] كنت شيوعياً، بدر شاكر السياب، منشورات دار الجمل، بغداد، ٢٠٠٧.

[٦٥] شعر بدر شاكر السياب؛ دراسة فنية وفكرية، حسن توفيق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ص٣٤.

[٦٦] المصدر نفسه: ص٣٨.

[٦٧] المصدر نفسه: ص٤٣.

[٦٨] انظر صدى ذلك في رسالة من بدر بتاريخ ٢٥ – ٣ – ١٩٥٤.

[٦٩] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٧٠.

[٧٠] ديوانه: أنشودة المطر، ضمن مجموعته الكاملة المجلد الأول ص ٤٥٦. دار العودة – بيروت – ١٩٩٩.

[٧١] بدر شاكر السياب، ديوانه: ص ٤٤٩.

[٧٢] المصدر نفسه: ص٦٥.

[٧٣] بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، عبدالجبار داوود البصري – بغداد ١٩٦٦.ص١٢٣.

[٧٤] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب: دراسة تحليلية في موارده، صوره، موسيقاه، ولغته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٣٩.

[٧٥] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٧٥.

[٧٦] بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، عبدالجبار داوود البصري، ١٢٣.

[٧٧] ديوانه " أنشودة المطر " ، ٣٤٦.

[٧٨] مفهوم الشعر عند السياب: د.عبدالكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٣٤.

[٧٩] بدر شاكر السياب، ديوانه: ص ٣٧٨.

[٨٠] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، ص ١٥٧.

[٨١] بدر شاكر السياب، ديوانه، دار العودة، بيروت، مج٢، ١٩٧٤، ص ٦٧٢.

[٨٢] بدر شاكر السياب، ديوانه، ص٦٤٣.

[٨٣] بدر شاكر السياب: ريتا عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ١٩٨٣، ص١٢٩.

[٨٤] ديوانه " أنشودة المطر "، ص٣٤٥.

[٨٥] بدر شاكر السياب، ديوانه، ص٤٨٧.

[٨٦] مفهوم الشعر عند السيّاب: د.عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢١.

المصادر:

[١] إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، دار المسيلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣ .

[٢] الالتزام وللالتزام في الأدب العربي الحديث: محاضرة ألقيت في روما ونشرت في كتاب الأدب العربي المعاصر، منشورات أضواء، بدون مكان للنشر ودون تاريخ.

[٣] الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المجلد الثاني .

[٤] النار و الجوهر ، جبرا إبراهيم جبرا.

[٥] إميل يعقوب. معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة. المجلد الأول أ – س (الطبعة الأولى). بيروت: دار صادر،٢٠٠٩.

[٦] بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق، محمود العبطة – بغداد ١٩٦٥ .

[٧] بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، عبدالجبار داوود البصري – بغداد ١٩٦٦.

[٨] بدر شاكر السياب ، عبد الحسين شعبان ، بيروت ، ١٩٩٩ .

[٩] بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، عبدالجبار داوود البصري .

[١٠] بدر شاكر السياب، ديوانه، دار العودة، بيروت، مج٢، ١٩٧٤ .

[١١] بدر شاكر السياب: ريتا عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ١٩٨٣ .

[١٢] ثلاثة قرون من الأدب: مجموعة مؤلفين، دار مكتبة الحياة– بيروت– جزآن، الأول ب ت، والثاني ١٩٦٦.

[١٣] حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨ .

[١٤] خليل كمال الدين، الشعر العربي الحديث وروح العصر، دار العلم الملايين، بيروت ١٩٦٤

[١٥] ديوانه " أنشودة المطر " ، ضمن مجموعته الكاملة المجلد الأول ، دار العودة – بيروت – ١٩٩٩.

[١٦] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دراسته نقدية، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ .

[١٧] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

[١٨] عبد الحميد حبيرة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ١٩٨٠

[١٩] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب: دراسة تحليلية في موارده، صوره، موسيقاه، ولغته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

[٢٠] علي جعفر العلاق، في حداثته النص الشعري، دراسته نقدية، دار الشروق، للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ .

[٢١] سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.

[٢٢] سعيد الورقي، في لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣ .

[٢٣] شعر بدر شاكر السياب؛ دراسة فنية وفكرية، حسن توفيق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان .

محمود درويش، هي أغنية .. هي أغنية، دار العودة، بيروت، ١٩٩٣ .

[٢٤] قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث: دون مكان للنشر ودون تاريخ.

[٢٥] قصائد عن العصر الذري: عن ايدث ستويل– دون مكان للنشر ودون تاريخ.

[٢٦] كنت شيوعياً، بدر شاكر السياب، منشورات دار الجمل، بغداد، ٢٠٠٧.

[٢٧] موئيل موريه، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث، ترجمة شفيع السيد وسعد مصلوح، مراجعة لبنى صفدي، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٤

[٢٨] مفهوم الشعر عند السيّاب: د. عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩ .

[٢٩] ديوانه " أنشودة المطر " ، ضمن مجموعته الكاملة المجلد الأول ، دار العودة – بيروت ، ١٩٩٩.

A Contrastive Analysis of the Expletive It in English and Dhameerlsh?an huwa in Arabic

Dr. Abdulameer Hussein Ali **Dr. Dhahir Jafar Khazal**

College of Arts College of Arts Basra University

abdalameeralkhazali@gmail.com **dhahir.jafar@uobasrah.edu.iq**

Abstract

The term expletive in English refers to a word that is used in a sentence without contributing to its meaning due to its contentless. This is best exemplified in the dummy pronoun it whose pivotal role in the sentence is mostly syntactic rather than semantic due to its unreferentiality. As this study is a contrastive study, then its main purpose is to detect whether or not there is like this dummy pronoun in Arabic. Concerning the methodology adopted in this study is basically of Haegeman (1994) which involves proving via syntactic and semantic evidence represented in theta-theory (θ-theory) and the Extended Projection Principle (EPP) respectively, the fact that expletives are intrinsically devoid of meaning. The study has shown that the term expletive does in fact exist in Arabic (i.e. Modern Standard Arabic) and it is best represented in the third person pronoun called dhameerlsh?an i.e. pronoun of magnitude which is a counterpart of the dummy it due to its unreferentiality. In view of this, it is no small wonder finding out that languages such as English and Arabic, which are totally different in respect to their linguistic families, to exhibit similarities in respect to this aspect of grammar viz. expletives , and perhaps to other grammatical aspects .

Key Words: dummy arguments theta-theory theta-criterion extended projection principle

التحليل المقارن لضمير الحشو "هو" في الإنجليزية وضمير الشأن في العربية

المستخلص

يراد بمصطلح الحشو في اللغة الإنجليزية الكلمة التي تدخل في بناء القواعدي للجملة دون أن تشارك في تركيبها الدلالي؛ وذلك لخلوها من المعنى أصلاً. ويتمثل هذا بشكل واضح بضمير الغائب "هو" اللاإشاري الذي يتمحور دوره في الجملة من حيث البناء لا من حيث المعنى. وبما أن هذه الدراسة هي دراسة تقابليه بين الانجليزية والعربية فهي تسعى للكشف عن ما أذا كان لمثل هذا المصطلح وجود في اللغة العربية أم لا .أما بالنسبة للمنهجية التي تبنتها هذه الدراسة فهي تعود أصلاً الى هيجمن (١٩٩٤) والتي تتضمن أثبات حقيقة خلو مصطلح الحشو من المعنى وذلك من خلال الادلة النحوية والدلالية المتمثلة بنظرية المحور ومبدأ الأسقاط الموسّع .قد يكون الامر مستغرباً لأول وهلة الحصول على وجود لمثل هذا المصطلح في العربية ؛ وذلك للتباعد النسبي بين اللغتين. لقد كشفت هذه الدراسة ان مصطلح الحشو في اللغة الإنجليزية المتمثل بالضمير هو اللاإشاري له ما يناظره أو ما يشابهه في العربية (اللغة العربية الحديثة المعاصرة المنطوقة أو المكتوبة) ألا وهو ضمير الشأن هو الذي لا يعود على اسم أصلاً؛ أي أنه خال من الإحالة. وفي ضوء هذا يتضح أن لا غرابة في أن تظهر هاتان اللغتان أوجهاً من الشبه في ما بينها بالنسبة لمصطلح الحشو أو أي موضوع أخر من مواضيع النحو بالرغم من التباين الكبير في انتماءاتهما اللغوية كون اللغة الانجليزية تنتمي الى العائلة اللغوية المسماة بالهندية الاوربية في حين تنتمي اللغو العربية الى العائلة المسماة باللغات السامية.

الكلمات المفتاحية : الحشو، المواضيع ، نظرية المحور، المبدأ المحوري، مبدأ الأسقاط الموسّع

Section I

1. Introduction

It is natural for words used in a sentence to participate in its syntax and its semantic make-up as well; however, this is not always true. That is to say there are some words that are used in a sentence without actually contributing to its meaning. There is no astonishment in this simply because there does exist such words which are used just for their syntactic requirement due to their contentless. Such words are called *expletives*. Amazingly, expletives constitute a phenomenon in English because of the many structures in which they are used as shown below. Typical examples of expletives in English are represented in the dummy pronoun *it* and the non-deictic *there*. The focus however will be on the dummy *it* in correspondence with the title of this work. The dummy pronoun *it* is defined as:

(1) " a semantically empty element often a noun phrase , which is required for well-formedness in certain positions in certain structures' (Trask,1993:87). This fact is maintained by Praninskas (1973:133) who describes the pronoun *it* as it is not always a personal pronoun; sometimes it is a kind of expletive that does not refer to anything; it just fills a position in a sentence pattern. Therefore, she calls it **impersonal** *it* which is used in statements about *time*, *weather*, *distance*, and *identification* as exemplified respectively:

(2) Is it late? No, it is early.

(3) Is it raining? No, but, it looks like rain.

(4) How far is it to George's school? It's about three miles.

(5) Someone is at the door. Who is it? I don't know who it is.

In addition to these structures, the dummy pronoun *it* is also used in *cleft sentences* as in (6):

(6) It was Spanish that he wanted to learn.

Quirk and Greenbaum(1973: 414 -15) show that a *cleft sentence* is so called because it divides a single clause into two separate sections, each is with its own verb. The first includes the *pronoun it* followed by the verb which is then followed by the element on which the focus falls or is thrown. Another structure in which the dummy pronoun *it* is used is as in (7):

(7) It makes me sad to see people scavenging the garbage for a living.

The pronoun *it* in (7) is called *anticipatory pronoun it*.

This pronoun replaces a postponed or an extraposed clause which has been moved to final position because it is more usual. Hence (7) with the dummy *it* is more usual than where the clause appears in its position: *To see people scavenging the garbage for living makes me sad*. (7) is then characterised as having two subjects: the postponed subject which is the notional (real) clausal subject and the anticipatory subject *it* (Quirk and Greenbaum,1973: 423). Quirk et al (1985: 89) in their manipulation of the anticipatory pronoun *it* shows that it is totally needed for structural requirement as it carries no information by itself. All it does is that it supplies the structural requirement for an initial subject. They add that its only semantic function is merely to signal that the content of the subject is

expressed in a later position in the sentence. This idea is maintained by Hasselgård et al (2012: 5) in which he describes the anticipatory *it* as it carries little or no independent meaning, and that it points forward to the 'notional subject' which is placed later in the sentence for reasons of end weight or emphasis.

There is of course like this dummy pronoun in behaviour in Arabic, that is, dhameerlsh *?an huwa*. This pronoun is also syntactically rather than semantically required because of its contentless. This study then consists of three sections: the first is for the description of the dummy pronoun *it* in English, the second is for the description of *dhameerlsh?an huwa* in Arabic and that the third is for the comparison between the two pronouns followed by the conclusions.

I. I Literature Review

There have been a relatively large number of studies that focused on the dummy pronoun 'it' in the field of linguistics. The concept of the dummy pronoun 'it' has been supported by many studies, particularly those that investigated non-native languages from cross-linguistic perspectives based on formal linguistic theory (Hilles, 1986; 1991; Liceras, et al., 1999; Montrul, 1997; O' Grady, 2002; Phinney; 1987).

Burizo (1986) investigated expletive 'there' in Italian language. He concluded that expletive 'there' ends up in an object position rather than in an ordinary subject position. Another study has been done by Kayne (2008) who dealt with expletive "it" in French language. The result of the study showed that existential sentences contain both object 'there' and a

second expletive 'it'. Kayne (2008) concluded that that expletive 'it' is similar to expletive 'there' is not true.

All in all, these studies on expletive "it" phenomenon, which are directly relevant to our study, may lead us to hypothesize that the term expletive does participates in the structure of the sentence without contributing to its meaning. To our knowledge, no previous study has dealt with the expletive 'it' in both English and Arabic in the way this study has dealt with.

1.2 Definition of expletive

The term **expletive** (also called **pleonastic**) refers to "a 'dummy' constituent with no inherent semantic content", such as the pronoun *it* in the sentence **'It is unclear why he resigned**.' (Radford, 2004:451). **Expletives** are defined as "elements in NP positions which are not arguments and to which no *theta role* is assigned" (Haegeman (1994:62). In view of this, expletives add nothing to the meaning of the sentence --- all they do is filling out a slot in the sentence without contributing to its meaning. The fact that an expletive just fills out a slot in the sentence can be traced in its origin which is taken from Late Latin *expletivus,* from *explere* 'fill out', from ex –'out' + 'plere' 'fill' (Oxford Dictionary Online, 2017).

1.3 The hypothesis of the study

In the light of the definitions of expletives above, it is hypothesized that some elements that enter in the composition of the sentence do not actually contribute to its semantic make-up due to their contentless. Though this might seem a little bit bizarre, it is natural with expletives such as the dummy pronoun *it*. The fact that expletives are devoid of meaning is verified

via both of **theta-theory** and **Extended Projection Principle** which render good support to our postulation.

1.4 Theta-theory

"*Theta-theory* is concerned with the assignment of thematic roles such as agent-of-action, etc. (henceforth θ -roles)"(Chomsky, 1981: 5-6). "*Theta-roles* are described as the semantic properties assigned by heads" (Chomsky, 1986: 93). A category that bears a *theta-role* is an **argument** (Roberts, 1997: 59). An argument is a 'referring expression', i.e. an expression which corresponds to (picks out) an individual or an entity in a given world (or discourse domain). (Ouhalla,1999:149). How many arguments does a head take depends on its meaning? "The set of arguments selected by the verb, including the subject constitutes its **Argument structure**". (**Culicover**,1997: 17).

According to *theta-theory* every argument in the sentence must receive a *theta-role* assigned to it by the verb and that no argument is left unassigned, or else the sentence is ruled out. This amounts to saying that the number of arguments must match the number of the theta-roles and that the violation of this would filter out the sentence. This can be summed up in the *theta criterion* upon which theta-theory is built.

(8) Theta criterion

Each argument bears one and only one *theta- role*, and each *theta-role* is assigned to one and only one argument. (Chomsky,1981: 36).

Thematic-roles are *agent* (actor or causer) (the instigator of action); *theme* (the person or thing undergoing the action); *experiencer* (the entity

experiencing some psychological state) ; *benefactive*/ beneficiary (the person or entity benefits from the action expressed by the predicate) ; *Goal* (the entity towards which the activity expressed by the predicate is directed); *source* (the entity from which something is moved as a result of the activity expressed by the predicate), and *location* (the place in which the action or state expressed by the predicate is situated). (Fillmore, 1968). All these semantic roles are illustrated in the following scenario:

(9) Mary saw a fly on the wall.
EXPERIENCER THEME LOCATION

(10) She borrowed a magazine from George.
AGENT THEME SOURCE

(11) She squashed the bug with a magazine.
AGENT THEME INSTRUMENT

(12) She handed the magazine back to George.
AGENT THEME GOAL (or a benefactive)

(13) Gee thanks said George.
AGENT (Yule, 2014: 113)

The scenario shows that arguments are assigned theta-roles depending on their relationships with the predicate i.e. the verb. It also shows that the agent theta – role (except in 9) is assigned to the subject as it is the instigator of the action, while the other theta- roles such as theme, goal, etc. are assigned to the objects or complements depending on their syntactic function.

Theta-roles are distinguished as internal- theta roles i.e. those assigned within the VP and are thereby called **internal arguments** and external-theta

role i.e. the one assigned to the subject outside the VP and is thus called **external argument**.(Culicove,1997: 21).

Theta-roles assigned to arguments can be represented in the form of a theta-grid which is part of the lexical entry of the predicate. (Haegeman,1994: 51). Below is the theta- grid of the verb *borrow* in (10) as appears in (14):

(14) borrow: verb

AGENT NP	THEME NP	SOURCE NP

The theta-grid in (14) shows that *borrow* assigns three theta-roles to the arguments that it takes--- each is assigned to its corresponding argument ; hence the theta-roles of the verb *borrow* are saturated. Further illustration that the respective *theta-roles* are assigned to their corresponding arguments, linguists such as Haegeman(1994), Carnie (2007) etc. suggest inserting indexes in the slots under their corresponding arguments. Hence another version of the theta- grid of the verb *borrow* in (14) appears in (15):

(15) borrow: verb

AGENT NP	THEME NP	SOURCE NP
I	j	K

Having known this, it is relevant to find out whether this is also applicable to the dummy pronoun *it* or not. This is dealt with in the coming section.

1.5 Theta-criterion and the dummy pronoun it

In the preceding section, we witnessed how verbs assign theta-roles to the arguments they take. However, not all verbs can assign theta-roles; of these verbs which do not seem to assign any theta-roles are *weather verbs*:

(16) a. It rained

b. It snowed

c. It hailed Carnie (2007: 228)

What goes on in (16a, b, and c) is that the pronoun *it* is not assigned a theta-role simply because the verbs with which it is used cannot assign a theta-role. As this violates theta-criterion which stipulates that each argument must bear a theta-role, it is logical to ask why these sentences are not accordingly ruled out. The answer is simply because the pronoun *it* in (16) is not an argument. What prevents the pronoun *it* in (16) not to be an argument is simply because it is a dummy pronoun i.e. a pronoun with no referring expression to which a theta-role must be assigned. The fact that the pronoun *it* in (16) is a dummy pronoun i.e. a pronoun with no referring expression is manifested in (17) which shows that there is no possibility of enquiring about its reference:

(17) *What rained? Borsley (1999:86)

Other verbs that do not assign theta-roles are those called **raising verbs/ predicates** (Ouhalla,1999:84). Typical examples of these verbs are *seem*, *appear* and complex predicates such as *be likely*. The main characteristic of these verbs is that they do not have an external theta-role of their own to assign. As such, the subject position of the root clause which

includes a raising predicate, can be occupied either by the subject moved from the embedded clause within it as appears in (18) or by the expletive *it* as appears in (19):

(18) Mary seems [to have solved the problem].

(19) It seems [that Mary has solved the problem.] (Ouhalla (1999: 84)

What goes on in (18) is that the subject position occupied by the NP *Mary* is assigned the theta-role *agent* by virtue of the verb *solve* of the embedded clause and not by the verb *seem* which is already identified as a raising verb i.e. a verb that cannot assign a theta-role, while in (19) the subject position is occupied by the expletive *it* whose insertion comes as a result of movement of the NP *Mary* to its original subject position in the embedded clause. The insertion of the expletive *it* seems to be plausible on two bases: first, because it is not an argument that requires to be assigned a theta-role; second, it fills the empty subject position that results due to the movement of the NP *Mary* to the subject position of the embedded clause--- without the insertion of the dummy pronoun *it*, (19) would be excluded because it would be left without a subject and thus violating EPP (see 1.6):

(20) *Seems [that Mary has solved the problem.]

This is more illustrated within the theta-grid of each of *seem* and *solve.*

(21) seem

(22) solve

AGENT	THEME
NP	NP

In (21) the theta-grid of *seem* is empty; this means that the verb seem cannot assign theta-roles, while in (22) the theta-grid of *solve* is with two theta-roles: the *agent* is assigned to the subject *Mary* and that the *theme* is assigned to the NP *the problem*. This emphasises that the subject *Mary* in (18) is assigned the theta-role *agent* by virtue of the verb solve and not by the verb seem which is a raising verb i.e. a verb that cannot assign theta-roles.

Haegeman(1994: 62) maintains that the insertion of the pronoun *it* in the subject position in (19) is done for some structural reason, that is, English sentences must have an overt subject (see the following section). Hence the presence of *it* does not seem to contribute to the semantic make-up of the sentence --- all it does is that it is a place-holder for the otherwise unfilled subject position.

In the next section we will discuss why it is necessary to fill the subject position rather than leaving it empty or unfilled.

1.6 The Extended Projection Principle (EPP)

In the preceding section we argued that the need for the dummy pronoun *it* is simply for some structural reason. This means that its presence or absence has no impact on the semantic make-up of the sentence. Given this, it is then plausible to ask why its presence is mandatory though it is semantically-empty. The answer to this question is represented in the principle known as the **Extended Projection Principle** (henceforth EPP) which is defined as in (23):

(23) Every sentence must have a subject (Culicover, 104: 1997).

The term *subject* in (23) refers to 'formal subject' which is distinguished from 'logical subject' (i.e. semantic subject). Formal subject is 'a category that occupies the subject position of a clause, irrespective of whether it is semantically empty or not (Ouhalla (1999: 125). The concept of subject in (23) makes it easy to the subject position to be filled with the dummy pronoun *it* in compliance with EPP. The same concept of subject in (23) is adopted by Cook (1988: 115) who uses the term 'grammatical subject' which is specified as it may be assigned a theta- role, but need not.

Another picture of EPP is encoded in the form a phrase structure rule as in (24):

(24) **Extended projection principle**

S⟶ NP – AUX – VP Haegeman (1994: 69)

The NP in (24) refers to the subject whose existence is mandatory as in (25):

(25) Maigret accused Poirot.

The attempt to leaving out the subject causes the sentence to be ill-formed as in (26):

(26) *Accused poirot Maigret.

It is obvious that the ill- formedness of (26) follows from EPP i.e. having a sentence without a subject or, say, a subjectless sentence.

Section II

Expletives in Arabic

2.1 Introduction

Generally speaking, expletives refer to words which are devoid of meaning. Nonetheless, they are still required because they participate in assigning the sense of greatness or magnification to the content of the sentence with which they are used as true with *dhameerlsh?an huwa*. The fact that this pronoun adds or assigns greatness to the matter in question is manifested in that it is not used unless the content of the sentence to which it is added is worthy of greatness. Therefore, it is not possible to use this pronoun with a sentence such as:

(27) Huwal-thubaabu yaTeeru

It the flies fly

"It is that flies can fly." (Al- Istrabady, : 464)

In addition to its semantic role, *dhameerlsh?an* sometimes plays a central role in the structure of some sentences to the extent that those sentences cannot be made without it. These points besides other points concerning this pronoun are dealt with in detail within the following sections.

2.2. Definition of expletive

The term expletive in Arabic is lexically known as *ḥeshoo i.e. pleonasm* which refers to "a thing or a person that is used merely to fill a slot." www.almanny.com/ar/dict/ar-en/expletive/). The notion of filling which is a major characteristic of the term *ḥeshoo* is essentially taken from the

verb *ḥashaa* which means "filling something", of which is filling a pillow (Al-Jurjāny, 1995:50).

Linguistically speaking, the term expletive refers to "any word which is used in a structure (i.e. sentence structure) without causing any change in its original meaning except assigning strength or emphasis to it." (Besandi, 2005: 25). Being so, expletives add nothing to the overall meaning of the structure of the sentence due to their contentless. There is almost a consensus among Arab grammarians upon this concept of expletives. An excellent example of the term expletive in Arabic is represented in *dhameerlsh?an huwa* which is dealt with within the coming section.

2.3 Dhameerlsh?an (Pronoun of Magnitude)

Dhameerlsh?an is a third person masculine or feminine singular pronoun placed before a sentence to which it assigns greatness or exaggeration (Al-Istrabady, 1975 : 464). Compare the following:

(28) a ?alamīr-u qādim-un

the prince coming

"The prince is coming."

b *huwa*l-?amīr-u qādim-un

it the prince coming

"It is that the prince is coming."

(28a &b) are two sentences with the same meaning except that in (28b) the meaning is exaggerated or magnified due to *dhameerlsh?a*n *huwa* which is placed before it.

This pronoun is a dummy pronoun i.e. it is with no referring expression from which it takes reference. Accordingly, Kufa school grammarians called it *dhamee**r**l-majhōl* , **the anonymous pronoun** i.e. a pronoun with no referring expression (Ibn Yaᶜeesh, :65). In my opinion, Kufa school grammarians are completely accurate calling it so, simply because of the anonymity of its reference i.e. it is with no referring expression from which it takes reference.

Anonymity, which is typical of this pronoun, seems to be intended simply because it causes a sense of suspense inside the listener who aspires to know what that anonymous pronoun refers to (Al- Alawi, 745 : 142).

The fact that this pronoun is an anonymous pronoun is expressed in the way it is interpreted, that is, *alsh?an* or *alamar* i.e. *the matter* which is still unknown unless it is explained by the sentence coming after it (?ibn Ya'yeesh: 65) . Hence another way of rendering (28b) is given in (29):

(29) ?al-sha?an-u al-amīr-u qādim-un

"The matter is that the prince is coming."

There is of course a correspondence between *dhameerlsh?an huwa* being a third person masculine singular pronoun and the word *alsh?an* or *alamar* by which it is in interpreted. This indicates that this pronoun cannot be other than a third person masculine singular as in (29), or a third person feminine

singular due to which it is interpreted as *alqisah* when the sentence has a feminine NP (? ibn Ya'yeesh: 64). Accordingly, (30) can be rendered as in (31):

(30) Hiyal ?amīrat-u qādimat-un

she the princess coming

"It is that the princess is coming."

(31)? al-qisat-u al-amīrat-u qādimat-un

"The story is that the princess is coming."

Dhameerlsh?an , being a third person pronoun, might be confused with the normal third person pronoun *huwa* (he). This confusion is soon dissipated by the fact that the normal third person pronoun is being referential, unlike *dhameerlsh?an* which is not as appears in its definition:

32. It is a pronoun with no antecedent which is interpreted by the word *matter* or *state*)Al- Saraj,1983:143). Compare the following:

(33) (a) huwal zemān-u ghadāru-un

it the prince coming

"It is that time is coming."

(b)? al-zemān-u huwal ghadāru-n

def- time he treacherous

"It is time which is treacherous."

Both of (33a&b) include a third person masculine singular pronoun *huwa*. However, the two pronouns are totally different: the one in (33a) is *dhameerlsh?an* i.e. a pronoun with no antecedent from which it takes reference, while the one in (33b) is a normal third person pronoun as it has an antecedent before it ,that is, the NP al zemān (time) from which it takes reference. By the way, this type of pronoun is called *dhameerlfasal*, *separating pronoun* i.e. a pronoun that occurs between the subject (inchoative) and its predicate (enunciative) to indicate that the NP coming after it is a predicate and not an adjective (Al-Samarai, 1987: 51).

2.4 Dhameerlsh?an and theta-criterion

Mentioned earlier that theta-criterion expressed in (8) stipulates that each argument must be assigned a theta-role. As such *dhameerlsh?an* is not subject to this condition simply because it is not an argument to which a theta-role must be assigned. This quick conclusion raises the question of why *dhameerlsh?an* cannot be an argument. The answer is that an argument as argued before implies having a referring expression whether an individual or entity to which a theta-role is assigned. Since *dhameerlsh?an* is with no referring expression, then it is a non-argument pronoun i.e. a pronoun to which no theta-role is assigned. This is obvious in its definition given in (32) repeated here for convenience as in (34):

34. It is a pronoun with no antecedent which is interpreted by the word *matter* or *state*. According to (34) *dhameerlsh?an* cannot be an argument simply because it is with no antecedent to which a theta-role must be assigned. This is verified by the term by which it is known amongst

adherents of Kufa school, that is, the **anonymous pronoun** i.e. a pronoun with no referring expression.

Another reason for *dhameerlsh?an* not to be an argument and consequently not assigned a theta-role is manifested in its second main function as described in (35):

(35) Another major function of *dhameerlsh?an* is allowing semi- verbal particles to be used with verbal sentences without which this wouldn't happen (Al-Samarāi, 1987:65).

This is exemplified in (36):

(36) ?inna-hu la yanjaḥu-l-kasool-u

particle it not succeed def lazy

"It is that the lazy does not succeed. "

It is obvious that the verbal sentence *la yanjaḥu-l-kasool-u* in (36) is preceded by the particle *?inna.* This is not allowed in Arabic grammar except with the existence of *dhameerlsh?an*. Put differently, *dhameerlsh?an* gives license to the particle *?inna* to be used with verbal sentences--- this wouldn't happen in case *dhameerlsh?an* were a normal pronoun i.e. a pronoun with a referring expression and thus being an argument.

2.5 Extended Projection Principle(EPP) and dhameerlsh?an

Despite its contentless, *dhameerlsh?an* is still required for some syntactic reason represented in EPP as expressed in (23). Consider the following:

(37) [*huwa*] [?amīr-u qādim-un]

Topic comment

The pronoun *huwa* in (37) is *dhameerlsh?an* in the topic position followed by a sentence functioning as its comment. Despite its contntless, it is still required for some syntactic reason. Let us suppose that the pronoun *huwa* in (37) were deleted while keeping the topic-comment sentence in its comment position as shown in (38):

38. * _____ [?alamīr-u qādim-un]

Topic comment

(37) is excluded because it is without a topic or let's say a topicless sentence. This shows that *dhameerlsh?an* is not optional despite its contentless. Putting it in terms of EPP which stipulates that each sentence must have a subject, (37) is ruled out because it is violating EPP.

Another situation where *dhameerlsh?an* is required due to EPP is shown in (39):

39. ? innahu la yufluḫu-l-dhālim-u

particle it not prosper def just

" It is that the unjust will not prosper."

(39) is a special kind of a nominal sentence simply because it is essentially a verbal sentence before changing it into a nominal sentence as shown in (40):

(40) la yufluḫu-l-dhālim-u.

Negation particle prosper the unjust

"The unjust will not prosper."

The scenario of changing the verbal sentence in (40) into a nominal sentence or, say, a topic-comment sentence as in (39) is represented in preceding it by the particle *?inna*, which is typically used with nominal sentences. Accordingly, (40) would be as in (41):

(41) *?inna _____ [la yufluḥu-l-dhālim.]

Particle topic comment

It is obvious that (41) is ruled out because it is violating EPP i.e. it is without a subject. The only candidate to occupy the topic position in (41) as well as allowing the particle *?inna* to be used with the bracketed verbal sentence is using *dhameerlsh?an huwa*; this time *dhameerlsh?an huwa* appears in its bound form rather than in its free form that requires to be attached to the particle *?inna* as in (42):

(42) ?innahu lan yufluḥu-l-dhālim

particle it not prosper def just

" It is that the unjust will not prosper."

Dhameerlsh?an in (42) hence does two functions: first, filling the empty topic position as stipulated by EPP ; second, allowing the particle *?inna* to be used with the verbal sentence due to which it is changed into a nominal sentence.

Bergsträsser (2003:91) describes how Arabic changes a verbal sentence into a nominal sentence as in (42) as a merit of Arabic. Arabic as such, as he says, has invented a way of changing a verbal sentence into a nominal sentence by placing semi-verbal particles before it as typical with nominal sentences without changing its structure; this, however, does not occur directly but only by means of *dhameerlsh?an*. Hence is the necessity of *dhameerlsh?an*.

Section III

Contrastive Analysis

Having finished the process of description of both of the dummy pronoun *it* and *dhameerlsh?an huwa*, the time is ripe to start comparing them in order to find out how far English and Arabic are similar or dissimilar in respect to these two expletive pronouns. The process of comparison involves the juxtaposition of the item being described in each language in order to see whether the two languages agree or disagree upon it.

3. 1 What is meant by expletives?

The picture of expletives in both English and Arabic is almost the same, i.e. being slot fillers. Both languages agree that expletives are no more than slot fillers to the subject position they occupy. This role they play is as a result of their contentless which is true in both languages.

3. 2 Syntactic position of expletives

A cursory look at the examples with expletives viz. the dummy pronoun *it* and *dhameerlsh?an huwa* soon reveals that these two

pronouns always appear in the subject position. This might be attributed to the fact that the subject position is the only position that tolerates having such a pronoun. It might as well be attributed to the fact tha a sentence whether in English or Arabic accepts or tolerates the subject position to be filled with a dummy pronoun rather than leaving it unfilled. This is further maintained by EPP which is true in both languages as shown below.

3. 3 Theta-criterion and the dummy pronoun it

The dummy pronoun *it* does not seem to submit to theta- criterion which stipulates that every argument must be assigned a theta-role. This is because it is not actually an argument to which a theta-role must be assigned. This is evidenced by the types of verbs with which this pronoun is used, namely *weather verbs* and *raising verbs / predicates*. Such verbs cannot assign theta-roles to the NPs they take. This consequently explains why they take the dummy pronoun *it* as their subject.

3.4 Theta-criterion and dhameerlsh?an huwa

like the dummy pronoun *it*, this pronoun is not conditioned by theta-criterion. By the same token that the dummy pronoun *it* is not assigned a theta-role, this pronoun is not assigned a theta-role either; this is because both pronouns are not arguments. Hence in the same way that there is one or more than one reason that averts the dummy pronoun *it* not to be an argument, there is also more than one reason that averts this pronoun not to be an argument. First, this pronoun is essentially added to assign greatness or magnification to the matter in question.

Such a thing cannot be obtained unless with this type of pronoun i.e. being an unreferential type of pronoun. Second, this type of pronoun allows the particle *?inna*, which is typically used with nominal sentences, to be used with verbal sentences--- without this pronoun this would never happen.

The fact that this pronoun is not an argument which in turn means that it is not assigned a theta-role is best represented in the term by which it is known amongst adherents of Kufa school, that is, *dhamee**r**l- majhōl* , the anonymous pronoun i.e. a pronoun with no referring expression. This is similar to the term **impersonal it** used by Praninskas (1973) in her manipulation of pronouns.

3. 5 The dummy pronoun *it* and dhameerlsh?an *huwa*

These two pronouns exhibit a lot of similarities due to which they are considered as counterparts. For example, they are both dummy pronouns i.e. with no referring expression. This is evident via their definitions (cf.1&32).This of course has its impact on their participation in the sentence--- they both participate in the structure of the sentence without contributing to its meaning. That is to say, their participation does not add to the overall meaning of the sentence. It is true that in some examples in English (cf.6&7), the dummy pronoun *it* adds emphasis or end weight to the sentence; this, however, does not add anything to the overall meaning of the sentence. Similarly *dhameerlsh?an huwa* that adds greatness or magnification to the sentence with which it is used (cf.28b); nonetheless, it adds nothing to the overall meaning of the sentence. They are also similar in terms of the initial position they occupy in the

sentence. In all of the examples in both English and Arabic, the two pronouns appear only and only in the subject position.

3.6 Extended Projection Principle (EPP)

English and Arabic are similar in their attitude towards EPP. In both languages, a sentence that violates EPP is ruled out. (26) in English and (40) in Arabic are ruled out on the basis that they both lack a subject i.e. violating EPP.

4. Conclusions

This study has investigated the dummy pronoun *it* in English and dhameerlsh *?an huwa* in Arabic in attempt to find out how far these two languages converge or diverge upon these two dummy pronouns. It is naturally assumed that the two languages would exhibit more differences than similarities due to their different language families. However, the study has surprisingly disclosed that the two languages showed more similarities than differences. One of the similarities being shown by this study is related to the position that these two pronouns occupy in the sentence. The two languages totally agree that these two pronouns always appear in the subject position. It seems to be that in both languages no other position accepts to be filled with such a pronoun except the subject position. A quick glance at the examples having these two pronouns would soon reveal this.

Another similarity between English and Arabic as far as these two pronouns is related to their contentless. In both languages, none of these two pronouns contribute to the semantic make-up of the sentence. It might be argued that in English the dummy pronoun *it* sometime assigns the

sense of emphasis or end weight to the sentence to which it is added; so does *dhameeralsha?an huwa* in Arabic which is essentially added for the sake of assigning magnification or greatness to the content of the sentence to which it is added. This, however, does not add to the overall meaning of the sentence. The fact that these two pronouns are contentless is best shown in that they cannot be arguments to which thematic-roles must be assigned.

The two languages are also similar with respect to the significance of these two pronouns to the syntax of the sentence. Despite their contentless, they are indispensable in the sense that their deletion causes the sentence to be ungrammatical (cf. 20, 40).

The two languages yet differ in the frequency of occurrence of these two pronouns. It seems to be that the dummy pronoun *it* constitutes a phenomenon in English unlike *dhameeralsha?an* in Arabic. This is obvious throughout the number of structures in which the dummy pronoun *it* is used. In English, for example , the dummy pronoun *it* is used in structures to express *time*, *weather*, *distance*, etc. (cf. 2-4) ,while in Arabic these notions are rendered as lexical items as appears in (43), (44), and (45) respectively. In each of the sentences below, the equivalent lexical word of each of the notions above has been intentionally underlined for the sake of illustration:

43. Hal-lwaqt-u muta?akhar-un? Kala, alwaqt-u mubakarun.

44. Hal-asamā?a-u tamTur-u? Kala, lakinaha yabdu ka?anah-u maTar.

45. Kem hiyal-masāfat-u limadrasatiJorge? Hawallay thalat-u ?amyāl.

In addition to these structures, the dummy pronoun *it* is also used in the *cleft sentence* i.e. a sentence whose first part includes the dummy pronoun *it* followed by a verb, followed by the element to be emphasized (cf. 6). The dummy pronoun *it* is also used in structures where it occupies the position of the real clause subject which has been relegated or postponed since the sentence looks more usual with it (cf.7). *Dhameeralsha?an*, on the other hand, is not widely used as its counterpart in English. The number of structures in which *dhameeralsha?an* is used seems to be limited. This might be attributed to the nature of the language. English seems to encourage the use of expletives more than Arabic.

References

Al-Alawi, Y. H. (1423H) . *Al-*Tirāz *Liasrārl-Balāgha wᶜlūm Haqā iq-lᶜ jāz*. Vl.II Beirut: Al- Maktaba Al-ᶜunsiriyah.

Al-Jurjani, A. (1995). *Kitāb-l Taᶜreefāt*. Beirut: Dār-l Kutub-l ᶜlmiyyah.

Al- Istrabady,R. (1975). *Sharḥ*l-Radhy ᶜlal Kafiyah. Tahran: Muasastil Sadiq.

Al-Samarāi, F. (1987). *Maᶜānil-Naḥu*, (vol. 1). Baghdad:Bayt-ul *ḥikma*.

Al-Sarāj, M. (1983). *?al-Lubāb fi Qawāᶜdl Lugha waālāt-l?Adab*. Damascs: Dar al- Fikir.

Bergsträsser, G. (2003). *Arabic Grammar Development* .Ramadan Abdultawab (ed.) Cairo: Maktabat Al-Khunji.

Besandi, Kh. (2005). *'Ta^{c}dudul MusTalaḥ watadāḵhuluh: Qira?ah filTurathal- lughawl*. Al-Turath Al-^{c}Arabi, 98, 1-26.

Borsley, R. (1999). *Syntactic Theory: A Unified Approach.* Arnold: London.

Burzio, L. (1986). *Italian Syntax: A Government Binding Approach*. Reidel: Dordrecht.

Carnie, A. (2007). *Syntax: A Generative Introduction*. Oxford: Blackwell.

Chomsky, N. (1981). *Lectures on Government and Binding*. Dordrecht: Foris.

Chomsky, N. (1986). *Knowledge of Language: Its Nature, Origin and Use*. New York: Praeger.

Cook, V. J. (1988). *Chomsky's Universal Grammar: An Introduction. Oxford: Blackwell*.

Culicover, P. W. (1997). *Principles and Parameters*: *An Introduction to Syntactic Theory*. Oxford: Oxford University Press.

Fillmore, C. (1968). ' The case for case', in E. Bach and J. Harms(eds), *Universals in Linguistic Theory*, New York: North-Holland, 1-88.

Haegeman, L. (1994). *Introduction to Government and Binding Theory.* Oxford: Blackwell.

Hasselgård, H. , Lysvåg, P., and Johansson S. (2012). *Glossary of Grammatical terms used in English Grammar: Theory and Use*. Oslo:Universitetsforlaget.

Ibn-l Hajib, J. (1985). *Kitabl-kāfiyah filnaḥu* VL. II. Explained by Radhi-ldeen- l?aistarabadi. Beirut: Dār-l kutub-l ᶜlmiyah.

IbnYaᶜeesh, (2001). *Sharḥu l-Mufaṣṣal*. Beirut: Dar alkitab Al-a'lmiyah.

Kayne, R.S. (2008). "Expletives, Datives, and the Tension between Morphology and Syntax" in T. Biberauer (ed.) *The Limits of Syntactic Variation*, John Benjamins, Amsterdam, 175-217.

Ouhalla, J. (1999). *Introducing Transformational Grammar: From Principles and Parameters to Minimalism*. London: Arnold.

Oxford Dictionary Online, 2014.

Praninskas, J. (1975). *Rapid Review of English Grammar*. London: Prentice-Hall.

Quirk, R. and Greenbaum S. (1973). *A University Grammar of English*. London: Longman.

Quirk, R., Greebbaum, S., Leech, G. and Svartvik, J.(1985). *A Comprehensive Grammar of the English language,* London: Longman.

Radford, A. (2004). *Minimalist Syntax*: *Exploring the Structure of English.* Cambridge: Cambridge University Press.

Roberts, I. (1997). *Comparative Syntax.* London: Arnold.

Trask, R. L. (1993). *A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics*. Routledge: London.

Yule, G. (2014). *The Study of Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

www.almanny.com/ar/dict/ar-en/expletive/.

www.collinsdctionary.com/dictionary/english/expletive.

Future Development with English as a foreign language: Iraqis and EFL learning

Dr. Fatimah Mohammed Ali Al-Asadi

Ministry of Higher Education and Scientific Research

alassadyf@yahoo.com

Abstract

English is acquiring an important status in our fast growing international world. This importance is well represented in many research studies, but the impact of English learning on the life of the individual needs more investigation. This paper describes the impact of English learning on the life of Iraqis. A sample of 45 participants who volunteered to answer a survey was used. The findings of the study suggested that most Iraqis do not value the importance of learning English in different sides of their future life in spite of the huge difference in the tendency of learning and using English in modern Iraq after 2003.

تطوير المستقبل باللغة الأنكليزية كلغة أجنبية: العراقيون وتعلم اللغة الأنكليزية كلغة أجنبية

م. د. فاطمة محمد علي الأسدي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

alassadyf@yahoo.com

الخلاصة

تكتسب اللغة الأنكليزية مكانةً مهمة في عالمنا الذي ينمو دولياً بسرعة. وتتجسد هذه الأهمية في العديد من الدراسات البحثية، ولكن تأثير تعلم اللغة الأنكليزية على حياة الفرد تحتاج الى المزيد من التقصي. تصف هذه الدراسة تأثير تعلم اللغة الأنكليزية على حياة العراقيين. استُخدمت عينة من ٤٥ مشتركاً تطوعوا للأجابة على الاستبيان الذي استخدم في هذه الدراسة. تفترض نتائج الدراسة أن معظم العراقيين لا يَعون أهمية تعلم اللغة الأنكليزية وأثرها على جوانب حياتهم المستقبلية على الرغم من اختلاف التوجه نحو تعلم هذه اللغة في العراق الجديد بعد ٢٠٠٣.

Introduction

In an attempt to address the problem of underestimating the importance of English language learning among Iraqis, the researchers highlighted the issue of self-evaluation to such learning by helping individuals think about the benefit of English in their life using a descriptive survey. This evaluation should be discussed in English classrooms in order to attract the attention of students to the necessity of learning a language that might help students communicate with other people from other countries in addition to understanding their culture. Highlighting this importance needs to understand students' needs and guiding them to their planning for their future ambitions as well as including their backgrounds and interests in the curriculum as well. The purpose of this descriptive study was to describe the perceptions of Iraqis with regard to the importance of learning English in their lives. This study has significant implications for English teachers, students' councilors, English students, and practicing teachers. Those stakeholders will gain important insight on the importance of learning English and directing students to value this importance from the present study.

This study tries to answer the following question:

- How does English language learning affect the life of Iraqis?

Importance of English in Iraq

Most of the companies, institutions, organizations consider English ability as one of the primary qualities when they choose their employees. For Job applying, English plays a very important part in job analysis and job promoting. It is no exaggeration to say that to learn English well is the key

to getting close to a bright future for a college student. Social environment greatly influence the learners' motivation. Since 2003, the social environment in Iraq is encountering a radical change in coping with the movement of globalization and valuing English in all sides of life. According to Hann, Timmis, Alkhaldi, Davies, Troncoso, and Yi (2014), recent literature has shown the relationship between the ability to use English (communicative competence) and access to economic and social benefit.

English Communicative Competence in Iraq

What is communicative competence?

Communicative competence is the ability to encode and decode messages and to negotiate meanings interpersonally (Feng, 2013). According to Savignon (2002), communicative competence depends on the cooperation of all the participants. This cooperation is the key for a successful learning. Canal and Swain (1980) and Hymes (1972) give a more comprehensive definition of communicative competence, which states that it consists of grammatical competence, discourse competence, sociolinguistic competence and strategic competence. On the other hand, Richards (2006) provides a more recent explanation for the concept of communicative competence saying that it includes 4 aspects of language knowledge:

1- A learner knows the ways of using language for different purposes and functions.
2- A learner has the ability to vary the ways of using language based on the setting and the participants. For example, the learner is familiar

with when to use formal speech and when not to. He also understands the subtle differences in the use of written and spoken language.

3- A learner knows the ways of producing and understanding various types of texts. For example, the learner has a good knowledge of how to produce the texts of narratives, reports, interviews and conversations.

4- A learner knows how to keep communication going in spite of having limitations in his language knowledge. For example, the learner has the ability to employ various communication strategies when he has difficulty in expressing his ideas.

In Iraq, this competence is absent concerning English. The classroom environment depends on the teacher as the center of the teaching/learning process ad students think of English as no more than a required lesson that should be passed in order to graduate from primary school or secondary school. Most of English teachers think of it in this way too; which is why the circle of low proficiency in English goes on and on. Teachers need to think of learning English as a way of changing the life of students in order to help them understand the opportunities they'll have when mastering another language.

With the change of the curriculum in Iraq to be based on the Communicative Language Teaching approach, it is supposed that students need to learn how to use English communicatively. This change of curriculum is not accurately studied. Curriculum designers should pay attention that in Iraq English acts as a foreign language; which means that

there are no (or very rare) opportunities to use language outside the classroom. They left teachers with even more puzzlement because now they do not explain grammatical rules and language elements in an organized order and they are not trained for such a kind of teaching. More importantly is the big obstacle of large classes (one of the basic requirements for a communicative class is a restricted number of students that do not exceed 15 student per class). In addition to all of that, the first component of communicative learning is that students have to have all the basic knowledge of the language in question.

If we accept that communicative teaching is suitable for Iraqi educational environment then students have to learn English in five dimensions: linguistic, pragmatic, intercultural, discourse, and strategic competences. The linguistic competence represents knowledge of spelling, pronunciation, vocabulary, word formation, grammatical structure, and sentence structure. The pragmatic competence consists of two competences: illocutionary competence (how to use language when achieving specific goals in communication) and sociolinguistic competence (deciding what language to use in certain settings or with specific groups of people). The intercultural competence is the knowledge of intercultural conditions of language use such as expressing courtesies. The strategic competence means the ability to express oneself in spite of the lack of the resources (Klimova, 2014). Other competences are social competence, which means the willingness to engage in interaction, and emotional competence, which helps the individual to express himself or herself in the target language without mimicking other cultures. Is it possible to develop all these competences in Iraqi English classrooms?!

Communicative language teaching

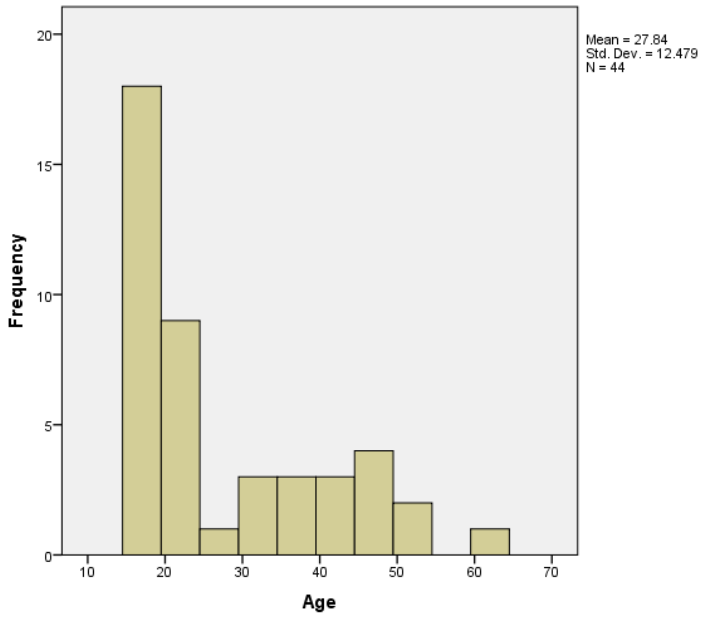
Iraqi students are unable to express their point of view in English because they do not have the specific lexis that can help them participate in professional communications. This indicates that they do not possess the most important skills of communicative competence. Consequently, the development of communicative competence skills is needs a considerable pedagogical effort (Bissenbayeva, Ubniyazova, Saktaganov, Bimagambetova, & Baytucaeva, 2013). In this regard, teachers need to teach and measure the five dimensions mentioned above, putting in mind that students in the basic level need only the strategic competence. Following the development of strategic competence, the other competences are taught when students become more advanced. After considering those competences, teachers can start thinking of utilizing them in teaching language skills. I believe that all these facts should be presented to all Iraqi teachers before taking a radical step of changing the curriculum then train teachers on teaching English communicatively. But first, all educational districts should look at the cases of schools and find a solution to the large number of students, consider the school year dates and the lesson time duration, and reduce the huge number of activities provided by the new curriculum because it is impossible to cover all the material in a communicative way which involve all students in collaborations an discussions.

Methods

Participants

The participants in this study included 45 individuals from Al-Huseiniya region in Baghdad. The sample participants ranged in age from 27 to 47 years (Figure 1).

Figure 1



4.5 Percent of the participants were graduated from schools in Al-Karkh District in Baghdad, 4.5 percent from other provinces, and 90.9 of them graduated from schools in AL-Risafa District in Baghdad as was explained in (Table 1).

Table 1

School Location

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Karkh	2	4.5	4.5	4.5
	Other Province	2	4.5	4.5	9.1
	Rusafa	40	90.9	90.9	100.0
	Total	44	100.0	100.0	

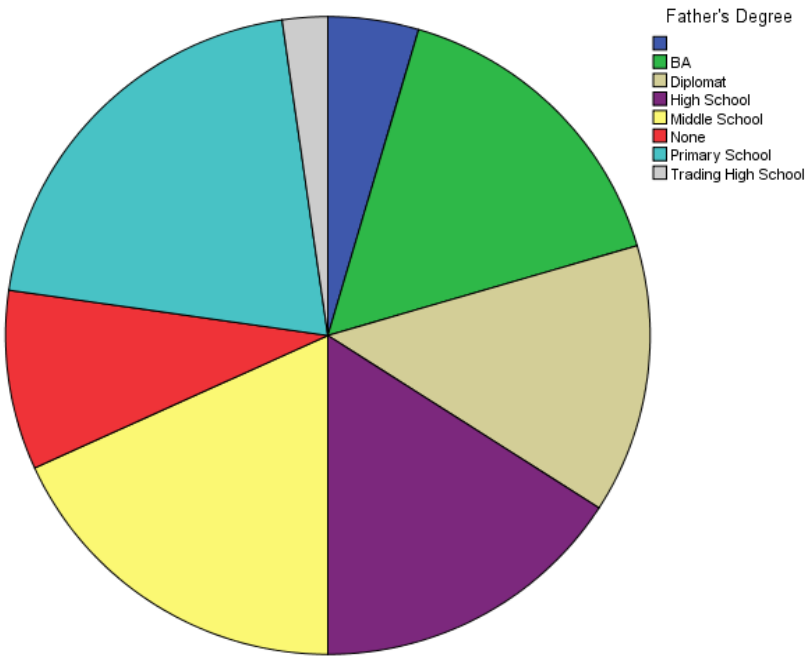
Out of the 45 participants, 95.5 percent were male while 4.5 percent were female. Results of the educational background of the participants' fathers showed that 15.9 percent of the respondents stated that their fathers have a Bachelor's Degree, 13.6 percent with fathers who have Diplomate Degree, 15.9 percent with fathers who graduated from high school, 18.2 percent with fathers who graduated from middle school, 20.5 percent with fathers who graduated from primary school, 2.3 percent with fathers graduated from trading high schools, and 9.1 with fathers with no educational degree (See Table 2 and Figure 2).

Table 2

Father's Degree

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid		2	4.5	4.5	4.5
	BA	7	15.9	15.9	20.5
	Diplomat	6	13.6	13.6	34.1
	High School	7	15.9	15.9	50.0
	Middle School	8	18.2	18.2	68.2
	None	4	9.1	9.1	77.3
	Primary School	9	20.5	20.5	97.7
	Trading High School	1	2.3	2.3	100.0
	Total	44	100.0	100.0	

Figure 2



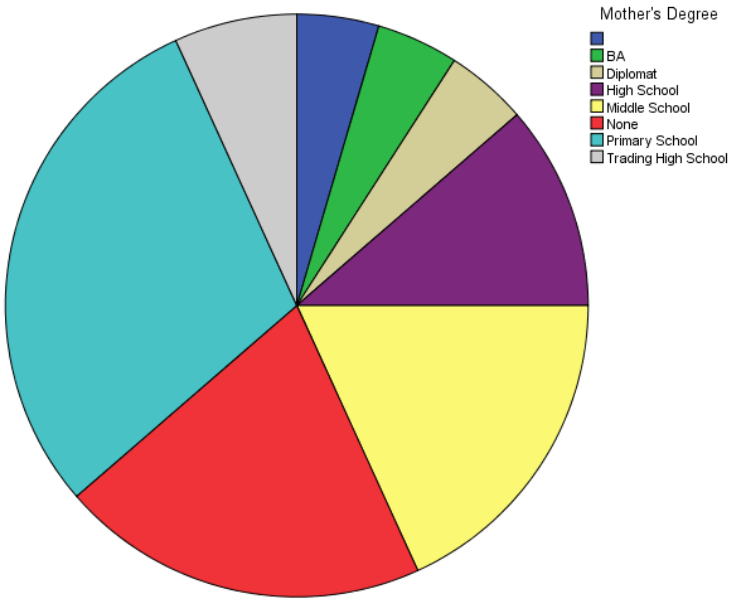
On the other hand, Results of the educational background of the participants' mothers showed that 4.5 percent of the respondents stated that their mothers have a Bachelor's Degree, 4.5 percent with mothers who have Diplomate Degree, 11.4 percent with mothers who graduated from high school, 18.2 percent with mothers who graduated from middle school, 29.5 percent with mothers who graduated from primary school, 6.8 percent with mothers graduated from trading high schools, and 20.5 with mothers with no educational degree (See Table 3 and Figure 3).

Table 3

Mother's Degree

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid		2	4.5	4.5	4.5
	BA	2	4.5	4.5	9.1
	Diplomat	2	4.5	4.5	13.6
	High School	5	11.4	11.4	25.0
	Middle School	8	18.2	18.2	43.2
	None	9	20.5	20.5	63.6
	Primary School	13	29.5	29.5	93.2
	Trading High School	3	6.8	6.8	100.0
	Total	44	100.0	100.0	

Figure 3



Instrument

A survey was created by the researcher as an instrument for this study in order to investigate the perceptions of Iraqis regarding the importance of learning English in their lives. The survey had 15 items with a 4-point Likert scale for items 1-5, a 3-point Never-sometimes or always scale for items 6 and 7, a 2-point Yes/No scale for items 8 and 9. The final

items (10-15) are related to the demographics, which are: age, gender, degree, father's degree, mother's degree, and location of high school. The scales are as follows:

- Items 1-5: 1 = strongly disagree, 2 = disagree, 3 = agree, 4 = strongly agree.
- Items 6-7: 1 = Never, 2 = sometimes, 3 = always.

Procedures

The survey was distributed to participants accompanied by a verbal explanation of the research, and an introduction about the survey. After survey completion, surveys were coded and analyzed using the software package SPSS.

Results and discussions

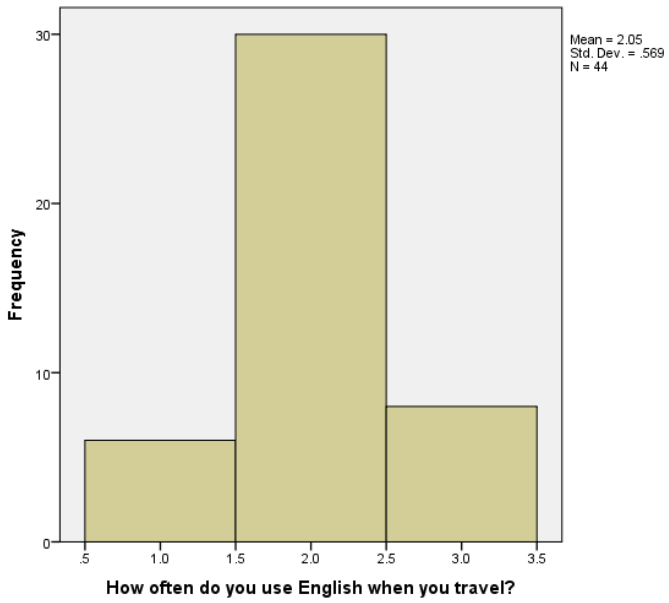
For the question "How often do you use English in your travel?" a calculation of frequencies were reported. Results indicated that 13.6 percent of participants never use English when they travel, 68.2 percent of participants use it sometimes, and 18.2 percent of participants use it always when travelling (See Table 4 and Figure 4).

Figure 4

How often do you use English when you travel?

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Never	6	13.6	13.6	13.6
	Sometimes	30	68.2	68.2	81.8
	Alwayds	8	18.2	18.2	100.0
	Total	44	100.0	100.0	

Figure 4



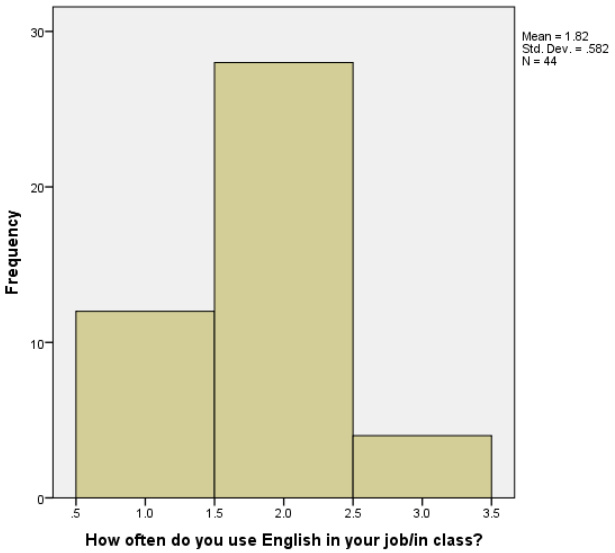
Another calculation of frequencies were reported for the question "How often do you use English in your job/class?". Results indicated that 27.3 percent of participants never use English in their job/class, 63.6 percent of them use it sometimes, and 9.1 percent of participants use it always (See Table 5 and Figure 5).

Table 5

How often do you use English in your job/in class?

		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Never	12	27.3	27.3	27.3
	Sometimes	28	63.6	63.6	90.9
	Alwayds	4	9.1	9.1	100.0
	Total	44	100.0	100.0	

Figure 5



A calculation of mean scores were reported for items $1-5$ and items number 8 and 9. The average survey score on the help using English in communicating with others, represented by item 1, was (2.81) out of 43 with a standard deviation of $(.732)$. The results indicated that participants believe that using English help them communicate with others. Item 2 indicated that participants believe in the effectiveness of English in helping them express themselves. The average score was (2.68) out of 44 with standard deviation of $(.674)$. Item 3 indicated that participants believe in the effectiveness of English in helping them understand other cultures. The average score was (3.11) out of 44 with standard deviation of $(.754)$. The same position was indicated by item 4 regarding the positive impact of English. The average score was (3.32) with a standard deviation of $(.674)$. Item 5 showed that English does not affect participants' choices regarding their jobs and specializations. The average score was (2.30) with a standard deviation of $(.851)$. Item 6 stated a moderate position concerning the formulation of new friendships. The average score was (1.55) out of 44 with a standard

deviation of (.504). Whereas the average score for the role of English in helping participants in using electronics was (1.84) out of 44 with a standard deviation of (.370) (see Table 6).

Table 6

Descriptive Statistics

	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
English learning helped me communicate with oters	43	1	4	2.81	.732
English learning helped me express myself	44	1	4	2.68	.674
English learning helped me understand other cultures	44	1	4	3.11	.754
English learning has a positive impact	44	1	4	3.32	.674
English learning helped me choose my job/college	44	1	4	2.30	.851
English helped me create new friendships	44	1	2	1.55	.504
English helped me use electronics	44	1	2	1.84	.370
Valid N (listwise)	43				

Conclusion

The present study investigated the perceptions of 45 Iraqi participants concerning the effect of English language learning on their lives.

A survey was developed to involve the following concepts: importance of English in expressing oneself and communicating with others, frequencies of using English in travel and in the workplace or in classroom, and the help of English in explaining other cultures and in the use of technology. Depending on the results gained from this study, it was clear that there is a little impact of learning English on the life of participants. This gap resulted partly from the educational background of the parents of the participants who

filled out the survey. On the other hand, Iraqi schools adopt the way of "teaching English for the sake of exams" and do not promote the importance of English in the future life of students.

This study is a great starting point for educators to start promote the role of English in understanding the cultures of other communities and to open the minds of students to the long distant future and its unpredicted opportunities that might need a good mastery of English. It is beneficial for curriculum designers as well, because it draws their attention to the fact that students' needs should be included in the English curriculum to motivate them to learn the target language.

Bibliography

Bissenbayeva, Z., Ubniyazova, S., Saktaganov, B., Bimagambetova, Z., & Baytucaeva, A. (2013). Communicative Competence Development Model. *Procedia - Social and Behavioral Sciences*, *82*, 942 – 945.

Canale, M., & Swain, M. (1980). Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing. *Applied Linguistics*, *1*(1), pp.1-47. http://dx.doi.org/10.1093/applin/I.1.1.

Feng, Z. W. (2013). A study on the perceptions of secondary school students regarding the form-focused and communication-focused English instruction. *English Linguistics Research*, *2*(2). http://dx.doi.org/10.5430/elr.v2n2p43.

Hann, Timmis, Alkhaldi, Davies, Troncoso, & Yi. (2014). The impact of English on learners' wider lives. *Teaching English*, 1-36.

Hymes, D. (1972). On communicative competence. In J. B. Pride & J. Holmes (Eds.), *Sociolinguistics* (pp. 269-293). Harmondsworth: Penguin.

Klimova, Blanka Frydrychova. (2014). Detecting the development of language skills in current English language teaching in the Czech Republic. *Procedia - Social and Behavioral Sciences*, *158*, 85 – 92.

Richards, J. C. (2006). *Communicative language teaching today*. Cambridge, England: Cambridge University Press.

Savignon, S. J. (2002). *Communicative competence: Theory and classroom practice*. (2nd Ed.). New York: McGraw-Hill.

Appendix 1

English Version of the Survey

Future Development with English as a foreign language: Iraqis and EFL learning

Please answer the following items:

Item	Strongly Disagree	Disagree	Agree	Strongly Agree
English learning helped me communicate with others	O	O	O	O
English learning helped me express myself	O	O	O	O
English learning helped me understand other cultures	O	O	O	O
English learning has a positive impact	O	O	O	O
English learning helped me choose my job/college	O	O	O	O

Item	Never	Sometimes	always
How often do you use English when you travel?	O	O	O
How often do you use English in your job/in class?	O	O	O

Item	No	Yes
English helped me create new friendships.	O	O
English helped me use electronics.	O	O

Demographics

How old are you? _____ years old.

What is your gender? O Male O Female

What is your degree? _____

What is your father's degree? _____

What is your mother's degree? _____years.

Where did you attend high school? O Al-Rusafa O Al-Karkh O Other Province

Thank You!

Thank you for taking my survey. Your responses are very important to me.

If you have any questions please email me at .....

Appendix 1

Arabic Version of the Survey

تأثير تعلّم اللغة الأنكليزية

ارجو أن تملأ هذا الاستبيان:

الفقرة	لا اتفق بشدة	لا اتفق	اتفق	اتفق بشدة
ساعدني تعلم اللغة الانكليزية على التواصل مع الآخرين	O	O	O	O
ساعدني تعلم اللغة الانكليزية على التعبير عن نفسي	O	O	O	O
ساعدني تعلم اللغة الانكليزية على فهم الثقافات الاخرى	O	O	O	O
لتعلم اللغة الانكليزية تأثيرٌ ايجابي	O	O	O	O
ساعدني تعلم اللغة الانكليزية على اختيار وظيفتي/كليتي	O	O	O	O

الفقرة	ابداً	احياناً	دائماً
كم تستعمل اللغة الانكليزية عند سفرك؟	O	O	O
كم تستعمل اللغة الانكليزية في العمل/المحاضرة؟	O	O	O

الفقرة	لا	نعم
ساعدتني اللغة الانكليزية على خلق صداقات جديدة.	O	O
ساعدتني اللغة الانكليزية على استخدام الاجهزة الالكترونية.	O	O

كم عمرك؟ _____ سنة.

الجنس: O ذكر O انثى

ماهو تحصيلك الدراسي؟ _____.

ماهو تحصيل والدك الدراسي؟ _____.

ماهو تحصيل والدتك الدراسي؟ _____.

هل كانت مدرستك في : O الرصافة O الكرخ O في محافظة اخرى

شكراً جزيلاً

شكراً على المشاركة بالاستبيان. اجاباتك مهمةٌ جداً لهذه الدراسة.

اذا كان لديك اي استفسار اتصل بي على عنوان البريد الالكتروني .....

منشورات

مركز دراسات البصرة و الخليج العربي بجامعة البصرة

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق ببغداد

2076 لسنة 2021